العلاقة السياسية بين إيران والعرب

جذورها ومراحلها وأطوارها

عبداللطيف عبدالرحمن عبدالله الحسن

العبيكان
Obeikan

ⓒ شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحسن، عبداللطيف عبدالرحمن عبدالله

العلاقة السياسية بين إيران والعرب. /

عبداللطيف عبدالرحمن عبدالله الحسن.-

الرياض، ١٤٣٩هـ

٥١٢ ص؛ ١٦,٥ × ٢٤ سم.

ردمك: ٢-١٧٣-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨

١- الفكر السياسي - إيران

٢- إيران - الأحوال السياسية - العصر الحديث

أ. العنوان

ديوي: ٣٢٠,٩٥٥ ١٤٣٩/٤٠١٧

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ/٢٠١٨م

نشر وتوزيع العبيكان Obeikan

المملكة العربية السعودية - الرياض

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ ١١ ٩٦٦+، فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ١١ ٩٦٦+

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanretail.com

العبيكان للنشر Obeikan Publishing

obeikanpub obeikan.reader

للحصول على كتبنا الورقية

وادي wadi — نون noon

للحصول على كتبنا الصوتية

Kitab Sawti www.kitabsawti.com — دار ضاد للنشر الإلكتروني WWW.DHAD.SA

للحصول على كتبنا الإلكترونية

Google Play — أجهزة amazon kindle

جميع الحقوق محفوظة. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

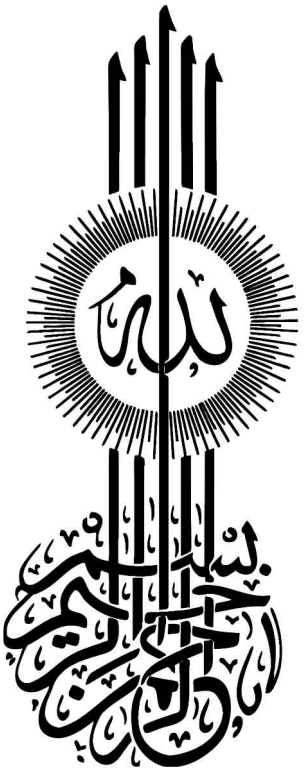
بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

المقدمة ١٥

تاريخ إيران القديم ٢١

- **الفصل الأول: القبائل الإيرانية القديمة** ٢٥

غزو الأكاسرة الفرس لبلاد العرب. ٢٧

اللغة الفارسية ٢٩

- **الفصل الثاني: ديانة الإيرانيين القدماء** ٣١

الديانة الزرادشتية ٣٣

- **الفصل الثالث الدولة الساسانية** ٣٧

الصلاة في الزرادشتية ٣٨

رأي الزرادشتية في خلق العالم ٣٩

الديانة المانوية ٣٩

مذهب المزدكية ٤١

الباب الثاني: تاريخ إيران بعد الفتح الإسلامي ٤٥

- **الفصل الأول: فتح بلاد فارس** ٤٦
- **الفصل الثاني: إيران في العصر العباسي** ٥٥

الموالي ٥٦

الموالي ونظام الموالاة ٥٦

دور الموالي في عصر الراشدين ٥٧

دور الموالي ضد العرب ٥٨

مقدمة في فتح المسلمين لبلاد فارس ٥٨

- **الفصل الثالث: الموالي والعرب (النظرة الاجتماعية)..... ٦٥**

الجزية والخراج ٦٧

منصب الولاية ٦٩

قيادة الجيش ٧٠

مناصب الدواوين ٧٠

منصب القضاء ٧١

انضمام الموالي للأحزاب والحركات غير الشيعية..... ٧٢

الموالي الفرس ومنصب الوزارة ٧٥

نكبة البرامكة..... ٧٦

رد فعل شيعة فارس ضد العرب..... ٧٩

دور الموالي الفرس في العصر البويهي ٨٣

- **الفصل الرابع: استيطان العرب لإيران..... ٨٨**

القبائل العربية في البلاد المفتوحة..... ٨٨

استيطان العرب للبلاد المفتوحة..... ٨٩

أولًا: في البصرة. ٨٩

ثانيًا: في الكوفة..... ٩١

ما يدور في جبانات الكوفة..... ٩٢

الكوفة مركز من مراكز التشيع..... ٩٣

ثالثًا: انتقال أوائل الشيعة إلى بعض البلاد المفتوحة. ٩٤

رابعًا: الشيعة العرب في الشام..... ٩٦

- **الفصل الخامس الثورات والحركات الإيرانية ضد الدولة العباسية ١٠٠**
- **الفصل السادس: إيران والعراق في عهد البويهيين ١٠٥**

ظهور الدولة البويهية..... ١٠٧

البويهيون والدولة العباسية..... ١٠٨

تفسير مناحة العزاء على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١١٠

- **الفصل السابع: إيران والعراق في عهد السلاجقة** ١١٤
الحالة الدينية والاجتماعية في العصر السلجوقي ١١٨
الحشاشون في إيران: (الإسماعيلية) ١٢٠
- **الفصل الثامن: إيران والعراق في العصر المغولي** ١٢٣
حالة العالم الإسلامي قبل الغزو المغولي ١٢٣
دخول المغول ١٢٤

الباب الثالث: إيران في العصر الصفوي ١٢٩
- **الفصل الأول: المشيخة الصوفية** ١٣٠
احتلال الأفغان لإيران: (١٧٢٢-١٧٢٩م) ١٣٦
نادر شاه ١٣٧
علاقة الدولة الصفوية بالبرتغال وإسبانيا ١٣٩
علاقة الصفويين ببريطانيا ١٤١
علاقة الصفويين بهولندا ١٤٣
- **الفصل الثاني: انتشار التشيع في العصر الصفوي** ١٤٦
هجرة علماء جبل عامل الشيعة إلى إيران ١٤٩
أوائل المهاجرين من العلماء إلى إيران منهم ١٥٥

الباب الرابع: الفكر السياسي الإيراني وعلاقته بالعرب ١٦٣
- **الفصل الأول: أثر فكر الشيعة الإثنا عشرية في إيران** ١٦٤
تطور فكرة الإمامة عند الشيعة الإمامية (ولاية الفقيه) ١٧٠
فكرة النيابة عن الإمام الغائب (عند الصفويين) ١٧٣
- **الفصل الثاني: الفكر السياسي في عهد الدولة القاجارية** ١٧٥
ظهور البابية والبهائية ١٧٧
حركة تحريم التنباك ١٧٩
- **الفصل الثالث: العلاقة بين الشاه وعلماء الدين في إيران** ١٨٠
أسباب سقوط حكم الشاه ١٨٤
رأي فقهاء الشيعة الإثنا عشرية في إيران في البرلمان المنتخب ١٨٦

- **الفصل الرابع: الفكر السياسي الشيعي في إيران في مطلع القرن العشرين ١٨٨**

نظرية الحكم عند الخميني ١٨٩

الحركات اليسارية التي مهدت للثورة الإيرانية ١٩٠

الإصلاحيون الدينيون في العصر الحديث ١٩٥

الهوية والاستيطان وما تثيره من مشكلات بين الإيرانيين والعرب ٢١٧

الباب الخامس: الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م ٢٢١

- **الفصل الأول: ثورة الخميني ٢٢٢**

ولاية الفقيه كما يراها الخميني ٢٢٥

النقد الذي وجه إلى نظرية ولاية الفقيه ٢٢٩

المبادئ الأساسية في دستور الحكم ٢٣٣

الحرب العراقية الإيرانية وآثارها ٢٣٧

أسرى الحرب العراقية الإيرانية..... ٢٤٩

- **الفصل الثاني: القوى السياسية في عهد الثورة الإسلامية..... ٢٥١**

التيار الليبرالي ٢٥١

تيار حزب الله ٢٥٣

التيار المعتدل الوسط ٢٥٣

تيار اليمين ٢٥٣

تيار اليسار الحداثي ٢٥٤

التيار الوطني (الليبراليون أو الوطنيون) ٢٥٤

تيار الحوزات الدينية بقم ٢٥٥

التيار اليساري ٢٦٢

تيار الخميني ٢٦٣

صدام المحافظين بالصحافة ٢٦٩

المحكمة الخاصة برجال الدين ٢٧٠

خلاصة لتحديد مفاهيم الأحزاب والتيارات السياسية..... ٢٧١

الاغتيالات السياسية في عهد الثورة الإسلامية ٢٧٤
اغتيالات رجال الثورة ٢٧٤
الاغتيالات التي تمت ضد معارضي الثورة ٢٧٦
خلاصة المراحل التي مرت بها الثورة الإيرانية ٢٧٨
مدى نجاح إيران في سياستها الثورية ٢٨٢
تصنيف القوى ومراكز الحكم في إيران ٢٨٦
- **الفصل الثالث: عناصر تكوين الشخصية الإيرانية** ٢٩٠
- **الفصل الرابع: القوة العسكرية بعد الثورة**..... ٢٩٣
إيران وتصنيع الصواريخ..... ٢٩٦
- **الفصل الخامس: إيران ومضيق هرمز** ٢٩٨
كيفية إغلاق مضيق هرمز..... ٣٠١
- **الفصل السادس: احتمالات الحروب مع إيران** ٣٠٤
احتمالات الحرب بين إيران وأمريكا ٣٠٤
احتمالات الحرب مع دول الخليج..... ٣١١
احتمالات الحرب بين إيران وإسرائيل..... ٣١٣
- **الفصل السابع: تدخلات إيران في البلاد العربية وتصدير الثورة** ... ٣١٧
تدخلات إيران في اليمن..... ٣٢٣
إيران والحوثيون..... ٣٢٣
تدخلات إيران في البحرين ٣٢٦
تدخل إيران في الكويت ٣٢٧
تدخلات إيران في العراق..... ٣٣٠
تدخلات إيران في لبنان ٣٣٤
تدخلات إيران في السعودية ٣٣٦
عوامل الالتقاء والافتراق بين السعودية وإيران ٣٤٤
مستقبل العلاقة بين إيران والسعودية ٣٥٦

تدخل إيران في سوريا ٣٦٨
تدخلات إيران في الإمارات العربية المتحدة والجزر الثلاث ٣٧٠
تدخلات إيران في بقية الدول العربية ٣٧٤
تطرف إيران في سياستها الخارجية ٣٧٧
- **الفصل الثامن: علاقة إيران بما حولها** ٣٨٠
علاقة إيران بتركيا ٣٨١
علاقة إيران مع العراق ٣٨٢
علاقة إيران مع السعودية ٣٨٥
علاقة إيران مع الإمارات ٣٩٣
علاقة إيران مع الكويت ٣٩٣
علاقة إيران مع البحرين ٣٩٤
علاقة إيران مع قطر ٣٩٥
علاقة إيران مع دولة عُمان ٣٩٥
علاقة إيران مع روسيا ٣٩٦
علاقة إيران مع الجمهوريات الإسلامية التابعة للاتحاد السوفيتي ٤٠٢
علاقة إيران مع باكستان ٤٠٤
علاقة إيران مع أفغانستان ٤٠٥
علاقة إيران مع العالم الإسلامي ٤٠٨
علاقة إيران مع سوريا ٤١١
علاقة إيران مع لبنان ٤١١
علاقة إيران مع الدول العربية ٤١٢
علاقة إيران مع فلسطين ٤١٣
- **الفصل التاسع: الأقليات في إيران** ٤١٤
عرب الأحواز ٤١٤
الأكراد ٤٢٣

البلوش ٤٢٦
الآذاريون ٤٢٩
التركمان ٤٣٢
أهل السنة في إيران..... ٤٣٣
السلفيون ٤٣٩
الصراعات السياسية بين الإيرانيين بعد الثورة ٤٤٢
- **الفصل العاشر: التحولات الاجتماعية بعد الثورة** ٤٤٥
- **الفصل الثاني عشر: أهداف الثورة الإيرانية ومشروعها التوسعي** ٤٥٧
- **الفصل الثالث عشر: اتصال إيران بالصهيونية** ٤٦٦
١- علاقة إيران البهلوية بالصهيونية ٤٦٦
٢- علاقة إيران بعد الثورة في كل من أمريكا وإسرائيل ٤٦٩
- **الفصل الرابع عشر: التغير السياسي** ٤٧٧
١- التغير الداخلي ٤٧٧
الخلاف بين سياسة المحافظين والإصلاحين ٤٧٧
أهم التغيرات بعد الثورة ٤٧٩
٢- التغير الخارجي ٤٨١
احتلال أمريكا للعراق ٤٨٣
أمريكا وإسرائيل ونشاط إيران النووي ٤٨٤
مشروع إيران النووي ٤٨٦
إخفاق سياسة الاحتواء ٤٨٩
- **الخلاصة**..... ٤٩٣
- **المصادر**..... ٥٠٥

التطرف الإيراني

١- ماذا تعرف عن إيران؟

٢- علاقتنا بإيران وتطرف التشيع.

المقدمة

إن تنامي النفوذ الإيراني بعد الثورة الإسلامية في المنطقة العربية خاصة، وسياسة إيران في تصدير الثورة دفعتنا إلى إلقاء الضوء على الأسباب والدوافع الإيرانية الحقيقية لهذا السلوك التصادمي مع العرب، ومع الأطراف الأخرى الفاعلة على الساحة ومحاوله تصدير الثورة بالعنف يعني إثارة المخاوف لدى الجوار العربي والمسلم، ويقود إلى العداء والصدام، ويفرض حربًا في المنطقة تستنزف موارد الأمة الإسلامية، وكان من الممكن تصدير الثورة لو قدمت نموذجًا إسلاميًّا طالما انتظرته الشعوب الإسلامية طويلًا؛ حكمًا يتصف بالعدل والحرية، ونموذجًا يقنع حتى غير المسلمين، وبهذا تكون وفرت على نفسها مشقة التصدير بالعنف ونقل النموذج الإسلامي من دولة إلى أخرى، وجعلها ثورة شاملة ونظامًا إسلاميًّا عالميًّا طالما حلم به المسلمون، وتتوق إليه آمالهم وأحلامهم، ولكن سرعان ما انقشع هذا الحلم عن كابوس مرعب وحقد بغيض كامن ومعشعش في عقول أولئك المتعممين وإحياء لنزعة غابرة عبر حقب تاريخية مريرة افترقت فيها الأمة بين سنة وشيعة وحروب لا طائل منها غير إضعاف الإسلام والمسلمين وتقوية أعدائهم؛ أعداء الدين. ولهذا جاء هذا الكتاب متتبعًا السلوك القديم للشعوب الإيرانية وعلاقتها بجوارها وضرورة تحليل الشخصية الإيرانية للوصول إلى حقيقة دوافع الصدام الذي يلوح في الأفق، وتتبع نتائجه ومؤثراته المستقبلية في العلاقة بيننا وبين إيران، وهذه الدراسة قد تختلف عن كثير مما كتب عن إيران؛ لأنها تتبع البعد المذهبي ودوافعه المتجذرة في التاريخ الإيراني وعلاقتها بالعرب.

إن السلوك المتطرف للسياسة الإيرانية خاصة مع العالم العربي، هو الذي يدعو الباحث إلى مزيد من إلقاء الضوء على دراسته وكيفية التخلص

منه أو على الأقل الحد من غلوائه أو بالأحرى تصحيح الموقف الإيراني، ومن ثم تصحيح الفكر الشيعي من العلاقة التاريخية المتأزمة ما بين الشيعة والسنة طرفي الإسلام الواحد وتجاوز عناصر الخلاف فيما بينهم إلى عناصر الاتفاق، وهي الأكثر والجوهر وهما بقدر متساوٍ مهددان من القوى المعادية للإسلام، وهي التي لا تفرق بين معاوية وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ومن هنا رأينا أن من المناسب تتبع السلوك الإيراني منذ القديم وعلاقته بالجوار، فمن الملاحظ أن الإيرانيين وقبائلهم القديمة كانت قبل الألف الثالث الميلادي تغزو الآشوريين والبابليين والأكديين في العراق كلما تهيأت لهم الفرصة بذلك، بل إن إمبراطورية إيران الساسانية استولت على العراق وأجزاء من الشام وأجزاء من جنوب تركيا اليوم، وأقامت عاصمتها في بلاد الرافدين المسماة طيز فون (أي المدائن) أو ما تسمى اليوم سلمان باك، ولم يخرج النفوذ الساساني إلا بقوة الفتح الإسلامي العربي، وهو مرحلة عظيمة القدر والتأثير حيث أخضع العرب إيران، وأسقطوا حكم الأكاسرة، فنشأت علاقة إيجابية وسلبية بين الطرفين: الإيجابية دخول أغلبية الإيرانيين الإسلام عن قناعة وتخليهم عن المجوسية، وهؤلاء شاركوا في إقامة الحضارة الإسلامية طيلة قرون، فنشأ منهم العلماء والأدباء والشعراء والحكماء الذين ارتقوا بالحضارة الاسلامية إلى مشارف عالية كما هو معروف في دراسة الحضارة الإسلامية، وهذا الجانب الإيجابي موضوع طويل يخرج عن هدف هذا الكتاب.

أما القسم الآخر من السلوك السلبي فقد كان منذ القديم حمله إيرانيون لم يدخل الإسلام في قلوبهم، وإنما استمروا في الخفاء على أفكارهم المجوسية التي تظهر بين حين وآخر بأشكال من السلوك ضد العرب خاصةً، كالحركات الشعوبية أو الثورات والحركات المناوئة للدولة الإسلامية العربية. واستخدام مذهب التشيع لآل البيت وسيلة لتحقيق أغراضهم.

ومن هنا حاولنا في هذا الكتاب الوقوف طويلًا على هذه العلاقة السلبية وتتبع ظواهرها وآثارها وإلى أي مدى انعكست على العلاقة مع العرب خاصة، وقد تركت لنا كتب الأفكار والحركات الشعوبية الإيرانية ومصادر الشيعة الإيرانية القديمة كمًّا كبيرًا من التعاليم والأفكار التي غلفها أولئك الإيرانيون بغلاف دينيٍّ نسبوا أكثره زورًا إلى شيعة آل البيت وأئمتهم، وقد كتبوا هذا منذ القرن الثاني الهجري، وتطور، واتسع بمرور الزمن، وتنامى كلما بدت العلاقة سلبيةً بين إيران والعرب، كما هو ظاهر في سلوك الإيرانيين من البويهيين عند احتلالهم العراق في القرن الرابع الهجري، ثم كان هذا السلوك العدائي ضد العرب خاصة والمسلمين عامة لدى الإيرانيين الصفويين واحتلالهم العراق أربع مرات خلال حكمهم لإيران وكل مرة تخرجهم، وتصدهم الجيوش التركية العثمانية؛ ولذا يبدو لنا أن تركيا تمثل على طول التاريخ نقطة التوازن لصد النفوذ الإيراني عن المنطقة العربية، ويتكرر هذا السلوك السلبي من إيران بعد الثورة الخمينية، وتستغل إيران مشاعر الإيرانيين القديمة للانتصار على العرب واستخدام مذهب الشيعة الإثنا عشرية لتحقيق أهدافها التوسعية وتدخلها في البلاد العربية، ويجري البحث عن ضرورة العلاقة الإيرانية مع كل من أمريكا وإسرائيل القوتين الحاضرتين في المنطقة، ولذا رأينا ضرورة إلقاء الضوء على تطور علاقة إيران بكل من أمريكا وإسرائيل إلى أن وصلت فيما يبدو للمتتبع إلى أن تكون ربما علاقة شراكة (غير مكتوبة) وتنسيقًا لأهداف الطرفين بعد أن كانت فيما يبدو علاقة متوترة أو على وشك الصدام، وأثر علاقة الشراكة هذه في مستقبل المصالح العربية، ولقد كان مفجعًا حقًّا أن أول ما نطق به الخميني حين وطئت قدماه أرض طهران عائدًا من باريس: «اليوم انتصر الحسين وانهزم يزيد» ولكن مع الأسف لا هو الحسين، وليس من بين الأحياء يزيد، ويا ليت أصحاب العمائم في إيران والملالي من كل الشعب يعلمون كم هو التحدي العظيم الذى يواجه الإسلام والمسلمين في ديارهم، لكن من المؤسف حقًّا هو التعاون

الذى كشفت عنه المعلومات والممارسات بين نظام الخميني وحكام إيران ومن قبلهم نظام الشاه وإسرائيل الذى تمثل في صفقات السلاح والمواقف السياسية لإسرائيل المؤيدة لإيران وفى العلاقة السرية والعلنية بين النظامين، واليوم تجد إيران نفسها عبر سياستها في خندق واحد مع القوى المعادية للمنطقة بما في ذلك القوى التي تضمر الشر لها نفسها، إنها تضع الإسلام وثورتها المزعومة في خدمة إسرائيل. وكما تاق شاه إيران إلى دور إقليمي وقومي في المنطقة كذلك تطلعت الثورة الإيرانية الإسلامية إلى هذا الدور نفسه بغطاء إسلامي، وكان خطؤها أنها بدأت تبحث عن تصدير لثورتها التي لم تثبت أركانها بعد في الداخل الإيراني، وما أفرزته من أوضاع جديدة في حياة إيران، ولما وعدت به الشعب الإيراني من رخاء ورفاهية وحلول لمشكلات الحياة عامة في سياق إسلامي جديد يتوق إليه مسلمو ذلك البلد، وأن تصدير الثورة بهذه السهولة ما هو إلا هروب من مواجهة الواقع الماثل أمامها؛ لكى تجد له حلًّا، وبعد هذه الفذلكة التاريخية نتساءل: ماذا يريد العرب من إيران الثورة؟ نقول: لقد ابتهج العرب كثيرًا بالثورة الإسلامية وفى النفس شيء وأمل أن تصحح هذه الثورة العلاقة بين العرب وإيران، فهى جزء من المنطقة، وإن ما يجمع بينها وبين العرب أكثر مما يفرق، وعلى هذا كان الرأي الجمعي للعرب يفرق ما بين إيران الثورة الطامعة فيما وراء حدودها وإيران الشعب التي هي جزء من عالم المسلمين الكبير الذي له على كل مسلم في الأرض حق النصرة والتعاون، وكان هذا هو شعار التضامن الإسلامي في ستينيات القرن المنصرم بأن يضع حدًّا لما يفرق المسلمين ليؤكد على ما يجمعهم، وليواجهوا معًا الأخطار المحدقة بهم من عدو مشترك، وإذا كان التعاون بين إسرائيل والنظام الإيراني هو ما يعكر صفاء هذه العقيدة الإسلامية فإن ما يتطلع إليه كل مسلم عربي وغير عربي هو أن يتوقف هذا التعامل مع أعداء الأمة، وتعود الثورة إلى رشدها وحضنها الإسلامي، وأن تضع نصب عينيها مصلحة شعبها والمسلمين، وأن مبدأ تصدير الثورة يعني إشعال الحرب بين المسلمين،

وهو ما حصل بين الثورة الإيرانية والعراق، وهي حرب لا منتصر فيها، فالكل مهزوم وخاسر، وليس مطلوبًا من إيران أكثر من أن تتوقف عن عملها في تصدير الثورة إلى جيرانها بالطرق التي نرى فيها إفرازات سالبة على العلاقات معها، لقد وجدت إيران من القوى العظمى وإسرائيل نوعًا من التشجيع أو على الأقل الرضا والسكوت عن تمددها وتدخلها في البلاد العربية ودول الخليج ما يتطابق مع أهداف تلك القوى، ولكن مع الأسف ستدرك إيران ورجال الثورة اليوم أن القوى العظمى وإسرائيل بعد أن ينتهوا من تحقيق أغراضهم عن طريق الأيدي الإيرانية سوف ترتد هذه القوى العظمى للقضاء على القوى الإيرانية، وسيدرك الجميع أنهم خاسرون، وأنهم كانوا ضحية لسياسة التآمر والشر، فهل من عقلاء في إيران لإيقاف هذه النهاية المحزنة، أم هل من عقلاء يستبينون النصح ضحى قبل أن ينقلب السحر على الساحر؟

الباب الأول

تاريخ إيران القديم

تبلغ مساحة إيران اليوم ١٦٤٨١٩٥ كم مربعًا، وتحيط الجبال الهضبة الإيرانية من جميع الجهات ما عدا الجهة المطلة على الخليج العربي، فتكون هذه الجبال مصدرًا للمياه والحياة على سفوحها خاصة الجهة الشمالية التي تُعدّ أغنى الجهات والمكونة من جبال زاغ روس الممتدة من بحر قزوين إلى بلاد الكرد في العراق، فمن أهم المدن والأقاليم الواقعة في هذه الجهة قزوين وسرخس ومورغان وزابول ولاريجاني ونور وطالقان وجبل وقلعة الموت المشهورة في تاريخ مذهب الشيعة الإسماعيلية، حيث بسطوا سلطتهم حولها في القرن الثالث الهجري على يد حسن الصباح زعيم الحشاشين، فكانت هذه الجبال المنيعة ملجأً للثائرين على الدولة المركزية في العصر الإسلامي أو العصور المتأخرة، أما جبل دما وند المشرف على طهران حيث ينبع منه نهر صغير يعدّه أهل طهران جنة الدنيا ولهم يوم في السنة (٤ تموز/ يوليو) يخرجون إليه صاعدين، وفي الديانة الزرادشتية اعتبر هذا الجبل موطن الإلهة (أوهرا مازدا) وتقع جبال كردستان وزاغ روس بين أذربيجان في الشمال وبلوشستان في الجنوب وكرمان ومكران، أما الجهة المحاذية للحدود العراقية فإن جبال زرادش كوه قرب أصفهان فينحدر منها أنهار عدة: نهر ديز ونهر كرخه ونهر قارون وكلها تتجه نحو الأحواز، أما الجبال الشرقية حيث بلوكستان فأغلبها جرداء وأهم مدنها كرمان وفيها القلعة المهمة قلعة بام التي تشكل بعدها صحراء لوط، ثم جبلي خراسان وبلوكستان حيث الحدود الباكستانية الأفغانية، وقد لاحظ القدماء الإيرانيون ضياع المياه المنحدرة من الجبال إلى الهضبة، فعمدوا إلى توجيهها في قنوات يبلغ عمقها ٣٠٠ متر، وطولها مختلف بحسب الحاجة فيها يمتد إلى ٦٠ كيلومترًا، وقد بلغت نحو ١٢٠ ألف قناة يمكن أن تروي نصف الأراضي الزراعية الإيرانية، وقد ازدهرت هذه القنوات في عهد الدولة الأخمينية في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد دمر الغزو المغولي الكثير منها، واليوم تبدو مهملة، وتحتاج إلى جهد جماعي في تنظيفها وحسن جريانها.

قيل: إن كلمة إيران تعني بلاد الأريين، ويقصد بها الهضبة الواقعة شرق العراق، ويحدها من الشمال روسيا، وتحدها من الشرق والشمال الشرقي باكستان وأفغانستان على التوالي، وتطل على بحر قزوين الواقع شمالها، كما تنبسط شواطئها على خليج العرب من ناحية الجنوب والجنوب الغربي، وأيضًا خليج عمان الذي يحد أراضيها من جهة الجنوب الشرقي.

ومنذ الألف الثالث قبل الميلاد كانت هذه الهضبة مسرحًا للمرور واستقرار مختلف الأقوام القادمين إليها، خاصة من الشمال والغرب وأقوام من الجنس الهندو أوروبي الآري ومن صحاري آسيا الصغرى من تركمانستان والمغول، وكذا من بلاد الأناضول، وقد كونت هذه الأقوام إمارات أو ممالك صغيرة، تناحرت فيما بينها، أو تعرضت للغزو خاصة من ممالك وادي الرافدين الأشوريين في الشمال ومركزهم نينوا والبابليون في الوسط ومركزهم بابل والأكديون في الجنوب ومركزهم أور (لكش) أو بخلاف ذلك تقوم بعض هذه الممالك بغزو العراق على فترات مختلفة من التاريخ القديم، ومن أهم تلك الأقوام التالية.

وأما بلاد عربستان فسنفرد لها بحثًا مفصلًا فيما بعد باعتبار أصلها عربيًّا.

الفصل الأول

القبائل الإيرانية القديمة

١- قبائل الميديين.

وقد تعرضت إماراتهم للغزو من قبل الأشوريين في عهد تجلات بلاسر، وقام بأسر الملك الميدي ونفيه إلى سوريا هو وأسرته، وقد حاول الميديون غزو بابل، وقد نجحوا فيما بعد في غزو العراق والشام وفلسطين، وذلك بعد تحالفهم مع الممالك الأخرى في هضبة إيران في عهد ملكهم (حشا ثريتا).

وفي عهد ملكهم (كيا كسا روس) تحالفوا مع ملك بابل تبوبوا سر ضد الأشوريين، فغزوا نينوا، وزوج ابنته إلى نبوخذ نصر، وكان ذلك عام ٦١٢ ق. م، وقد سقطت هذه المملكة على يد الملك الفارسي كورش في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد.

٢- قبائل الكميريين.

قيل: إنهم قدموا من شبه جزيرة القرم والقوقاز في بداية القرن الثامن قبل الميلاد، وأسسوا مملكة (أور أرتو) التي سيطرت على بقعة واسعة من شمال غرب إيران وشمال العراق، وقد غزاهم الملك الأشوري شلما نصر في عام ٨٣٤ ق. م، ولكن في عهد ملكهم سارودي قاموا بغزو الأشوريين والانتصار على ملكهم تجلات بلاسر، وذلك سنة ٧٤٣ ق. م[1] ولكن في عهد الملك سرجون الثاني رد الأشوريون اعتبارهم، فغزوا مملكة أور أرتو سنة ٧١٤ ق. م، وألزموا بتقديم الجزية لملك أشور.

---

(١) برنار أوركاد: (جغرافية إيران السياسية ص١٣-٢٦) جروس برس ناشرون، ٢٠١٢م.

٣- العيلامين.

وقد قدموا إلى إيران من غرب آسيا في بداية الألف الثالث قبل الميلاد، وسكنوا الأقاليم المتاخمة للخليج العربي، وذكر (كلمان هور ولويس دلابرت) أن السكان الأصليين لهذه الأرض كانوا يسمونها حالتام أو حاتام، ثم تطورت التسمية فيما بعد إلى الأحواز أو خوزستان[١] فكانوا في صراع طويل مع الأكديين جنوب العراق، وأكبر غزو تعرض له العيلامين كان من قبل سرجون ملك أكد، وقد حاول الملك العيلامى بوز وانشو غزو الأكديين، ولكنه لم يستطع بسط نفوذه مدة طويلة، ودخل العيلامين في حروب عدة مع جيرانهم العراقيين مع هذا كان العيلامين في فزع من قوة سرجون الأكدى ووحدة إدارة مدنه السومرية الأكدية، ولذا فقد اتفقوا مع الحكام الآخرين، وكانوا ينوون القضاء على الحكم الأكدى الجديد بقيادة سرجون، ومن الأمثلة على ذلك في زمن الملك ريوش (٢٣١٥-٢٣٠٧ ق. م) ابن الخليفة سرجون الأكدى نجد النزاع بين الأكديين والعيلامين وحلفائهم من المقاطعات في جنوب غربي إيران، وكرر العيلامين محاولاتهم التدخل في شؤون بلاد وادى الرافدين ثانية. وعمدوا إلى إيجاد تحالف عسكري مع أعداء حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق. م)[٢].

٤- الكاسيون.

وهم مجموعة قبائل هندو أوربية قدموا من آسيا الصغرى، واستوطنوا المنطقة المجاورة لهمدان وما حولها، وأصبح لهم قوة يرمزون لها بالحصان والشمس، وقد غزوا مملكة بابل في القرن الثامن عشر قبل الميلاد وبمساعدة من العيلامين، وامتد نفوذ العيلامين إلى بابل إلى أن جاء الملك البابلي حمورابي

---

(١) عبدالنبي القيم: عرب إيران (إيران وتاريخ عرب الأهواز) ص٥٠، ترجمة: كاظم الجابري، مصر، الجيزة، ٢٠١٣م.

(٢) جون ليمبرت: إيران حرب مع التاريخ ترجمة: حسين عبدالزهرة مجيد، ص٦٨ وما بعدها، جامعة البصرة، مركز الدراسات الإيرانية، البصرة، ١٩٨٢م.

سنة ١٧٢٨ ق. م، فطرد العيلاميين من العراق، ثم غزا مملكتهم، وأسقطها، ولكن العيلاميين بعدها أرجعوا نفوذهم على بابل وعلى جنوب العراق إلى أن جاء الملك البابلي نبوخذ نصر، فحرر بلاده من نفوذ العيلاميين أواخر القرن الخامس قبل الميلاد.

٥- الفرس (الأخمينيون).

وهم موجة القبائل البارسية الأخمينية القادمة من آسيا الصغرى، ودخلت مع العيلاميين في صراع، وأسسوا مملكتهم القوية في عهد ملكهم دارا وقمبيز، وسيطروا على أغلب الأقاليم الإيرانية إلى أن جاءهم الغزو الروماني بقيادة إسكندر المقدوني سنة ٣٣٠ ق. م الذي استكمل غزوه عابرًا إلى الهند، ولكن بعد ضعف حكم اليونان توحد الفرس بعد شتاتهم خاصة في عهد بابك بن ساسان، وهو مؤسس الدولة الساسانية، واتخذت المدائن (طيسفون) عاصمة لهم، فبسط الساسانيون حكمهم على الهضبة الإيرانية وعلى العراق إلى القرن السابع الميلادي حيث الفتح الإسلامي وقبل ذلك غزا الأخمينيون بقيادة كورش مدينة بابل سنة ٥٣٩ ق. م، وجعلوها بلده تابعة لدولتهم.

غزو الأكاسرة الفرس لبلاد العرب.

ومن حروب الفرس مع العرب تدميرهم مدينة الحضر، وهي من المدن العربية العامرة المحصنة وذات حضارة راقية، وكان أول ملوك الحضر سنطروق الذي يلقب نفسه بملك العرب، وكان ملكها (الضيزن) بن معاوية الذي قتله شابور الأول بن أرد شير بابك ٢٤٠-٢٧١م مع من كان معه من عشيرته قضاعة.

ومن حروب الفرس مع العرب حرب ملك تدمر، فقد تشكلت إمارة تدمر على أنقاض دوله الأنباط... وكانت السيادة فيها للعرب، وعندما شن شابور الأول (٢٤٠-٢٧١م) حربًا ألزمهم الحياد، وفي عهد شابور الثاني (٣٠٩-

٣٧٩م)[١] كان أول عمل قام به هو الانتقام من العرب كما ذكر الطبري (انتخب ألف فارس من صناديد جنده وأبطالهم، وتقدم إليهم في المضي لأمره، ونهاهم عن الإبقاء على من لقوا من العرب وهم غابرون، وقتل منهم أبرح القتل، وأسر أعنف الأسر، وخرب بقيتهم، ثم قطع البحر في أصحابه فورد الخط، واستقر في بلاد البحرين يقتل من أهلها، ولا يقبل فداء، وليعرج على غنيمة، ثم مضى على وجهه فورد هجر وبها ناس من الأعراب تميم وبكر بن وائل وعبد قيس، فأفشى فيهم القتل، وسفك فيهم من الدماء سفكًا سالت كسيل المطر.... ثم على بلاد عبد قيس، فأباد أهلها إلا من هرب منهم ولحق بالرمال، ثم أتى إلى اليمامة، فقتل بها تلك المقتلة، ولم يمر بماء من مياه العرب إلا غوره ولا جب من جبابهم إلا طمه، ثم أتى قرب المدينة، فقتل من وجد هناك من العرب، وأسر، ثم عطف بلاد بكر وتغلب فيما بين مملكة فارس ومناظر الروم بأرض الشام، فقتل من وجد بها من العرب، وسبى، وطم مياههم، وأسكن من بني تغلب من البحرين دارين واسمهما (هيج والخط) ومن كان من عبد قيس وطوائف من بنى تميم (هجر) ومن كان من بكر بن وائل (كرمان) وهم الذين يدعون (بكر أبان) ومن كان منهم من بني حنظلة (بالرميلة من بلاد الأحوز...)[٢] وفى سنة ٥٣٦ ميلادية غزا الفرس عمان، ولكن العرب بقيادة مالك وعمرو (ابنيّ فهم بن تميم الله) هزموهم، ومن المعارك المشهورة التي هزم فيها الفرس معركة زي قار في وسط العراق التي حدثت بعد البعثة وقبل الهجرة حيث طلب كسرى أنو شروان نساء من النعمان بن المنذر ملك الحيرة، فرفض النعمان ذلك، وترك الحيرة، ونزل

(١) ساهر رافع: تاريخ وحضارة إيران، ص١٣-٤٩ مكتبة النافذة - القاهرة/ الدكتور: سامي سعيد أحمد - رضا جواد الهاشمي: تاريخ الشرق الأدنى القديم إيران والأناضول، ص٥١ وما بعدها - وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - بغداد، ١٩٠٠م/ برنار أوركاد: المصدر السابق، ص٢٦/ شاكر صابر الضابط (تاريخ المنازعات والحروب بين العراق وإيران) ص٧٦ وما بعدها، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٤م.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٥٦ و٥٨.

عند بني شيبان في ذي قار سرًّا، حيث أودع نساءه عندهم، وقتل النعمان في سجنه عند كسرى، فلما جاء كسرى بجيشه يطلب النساء قاتلته العرب أيامًا تذود عن شرفها، فهزم الفرس شر هزيمة، فكانت بكر بن وائل تفخر بذلك على العرب، وغزا الفرس ٦١٤م الشام وبيت المقدس، فهزموا الروم، فلما بلغ ذلك الرسول ﷺ أبلغ المسلمين سورة الروم حيث تنبأ الرسول ﷺ بأن الروم سيغلبون الفرس بعد ذلك في بضع سنين، حيث تم ذلك سنة ٦٢١م وطرد الروم الفرس من بلاد الشام، وفى السنة السادسة من الهجرة أرسل الرسول ﷺ رساله مع عبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى، فلما وصله مزق كسرى الرسالة التي يطلب الرسول ﷺ فيها أن تسلم الفرس، وأمر كسرى واليه على اليمن باذان أن يرسل بمن يأتيه بمحمد ﷺ فأرسل اثنين من رجاله إلى المدينة حيث أبلغا الرسول ﷺ بما يطلبه كسرى، فطلب منهم الرسول ﷺ أن يرجعا، وأخبرهما بأن ابن كسرى قتل أباه، وحملهما رسالة إلى باذان أن يدخلوا في الإسلام، فلما قدما إلى باذان، وأخبراه بهذه المعجزة دخل الجميع في الإسلام، وأصبح فرس اليمن أولئك يسمون الأبناء إكرامًا لهم حيث قاتلوا مع المسلمين لنشر دعوة الإسلام في اليمن.

اللغة الفارسية:

وهي لغة الأقوام البارسية التي أصبحت لها السيادة على بقية القبائل الإيرانية، فكانت هذه اللغة فيما بعد رمزًا لوحدة الشعوب الإيرانية من أصول مختلفة التي جاءت إلى إيران في الأزمان الغابرة، وكانت اللغة الفارسية هي اللغة السائدة في القرن الرابع قبل الميلاد، ثم تطورت مع الزمن مثلها كبقية اللغات، فقد دخلت عليها عناصر من اللغة التركية؛ وذلك بسبب التداخل التاريخي بين الشعبين التركي والإيراني، وتمثل مفردات اللغة التركية نحو ٣٪ من اللغة الفارسية، ولكن أهم تطور حصل في اللغة الفارسية هو دخول المفردات العربية

عليها بعد الفتح الإسلامي، وتبنى الإيرانيون المسلمون المفردات العربية تلك بوصفها جزءًا من الديانة الإسلامية وضرورة معاشية وتجارية مع العرب إلى أن أصبحت المفردات العربية تلك جزءًا لا ينفك عن اللغة الفارسية وفي موجة من موجات التعصب القومي الفارسي أمر الشاه البهلوي علماء اللغة الفارسية تنقيتها من العربية، فباءت محاولاتهم بالفشل الذريع حيث قاموا بتغيير بعض الجمل العربية إلى ما يقابلها بالعربية أيضًا حيث لم يجدوا لها مقابلًا بالفارسية، فإن نحو ٨٤٪ من الإيرانيين يتكلمون الفارسية والبقية لا يعرفونها، وإنما يتكلمون لغتهم القومية كالبلوشية أو الكردية، والفارسية هي السائدة في أفغانستان وطاجيكستان.

الفصل الثاني

ديانة الإيرانيين القدماء

كانت مجموعة القبائل التي سكنت الهضبة الإيرانية قد جاءت من مناطق بعيدة شتى تحمل معها معتقداتها، وبمرور الزمن تقاربت أفكارها في إيران، وتمخضت عن معتقدين هما الشمالي الغربي متأثرًا بالفكر الهندي والصيني القديم، وأما الجنوبي الشرقي فكان متأثرًا بديانة وادي الرافدين القديمة، وأقدم ديانة في إيران هي ديانة الإله مازدا التي تنسب إليه قوى الطبيعة، ثم تطورت إلى الديانة الإسفينية القائلة بوجود إلهين أحدهما للخير، وهو أهورا مازدا والآخر إله الشر، وهو أهر يمان، تقوم هذه الديانة على معتقدات خرافية تدور حول الصراع بين إله النور وإله الظلام، ثم توضح الاعتقاد الديني بصورته الزرادشتية، فالخالق عندهم خلق جميع الموجودات من العدم، وصارع الظلام، ولذا فإن النار مقدسة عندهم؛ لأنها رمز للنور تستحق العبادة، ولذا فقد اتخذوا بيوت النار معابد لهم، وتدور فلسفتهم حول كون الإله أوهرا مازدا إله غير متناهٍ؛ لأنه يخلق مخلوقات غير متناهية ومستمرة في الحياة بخلاف إله الظلام من صفاته محدودية القدرة، حيث خلق الشياطين المستترة بالظلام والهاربة من إله النور، وحياة الإنسان صراع بين هاتين القوتين، وتعتقد هذه الديانة أن الهزيمة ستحل بإله الظلام هو وشياطينه. وتدور ديانتهم ومعتقداتهم حول أساطير اعتقدوا بها، فيرون أن أوهرا مازدا قد خلق السماء، وخلق فيها أبراجها ٢٧ وكل برج يتبعه كثير من النجوم، وتلك الأبراج لها قوى تتمثل على الأرض في مواسم وظروف مختلفة، فهم يتفاءلون بدخول بعض الأبراج، ويتشاءمون بدخول برج العقرب مثلًا.

وهذا المعتقد نرى أثره في كتب فقه الشيعة الإثنا عشرية، ففي باب النكاح يشيرون إلى كراهية الزواج فيه، ويعتقدون أن روح الإنسان الخيرة الطاهرة تتحد بخالقها أهورا مازدا الذي يدلها على الخير، ويجنبها الشر. ومن أساطيرهم أن أهورا مازدا يتجسد عن طريقة دخوله في المطر الذي يسبب ظهور النبات ومنه يعيش الحيوان والإنسان، وهذه الفكرة من بواكير فكرة الحلول ووحدة الوجود التي اعتقدت بها بعض الصوفية والمذاهب وديانات يهودية ونصرانية شتى. ومن أساطيرهم أن أهر يمان إله الشر يهاجم مخلوقات أهورا مازدا في السماء والأرض، ويسبب الضرر بهذه المخلوقات، وخاصة الإنسان، فيدافع أهورا مازدا عن مخلوقاته، والصراع مستمر بينها.

ويتبع أهورا مازدا ملائكة يساعدونه كما لإله الشر أهرمان شياطين يبثهم لأعماله الشريرة، فمثلًا الشيطان أبوش حينما ضربه الملك إسبندرجارغاك صاح، فكان الرعد في السماء صوته والبرق علامة لذلك، فتكون منها مياه الأنهار والبحار[1].

وبحسب معتقدهم في خلق الإنسان أن أهورا مازدا تسبب في خلق وإنبات شجرة الروند، بحيث ظهر أسفلها من الأرض الرجل والمرأة ملتصقين، فبث فيهما أهورا مازدا الروح، فانقلبت شجرة الروند إلى رجل وامرأة، وكان هذا بعد مدة طويلة.

والذنوب التي لحقت بالإنسان بعد ذلك كانت نتيجة لإصغاء الإنسان إلى ما يبثه أهر يمان من نيات شريرة.

ومن أساطيرهم عن الطوفان أن الإله أهورا مازدا قال للراعي الصالح جمشيد: إنه ستنزل الثلوج على الجبال، ويحل الطوفان في الأرض بسبب ذوبانها،

---

(١) ساهر رافع: المصدر السابق، ص٨٠ ومن المأثور من أحاديث الشيعة الإثنا عشرية أن الإمام عليًّا لم يمت، وأن الله قد فوضه بتدبير الكون، وهو في السماء الرعد صوته والبرق سوطه.

وطلب منه أن يصنع سفينة يضع فيها من كل زوج اثنين؛ لأن الطوفان سيقضي على جميع من على الأرض.

ومن أساطيرهم أن أزي دهاقة (عند العرب الضحاك) كان ابنًا لملك العرب مرداس، وأن الضحاك ما هو إلا أحد الشياطين ذوي القدرة على منع المطر، وهو دائمًا محب للهو والطرب والصيد، وتدخل إله الشر أهر يمان، فدفع الضحاك إلى أن يحكم الإيرانيين والأشوريين والبابليين والعرب، وأكثر الأساطير تدور حول خصومات الحكام فيما بينهم حيث تعمل أساليب الخير والشر عملها، وتتعدى هذه الأساطير إلى رغباتهم في حكم بابل واليمن[1].

الديانة الزرادشتية:

إن أكبر تحول في الديانة الإيرانية القديمة تم على يد زرادشت، وأفكاره كانت مبنية على أصول الديانة المثنوية التي سبق شرحها أعلاه مع إضافة عناصر من ديانات الهند القديمة خاصة الهندوكية، وقد قيل: إنه رحل إلى الهند وإلى وادي الرافدين، وولد زرادشت قرب مدينة بلخ شرق إيران في حدود سنة ٦٦٠ق. م، وتعني كلمة زرا (الأصفر) ودشت (الجمل).

وتحيط ولادة زرادشت الكثير من الأساطير حيث تقول الأسطورة: إن ثورًا نطق، وبشر بمولده والبقرة تحاط بالقدسية في الديانة الهندو كية، وإن أفريدون البطل الأسطوري في الديانة الفارسية القديمة هو أحد أجداده، وتعتقد الهندوكية أن البقرة مقدسة بسبب حلول الإله فيها، وتقول الأسطورة: إن أمه كانت تشع نورًا حينما حملت به، فكانت هدفًا لمهاجمة إله الشر أهريمان، ولكن أهورا مازدا أحاطها بالرعاية، وحينما ولدته خرج وهو يضحك خلافًا للمواليد الذين يبكون عادةً، ونشأ في ظل ورعاية أحد الرهبان هو وأمه، ولما كبر جاءه

(١) ساهر رافع: المصدر السابق، ص١٣٤.

الوحي من السماء على شكل عمود من نور، وتكرر ذلك؛ ولذا يُعدّ عندهم من الأنبياء، وقد كتبت آراؤه في كتاب الأفستا، وتعرض زرادشت إلى المهانة والطرد والسخرية من أفكاره حتى اقتنع بها الملك الفارسي (كشتا سب) بعد أن رأى من المعجزات ما أبهره حيث تذكر الأساطير أن زرادشت جعل الملك يرى روضة من الجنة، ولبى طلبه بطول العمر، وأن يتحول جسده إلى حديد لا تؤثر به النار.

وفرض هذه الديانة على العموم، وقد كتبت الأفستا بلغات قديمة عدة، وتختلف كلٌّ من نسخها عن بعضها البعض، وترجع بعض تعاليم زرادشت الواردة في الأفستا إلى ديانة وادي الرافدين. وأورد في الأفستا شطرًا من حياته، وما جرى له مع الأمراء والكهنة، وكُتب التاريخ العربية تذكر زرادشت، وأن ما كتبه في الأفستا غير معلوم أو غير مفهوم؛ ولذا حينما نقل وترجم إلى لغات أخرى اضطروا إلى فك رموزه ومعانيه بحسب مفهوم الناقل أو المترجم وبالعربية سمي كتابه هذا كتاب الزند، حيث كان معلومًا ومتداولًا في العهد العباسي.

وتحتوي الأفستا القديمة على ٢١ سفرًا كتبت على جلود البقر من قبل زرادشت وشاركه تلامذته، وقد ضاعت هذه الأسفارعدا واحدًا منها، ويذكر أن الإسكندر الأكبر حينما احتل إيران أحرق نسخ الأفستا؛ ولذا يذكر في مأثوراتهم، ويسمونه إسكندر الملعون والسفر الباقي حتى اليوم اسمه الكاتاها، ويحتوي على أسفار عدة.

- الأول سفر الياسنا: ويحتوي على أدعية وصلوات وأناشيد.
- والثاني سفر الفيسبرد: ويحتوي على كثير من الفصول التي فيها كثير من الترانيم الدينية.
- والثالث سفر الفيندياد: ويحتوي على تعاويذ وترانيم ضد الشياطين.
- والرابع سفر الياشتا: ويحتوي على ترانيم عدة تعلي من قدر الكائنات الروحية (الملائكة).

- والخامس سفر الأفيستا: ويحتوي على أدعية وصلوات كتبها أحد الكهنة وتعاليم أخلاقية وأدبية في الحياة والعلاقة مع الناس.

وأكثر تعاليم زرادشت تدور حول تقديس الماشية وتمجيدها خاصة الثور والبقرة والمراعي والدور الذي يقوم به راعي الماشية الطيب كما تدور حول تقديس القمر بمجموعة من الأناشيد والترانيم وتقديس الإله أهورا مازدا والملائكة الذين يساعدونه، كل ذلك محشو بالأساطير والمعجزات التي تدور حول تلك القوى، ومن المهم هنا الإشارة إلى أن هذه الديانة تقضي بوضع الميت في مكان عالٍ يصنع عادة من خشب يسمى (الدراخما) حيث تأتي الطيور الجارحة، فتأكل أجساد الموتى معتقدين أن روح الميت ستحل بهذه الطيور، وتسعد بها خاصة المؤمنين منهم، ويبدو أن فكرة الحلول هذه من تأثير الديانات الهندية القديمة.

وقيمة دراسة الإيرانيين القديمة وما ورد فيها من أساطير له علاقة ومؤثرات بالتشيع، وخاصة التشيع الإيراني الصفوي، فلا يمكن فهم ذلك السيل الكبير من الأساطير والمعجزات التي ذكرت في كتب الحديث عند الشيعة الإثنا عشرية خاصة ما تعلق منها بالأئمة الاثني عشر.

ويبدو لي أن هذا الموضوع لم يدرس جيدًا، ويحتاج من الباحثين إلى التعمق والربط بين تلك الأساطير القديمة، وما سجله، ونقله مثلًا محمد باقر المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) فقد أورد فيه حديثًا منسوبًا لأحد الأئمة بأن الأرض واقفة على قرن ثور، وأن الهزات الأرضية ترجع إلى تعب الثور، وتحوله الأرض إلى قرنه الآخر، وحوت تلك الأحاديث أثرًا من حرق الموتى وذر رمادهم في النهر[1] وما أشرنا إليه سابقًا من اتفاق الأسطورة المتعلقة بأن الرعد هو صيحة الإله أهر يمان واتفاق ذلك مع حديثهم المنسوب بأن الرعد صوت الإمام

(١) فاضل الربيعي: النياحة العظيمة، ص٨٨، دار للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ٢٠١٣م.

علي، وأن البرق سوطه، ويشير الدكتور فاضل الربيعي إلى أن الفرس قديمًا قد تأثروا بعادة البكاء والنُّواح على الميت من اتصالهم بالحضارة الأشورية، حيث كان البكاء في بابل في معابدها بمناسبة الأسطورة الدينية التي تذكر بكاء الإلهة عشتار ونواحها على تموز، ومن المعلوم أن الإيرانيين الساسانيين اتخذوا المدائن عاصمة لهم، وهي لا تبعد كثيرًا عن بابل(١). انظر: كتابنا (جذور التشيع) وكتابنا (الزواج المؤقت) موضوع (حرق الموتى).

(١) حسن برنيا: تاريخ إيران القديم - ص٣١١ وما بعدها - ترجمة د. محمد نور الدين عبدالمنعم - د. السباعي محمد السباعي - مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩م.

الفَصْلُ الثَّالِث

الدولة الساسانية

حكمت الهضبة الإيرانية كثيرًا من الإمارات المتناحرة فيما بينها، إلا أن إمارة البارثيين وعاصمتها إصطخرا عاصمة ملوك فارس القدماء ظهر فيها الملك ساسان، ويقال: إنه من سدنة بيت النار، وخلفه في الحكم بابك الذي أخضع الإمارات حوله إلى أن جاء ابنه أردشير، فزادت قوته بإخضاع المزيد من الإمارات حوله، وقد اصطدم جيشه بالعيلامين جنوب شرق إيران، فهزمهم، وبعد إخضاعه أكثر الأقاليم والهضبة الإيرانية اتجه بجيشه إلى العراق لإخضاع مملكة بابل سنة ٢٢٦م، وتزوج بابنة ملك بابل، وتم له إخضاع العراق بمباركة من الإله أهورا مازدا كما يدعون، واتجه شمال العراق بجيشه، وقابل جيش أرمينيا في ملك خسرو المؤيد من قبل الإمبراطورية الرومانية، فانهزم خسرو في المعركة، وفي عهده تحقق للإيرانيين الإمبراطورية الساسانية واسعة الأطراف، فأخضع كلًّا من إيران والعراق وأفغانستان وبلاد العرب حتى حدود أوروبا، وانتزع حران ونصيبين من ملك الرومان، واتجه إلى الهند، وأخضع جزءًا منها إلى نفوذه، ويشكل العنصر الفارسي رأس الحربة في الحكم الساساني، ويعتزون بحكم أسلافهم من الفرس، وقد سادت اللغة البهلوية إلى جانب اللغة الإشكانية، وكانت مدينة إصطخرة عاصمة لهم في هذه الفترة، وفي عهده أعاد بناء كثير من المدن ومن أهمها أرد شير خسره (فيروز أباد) وهرمند أرد شير (الأهواز) ومدينة هشتا باد (البصرة) ومدينة ميسين القديمة، فأصبح أرد شير أسطورة الدولة الساسانية، وأحيط بالأساطير والمعجزات، وغزا أردشير إمارة ميسان العربية في العراق التي كان يحكمها عرب كانوا قد جاؤوا من عمان، وقد ساد

في عهده المذهب الذرادشتي وتطبيق التعاليم الواردة في الأفستا، خاصة ما تعلق منها بالحكمة والأخلاق، وقسم المجتمع إلى طبقات عدة وكل طبقة إلى فئات عدة، ووضع للجميع أعمالاً ومهام يقومون بها، ويحاسبون بموجبها، وهي:

١- طبقة رجال الدين، وتحتوي على: أ- فئة الحكام والقضاة (دادور): ب- فئة الزهاد وسدنة المعابد (الهربدان) ج- فئة المعلمين (المغان) د- فئة المراقبين (دستوران) هـ- فئة العباد.

وطبقة رجال الدين تتمتع بنفوذ واسع في المجتمع حيث لها القضاء والحكم بين الناس وعقد الزواج والطلاق وتجهيز الموتى، ويتمتع المغان بنفوذ مادي وملكية الإمبراطورية، وكان أعلى منصب لرجال الدين هو منصب الموبذان[١] الذي يتم اختياره من بين الموابذة، وهو مستشار الملك.

٢- طبقة رجال الحرب (أرتشتاران).

٣- طبقة الكُتَّاب: وهم مجموع موظفي الدولة (دبيران).

٤- طبقة الشعب: وتحتوي على فئة المزارعين والصناع[٢].

الصلاة في الزرادشتية:

أربعة أوقات في الزرادشتية يصلى فيها إلى النار الموقدة في المعبد أو البيت وإلى الشمس والقمر والماء، ويقوم على ذلك رجال الدين في معبد النار، وتتم الصلاة جماعةً بقيادة رجل الدين (الموبذ) أو أفراده، ويتلون في صلاتهم بعض ما ورد في الأفستا وخاصةً ما تعلق منها بالابتهالات والأدعية للإله أهورا

(١) يبدو أن رجل الدين عند الشيعة في إيران قد ورث الكثير من السمات والصفات التي كانت للموبذ ويبدو أن منصب الموبذان لا يخلو من علاقة بين فكرة المرجعية المذهبية عند الشيعة في إيران.

(٢) حسن برنيا: تاريخ إيران القديم، ص٢٩٣ وما بعدها، ترجمة: د. محمد نور الدين عبدالمنعم - د. السباعي محمد السباعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩م.

مازدا، ويقال: إن من أسباب نجاح الإمبراطورية الساسانية هو اهتمام ملكها برجال الدين وجمعه لنصوص الأفستا وإلزام الناس بتطبيق تعاليم زرادشت وخلط المسائل الروحية بالمسائل الدنيوية التي لها علاقة بتقدم الإمبراطورية[١].

رأي الزرادشتية في خلق العالم:

أُسِّست الزرادشتية على الفكر الديني القديم الذي سبق شرحه في خلق العالم، ولكن إضافة الزرادشتية تفاصيل أخرى لهذه الديانة، فالحياة عبارة عن سلسلة من مجموعة من الدورات كل دورة اثنا عشر ألف سنة تنتهي في نهايتها أكثر المخلوقات، وكل دورة تقسم إلى أربع مراحل كل مرحلة ٣٠٠٠ سنة يقوم فيها الإله أهورا مازدا بترتيب وخلق العالم الدنيوي وهزيمة الإله أهريمان، وفي نهاية كل دورة وبعد تكاثر الشرور يخرج المخلص ليعيد ترتيب العالم مرة أخرى، والطيبون الخيرون يعبرون الجسر المنصوب على جهنم سائرين إلى الجنة، بينما يتساقط الأشرار في جهنم، وشهر الزرادشتية ثلاثون يومًا أعطوا كل يوم اسمًا من أسماء الإله التي تسيره، وجعلوا لبعض أيام الشهر فألها خير وأخرى فألها شر، فاليوم الثامن عشر يوم مرح وسعادة، وقد تأثروا بعادة النواح والبكاء ولطم الخدود مما كان يفعله الأشوريون ببابل (انظر: كتاب فاضل الربيعي بعنوان (النياحة العظيمة) صفحة٨٨.

الديانة المانوية:

ظهرت الديانة المانوية في مدينة طيسفون (المدائن) في العراق على يد ماني الذي ولد سنة ٢١٦م وتُعدّ حركة ماني حركة إصلاحية دينية واجتماعية ركزت على أهمية التوجهات الروحية والأخلاق الطيبة وعدم الانشغال بالمسائل

(١) د. سامي سعيد أحمد، رضا جواد الهاشمي: تاريخ الشرق الأدنى القديم إيران والأناضول، ص١٦٨ وما بعدها - وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - بغداد - ١٩٠٠م (٦) محمود شاكر: إيران، ص١٥ وما بعدها - بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٩٧٥م (٦) آرثر كرس تنسن: المصدر السابق.

الدينية الشكلية التي لا فائدة منها، وأن الانسان يجب أن يطلب الحكمة في قوله وعمله، ويرى ماني أن الملوك هم من نسل الإله، فقد أضفى عليهم وعلى أعمالهم صفة الربوبية، وتعاليم ماني عبارة عن تعديل لأفكار زرادشت أو إضافة عليها، ويمكن تلخيص إضافات ماني كما يلي:

أ- الإيمان: وهو عبارة عن أربعة مبادئ هي: الله ونوره وقوته وحكمته.

ب- ألا يعبدوا الأصنام؛ أي البعد عن التجسيم.

ج- ترك الكذب؛ لأنه أهريمان.

د- ترك البخل؛ لأنه من الظلام. هـ- ترك القتل؛ لأنه من الشر.

و- ترك الزنا؛ لأنه من الطمع.

ز- ترك السرقة؛ لأنها من الحسد. ح- تعلم العلل والسحر: لإيقاف أهر يمان وأبنائه من الأبالسة والشياطين. ط- الشك في الدين؛ لأن هذا يدفع إلى الوصول إلى الحكمة، والنور. ي- التفاني في العمل؛ لأن العمل الصالح به الخلاص من الشرور[١].

وقسم ماني المجتمع إلى طبقات عدة، وهي:

- المعلمون: وهم أبناء الحلم.
- المشمسون: وهم أبناء العلم.
- القديسون: وهم أبناء العقل.
- الصديقون: وهم أبناء الغيب.
- السماعون: وهم أبناء الفطنة.

---

(١) آرثر كريس تنسن: (إيران في عهد الساسانيين) ترجمة: يحيى الخشاب.

ولماني كتب عدة هي:

- شريقان: شرح فيه أحوال النفس الخيرة وأحوالها الشريرة.
- كنز الأحياء: وهو في أحوال السماء والأرض والنور والظلمة وما ينتج عنهما.
- الهدى والتدبير: وهو عبارة عن أدعية وصلوات وترانيم.
- سفر الإسراء: وفيه طعن على معجزات الأنبياء.
- سفر الجبابرة: أوضح فيه رموز الشر والظلام، وعمومًا فإن هذه الأفكار لها علاقة بالفكر الديني الذي كان سائدًا بوادي الرافدين خاصة عند الأشوريين[1].

مذهب المزدكية:

يقول الدينوري: «إن أصله من إصطخر»، أما صاحب (تبصرة العوام) فيرى أن مزدك ولد في مدينة تبريز وقد ظهر مزدك حول سنة (٤٨٧م) في فارس، ويقول الطبري: «إنه من نيسابور» ومذهب مزدك كان طابعه إصلاح مذهب ماني، وهو كالمانوية الأولى بدأ بالأصلين القديمين النور والظلام، وهو يختلف عن مذهب ماني؛ لأنه يقول: إن الظلمة لا تعمل كما يعمل النور بالقصد والاختيار، لكنها تعمل على الخبط والاتفاق، وعلى هذا كان يمتزج النور بالظلمة، ومنه نشأت الدنيا وعلى ذلك فعلوا النور أكثر توكيدًا لنظرية المزدكية منه في المانوية، وقد قال مزدك بوجود ثلاثة أركان للنور، وهي الماء والنار والتراب، ولما

---

(١) ساهر رافع: تاريخ وحضارة إيران، ص٢٥٦ وما بعدها، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠١١م/ حسن برنيا: المصدر السابق، ص٣١٧ وما بعدها.

د. سامي سعيد أحمد، رضا جواد الهاشمي: تاريخ الشرق الأدنى القديم إيران والأناضول، ص٥١ وما بعدها، بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٠٠م.

اختلط النور والظلمة نتج منها مدبر الخير ومدبر الشر، فما كان من صفوها فهو من مدبر الخير، وما كان من كدرها فهو من الشر، وقد صور مزدك معبوده، وهو قاعد على كرسي في العالم العلوي على هيئة قعود كسري في العالم السفلي وبين يديه أربع قوى، وهي (قوة التميز، والفهم، والحفظ، والسرور) وقد نهى مزدك عن المخالفة والمباغضة والقتال، وعندما كان ذلك يقع بسبب عدم المساواة بين الرجال، فقد أوجب إزالة السبب، وهناك قواعد فرضت على الطبقة العليا في الفرقة المزدكية لمثل هذه المبادئ ما أدى إلى الزهد ورياضة النفس، لكن رؤساء المزدكية راوا أن الناس لا يستطيعون التخلص من حب اللذات المادية؛ أي كالرغبة في النساء وتملك الأموال، وبهذه الفكرة ظهرت النظرية المزدكية الاجتماعية التي تقول: إن الله جعل الرزق في الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتساوي، حيث لا يكون لأحدهم أكثر مما لغيره، والحقيقة أن من كان عنده من فضلة من الأموال والنساء والأمتعة فليس هو أولى بها من غيره، فينبغي أن يأخذوا للفقراء من الأغنياء أو أن يردوا من الأكثرين للمقلين، وقد أصر المزدكية على الوجوب بالقيام بأعمال الخير، فإنهم لم يحرموا القتل فقط بل حرموا حتى إدخال الألم لنفس، واهتم المذهب بالضيافات، فيوصي بألا يمنع الضيف من شيء يلتمسه كائنًا من كان، وتصل مزدك بالملك (قباذ) وقد ذكر الثعلبي والفردوسي أن مزدك استطاع في أثناء قحط حل بالناس أن يقنع الملك بحيله الماكرة بأن من يمنع رجلًا محتاجًا من الطعام والشراب يجب أن يقتل، وبذلك أتاح لقومه السوقة أن يستولوا على ما كان في الأهراء من الغلات. كانت المزدكية في الأصل مذهبًا دينيًّا، ولم يكن له مظهر لمذهب اجتماعي إلا شأن القليل فيه والقوانين التي أصدرها قباذ كانت ثورية لم يكن بها إلا مسحة قليلة دينية ليحقق بها المُثل العليا وفي هذه الفترة بدأت المبادئ الشيوعية تتحقق في السوقة، وكانوا منذ أجيال في ضيق، وقد ظهرت المبادئ بطيئة في أول الأمر، ثم ما لبثت أن أسرعت، وعمت، واستفحل أمر الاستيلاء، فبدأ العدوان، فاقتحم الثوار قصور الأشراف

ناهبين الأموال ومغتصبين الحرائر إلى أن جاء كسرى أنو شروان ورد الأموال إلى أهلها.

يرى الباحثون أن تعاليم مزدك كانت اشتراكية من أقدم الاشتراكيات في العالم، ويقول الأستاذ نولدكه: «إن الذي يميز مزدك عن الاشتراكية الحديثة هو ما لتعاليمه من الصبغة الدينية» وقد اعتنق مذهبه آلاف من الناس، ولكن قباذ نكل بهم أخيرًا، ودبر لهم مذبحه سنة (٥٢٣م) كاد يستأصلهم بها عن آخرهم»[١].

(١) محمود شيت خطاب: (قادة فتح بلاد فارس) ص٤٢ وما بعدها، دار الفتح، بيروت، ١٩٧٤م/ آرثر كر ستنسن: (إيران في عهد الساسانيين) / عبداللطيف الحسن: (جذور التشيع) ص٣١، مكتبة العبيكان، الرياض.

الباب الثاني

تاريخ إيران بعد الفتح الإسلامي

الفصل الأول

فتح بلاد فارس

لقد دخلت الإمبراطورية الإيرانية الساسانية في صراعات وحروب مع إمبراطورية الروم، ولكن بعد فتح المسلمين لأراضي الدولتين انتهت تلك الصراعات، وعم السلام في تلك الأقاليم بعد الفتح الإسلامي.

وفي عهد الرسول ﷺ دخلت اليمن والبحرين وعمان الإسلام، فأخذت الزكاة من المسلمين والجزية من اليهود والنصارى والمجوس، وكان على البحرين المرزبان، وقد حصل خلاف حول المجوس: هل هم من أهل الكتاب؟ فاستقر العمل على أخذ الجزية منهم.

بعد فتح العراق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسقوط الإمبراطورية الفارسية الساسانية وطد المسلمون جيوشهم في الكوفة والبصرة والبحرين، ومنها انطلق الفاتحون لفتح فارس إقليمًا إقليمًا، وكان أغلبهم من المجوس الزرادشتيين، وفيها بعض النصارى واليهود، فكان الفاتحون لبلاد فارس ينذرون أي مدينة قبل دخولها باختيار الإسلام، أو دفع الجزية، أو القتال إذا رفضوا. فكانت أكثر الأقاليم تقبل دفع الجزية، وقد يدخل بعضهم في الإسلام، وفي هذه الحالة يترك الفاتحون الإقليم بيد المرزبان مع ترك بعض الجيش لتثبيت الحكم، فكان المجوس أحرارًا في معابد النار، وكذا الحال في كنائس أهل الكتاب، أما الأقاليم التي ترفض الدخول في الإسلام، وترفض أيضًا دفع الجزية، فيدخلها الجيش محاربًا، فتؤخذ أموالهم، ويؤسر جيشهم، فيقسم غنيمةً على الفاتحين وخمسه يرسل إلى بيت المال، وفي هذه الحالة ينصب على هذا الإقليم حاكم من الجيش الإسلامي، ومن الأمثلة التي جاءت بوصفها

معاهدات بين الفاتحين والبلاد المفتوحة ما جاء مثلًا في المعاهدة التي عقدها القائد المسلم حبيب بن مسلمة مع أهل أرمينيا:

«بسم الله الرحمن الرحيم - هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لنصارى أهل دبيل ومجوسها ويهودها شاهدهم وغائبهم، إني أمنتكم على أنفسكم وأموالكم وكنائسكم وبيعكم وسور مدينتكم، فأنتم آمنون وعلينا الوفاء لكم بالعهد ما وفيتم، وأديتم الجزية والخراج. شهد الله، وكفى بالله شهيدًا».

وفيما يبدو كانت سلطة الفاتحين على الأقاليم التي لم تفتح عنوة سلطة إشرافية غير مباشرة في عصر الراشدين، والدعوة لدين الإسلام غير قصرية، بل كان للإيرانيين حرية الاختيار، فقد شهد البروفيسور غلام حسين صديقي الأستاذ في جامعة طهران، قائلًا: «معاملة هؤلاء الأجانب (العرب) كانت أفضل من الحكام الإيرانيين الذين حكموا قبل هذا الوقت»[1].

ولم تخلو الحال من استثناءات كان سببها ظهور فتن واضطرابات ضد الحكم الإسلامي من أمثال ما حصل زمن معاوية وقيام الوالي عبيدالله بن أبي بكرة بضرب أهل بلخ الثائرين وإطفاء بيوت نيرانهم، أو كما حصل سنة ٤٢هـ من اضطهاد والي خرسان (قيس بن الهيثم) بعض أهلها الثائرين.

وفي العصر الأموي اشتدت قبضة الفاتحين على الأقاليم الإيرانية خاصة تلك التي سمعت بثورات العلويين على الدولة الأموية، كحادثة مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وثورة عبيدالله المختار في الكوفة على الأمويين التي اشترك فيها أكثر من عشرين ألفًا من الفرس الموالي، وكذا هجوم الحجاج على مكة المكرمة وقتله عبدالله بن الزبير، وقمع ثورة العلويين في المدينة المنورة، وقد استنكر عامل عبدالملك بن مروان (عمير) ما عمله إبراهيم بن الأشتر حينما ثار، فقال له: إنه

(١) البروفيسور غلام حسين صديقي: (الحركات الدينية في إيران)، ص٥٣- المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ٢٠١٣م.

كان يسمع بين الجنود التحدث بالفارسية ما يشير إلى انضمام الإيرانيين الموالي لهذه الثورة، فهذه الأحداث وجدت أصداءها في إيران في العصر الأموي بين قلة ممن لم يدخل الإسلام في قلوبهم، وكثيرًا أسلموا نفاقًا متخفين بالإسلام، وقد ظلوا على معتقدهم القديم، وهناك صنف ثالث كان على الديانة الزرادشتية رفض الإسلام ودفع الجزية.

وفي هذا العصر تحولت كثير من الأقاليم الإيرانية إلى معارضين للدولة الأموية، ومن أوائل فرق المعارضة التي تكونت في خوزستان وفارس وكرمان فرقة الخوارج المعروفة، حيث انضم إليها كثير من الإيرانيين خاصة أنها تساوي بين العرب والعجم، وكان أغلب قصدهم التخلص من دفع الجزية.

وادعى يزيد بن أنسية في جور فارس أن الله سيبعث نبيًّا على مذهب الصابئة (المندائيين) وهذه الفرقة كانت معروفة في العراق وفي جبل منداي في إيران، فكانت هذه من مظاهر المعارضة ضد الأمويين، وقد تجمع جيش الخوارج من خوزستان يريدون مهاجمة البصرة سنة ٦٥هجرية، فقام الوالي الأزدي المهلب بن أبي صفرة بضربهم، ثم تجمع الخوارج مرةً أخرى بقيادة قطري بن الفجاءة، فاستولوا على الري (طهران) وسيستان سنة ٦٨-٧١هـ، وقد أنهى المهلب حركة الخوارج سنة ٧٧هـ، وقتل زعماءها في طبرستان، وكان بعض هذه المعارضة ضد الأمويين يقودها العرب من أمثال ذلك خروج عاملهم سنة ٨١هـ على خراسان عبدالرحمن بن الأشعث (من كندة) على سلطة الحجاج بسبب عدم إطاعته في أخذ الجزية من المسلمين بدعوة أن إسلامهم كان ظاهريًّا على الرغم من اتساع هذه المعارضة ووصولها إلى البصرة بسبب انضمام كثيرً من الموالي الفرس فيها وتأييدها، وفي ولاية قتيبة بن المسلم الباهلي ظهر كثير من الفتن والاضطرابات، فتولى قمعها بشدة خاصة في خراسان وسمرقند، فحقق بعد ذلك الاستقرار، وكون جيشًا من الفرس المسلمين عددهم سبعة

آلاف بقيادة (حيان) الإيراني لمساعدة الجيش العربي على بسط نفوذه، وبعد سماع قتيبة بن مسلم بارتداد أهل بخارى عن الإسلام سار إليهم، وبسط نفوذه بالقوة، وأسس مسجدًا على بيت النار بعد هدمه، وأسكن العرب بينهم ليعلموهم القرآن والصلاة، وقد حصل من أمثال ذلك في بعض أقاليم إيران. وفي عهد عمر بن عبدالعزيز وبعده عرفت إيران الكثير من الهدوء والاستقرار، فكان يوصي عماله (منهم: الجراح بن عبدالله الحكمي) بالعدل والإحسان وعدم جباية الجزية من أي مسلم حتى من تظاهر بإسلامه، وفي عهد هشام بن عبدالملك رجع بعض عماله في إيران من أمثال أبو الصيداء في أخذ الجزية ممن أسلموا حديثًا، فكان ذلك مدعاة لظهور الفتن والمذاهب، فظهرت فرقة المرجئة بقيادة الحارث بن سريج سنة ١١٥هـ مطالبة بالعدل، ونادت بعدم أخذ الجزية من المسلمين، فانضم إليها الكثير من الإيرانيين، ونادى بالخروج على الخلافة الأموية سنة ١١٧هـ في خراسان وطرد والي الأمويين (عاصم بن عبدالله)، وفي هذا الوقت زادت الخلافات بين القبائل العربية المتنفذة في إيران على الرغم من جهود الوالي (نصر بن سيار) في جمع قوتهم، فقد أدرك أن مزيدًا من الاختلاف سيزيد الشقة، ويصبح خطرًا على سقوط الحكم الأموي وهو ما تنبه إليه هذا الوالي في شعره المشهور لبني أمية: (أيقاظ بنو أمية أم نيام....) وهذه الأوضاع قد سهلت على الدعاة العباسيين الذين انبثوا في خراسان، فمهدوا لخروج أبومسلم الخراساني من هذه المنطقة، وفي سنة ١٢٦هـ قام الشيعة بالثورة ضد والي العراق عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز وتوجهوا مع الخوارج من العراق إلى إيران للمساهمة في حركة أبومسلم الخراساني (من موالي عجل) فتولى أبومسلم الخرساني تجميع الفرس والدهاقنة حوله في خراسان، وبدأ بقتل مخالفيه العرب مناديًا بالولاية لـ (آل محمد). فأحس العرب المناصرون للأمويين بالخطر، فتجمعوا بقيادة مقاتل بن حيان الإيراني، ولكنهم هُزموا، وقتل نصر بن سيار سنة ١٣١هـ، وحينها ثار العلويون والعباسيون في العراق

بقيادة عبدالله بن محمد، حيث التقى جيش قحطبة في كربلاء، وانهزم الجيش الأموي، أما الجيش العلوي العباسي الذي يقوده أبومسلم الخرساني فقد التقى عند نهر الزاب شمال العراق الجيشَ الأمويَّ بقيادة الخليفة مروان بن محمد (الملقب بالحمار) سنة ١٣٢هـ، فهزم الأمويون، وسقطت دولتهم، ويتضح أن موقف الإيرانيين عند الفتح الإسلامي منقسم إلى ثلاث فئات:

- الأولى: فئة دخلت الإسلام عن قناعة وبحرية، ثم بعد ذلك عن فهم، وهُم قِلة.
- والفئة الثانية: دخلت الإسلام في الظاهر، وأضمروا الاحتفاظ بعقائدهم المجوسية لأسباب اجتماعية واقتصادية تهربًا من دفع الجزية.
- وفئة ثالثة: ارتضت البقاء على مجوسيتها، ولم تعتنق الإسلام، وآثرت دفع الجزية.

وطائفة أُسروا في الحرب، فكانوا في عداد المملوكين، وهم طائفة الموالي التي سنبسط الحديث عنها لأهميتها في هذا البحث الذي يوضح علاقة العرب بالإيرانيين منذ القديم، هذا ونود أن نشير إلى أن الأقاليم التي رفضت الإسلام أو دفع الجزية دخلها العرب عنوةً بالسيف، ووزعوا رجالهم ونساءهم على المحاربين ملك يمين، فكان عددهم كبيرًا، وقد سموا بالموالي، واتخذ أكثرهم أسماء عربية، وعملوا في خدمة أسيادهم، وهذه الفئة صح إسلام بعضهم، وبعضهم الأخر آثر إخفاء مجوسيته وعدم قناعته بالإسلام، فكان منهم من انضوى تحت الحركات الشعوبية، أو فرق الشيعة المختلفة أو إلى الحركات والثورات المارقة ضد الدولة الأموية أو العباسية فيما بعد، فكان أثرهم كبيرًا في المجتمع الإسلامي.

وفي القرن الأول الهجري لم ينتشر الإسلام بين الناس في جميع الأقاليم الإيرانية، فكان الغالبية فيما يبدو على ديانتهم القديمة؛ لأن الفاتحين تركوا حكمها غالبًا بيد أمرائها السابقين والدهاقنة الذين كانوا يجبون الخراج من

المزارعين، فقد تركت الأراضي بيد أهلها، فأقاليم شمال غرب إيران، وخاصةً طبرستان (جبال الديلم) قد تأخر إسلامهم بعد هذا القرن، وكذلك في إقليم فارس موطن الزرادشتية، ولكنه تركز في أذربيجان وكردستان وخوزستان، وكان الخوارج كثرًا في كرمان وسيستان[١] وقد فصلت المصادر العربية التاريخية مراحل الفتح الإسلامي لتلك الأقاليم وأسماء القادة الذين قاموا بفتحها، ونشير في هذا الصدد إلى ما كتبه اللواء الركن العراقي الموصلي محمود شيت خطاب في كتبه (قادة الفتح الإسلامي) وقد شرح الكاتب السر الذي كان وراء نجاح القادة العرب والمسلمين في فتوحاتهم تلك، وهو إيمانهم بعقيدة قتالية إسلامية مؤسسة على المبادئ التي ذكرها القرآن الكريم عن القتال والجهاد في سبيل الله، والتي شرحت في الأحاديث النبوية وكتب الفقه، وأوضح الكاتب أن هذه العقيدة تختلف عن العقيدة القتالية الغربية والشرقية اليوم، حيث تعتمد الأولى على كثافة النيران وقلة المقاتلين بسبب وجود مصانع الأسلحة عندهم، وأما الشرقية فتعتمد على كثرة المقاتلين، وهجماتهم موجات متتابعة مع قلة النيران[٢].

وفي أوائل الفتح الإسلامي اختص جيش البصرة بفتح تستر وهرمز والسوس وجندي سابور والأحواز وخرسان، أما جيش الكوفة فقد اختص بفتح أكثر الأقاليم الشمالية الغربية مثل الري وأذربيجان وأرمينية وطبرستان وجرجان. أما جيش البحرين فقد اختص بفتح إقليم فارس وكرمان وإسطخرة وسجستان[٣] ومما لا شك فيه أن تلك الجيوش الفاتحة كانت تساعد بعضها

---

(١) محمد مال الله: يوم الغفران، ص٢٩ وما بعدها -مكتبة ابن تيمية، ١٤١١هـ (؟)١٧- تأليف بطروشوفسكي: الإسلام في إيران ص١٨٧ وما بعدها- ترجمة: د. السباعي محمد السباعي: دار الثقافة للنشر- القاهرة (١٩--)م (؟).

(٢) محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، ص٤٨٧، دار الأندلس الخضراء -جدة ودار ابن حزم للطباعة والنشر- بيروت، ١٩٩٨م.

(٣) د. فاروق عمر - ود. مرتضى حسن النقيب: تاريخ إيران - ص٢٤ - مطبعة التعليم العالي - بغداد، ١٩٨٩م.

بعضًا، حينما تقتضي الحاجة لذلك، وقد حصل أن كثيرًا من الأقاليم نقضت الصلح، وتثور على المسلمين، فيتم إعادة فتحها.

وغالبًا ما كان أمراء كل من الكوفة والبصرة والبحرين هم الذين يتولون أمور تلك الأقاليم المفتوحة وتعيين قادة جيوشها وأمرائها في غالب الأحيان. وعمومًا يمكن القول: إن إدارة الأقاليم كان يتبع فيها سياسة الإدارة اللامركزية وترك الحرية إلى الولاة وأمراء الأقاليم بالتصرف لما هو عادل ونافع لعموم الناس.

إن أغلب الأعمال الإدارية كان يقوم بها أهل البلاد المفتوحة، فكان الدهاقون يتولون جباية الخراج والجزية كما هو عليه الحال قبل الفتح، فكانت السجلات والدواوين باللغة الفارسية، ولم تعرب إلا في أواخر الدولة الأموية، وكان الدهاقون في بعض الأحيان يعفون طبقة النبلاء من الخراج أو الجزية، ويفرضونها على الضعفاء من الفرس حتى من دخل منهم في الإسلام، ما أربك أعمال الجباية، وإن رجال الدين المجوس كانوا يقفون حجر عثرة ضد انتشار الإسلام واللغة العربية، ولكن بمرور الوقت مع سياسة اللين بدأ المجتمع يتقبل الأوضاع الجديدة. ويرجح بعض المؤرخين أسباب ضعف الدولة الأموية في إيران إلى تصاعد الخلاف السياسي بين القبائل العربية القيسية العدنانية التي تتحكم في مركز الخلافة في الشام، والقبائل اليمانية القحطانية المتمركزة في العراق والكوفة خاصة من الأزدي، وتصاعد الخلافات بين أمرائها في أقاليم فارس، ما شجع على نجاح الدعوة العباسية خاصة في خراسان، التي كان أكثر قياداتها من قبائل يمانية.

ويضيف بعض المؤرخين أسبابًا أخرى أهمها الاختلاف بين العرب حول قسمة الفيء، خاصة أن الدولة المركزية تطلب من ولاتها إرسال المزيد من الأموال يضاف إلى ذلك أيضًا أن كثيرًا من العرب استقروا في تلك البلاد، وتركوا القتال، فكان يهمهم الاستقرار وحرية التجارة، في حين أن المقاتلين الجدد في الجيش كان

يهمهم المزيد من كسب الفيء وتوزيعه عليهم، ويشير الجدول أدناه إلى ما قام به المؤلف محمود شيت خطاب المذكور من ذكر القادة والأماكن التي فتحوها[١].

م	القائد	البلاد التي فتحها	الإقليم	التاريخ		الملحوظات
				هـ	م	
١	القعقاع بن عمرو التميمي	١- حلوان ٢- همذان	الجبل	١٦	٦٣٧	فتحها بقواته الخفيفة
٢	جرير بن عبدالله البجلي	١- حلوان ٢- فرميسين ٣- همذان	الجبل	١٦	٦٣٧	فتحها بقواته الضاربة
٣	ضرار بن خطاب الفهري	ماسبذان	الجبل	١٦	٦٣٧	
٤	حرملة بن مريطة التميمي	١- مناذر ٢- نهر تيري	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٥	سلمى بن القين التميمي	١- مناذر ٢- نهر تيري	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٦	العلاء بن الحضرمي	أول من هاجم فارس		١٧	٦٣٨	فاتح البحرين وجزيرة دارين
٧	حرقوص بن زهير السعدي	سوق الأهواز	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٨	جزء بن معاوية التميمي	دورق	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٩	النعمان بن مقرن التميمي	١- رام هرمز ٢- نهاوند	الأهواز الجبل	١٧ ٢١	٦٣٨ ٦٤١	
١٠	أبو سبرة بن أبي رهم	تستر، السوس، جنديا سبور	الأهواز	١٧	٦٣٨	
١١	زر بن عبدالله القيمي	جند يساور	الأهواز	١٧	٦٣٨	
١٢	الربيع بن زياد الحارثي	بيروذ/ مناذر	الأهواز	١٧	٦٣٨	
١٣	سلمة بن قيس الأشجعي	جبال الأهواز	الأهواز	٢٣	٦٤١	
١٤	أبوموسى الأشعري	الأهواز	الأهواز	١٧	٦٣٨	

(١) محمود شيت خطاب: المصدر السابق، ص٨٢-٨٥.

١٥	حذيفة بن اليمان العبسي	ماه/ البينور	الجبل	٢١	٦٤١	
١٦	المغيرة بن شعبة الثقفي	أرجان	فارس	٢٢	٢٤٦	
١٧	السائب بن الأقرع الثقفي	مهرجان قذق/ الصيمرة	الجبل	٢١	٦٤١	
١٨	نعيم بن مقرن المزني	١- همذان ٢- الري	الجبل	٢١ ٢٢	٦٤١ ٦٤٢	
١٩	عبدالله بن عبدالله ابن عتبان الانصاري	أصبهان	الجبل	٢١	٦٤١	
٢٠	البراء بن عازب	١- أبهر ٢- قزوين ٣- جيلان ٤- زنجان	الجبل	٢٢	٦٤٢	
٢١	سويد بن مقرن المزني	١-قومس ٢- بسطام ٣-جرجان ٤-طبرستان ٥- جبل جيلان	طبرستان	٢٢	٦٤٢	
٢٢	بكير بن عبدالله الليثي	١- أذربيجان ٢- موقان	أذربيجان	٢٢	٦٤٢	
٢٣	عتبة بن فرقد السلمي	باب الأبواب	اذربيجان	٢٢	٦٤٢	
٢٤	سراقة بن عمرو ذو النور	باب الأبواب	أذربيجان	٢٢	٦٤٢	
٢٥	الأحنف بن قيس التميمي	خرسان	خرسان	٢٢	٦٤٢	
٢٦	مجاشع بن مسعود السليمي	أرد شير خره / سابور	فارس	٢٣	٦٤٣	
٢٧	عثمان بن أبي العاص	إصطخر - بلاد فارس	فارس	٢٣	٦٤٣	
٢٨	الحكم بن أبي العاص	جزيرة بركاون - توج	بحر عمان/ فارس	٢٣	٦٤٣	
٢٩	سارية بن زنيم الكناني	فسا - دارا بجرد	فارس	٢٣	٦٤٣	
٣٠	سهيل بن عدي الخزرجي	كرمان	كرمان	٢٣	٦٤٣	
٣١	عاصم بن عمرو	سجستان	سجستان	٢٣	٦٤٣	
٣٢	الحكم بن عمير التغلبي	مكران	مكران	٢٣	٦٤٣	

الفَصْلُ الثَّانِي

إيران في العصر العباسي

بدأت الدعوة العباسية في خراسان وبتأييد كل من العلويين العرب والإيرانيين خاصة من أهل خراسان وما حولها، وقد اعترف المنصور بفضل الخراسانيين ومشاركتهم الكبيرة في إسقاط الخلافة الأموية خاصة أن هذه الدعوة كانت تدعو إلى إمام من آل محمد، فكان العلويون والشيعة يأملون أن يكون الحكم فيهم، وإن الإيرانيين المشاركين في الثورة كانوا يطمعون برجوع الحكم الساساني إليهم، ما أدى إلى قناعة عند المنصور بضرورة قتل أبومسلم الخرساني بعد أن أدى عمله إلى إسقاط الأمويين من جهة وخوف العباسيين من هذه الزعامة الجديدة. وتخلص المنصور من نفوذ أبي سلمة الخلال، وهو إيراني كان يقود الثورة العباسية في الكوفة سنة ١٢٣هـ غير أن نفوذ الإيرانيين من الفرس والترك ازداد في هذا العصر، وأخذ الإيرانيون حريتهم إلى درجة تطاولوا فيها بعض الأحيان بالانتقاص من العرب وأنسابهم، وظهر هذا في شعر كثير من شعراء العربية من أصول إيرانية كأبي نواس، وكان للإيرانيين حضور في البلاط العباسي، وشاعت في المجتمع العادات الفارسية ليس فقط من أفكار بل في اللباس والطعام وجميع مظاهر الحضارة من أدبٍ وفنونٍ.

ودراسة الجغرافية التاريخية لإيران كانت موضع عناية الجغرافيين والمؤرخين العرب الذين وصفوا أقاليمها وأنهارها وجبالها، ووصفوا أحوال الناس ونشاطهم التجاري، وهذه الدراسة تخرجنا عن الهدف المهم في هذا الكتاب، ولكن نشير إلى ما جمعه المستشرق الإيطالي كي لسترنج في كتابه (بلدان الخلافة الشرقية) الذي احتوى على تفاصيل كثيرة متعلقة بجغرافية وتاريخ تلك الأقاليم في

عهد الإمبراطورية الإسلامية[١] ولكن من أهم المظاهر التي كان لها علاقة بالفتح الإسلامي لإيران وشيوع مذهب التشيع، هو ظهور طبقة الموالي في المجتمع وشيوع الشعوبية وانتشارها، والظاهرة الثالثة هي قيام بعض الثورات الإيرانية والحركات الفكرية والمذهبية المارقة عن الدين الإسلامي، وباعتبار هذهِ الظواهر قد جاءت من إيران لأن لها علاقة كبيرة بنشأة التشيع في إيران، فمن المهم بحثها كما يلي:

الموالي:

الموالي ونظام الموالاة:

إن الفاتحين المسلمين كانوا يخيرون أهل البلاد المفتوحة إما الدخول في الإسلام، أو دفع الجزية والبقاء على ديانتهم، فهم أهل ذمة أو الحرب، فيكونون أرقاء عبيدًا بعد النصر، وأصل الموالاة كان في الجاهلية، ثم تطور في عصر الراشدين، واستقر على معنى يطلق على المسلمين من غير الأصول العربية، وأريد بهذا النظام أن يكون الموالي أنصارًا للعرب وحلفاءهم ضد مخالفيهم، فقد أعطى للكلمة مفهومًا عامًّا يشمل الموالي الأرقاء، وهم غير المسلمين الذين كانوا رقيقًا بسبب الحروب التي قامت، ورفض أهلها الإسلام، وفتحت بلادهم عنوة، وهذا هو المصدر الوحيد للرق، وهو محل البيع والعتق وبعض الموالي لم يسترقوا، وتركوا على ديانتهم شرط أن يدفعوا الجزية والخراج وهم أهل الذمة، وقد يكون أصل الموالي من الرقيق الذي تحرر عن طريق المكاتبة أو الإحسان أو الزواج بالنسبة إلى المرأة ذات الولد، ويتم الولاء بعقد مولاة بين عربي ومسلم غير عربي دخل الإسلام دون حرب، وهناك موالٍ من غير العرب دخلوا الإسلام،

---

(١) د. علي عبدالرحمن العمرو: أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، ط٤، ص٦٨، شركة العبيكان، الرياض، ١٩٩٢م.

كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركس عواد، ص١٤ وما بعدها، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م.

ولم يحاربوا المسلمين، ولم يدخلوا بعقد ولاء، هؤلاء لا ارتباط لهم بأحد، وكان أكثر الموالي يتخلون عن أسمائهم الأعجمية، ويتخذون أسماء عربية غالبًا أو أسماء سادتهم. وقد كثر ازدياد الموالي بازدياد الفتوحات الإسلامية، وكان من شأن هذا النظام امتزاج الموالي بالمجتمع وتحويلهم إلى طاقة منتجة خاصة في المجالات التي لا يرغب العرب في العمل بها لأي سبب كان، حتى أهل الذمة الذين اختاروا البقاء في البداية على ديانتهم، ودفعوا الجزية والخراج ربما تراهم يقبلون على اعتناق الإسلام، تخلصًا من دفع الجزية أو الخراج.

وقد شعر الموالي بمنافع هذا النظام الإسلامي الشرعي الذي يساويهم بالعرب في أخوة إسلامية يتمتعون فيها بأن يلحقوا بجيوش الفتح، ويسجلوا في ديوان الجند، لأخذ العطاء. وفي هذا استقرار نفسي عظيم يزول معه الشعور بين الغالب والمغلوب إلى حد كبير، ولهذا أقبلوا على تعلم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم، واشتغلوا بالعلوم الشرعية والحديث النبوي وأدت المساجد دورًا كبيرًا في تعلم الموالي العلوم الإسلامية واندماجهم في المجتمع.

غير أن كثيرًا من الموالي ظل حاقدًا على الإسلام والمسلمين، فإن كان قد أسلم فإنما إسلامه شكلي فقط كي يجنبه من دفع الجزية أو الخراج، ويمكنه من التستر بالإسلام والتظاهر به للقيام بأغراضه التي ظل متعلقًا بها ليس من السهل على الموالي أصحاب البلاد المفتوحة التخلي عن عاداتهم ودياناتهم وحنينهم إلى تاريخهم القديم بين ليلة وضحاها، بل وراء ذلك معاناة نفسية كبيرة، فعندما تتاح الفرصة لمثل هذه المشاعر نراها تستغل الظروف لإظهار مكنونات نفوسها بشتى الطرق.

دور الموالي في عصر الراشدين:

تمتع الموالي المسلمون في عصر الرسول ﷺ وعصر الراشدين بالمساواة مع العرب، واشتركوا معهم في الأخوة، وإن كانوا قلة، غير أن مقتل

الخليفة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غيلة على يد أبي لؤلؤة فيروز المجوسي من نهاوند جعل المسلمين العرب ينزلون كل مولى في منزلته التي يستحقها.

إن الموالي من أصل الرق يكونون عادة في خدمة سادتهم وهم تبع لهم وغالبًا ما يعتنقون مذاهب سادتهم أو ينفذونها لهم، وقد رأينا في استعراض مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشتراك كثير من الموالي في الثورة عليه، أغلبهم كانوا تبعًا لسادتهم، كعبيد أهل المدينة كانوا ضمن من شغب على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١] ويحتج علي بن أبي طالب على طلحة والزبير اللذين يطالبانه بدم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن هم في جيشه، فيقول: كيف أصنع بقوم يملكوننا، ولا نملكهم ها هم هؤلاء ثارت معهم عبدانكم، وقد أدرك علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الحقيقة، فأراد تقليل سيطرة الموالي بعد بيعته، فنادى بالناس: برأت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه[٢].

إن أعداد الموالي كانت كبيرة في جيش معاوية وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وكانت تقدر بعدد العرب، ولكن كانوا تبعًا لسادتهم في الولاء السياسي عمومًا، فكان بعضهم يحمل راية الحرب، ففي صفين عقد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الراية لمولاه قنبر، وكان حاجبه، وعقدها عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمولاه مروان.

دور الموالي ضد العرب:

مقدمة في فتح المسلمين لبلاد فارس:

في السنة السادسة من الهجرة بعث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى أنوشروان ملك الفرس برسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، ولكن كسرى حينما قابل السهمي، وقرأ الرسالة مزقها، وكتب إلى عامله على

(١) يعترف أبوحفصة يزيد مولى بن الحكم أنه هو الذي أشعل فتنة قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: أنا والله أنشب القتال بين الناس، رميت من فوق الدار رجلًا من أسلم، فقتلته، فنشب القتال، ثم نزلت، فاقتتل الناس على الباب... (انظر الطبري: تاريخ الطبري، ج٤، ص٤٣٧، ٣٨٠، ٣٧٩).

(٢) الطبري: المرجع السابق، ج٤، ص٥٠٥-٥٦٣.

اليمن أن يتولى أمر محمد ﷺ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «**مزق الله ملكه**» وقد كانت دولة الفرس تنخر فيها عوامل الضعف والتفكك حتى وصل الأمر إلى قيام شيرويه بن الملك كسرى أنوشروان بقتل أبيه والاستلاء على الحكم، وفي خلافة أبي بكر رضي الله عنه كتب المثنى بن حارثة الشيباني إلى الخليفة يطلب منه أن يأذن بمناوشة الفرس هو وسويد بن قطنة العجلي، وطلب الرفد ليواصل الجهاد، وكانت الردة قد أخمدت لتوها في اليمامة على يد خالد بن الوليد حيث أمره أبوبكر باللحاق بالمثنى، وتقابل الجيش الإسلامي بالجيش الفارسي في كاظمة، وبارز هرمز قائد الفرس خالدًا، فقتله خالد، فانهزم الفرس، واستمر خالد يخضع البلاد، ويتقدم خلفه المثنى بن حارثة، وحينما ذهب خالد بجيشه إلى الشام ليمد أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قام المثنى بن حارثة بمعارك عدة ضد الفرس أشهرها معركة بابل سنة ١٣هـ حيث انتصر عليهم.

وفي عهد الخليفة عمر رضي الله عنه، سار أبوعبيدة بن مسعود الثقفي بأمر من الخليفة إلى العراق انضم إلى المثنى، وفي هذا الوقت مات شيرويه ملك فارس، وقامت ابنته بوران مكانه، فحصلت معارك صغيرة انتصر فيها المسلمون ما شجع أبا عبيدة على عمل جسر على الفرات لعبور الجيش ناحية الفرس، فعبروا، ودارت معركة كبيرة استخدم فيها الفرس الفيلة واستشهد أبوعبيدة، فخلفه أخوه الحكم، فاستشهد أيضًا، فخلفه ابنه المدعو بالخير، فاستشهد هو الآخر، فتولى القيادة المثنى بن حارثة، وطلب من الجيش الانسحاب وعبور الجسر إلى الجهة الأخرى بعد أن قتل منهم الكثير، فاغتم لذلك الخليفة عمر رضي الله عنه، وأرسل إليهم بالمدد الكبير، فقد كان الفرس عشرة أضعاف المسلمين أو أكثر، وبسبب هزائم الفرس المتلاحقة قاموا بتنصيب يزدجرد على الملك، وهو ابن كسرى ويبلغ عشرين سنة، ونظموا صفوفهم، فكتب المثنى بذلك يخبر عمر، وطلب المدد، فأرسل له جيشًا قوامه ثمانية آلاف مقاتل بقيادة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فاختط سعد

البصرة، وعسكر فيها، وتوفي المثنى متأثرًا بجراحه يوم الجسر، وسار سعد إلى القادسية حيث دارت معركة فاصلة سنة ١٤هـ، وكان عدد جيش المسلمين عشرة آلاف مقاتل، بينما الفرس مئة وعشرون ألفًا، ولكن جيش المسلمين تعزز حالًا بعدد جاءهم من الشام، فبلغوا أربعة وثلاثين ألفًا، واستمرت المعركة أربعة أيام قتل فيها رستم قائد الفرس، وهزموا شر هزيمة، فلاذوا بالمدائن، ولكنهم أخرجوا منها بعد حصار دام شهرًا ونصف الشهر، وعادت جموع الفرس مرةً أخرى، واجتمعوا في جلولا بأعداد عظيمة، ولكنهم هزموا أيضًا بجيش صغير قوامه عشرة آلاف مقاتل بقيادة هاشم ابن عتبة، وانتهى فتح العراق، وهرب الفرس إلى بلادهم، ولكن سعدًا تبعهم، فهرب يزدجرد إلى أصبهان، وعسكر المسلمون في حلوان وقرماسين. ونزلت هذه الهزائم غير المتوقعة على الفرس كالصاعقة لا يعلمون ماذا يعملون، فكاتب ملكهم يزدجرد إلى ملوك وأمراء النواحي جهة السند وخراسان، فاتحدوا جميعًا على حرب المسلمين، وتجمعت الجيوش الفارسية في نهاوند بقيادة الفيرزان، وكان عددهم مئة وخمسين ألفًا. فاستشار سعد عمر، فاستقر رأيهم على تجميع المسلمين وطلب المدد، فأرسل عمر بالمدد الذي تجمع تحت قيادة النعمان بن مقرن المزني، وكان فيهم بعض كبار الصحابة منهم حذيفة بن اليمان وعبدالله بن عمر وجرير بن عبدالله البجلي والمغيرة ابن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فبلغ جيش المسلمين ثلاثين ألف مقاتل التحموا مع الفرس أيامًا عدة مع أشرس معركة استشهد فيها من المسلمين النعمان بن مقرن، ولكن جيشه صمد ببطولة نادرة، وفتحوا نهاوند، وهزم الفرس سنة ٢١هـ، وهرب ملكهم منها، فكانت هذه المعركة حقًّا كما سميت فتح الفتوح، واستكمل المسلمون بعدها فتح الأقاليم المجاورة، ففتحوا دينور وأصبهان وأذربيجان والري وهمذان وجرجان وغيرها، وهرب يزدجرد إلى خرسان، واتخذ مرو مقرًّا له، وبنى فيها بيتًا لعبادة النار، واجتمع له الفرس، ولكن الأحنف بن قيس (وهو والي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) غزا خراسان سنة ٢٢هـ، وطهرها من فلول الفرس خاصة مرو حيث هرب منها

يزدجرد عابرًا، ثم فتح المسلمون هراة، فكاتب يزدجرد ملك الصين وخاقان الترك يستعديهم على المسلمين، وكان قد عسكر في بلخ.

وتمسك المسلمون بالمناطق المفتوحة حتى أتاهم المدد من الكوفة، فتقدم قائد المسلمين نحو بلخ، ففتحها، فانهزم يزدجرد عابرًا نهر جيحون حتى وصله المدد من خاقان الترك، فسار بهم إلى خراسان، ونزل بلخ، وكان الأحنف في مرو والروز، فتبارز فرسان ثلاثة من أشد خاقان الترك، فقتلهم الأحنف بن قيس واحدًا بعد الآخر، فلما شاهد الخاقان ذلك تشاءم، ولم يدخل المعركة ضد المسلمين، وعاد بجيشه إلى بلاده، وأما يزدجرد فأشار عليه قومه بمصالحة المسلمين، ولكنه رفض، وهرب إلى مدينة فرغانة عاصمة خاقان الترك، وهدأت فارس خاصة بعد مصالحة أهل خراسان الأحنف بن قيس، ثم استكمل المسلمون فتح بقية أقاليم فارس مثل إصطخر وكرمان وسجستان ومكران...).

وفي خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عاد للفرس الأمل في استرجاع ملكهم، وعاد يزدجرد يكاتب رؤساء فارس في الأقاليم للثورة على المسلمين، فاستجاب له أهل خراسان، وساروا إلى الجيش الإسلامي، فتقدم يزدجرد، ونزل على مرو، وتجمع حوله قوة كبيرة من الفرس، ولكن المسلمين استمروا في انتصاراتهم، وفي هذه الحركة أخمدوا هذه الثورة، وقتلوا يزدجرد في مخبأ له في طاحونة في مرو، وكان ذلك سنة ٣١هـ وفيها خضعت جميع أقاليم الإمبراطورية الفارسية للمسلمين، فكان هذا العمل يشبه الحلم والخيال في الموازين المادية والبشرية، ولكنها سنة الله وكلمته في ذهاب أمم وقيام أخرى. والسؤال الذي يهمنا في الوصول إليه من هذه المقدمة هو:

هل دخول هذه الأعداد العظيمة من الفرس إلى الإسلام تلك المدة كان قهرًا أم عن قناعة منهم؟

لا شك أن هذه الحروب الطويلة والمعارك الكبيرة ما كان لعموم الفرس ليدخلوا الإسلام لولا قناعتهم بالإسلام ومبادئه التي لم تتكون لهم في ليلة وضحاها، ولكن احتاجت إلى وقت طويل ليتخلوا عن ديانتهم القديمة، وما كان عليه آباؤهم وأجدادهم، وأن يدخلوا في دين الفاتحين عن قناعة منهم، وهذا لا يتهيأ إلا بطول تعلم مبادئ الإسلام والاحتكاك برجاله وعلمائه، وهو الآخر يحتاج إلى مدة طويلة، فإذا أضفنا إلى هذا حقيقة تاريخية بأن «الجيوش الإسلامية العربية التي جاءت إلى فارس أغلبها حديثة العهد بالإسلام ومبادئه، والعلماء والقراء والقيادات العسكرية فيهم إنما هي الصفوة، وأما الأكثرية فلا تزال تسير على النظام القبلي في التنظيم والطاعة والولاء...».

«هؤلاء المنتصرون جلبوا معهم إلى بلادهم ليس الغنائم والأموال فقط، وإنما جلبوا معهم ما غنموه من الموالي والعبيد من الفرس لخدمتهم وزرع أراضيهم التي غنموها...».

فهل يعقل أن يخلص هؤلاء العبيد والموالي إلى سادتهم بسرعة أم تبقى في نفوس كثير منهم مشاعر القهر والخذلان والأسى على آبائهم الذين قضوا في تلك الحروب الطاحنة والمحاولات الفاشلة، فأي مشاعر يمكن أن يكنها الفرس المغلوبون على أمرهم تجاه العرب المسلمين.

حقًّا إن قلة منهم حسن إسلامهم، وأخلصوا للعرب بسرعة، لكنهم قلة لا يتأسس على عددهم نتيجة عامة إنما النتيجة العامة تستخلص من مشاعر الغالبية. ومثال هذه المشاعر هو ما كان يكنه أبولؤلؤة المجوسي، فقد كان جنديًّا فارسيًّا أسره المسلمون في معركة نهاوند، وأصبح من موالي المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قدم به إلى المدينة المنورة، وكان يحسن صناعة السيوف والخناجر، وهو الذي قام بطعن الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بتشجيع وتدبير من الهرمزان القائد الفارسي الذي استقدم أسيرًا إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المدينة، فأكرمه، وأعلن إسلامه.

إن مشاعر الفرس المعادية للعرب والمسلمين عند الفتح كانت مشاعر المقهورين، استمرت في السر والخفاء، ولكنها تظهر في أي مناسبة تكون سانحة لهم، ولا يستبعد مشاركة اليهود الذين طردوا من المدينة المنورة في دفع أبولؤلؤة لهذا العمل، فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية قول كعب الأحبار لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل مقتله بقليل: «إني أرى مقتلك في التوراة» في مقابل ذلك حاول العرب المسلمون إدماجهم في أعمال الدولة والاستفادة منهم، ففي سنة ٤٢هـ نقل معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عددًا من الموالي الفرس إلى المدن الساحلية في الشام، واستعمل كثير من الولاة بعض الموالي كتابًا خاصة فيما يتعلق بالخراج، فاستخدم الكثير منهم في ديوان الخراج والجباية. وذهب عبيدالله بن زياد إلى اتخاذ بعض الموالي جيشًا سماه المحاربة. وعين بعضهم ولاة كأبي المهاجر دينار الذي كان واليًا على إفريقيا في عهد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعين الحجاج صالح بن عبدالرحمن على رأس ديوان العراق، وعين محمد بن يزيد مولى قريش على المغرب في عهد سليمان بن عبدالملك، وهذه كلها مجرد أمثلة باعتبار العرب منتصرين، فلم يكونوا يضمرون للموالي غير العطف وتفهم مشاعرهم، وتُركوا مع دفع الجزية على دينهم القديم، صحيح قد حصل ضدهم العسف من بعض الولاة كالحجاج الذي أرغمهم على دفع الجزية حتى من دخل منهم أخيرًا في الإسلام على دعوى أنهم لم يفعلوا ذلك إلا هروبًا من دفع الجزية المكتوبة، ولكن عمر بن عبدالعزيز قد أبطل مثل هذه الأعمال ما دفع كثيرًا من الموالي إلى سكن الحجاز اقترابًا من العدالة وهروبًا من الفتن التي كانت تظهر بين فترة وأخرى في بلاد فارس.

ويخالف هذا الوضع أن كثيرًا من الموالي الفرس ممن حسن إسلامهم، وصفت سريرته لدين الله تعالى، فانصرف إلى العلم والتحصيل، فنال بذلك الدرجات العليا، ورفض الاشتغال بالسياسية أو حتى منصب القضاء كما هو حال أبي حنيفة النعمان بن ثابت وغيره كثير في رجال الحديث والمحدثين الذين

جمعوا المصنفات، فأدوا بذلك خدمة جليلة للإسلام والمسلمين في وقت كان أكثر العرب منشغلين بأمور السياسة والمال، فالباحث المنصف يجب أن يضع الجميع في ميزان الحق والعدل للحكم عليهم من خلاله، ولكن جمهرة الموالي الفرس وغالبيتهم في القرن الأول والثاني الهجري لم يكونوا صادقين في ولائهم للعرب والمسلمين عمومًا بسبب اختلاف الثقافة والمصلحة السياسية والدنيوية، ولهذا نرى الموالي يشتركون في كل حركة تقوم ضد الدولة الإسلامية تحت أي شعار يكون، فكانت حركاتهم في بداية الأمر حركات غير مباشرة أو عملهم سرًّا في البداية؛ وذلك لضعفهم.

الفصل الثالث

الموالي والعرب (النظرة الاجتماعية)

يرى العرب أنفسهم أرفع شأنًا من الموالي، فلا يزوجونهم، وقديمًا رفض عامل الفرس على الحيرة النعمان بن المنذر أن يزوج ابنته إلى كسرى أبرويز[١] ويذكر أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد لام الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على زواجه من أمة فارسية، وكذلك لام الخليفة عبدالملك علي بن الحسين على الزواج من إحدى مواليه الفارسيات[٢].

وقد قيل فيما بعد: إن تأييد الفرس للشيعة كان بدافع الاعتقاد أن حكم الأكاسرة ونفوذهم ليمضي، ويطغى على العرب من هذا الطريق، فكان علي بن الحسين يلقب (بابن الخيرين) قريش وفارس.

وهذا اعتقاد أقرب إلى نفوس الموالي الفرس الذين كانوا على عقيدة الحق الإلهي في الملك.

إن أعداد الموالي كانت تكثر بتقدم الوقت واتساع الفتوح الإسلامية، وهذه الكثرة دفعت إلى امتزاج عادات الموالي في العرب وظهور أخلاقيات جديدة، وقد شهد بذلك أحد الموالي القدماء في الكوفة، فقد جاء في خطبة له في مسجد الكوفة يدعى دينار: «يا معشر أهل الكوفة، أنتم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس... ثم تغيرتم، ففشت فيكم أربع خصال: بخل، وخبًا، وغدر، وضيق...»[٣].

---

(١) الطبري: تاريخ الطبري. ج٢. ص١٤.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص١٣٥.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري. ج٤، ص١٣٦.

لقد حاول العرب المسلمون أول الأمر ضبط الموالي في الحرب خاصة إلى أن يقاتلوا إلى جانب سادتهم، وهذا بالنسبة إلى من لم يعتق أو أعتق، وبقي تابعًا لمولاه، إلا أن أعدادًا أكبر فيما بعد دخلوا الإسلام أحرارًا مستقلين لم يرتبطوا بقبائل أو أفراد من العرب، فهؤلاء كانوا مصدر الخطر الذي جر على العرب والمسلمين مشكلات شتى؛ لعدم ضبطهم في الإدارة والعقيدة الحقة إنما أضحوا نهبًا لأهوائهم وأفكارهم الشخصية القديمة.

فلذا يعبرون عنها بأي مناسبة تسنح إليهم في حركات ثورية أو المناداة بعقائد خارجة عن أصول العرب المسلمين، كل ذلك يهدف إلى إرجاع أقاليمهم إلى دولتهم المنتظرة التي يرون فيها القوة والمنعة لأنفسهم ضد الفاتحين العرب. وهذا يفسر بوضوح سبب انضواء الموالي الفرس إلى أي حركة أو ثورة أو رأي أو عقيدة مخالفة للدولة الإسلامية، وما يدين به العرب الفاتحون فهو هدف آني ووسيلة متاحة للوصول إلى هدفهم الأصلي.

وحقد هذه الطبقة من الموالي التي لم يدخل الإسلام قلبها عن قناعة، وإنما اتخذت الإسلام غطاء؛ ليحميها مع ذلك فقد رشح الكثير ممن رموا بالزندقة والمناداة بالعقائد الفارسية القديمة خاصة بين الشعراء والكتاب منهم بشار بن برد، فهو يفاخر بأصله الذي وصفه بقريش العجم[1] وقد ذكر أن بشار كان يدين بالرجعة، ويقدس النار بوصفها معبودة من القدم، ويقال: إن منهم أبا نواس المشهور بشعوبيته في شعره ومدحه للفرس وذم العرب وطبائعهم، ومنهم وعلان ذو الأصل الفارسي، فكان يكتب للبرامكة ويصنف الكتب في مثالب العرب، وذكر أن قائد جيش المأمون طاهر بن الحسين ذا الأصل الفارسي أعطى وعلان ثلاثين ألف درهم على كتابه الذي ألف في مثالب العرب، ومن الشعراء ذوي الميول الفارسية الشيعية مهيار الديلمي، ومن الكتاب ابن المقفع الذي يسخر

(١) الأصفهاني: الأغاني. ج٣، ص٢١.

من العرب، ويلمزهم في كتاباته حينما كتب ابن المقفع رسالة الصحابي أو الصحبة للخليفة المنصور ذكر له بوضوح أن يختار لبطانته وصحبته أبناء الملوك والأساورة لا عامة الناس، ويمدح له جند الفرس من أهل خراسان، ويوصيه بأهل البصرة والكوفة لاختلاطهم بأهل خراسان وكونهم من أوليائهم. ومن الكتاب أيضًا أبوعثمان بن حميد الذي ألف كتابًا في فضائل الإيرانيين، وقد حبس متهمًا بالزندقة زمن المعتصم. ومن كبار الشعوبيين أيضًا أبوعبيدة معمر بن المثنى المنتسب لتميم، فقد كان أبوه فارسيًّا يهوديًّا، وكان يكذب، ويدس في كتاباته، ونسب إلى العرب الكثير من خرافات الفرس وأساطيرهم[1].

هؤلاء نماذج من الشعراء والكتاب ومن لهم أثر اجتماعي يصرحون بآرائهم الشعوبية وعقائدهم الفارسية ما ينبئ عن حريتهم وشيوع مقالاتهم عند جمهور الناس، وما ذلك إلا دليل واضح على ما لهذا الصنف من الموالي من أثر في عقيدة أتباعهم ومن حولهم من عامة الموالي وفي المسلمين، وضخموا المشكلات، وعملوا على افتعالها والزيادة فيها وفيما يلي نتلمس ما كان يثيره الموالي على المسلمين وعلى الخلافة خاصة، وهي الهدف الحقيقي لهم.

الجزية والخراج:

كما ذكرنا أن الجيش الإسلامي في الحرب ملزم شرعًا بعرض الإسلام أولًا، فإن أجابوا صاروا مسلمين كالبقية، أو يرفضون، فيدخلون الحرب، فإن هزموا أصبحوا غنيمة للمسلمين عن طريق الأسر والسبي واستملاك أراضيهم وخروجها عن أيديهم إلا أن يؤدوا عنها الخراج.

وأما أن يقوم الصلح بين الطرفين، فيلزم المسلمون شروط الصلح، وهي تتم عادة بدفع مبالغ عن الرؤوس ربما والأراضي.

---

(١) ابن النديم: الفهرست، ص٧٩ وما بعدها.

وقد نتج عن ازدياد عدد الموالي ودخولهم الإسلام دون حرب ظواهر عدة منها قلة مورد الجزية والخراج للدولة وهجر الموالي أراضيهم وانتقالهم إلى المدن، فتأثرت كمية الإنتاج الزراعي، ثم لأنهم مسلمون فهم يطالبون بالعطاء أسوة بالعرب وإخوانهم في الدين، لقد عالج الحجاج هذه الظواهر منذ سنة ٨٠هـ وذلك بردّ الموالي الجدد خاصة الذين تجمعوا بالبصرة والكوفة إلى قراهم وأراضيهم لزراعتها، ويقال: إنه نقش على يد كل منهم اسم قريته ولأنهم سيزرعون، فقد أعاد جباية الخراج منهم كما هو مفترض على الأراضي التي بيد العرب المأخوذة عنوة بالحرب كما هو في مبحثنا عنها في اجتهاد الخليفة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. إن نسبة كبيرة من الموالي الذين طلب الحجاج ردهم إلى أراضيهم قد رفضوا، والتحقوا بثورة عبدالرحمن بن الأشعث كما هو مبين في هذا البحث، ويذكر بعض المؤرخين أن الحجاج كان قد أعاد عليهم الجزية، وربما قصد منها الخراج؛ لأنه لا يجوز أخذ الجزية من مسلم شرعًا، وبهذا حل أيضًا مطالبهم بالعطاء حيث لا يستحقونه في هذه الحالة. ويقال: إن عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد رفع الخراج عن الموالي المسلمين وترك حرية البقاء أو ترك أراضيهم، بل أجرى لهم العطاء كبقية العرب، ولكن تعرضت خزينة الدولة للإفلاس، فرد الخراج على الأراضي بأن يدفع سواء كانت الأرض بيد عربي أو من الموالي المسلمين[1].

أساس العطاء هو ما للمسلمين المحاربين من أنفال الحرب، ثم تطورت إلى أن تكون الأعطيات من الزكاة التي تجمع في بيت المال بحسب موارد الزكاة المعروفة من أموال الجزية والخراج والعشور.

وقد كان أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوزع العطاء بين المسلم العربي والأعجمي، وهذا نتج عن المساواة في العطاء، لكن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يعطي للمقاتل العربي المسلم

(١) الطبري: تاريخ الطبري. ج١، ص٣٨١، ج٧، ص٥٦ (١) - الطبري: تاريخ الطبري. ج٣، ص٦١٣ وما بعدها.

النصيب الأوفى بوصفه يتحمل أكثر من الموالي في الحرب والفتح، ومن جهة أخرى أن العربي هو السبب في إسلام الموالي وإعطاء اسمه ليتولاهم، فهم له تبع، واستعمل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قطع العطاء لمن يعصيه، أو لا يحارب من تحاربه الدولة مثل الذين لم يحاربوا الخوارج قرب مدنهم.

إن الخلفاء بعد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد زادوا العطاء للموالي إلا أن الزيادة لم تكن ذات بال، فلم يصلوا إلى المساواة مع العرب، وفي ثورة المختار بن عبيدالله الثقفي التي ساوى فيها المختار في العطاء بين العرب والموالي احتج من معه من عرب الكوفة على ذلك، وذكروا له أنهم السبب في تحرر هؤلاء الموالي، فكيف يساويهم بهم، ومهما يكن الأمر، فإن موضوع المساواة وعدمها في العطاء كان سببًا دافعًا إلى بعض الموالي للاستغلال ضد مخالفيهم وإباحة الخروج على السلطان[1]. فهم لا يسعون إلى التفتيش عن العدالة والمشروعية بقدر ما يسعون إلى إيجاد ثغرة لتأجيج النقمة وزيادة الحقد على العرب المسلمين، فلذلك نرى هذا الصنف من الموالي ينضم لأي مخالف أيًّا كان معتقده، فهم يركبون أي موجة فتنة في سبيل الوصول إلى هدفهم الأصلي.

منصب الولاية:

الولاية أخطر منصب بعد الخلافة، والخليفة هو الذي يعين الولاة، ويعزلهم، ولما لم يكن هناك ما يمنع شرعًا تولية الموالي فقد قام كثير من الخلفاء بتوليتهم على العرب وعلى بني جلدتهم، فقد تولى أبوالمهاجر مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري على المغرب زمن معاوية، وتولى موسى بن نصير مولى بني أمية على إفريقية زمن الوليد سنة ٨٩هـ وولى الوليد بن عبدالملك مولى طارق بن زياد، وولى إسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر مولى مخزوم على

(١) الطبري: تاريخ الطبري. ج٣، ص٦١٣ وما بعدها.

المغرب زمن عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وولى يزيد بن مسلمة مولى الحجاج على العراق بعد وفاة الحجاج، وولي إفريقية، ويبدو أن الأمويين لم يمانعوا من تولية الموالي على الجهات التي يغلب عليها غير العرب كإفريقية وغيرها. فعلى الرغم مما يقال من عصبية الأمويين للعرب، لكنهم إن وجدوا الصالح من الموالي ولوه على بني جلدتهم، فهل كان ذلك كافيًا لعدم تبرم هؤلاء القوم، بل قام عبدالملك بتولية طارق مولى عثمان مدة على المدينة، وفي العصر العباسي زاد تعيين الموالي لمنصب الولاية، وتعداه إلى قيامهم بتولية الموالي على العرب، وهو ما لم يكن يفعله الأمويون، فاستحدثوا منصب الوزارة.

قيادة الجيش:

لقد كان تنظيم القتال يجري على أساس اشتراك القبائل بوصفها وحدات مقاتلة، فلم تكن القبائل العربية لتقبل أن يتزعمها في الحرب غير واحد من بني جلدتهم، وما لبثت أن ظهرت قيادات صغيرة تقود موالي مثلها في الحرب موالية للعرب، فحيان النبطي مولى مصقلة كان يقود مجموعة من الموالي في خراسان، وهم نحو سبعة آلاف رجل، وطارق بن زياد كان يقود الجيش في المغرب، وهو الذي فتح الأندلس.

أما في الدولة العباسية فقد فتح هذا الباب على مصراعيه للموالي، فغلب على أفراد الجند أهل خراسان، وكان لزعامة قائدهم أبومسلم الخرساني أثر كبير أفردنا الحديث عنه هو وسنباد وغيره من قادة الجيوش غدروا، وثاروا بمن معهم من جند فارس على الدولة العباسية كما هو مفصل في موضعه.

مناصب الدواوين:

ديوان الخراج: كان هذا الديوان في البداية بيد أهل الذمة، ثم انتقل إلى يد الموالي من المسلمين، فقد بقي هذا الديوان على عهده القديم بالنسبة إلى

استعمال اللغة غير العربية فيه؛ لذا كان متوليه من غير العرب إلى أن عُرب هذا الديوان زمن عبدالملك، فكان ديوان الخراج في العراق بيد زاوانا وابنه مرو نشاه، وبعد التعريب أصبح صالح عبدالرحمن مولى تميم على هذا الديوان. وتولى ميمون بن مهران خراج الجزيرة في عهد عمر بن عبدالعزيز. وكان أسامة بن زيد مولى كلب على هذا الديوان زمن يزيد بن عبدالملك.

أما ديوان الجند والرسائل والخاتم ومنصب الحجابة فكلها كانت بيد الموالي؛ لأنها غالبًا تحتاج إلى الكتاب، وكل ذلك يدل على ثقة الخلفاء والولاة بالموالي للقيام بهذه المناصب الخطيرة في الدولة حيث تعد هذا اليوم كالوزارات، وأشهر الكتاب لدى العباسيين محمد يوسف بن صبيح لقب بكاتب الدولة، والحسن بن وهبة، وعمر بن مسعدة، ومنصور بن زياد، ويوسف بن سليمان، وأبو صالح يحيى بن عبدالرحمن، ويحيى بن سلمان، ومحمد بن أعين، وعبدالله ابن أعين، وعبدالله بن عبده، وكلهم من موالي الفرس[١].

ومن الكُتاب المتهمين صراحة بالزندقة ابن المقفع ومثله سهل بن هارون الذي قدمه الفضل بن سهل إلى المأمون. ومن كُتاب الزنادقة يونس بن فروة، والكاتب بزو بادان كاتب الرشيد على الخراج، وكان ثانويًّا ومن الكُتاب المتهمين بالديانة الثانوية والمانوية عند المأمون بن أبي العباس الطوسي وإبراهيم بن إسماعيل[٢].

منصب القضاء:

لأن القضاء يحتاج إلى معرفة بقواعد اللغة العربية والاستدلال الشرعي لمعرفة الأحكام عن طريق الاجتهاد والفتوى اعتمادًا على مصادر التشريع والمعرفة من القرآن والسنة،... فقد تأخر اعتلاء الموالي منصب القضاء، وقد

(١) البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٢٠٧.

(٢) الجاحظ: رسالة في ذم أخلاق الكتاب، ص٤٧.

اعتذر بعضهم عن عدم توليه ربما لهذا السبب أو لأسباب أخرى منه عدم خضوع العربي للقاضي من الموالي ربما، فقد اعتذر مكحول لعمر بن عبدالعزيز، واعتذر أبوحنيفة للمنصور، ولكن في الدولة العباسية ولي القضاءَ كثيرٌ من الموالي.

انضمام الموالي للأحزاب والحركات غير الشيعية:

انقسمت أهواء الموالي، فانضم الكثير منهم إلى أي حركة وحزب فيه خروج ومخالفة للسلطة الأموية وهذا يمثل أنهم لم يكونوا في تصرفاتهم هذه ينضمون عن عقيدة في أغلب الأحيان بقدر ما هي فرصة يبتهلونها للخروج على الدولة ومحاولة إسقاطها على أمل تحقيق رغباتهم، فانضم بعضهم إلى الخوارج بدوافع أخرى غير ما سلف، وهو أن الخوارج يعتقدون بتسوية المسلمين بحقهم في الخلافة ووجوب السمع والطاعة، وإن تولى عبد حبشي.

ويدل وجود موالي مع الخوارج ما ورد عن المهلب بن أبي صفرة حينما قاتلهم بث جواسيسه بينهم، وجاءه الخبر: أن أكثرهم من القصار وحداد ودابغ جلد، وهي مهن لا يعمل بها إلا الموالي. وأورد المهلب في خطبته لجنوده قبل قتال الخوارج: «إنما هم مهنتكم وعبيدكم».

وفي سنة ٤٢هـ خرج رجل من الموالي في الكوفة يدعى أبوليل في ولاية المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فتبعه ثلاثون ألفًا من الموالي، ولكن جند المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خذلوه[١] وفي سنة ٧٧هـ ثار بعض الموالي الخوارج على قائدهم قطري بن الفجاءة، وولوا عبد ربه الصغير، فكان معه ثمانية آلاف من الموالي، فنشب القتال بين الخوارج العرب والخوارج الموالي في موقعة جيرفت[٢] وكان النصر للموالي، وتولى المهلب القضاء على الجميع بعدئذ.

---

(١) ابن الاثير: الكامل، ج٣، ص٤١٢.

(٢) المبرد: الكامل. ج٣، ص٢٢٨.

وانضم كثير من الموالي إلى ثورة ابن الأشعث سنة ٨٢هـ حيث اشترك معهم في التحريض على الخروج بعض الأئمة: كالشعبي وسعيد بن جعفر، وقد أمر الحجاج فيما بعد بالنقش على أيدي الموالي وردهم إلى قراهم[١].

وانضم بعض الموالي إلى ثورة ابن المهلب سنة ١٠٢هـ، وقاتلوا في موقعة العقر، ولكن مسلمة بن عبدالملك هزمهم، ولكثرة مناسبات خروج الموالي على العباسيين سنفرد القول في ذلك لاحقًا.

ونسأل: لماذا لم ينضم المختار أو إبراهيم بن الأشتر النخعي لحركة التوابين مع أنهم من القيادات الشيعية في الكوفة؟ ولماذا لم تتوحد المعارضة على القضاء على خصومهما؟ والجواب فيما يبدو أن اتجاهات المعارضة الشيعية منقسمة على نفسها فكلٌّ له رأي.

وقد ذكر أن المختار حينما دعا إبراهيم بن الأشتر والانضمام إليه طلب إبراهيم أن تكون الأمور والقيادة بيده، وهذا يبرر صراحة لماذا لم ينضم ابن الأشتر إلى التوابين، ويضاف إلى ذلك أن أهل الكوفة ونساءها كما ذكر كانوا يُخذلون كل من له همة في الخروج على السلطة؛ اتقاء اليتم والتشريد، ومن جهة أخرى فإن أكثر من كان مع ابن زياد كانوا من أشرافهم، أما المختار فكان بوضوح يريد الزعامة لنفسه، ولم يبالِ بالادعاءات التي افتراها على ابن الحنفية أو على علي بن الحسين ما يعكس أن شخصيته كانت مختلفة عن تقوى ونزاهة التوابين واختلاف الجهة الشيعية، هذا هو الذي مكن مصعب بن الزبير فيما بعد من القضاء على حركة المختار وقتله، لقد ورد في بعض الروايات: إن ابن زياد قد حاول إمالة ابن الأشتر في وقت قدوم الحسين إلى الكوفة، واتهمه بمنع الحسين من المسير إلى يزيد، وإن ابن الأشتر رفض أيضًا أن يكون مخلصًا لابن زياد[٢].

---

(١) الطبري. تاريخ الطبري، ج٦، ص٣٨١.

(٢) إبراهيم بيضون: (اتجاهات المعارضة في الكوفة) ص١٤.

ولكن في الواقع إن ابن الأشتر كان يمثل اتجاهًا معارضًا وحده منذ البداية وربما خالف الاتجاهات الشيعية؛ لأن الملامح التي تنسب إليه ملامح الولاء إلى القبيلة والانتصار لها، وأنه أصبح قائد ورئيس قبيلة النخع التابعةلقبيلة مسحج اليمنية. ولذا فإن ابن الأشتر لم ينضم لحركة المختار إلا بعد أن سلم له المختار شرطة القاضي بقيادة ثورة المختار، ولكن انحراف الثورة جعل ابن الأشتر على خلاف مع تلك الاتجاهات والدعاوى الجديدة التي ظهرت على ألسنة القوم التي ترفضها عادة العقلية القبلية في تلك المراحل المتقدمة خاصة بعد تولي الأشتر الموصل وعسكر بجيشه في الجزيرة بعيدًا عن الكوفة. والواقع أن القيادات الشيعية في الكوفة لم تكن وحدها منقسمة الاتجاهات ما سبب ضعفها والقضاء عليها، بل إن القيادات الشيعية في الحجاز هي الأخرى منقسمة وخجولة في معارضتها للحكم الأموي، فلم يكن ابن الحنفية على اتساق مع علي بن الحسين، وذكر أن المختار عمد إلى اجتذاب الموالي وإلى الإعلان عن تحرر كل مولى ينضم إليه من موالي العتاقة، فتزايدت أعدادهم خاصة أنه أشركهم في الفيء والعطاء وسماحه لهم بركوب الخيل واتخاذه الحرس منهم، وربما كان لهذه الإجراءات ردة فعل من أشراف الكوفة ضد المختار، حيث تجمعوا في جبانة السبيع لقتال المختار ومن معه.

غير أن أكثرية قوة المختار كانت من قبائل الكوفة العربية اليمانية في مقدمتهم مزينة، وأحمس، وبارق، وهمدان (نهد شاكر بارق وثور وشبام) ومن كندة (بنو بداء ونهند) ومن مسحج والنخع ....

وقد ذكر أن عبدالله بن قراد الخثعمي كان على الشرطة وعبدالرحمن بن شريح الشبامي على بيت المال. وقيل: إن المختار عرض القضاء على عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث، فرفض، فولى القضاء لشريح قاضي الكوفة المشهور على الرغم من أن أكثر الشيعة لا تودّه؛ لأنه قد ذكر أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد

عزله عن قضاء الكوفة، ونفاه إلى بانقيا ليقضي بين يهودها كما ذكر أن المختار فيما بعد عزل شريحًا ونفاه إلى بانقيا، كما فعل الإمام علي رضي الله عنه وعين مكانه ابن مالك الطائي. ولكن أكثر أشراف العرب في الكوفة بعد ذلك نقموا من المختار خاصة من اشترك في ذم الحسين أو من كان يميل إلى ابن الزبير أو الذين أنكروا على المختار تقريبه الموالي والفرس والعبيد وقد ذكر أن الناقمين على المختار شبث بن ربعي الرياحي سيد تميم وعبدالرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ومحمد بن الأشعث وعبدالرحمن بن مخنف الأزدي وزحر بن قيس. وقد تجمعوا في جبانة السبيع خاصة اليمانية، وكان جيش المختار بقيادة إبراهيم بن الأشتر قد خرج به لملاقاة جيش عبيدالله بن زياد، فرجع ابن الأشتر إلى الكوفة بطلب من المختار لضرب حركة هؤلاء، فتقدم ابن الأشتر لضرب مضر وربيعة، وتقدم المختار ومن معه لضرب اليمانية المجتمعين في جبانة السبيع خاصة وجبانة مراد، وقد سيطر المختار على الموقف، فقتل الكثير ممن تحصن خاصة أولئك المتهمين بالاشتراك في قتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأكثرهم كانوا من همدان كما تذكر هند أبو الشعر في كتاب لها عن ثورة المختار[1].

وقد هرب من الكوفة أعداد كبيرة من المقاتلين انضموا إلى مصعب بن الزبير، وربما كان منهم من اشترك في دم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الموالي الفرس ومنصب الوزارة:

استحدث العباسيون منصب الوزارة، وهو منصب خطير يلي الخليفة مباشرة، فقد استوزر المنصور أبا أيوب المورياني من موالي الأهواز نسبة إلى قرية موريان، وتولى الوزارة للخليفة المهدي عبيدالله بن يسار مولى الأشعريين، وكان هو كاتبه أيضًا، وعهد لابنه بدواوين الدولة، ثم بالوزارة أيضًا، واستوزر

(١) هند أبو الشعر: ثورة المختار (جبانة السبيع وتتبع قتلة الحسن) ذكرت أنه قتل مئتين وخمسين من همدان.

المهدي أيضًا يعقوب بن داود مولى عبدالله بن حازم حتى استأثر دون الخليفة لدرجة ان أودعه السجن، وقد أطلقه الرشيد فيما بعد.

وجميع هؤلاء كانوا يقربون أولادهم وأهليهم من المناصب العامة حتى سيطروا على مهام الدولة وعطائها، واستوزر الرشيد البرامكة الذين بلغوا من العظمة والسمعة ما لم يبلغه أي وزير إلى أن نكبوا كما سنرى، واستوزر المأمون الفضل بن سهل وأخاه الحسن بن سهل، فكان لهم أثر في ولاية العهد التي تمت لعلي الرضا، واستوزر المأمون أحمد بن أبي خالد الأحول مولى لبني عامر بن لؤي، واستوزر أحمد بن يوسف القاسم وهويزيد بن سويد مولى من أهل خرسان، وكان مجوسيًّا، ثم أسلم، ووزير المعتصم الفضل بن مروان الفارسي الأصل وأحمد بن عمار بن شادي من موالي المزار، واستوزر محمد بن عبدالملك الزيات[١].

نكبة البرامكة:

كان آل برمك من بيوت بلخ الدينية المجوسية، وكانوا سدنة (النوب هار) الذي توقد فيه النار للعبادة، وكان خالد البرمكي من رجال محمد بن علي، ثم إبراهيم الإمام زعيمي الدعوة العباسية، فاستوزر السفاح خالد، ثم ولي خالد الري وطبرستان للمنصور، وقد أراد المنصور أن يهدم إيوان كسري في المدائن إلا أن خالد نصحه بألا يفعل ذلك، وتولى خالد للمهدي مقاطعة فارس كلها.

ثم عهد المهدي ليحيى بن خالد بتربية ابنه هارون، وكان يصحب هارون في غزواته، وكان أباه من الرضاعة، وكان يحيى قد ولي أذربيجان للمنصور سابقًا، وله أربعة أولاد أشهرهم الفضل وجعفر أخو هارون من الرضاعة، ويقال: إن موسى الهادي تنكر لهارون، وعمل من أجل تقليد ابنه جعفر الخلافة إلا أن

(١) د. فاروق عمر: المصدر السابق، ص٦٥ وما بعدها، مطبعة التعليم العالي- بغداد، ١٩٨٩م.

يحيى بما له من نفوذ على موسى منعه من ذلك، وأراد الخليفة الهادي قتل يحيى إلا أنه توفي بسرعة، فبشر يحيى هارون بالخلافة سنة ١٧٠هـ فكان هارون يلقب يحيى بأبي، ويقول له: أنت أجلستني على الخلافة. فكان خاتم هارون بيد يحيى، وقلده أوسع السلطان، وعهد إليه بجمع الدواوين. فتولى جعفر بن يحيى شمال إفريقية، وتولى الفضل بلاد فارس كلها، وكان جعفر والفضل من أقرب المقربين إلى الأمين والمأمون ابني هارون ولصلة الرضاعة بين هارون والفضل جعلت هؤلاء يدخلون على بعضهم بعضًا حتى في فرشهم.

وقد عمل هارون الرشيد على وضع الأمين بصحبة الفضل دائمًا والمأمون بصحبة جعفر، وكان مركز الفضل في خراسان منذ سنة ١٧٨هـ، ويقال: إنه حاول هدم بيت النار (النوب هار) فلم يقدم على ذلك، انفرد بمنزلة كبيرة عند هارون الرشيد، واعتمده عليه، وأنزله بقصر قرب قصره، فكان جعفر البرمكي هو الغالب على أمر الرشيد، فكان الرشيد يدعوه أخي، وعهد إليه بأكثر الدواوين خاصة البريد ودور ضرب النقود والطرز، وقد قيل: إن جعفر يمضي الأمور دون مراجعة الرشيد، فقد قدم عبدالله بن صالح الهاشمي على بغداد يريد من الرشيد قضاء ثلاث حوائج: دين كبير، وأن يولي ابنه بعد أن يزوجه الرشيد، فقام جعفر بدفع الدين، وولى الابن على مصر، وزوجه من ابنة الرشيد، فلما علم الرشيد بذلك أجازه، وأمضاه.

ويرى ابن خلدون أن سبب نكبة البرامكة ترجع إلى ميولهم للفرس والشيعة معًا ومحاولتهم إرجاع الحكم لبني جلدتهم[١] ويروى أن الرشيد طلب إلى جعفر بقتل يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم الذي خرج على الرشيد، ولكن جعفر أطلق سراحه، ولما سأله الرشيد قال: إنه لم يجد منه خطأ[٢].

(١) ابن خلدون: المقدمة، ج٣، ص٢٢٣.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري، ج١، ص٨١.

بل إن جعفر أرسل إلى يحيى هذا بمئتي ألف دينار. ويقال: إن جعفر كان يفرق الأموال بين الموالي، ويمنعها عن آل هارون الرشيد، ويروى أن الرشيد دفع موسى بن جعفر (إمام الإثنا عشرية) إلى الفضل ليقتله، فلم يفعل، فطلب الرشيد جلد الفضل على عصيانه[١] ويقال: إن الرشيد أحس بأن موسى بن يحيى البرمكي يكاتب أهل خراسان للوثوب معهم ضد الخليفة، فأمر بحبسه، ولكن أطلقه بطلب من يحيى أبيه. ويروى أن البرامكة قد زينوا للرشيد أن يتخذ في جوف الكعبة مجمرة يحرق فيها العود، فتنبه لذلك لما فيه من إشارة إلى عبادة النار. ويقال: إن الرشيد لما بعث إليه يحيى بن برمك من السجن يستعطف، رد الرشيد: (المخادع الزنديق) فالرشيد أعلم بدخائلهم، وذكر أن آل برمك كانوا يتحدثون الفارسية، ويتحدثون بأمثالها. ويذكر البعض أن سبب نكبتهم يعود إلى رغبتهم في إبطال الخلافة. وعلى كلٍّ، صودرت أملاكهم، وصلب جعفر البرمكي في صفر سنة ١٨٧هـ في بغداد، وحبس يحيى ابنه الفضل في حبس الزنادقة ببغداد، ولكن في عهد المأمون حل محلهم آل سهل، فورثوا آل برمك، وحلوا محلهم.

ولقد أورث هذا النفوذ السياسي للبرامكة دون الخليفة نفوذًا بين جمهور الناس من شعراء وكتاب ورؤساء الناس، وذلك بإغراقهم بالأموال والأعطيات من مال الدولة، فجعلوا الناس يتجهون إلى البرامكة بدل الخليفة في قضاء حوائجهم ومطالبهم، فسادوا بكرمهم وإحسانهم الجميع، ولقب كل كريم بالبرمكي، ومع هذا فقد تكون حسدة وأعداء عملوا على إسقاطهم لأسباب بعضها شخصية محضة، وبعضها ربما كان خشية تفرد العنصر الفارسي بالسيادة والقوة، فقد اتهمهم الأصمعي بالزندقة لبعض ما رشح من أفكارهم وأهوائهم، فكثر بذلك أتباعهم، وازدادت قوتهم ما جعل الرشيد يتخوف من سوء العاقبة حيث شاهد الرشيد بنفسه كثرة الناس على أبوابهم والجميع يلهج بمدحهم وشكرهم. فبدأ

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ج١، ص٨٣.

الرشيد يتغير عليهم، ومن أوائل ذلك تبرمه من دخول يحيى البرمكي عليه دون استئذان، وتذكر بعض المصادر قصة زواج العباسة الشكلي أخت الرشيد من جعفر البرمكي سرًّا بعلم من الرشيد: لغرض اجتماع الجميع في مجلس واحد وافتضاح الأمر. وربما ذلك القشة التي قسمت البرامكة إن صحت هذه القصة[١] وصار للبرامكة أموال وضياع كثيرة، وقد كان الرشيد يمشي، ويسأل عن الضياع، فيقال له: لبرمك.

رد فعل شيعة فارس ضد العرب:

على الرغم من أن نشأة التشيع كما ذكرنا كانت عربية في أصلها، لكن الفرس وجدوا فيه بغيتهم السياسية، وبقي في نفوسهم هوى واستجابة؛ لأنهم قد وجدوا أنفسهم في مرتبة اجتماعية أدنى من العرب الذين بيدهم الحكم والقوة والثروة، وقد امتلأت كتب الشيعة بإشارات كثيرة ضد العرب خاصة تلك المؤلفة من قبل شيعة فارس القدماء، ولا شك أن الشيعة العرب يجدون أنفسهم في حرج كبير من هذه الأقوال المنسوبة إلى الأئمة ضد العرب.

وقد أورد المجلسي في (بحار الأنوار) نقولًا من كتب شيعية قديمة توضح انعكاس الحالة النفسية للفرد الشيعي في المجتمع الإسلامي، فقد أورد جملة من الأحاديث عن الأئمة في شدة ابتلاء المؤمن وعلته بالمرض والخوف من السلطان والفقر وجيران السوء والشياطين الذين هم كالزنابير على المؤمنين من كثرتهم كما يقول. فمن هذه الروايات ما نقله المجلسي من كتاب (الاختصاص) عن محمد بن علي عن الإمام موسى بن جعفر قال: إن الأنبياء وأولاد الأنبياء وأتباع الأنبياء خصوا بثلاث خصال: (السقم من الأبدان، والخوف من السلطان، والفقر).

---

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ج١٠، ص٨٤. المسعودي: مروج الذهب. ج٣، ص٢٩١.

وينقل المجلسي كذلك عن الكُليني من كتابه (الروضة) رواية يبدو فيها محمد بن سنان مشتكيًا للإمام الصادق من تسمية المسلمين السنة للشيعة بالرافضة حيث يقول له: «.... فإنا قد نبزنا نبزًا انكسرت له ظهورنا، وماتت له أفئدتنا... فردّ عليه الإمام: لا والله ما هم سموكم ولكن الله سماكم به. أما علمت يا أبا محمد، أن سبعين رجلًا من بني إسرائيل رفضوا فرعون وقومه لما استبان لهم ضلاله، فلحقوا بموسى... فسموا عسكر موسى بالرافضة»[١].

وتتسع ردود الفعل ضد العرب إلى انتحال صفات العرب المسلمين للشيعة الفرس وإلى تأويل الصفات الذميمة التي كان يطلقها العرب على الفرس إلى صفات حسنة كما في الحديث المروي عن الإمام الصادق الذي نقله المجلسي عن كتاب (الاختصاص) قال الإمام: المؤمن هاشمي؛ لأنه هشم الضلال والمؤمن قرشي؛ لأنه أقر بالشيء ونحن الشيء. والمؤمن نبطي؛ لأنه استنبط الأشياء... والمؤمن عربي؛ لأنه عرُب عنا أهل البيت والمؤمن أعجمي؛ لأنه أعجم من الدلام، فلم يذكر بخبر والمؤمن فارسي؛ لأنه تفرس في الأسماء لو كان الإيمان منوطًا بالثريا لتناوله أبناء فارس.

وأوضح المجلسي أن كلمة الدلام بيان للأشياء، وصرح أنها كلمة يكنى بها في الأخبار عندهم عن عمر تقيةً، وتطلق على أبي بكر أيضًا، وعلل المجلسي المعنى لسواد ظاهر أو باطن العمرين (بالكفر والنفاق أو لانتشار الظلم والفتن بهما في الآفاق) والكلام للمجلسي[٢].

وترد الشكوى ضمن مشاعر الشيعة الفرس في رواية عن أبي يحيى الواسطي (عمن ذكره) قال: قال رجل لأبي عبدالله: إن الناس يقولون: من لم يكن عربيًّا أصله و(أو) مولى صريحًا، فهو سلفي. فقال: وأي شيء المولى

(١) المجلسي: البحار. المجلد ١٥. القسم الأول. ص١١٥.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٥ ص١٧-١٨.

الصريح؟ فقال له الرجل: من ملك أبواه. قال: ولمَ قالوا هذا؟ قال: يقول الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: مولى القوم من أنفسهم، فقال: سبحان الله! أما بلغك أن الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أنا مولى لمن لا مولى له**». أيهما أشرف من كان من نفس الرسول أو من نفس أعرابي جلف بوال على عقبيه؟ من دخل في الإسلام رغبة وهم الموالي خير ممن دخلوا رهبة من المنافقين[١].

وفي حديث منسوب للإمام أبي جعفر قال: ثلاث من عمل الجاهلية: الفخر بالأنساب، والطعن بالأحساب، والاستسقاء بالأنواء[٢]. ونقل المجلسي من أحد كتبهم القديمة رواية منسوبة لعليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «إن الله يعذب ستًّا بست، العرب بالمعصية والدهاقنة بالكبر و...»[٣] وأورد الكليني رواية عن أبي بصير عن الإمام الصادق أنه قال: «إن تتولوا يا معشر العرب، يستبدل قومًا غيركم؛ يعني الموالي. قد والله أبدل بهم خيرًا منهم الموالي»[٤].

ثم حمل المجلسي على عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه، ونسب إليه القول: إن سائر الناس من أهل فارس من سقاطة الناس وأراذلهم، وإنهم ليسوا أكفاء للعرب، وعلل المجلسي ذلك بأن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان قد سمع من النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن أنصار عليٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأهل بيته يكونون من العجم[٥].

ويذكر المجلسي فضيلة للعجم على العرب على شكل رواية منسوبة للإمام الصادق نقلها من كتاب (فسيتا = تفسير علي بن إبراهيم) قال الإمام: لو نزل القرآن على العجم ما آمنت به العرب، وقد نزل علي، فآمنت به العجم،

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٥. القسم الأول. ص٤٥.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص١٤١.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٦. ص٢١٠.

(٤) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٥. القسم الأول. ص٤٥.

(٥) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٥. القسم الأول. ص٤٦.

فهذه فضيلة العجم[١] وينقل المجلسي رواية من كتاب (الاستدراك) عن المنصور بن حازم قال: سمعت أبا عبدالله يقول: «نحن العرب وشيعتنا الموالي وسائر الناس همج»[٢].

ورغبة الشيعة الفرس في الانتقاص من العرب وأثرهم واضح بشكل يدعو للاستغراب كيف أن شيخ الشيعة في القرن الرابع ببغداد الشيخ المفيد، وهو عربي حارثي يورد في أحد كتبه رواية تنسب لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القول: «من أحبنا فهو العربي، ومن أبغضنا فهو العلج»[٣] اللهم، إلا أن نفسر بأن في ذلك تقربًا لسلطان بني بويه الذي حكم العراق وفارس في وقته، وكان المفيد لصيقًا بهم.

عن أبي عبدالله أنه قال: اتقِ العرب، فإن لهم خبر سوء، أما إنه لم يخرج مع القائم (المهدي) منهم واحد[٤].

ونقل المجلسي عن كتاب (مع) عن عبابة الأموي قال: سمعت أمير المؤمنين عليًّا، وهو متكئ وأنا قائم عليه: لأبنين بمصر منبرًا، ولأنقضن دمشق حجرًا حجرًا، ولأخرجن اليهود والنصارى من كل كور العرب ولأسوقن العرب بعصاي هذه[٥]. وعلق المجلسي على ذلك أن قول الإمام هذا محمول على ذلك في الرجعة حيث يؤمن الشيعة برجعة بعض المسلمين للدنيا خاصة الشيعة ليقتصوا ممن ظلمهم. وأورد المجلسي رواية عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قد ذكر أن عنده صحيفة يقال لها العبيطة «وما ورد على العرب أشد عليهم منها، وأن فيها لستين قبيلة من العرب بهرجة ما لها في دين الله من نصيب»[٦].

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٥. القسم الأول. ص٤٧.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٥. القسم الأول. ص٤٨.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٥. القسم الأول. ص١٠٨.

(٤) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٣ ص١٨٦.

(٥) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٣. ص٢١٤-٢١٥.

(٦) المجلسي: بحار الأنوار. المصدر السابق.

دور الموالي الفرس في العصر البويهي:

استخدم العباسيون الموالي الفرس لمناصب كثيرة منها الولاية وقيادة الجيش ورؤساء الدواوين والكتاب، فارتفع بذلك نجمهم، وقويت شوكتهم حيث تركزت منذ قيام الدولة العباسية على يد أبي مسلم الخراساني ثم على يد أبي سلمة الخلال والبرامكة وآل سهل إلى درجة أن اقتنع الخليفة المأمون من قبل وزيره الفارسي بولاية العهد للإمام علي الرضا حيث خطط الفرس الاستتار خلف هذا الإمام على الرغم من معارضته وعدم رغبته في هذه الولاية، وفي زمن المعتصم فكر الخليفة في أن يستبدل بالنفوذ الفارسي الذي يكاد يخنق الدولة نفوذًا تركيًا عن طريق استخدام جيش تركي وإنقاص أفراد الجيش من الموالي الفرس، وذلك لإحداث توازن سياسي، بسبب أن العنصر العربي خاصة في الجيش كان ضعيفًا. ولذا عمد المعتصم إلى بناء مدينة سامراء (٢٢١هـ) بوصفها قاعدة عسكرية للجنود الترك، وذلك لإبعاد مشكلاتهم وشغبهم عن بغداد، ولكن لم تنجوا الدولة العباسية من مشكلات الأتراك التي كان يثيرها الجند وقادتهم على الخليفة إلى حد تآمرهم واشتراكهم في قتل الخليفة المتوكل، وبعد ذلك أصبح الخلفاء العباسيون مجرد ألعوبة في أيدي هذه القوة يعزلون، وينصبون من شاؤوا من الخلفاء.

وفي مطلع القرن الرابع الهجري عاد الموالي الفرس إلى القوة على يد البويهيين، فأزاحوا العنصر التركي، وقد بدأت الدولة العباسية تتقطع أوصالها البعيدة خاصة، ونشأت عنها قوة مستقلة عن مركز الخلافة ببغداد، ففي عهد الخليفة الراضي بالله (٣٢٢-٣٢٩هـ) كانت فارس تحكم من قبل علي بن بويه، وأما أصفهان والري والجبال فكانت تحكم من قبل أخيه حسن بن بويه، وأما الموصل وديار بكر وديار ربيعة وديار مضر فكانت تحكم من قبل الحمدانيين (٣١٧-٣٩٤هـ) وأما مصر فكانت تحكم من قبل محمد بن طغج، ثم بعده القائم

بالله الفاطمي. وخراسان وشرق فارس كانت تحكم من قبل السامانيين، وأما جرجان وطبرستان وبلاد الديلم فتحكم من قبل الديلم، وأما البحرين واليمامة فتحكم من قبل القرامطة[١].

إن البويهيين كانوا من الديلم قد دخلوا الإسلام متأخرًا في منتصف القرن الثالث الهجري، فكانوا قبل ذلك على ديانة المجوسية. وفي سنة ٢٥٠هـ أسس الحسن بن زيد العلوي (الأطروش) نفسه في طبرستان، وخلفه أخواه محمد وحسن بن علي الأطروش توفي (٣٠٤هـ) اللذان استوليا على طبرستان سنة ٣٠١هـ، ونجحت هذه العائلة الزيدية العلوية في إقامة دولة في طبرستان، ونشرت التشيع الزيدي في بلاد الديلم، فنجح الأطروش في إدخال الديالمة هؤلاء من المجوسية إلى الإسلام الشيعي الزيدي.

فظهر من هؤلاء الديلم قائد عسكري يدعى ابن بويه، وكان له ثلاثة أبناء أشداء استطاعوا فيما بعد إقامة نفوذهم، ولكن دولة الأطروش انتهت بتغلب الحكم الساماني على بلاد الديلم سنة ٣٤٥هـ.

أما البويهيون فأصبح لهم شأن عظيم بحكم فارس والعراق حيث قام أحمد ابن بويه (معز الدولة) سنة ٣٣٤هـ باحتلال بغداد (عاش ما بين ٣٠٦-٣٥٦هـ) فكان أول حاكم فعلي يعتنق التشيع، ويدعو إليه في العراق كله، وأبقى على خلافة العباسية وجردها من كل قوة، وأقام في بغداد أول نقابة للطالبيين، وهذه حيلة في التصرف الديني المذهبي، فانتعش بذلك مركز الطالبيين والشيعة معًا، وقد كانت نقابة الطالبيين ببغداد بين العباسيين والطالبيين معًا، لكن من هذا العهد أصبح لـ آل علي نقابة وحدهم دون آل هاشم. وكان النقباء أكثرهم متشيعين (كالشريف الرضي وأخيه المرتضى) أما النقيب الثاني فقد عينه معز الدولة سنة ٣٤٨هـ وكان أبو عبدالله محمد بن الحسن المعروف بابن الداعي

(١) المسعودي: مروج الذهب. ج٩، ص٢. ابن خلكان: الوفيات. ج١، ص٧٨.

(متوفى٣٦٠هـ) حيث كان زيديًّا، وهذا ينبئ بأن البويهيين أول دخولهم بغداد كانوا شيعة زيدية، ولكن اعتنقوا مذهب الشيعة الإثنا عشرية؛ لأن زيدية بغداد طالبوهم بالزعامة.

وقد كان ابن الداعي ذا نفوذ كبير يتصرف دون الرجوع للخليفة ودون معز الدولة، ويبدو أن معز الدولة، أدرك أن الزيدية بناء على رأيهم في الإمامة يقيمون إمامًا حاضرًا من آل زيد يدعو لنفسه، فرأى معز الدولة أن مذهب الشيعة الإمامية أفضل له من الزيدية على اعتبار أن المذهب الشيعي الإمامي يؤمن في تلك الفترة بإمام غائب سيظهر مستقبلًا.

وهكذا نكل بالشيعة الزيدية ببغداد، وطردهم، وتشتتوا في الأمصار، وارتفع بذلك شأن المذهب الشيعي الإمامي على يد البويهيين[1].

وفي ربيع الثاني من سنة ٣٥١هـ بأمر من الأمير البويهي معز الدولة قام الشيعة في المساجد ببغداد بلعن «معاوية أبي سفيان ومن حرم فاطمة من فدك ومن منع الحسين من الدخول على جده، ومن نفى أبا ذر الغفاري، ومن أخرج العباس من الشورى» وأعيد هذا اللعن العلني، فلم يكن الخليفة قادرًا على منعه، وقد كان ابن الداعي الزيدي الذي ذكرناه قد هرب سرًّا من بغداد سنة ٣٥٣هـ إلى بلاد الديلم، وذلك حينما كان معز الدولة في نصيبين. وبعد سنتين أسس نفسه بين الديلم، وكتب إلى بلاد الإسلام من ضمنها بغداد داعيًا إلى جهاد أولئك الذين يلعنون صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومما دفع البويهيين إلى كراهية الزيدية وإعطاء المزيد من التأييد للشيعة الإمامية ضد جميع مخالفيهم أن البويهيين لم يروا في عقائد المجوس أجدادهم كثير مخالفة للدين الإسلامي أو للجميع، وذلك بدليل أن الوزير محمد المهلبي

(١) ابن مكسويه: تجارب الأمم. ج٢، ص٢٠٧. - ابن الجوزي: المنتظم. ج٧، ص٧.

قد حكم بقتل مجموعة من الذين ادعوا أفكارًا مجوسية منهم رجل ادعى أن روح الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد حلت به، ومنهم امرأة ادعت أن روح فاطمة ابنة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حلت بها، وآخر ادعى حلول الملك جبرائيل فيه، وقد تدخل بعض رجال الشيعة لدى معز الدولة، فأطلق سراحهم على دعوى أنهم من آل البيت. وقد أدخل البويهيون ومعز الدولة عادة لم تكن معروفة لدى الشيعة، وهي مواكب العزاء والقراءة بمناسبة يوم عاشوراء، حيث قتل الحسين بن علي، وما يتخلل ذلك من إثارة في هذه المواكب حيث أصبحت السبب الرئيس للصدام بين السنة والشيعة ببغداد، وهكذا بسبب تقدم الزمن والمصالح السياسية تضاف مشكلات جديدة تعمق الخلاف والشقة، ثم تكون مرتكزًا جديدًا تبنى عليه العقائد، وتحاك له الأحاديث المنسوبة للأئمة، ففي العاشر من محرم سنة ٣٥٣هـ ولأول مرة في تاريخ التشيع أمر معز الدولة أن تغلق المحال والأسواق ببغداد، وأعلن رسميًّا وجوب لبس النساء السواد في الأسواق والطرقات والحداد على مقتل الحسين بجرّ الشعور وشقّ الجيوب، ويرى بعض الباحثين أن العزاء على الموتى بهذا الشكل كان عادة فارسية منتشرة في بلاد الديلم، فلاقت مناسبة وهوى من القوم.

وأدخل البويهيون لأول مرة ببغداد الاحتفال الرسمي بعيد الغدير كل سنة في ١٨ من ذي الحجة، وذلك بفتح المحال طوال الليل وضرب الطبول والمزامير وإشعال النار أمام بوابات القصور والأماكن الرسمية[١] وقد دعا الأمير البويهي ركن الدولة عالم الشيعة ابن بابوية القمي الملقب بالصدوق للحضور إلى بغداد وإدارة الجدال الذي كان يعقد في قصر الأمير ونائبه من احتجاجات للشيعة والانتصار لهم بالشكل الذي قاده إليه اجتهاده، وما جمعه من أحاديث الشيعة في كتابه المشهور (من لا يحضره الفقيه) أما الشيخ المفيد (٤١٣هـ) فقد كان يركب

(١) ابن الجوزي: المنتظم. ج٥، ص١٥. ابن كثير: البداية، ج٩، ص٢٤٣، ص٣٠٥.

له معز الدولة، ويخصه بالأعطيات والهبات، وقد بلغت مؤلفاته مئتي كتاب ذات أهمية في انتشار فكر الشيعة.

وقد أمر عضد الدولة بإصلاحات إضافية لقبر الأمير علي وما حوله من قبور، وأن تحاط بالمحال والأسواق، وأوصى أن يدفن إذا مات جنب قبر الإمام علي.

وقد أظهر بعض الشيعة الغلاة نصًّا قرآنيًّا يختلف عما هو متداول بين المسلمين، وادعوا أنه قرآن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ما أحدث خلافات ومشكلات بين المسلمين.

منذ زمن طويل ولأول مرة وجد علماء الشيعة أنفسهم في حرية تامة للتعبير عن آرائهم ومعتقداتهم، فكتبوا بذلك المقولات، وجمعوا المتناثر من الكتب والمقالات القديمة، ودونوا في هذه الفترة أهم المراجع الشيعية في الحديث والتفسير... يشهد بذلك ما كتبه الكليني وابن بابوية القمي والطوسي والشيخ المفيد وتلميذه المرتضى علم الهدى. لقد حاول الخليفة الوقوف ضد العناصر الطارئة على الحكم وضد الخارجين من الشيعة على التعاليم المعتادة، حيث قام الخليفة المستكفي بالله (٣٣٤هـ) بسجن أحد قيادات الشيعة المدعو الشافعي من باب الطاق، فأمر معز الدولة بإطلاق سراحه، لكن الخليفة عارض ذلك، فقام معز الدولة بسمل عيني الخليفة وإقصائه ومبايعة المطيع بالله (٣٣٤-٣٦٣هـ) وتنصيبه خليفة، فلم تعد للخلافة هيبة ولا قوة، وأصبح مجرد رمز يدعى له بالمساجد، ويصك اسمه على النقود، واستمر نفوذ البويهيين والشيعة حتى مجيء السلجوقيين واحتلالهم بغداد سنة ٤٢٢هـ.

حيث أبعدوا النفوذ الشيعي، وأيدوا السنة المسلمين في دوامة جديدة من رد العنف السابق ما أذهب ريحهم، وأغرى بذلك أعداءهم وهم عنهم لاهون بالترهات والخلاف والجدل غير المفيد[1].

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٢٦٠، ص٣٠٠. ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٢، ص٨٥. المسعودي: مروج الذهب، ج٩، ص٣٤. ابن الجوزي: المنتظم. ج٧، ص٢٥٥، ج٨، ص٤١، ص١٠٩.

الفصل الرابع

استيطان العرب لإيران
القبائل العربية في البلاد المفتوحة

لما زالت دولة المناذرة قبل الإسلام، وانتهى دورها في حماية الدولة الفارسية الساسانية ضد العرب أضحت القوة العربية في الجزيرة في مواجهة مباشرة مع الدولة الفارسية على أطراف العراق.

فلما جاء الإسلام، وسارت الجيوش لفتح العراق واجه الفاتحون في البداية أقوامًا من جلدتهم في الحيرة والأنبار، فاستجاب أكثر هؤلاء العرب لنداء الفاتحين، وساعدوهم فيما بعد على محاربة الفرس، نخص منهم بني النمر وبني تغلب وهم نصارى، فقد ذكر أن المثنى بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حرض أنس بن هلال وقومه على الانضمام إلى الجيش المسلم؛ لكونه عربيًّا، وإن لم يكن على دين الإسلام. وكذا فعل ابن مردي الظهري التغلبي وعبدالله بن كليب بن خالد، فقاتلوا مع المثنى على الرغم من اختلاف الدين، لكن بعض نصارى العرب قاتلوا مع الفرس ضد المسلمين العرب، منهم الساكنون في عين التمر الذين قاتلوا خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجيشه، فانتصر عليهم، وأخذ منهم أسرى، كما فعل مثلهم عرب نصارى في موقعة الولجة واليس، فكان موقفهم هذا سببًا في سخط مسلمي بني عجل عليهم مثل عتيبة بن النهاس وسعيد العراق أول الأمر موقف استثنائي لم يلبث أن تبدل بعد تلاحق انتصارات المسلمين[1].

(١) أحمد صالح العلي: امتداد العرب في صدر الإسلام، ص٢٧-٢٩.

استيطان العرب للبلاد المفتوحة:

في عهد الخلفاء الراشدين تم فتح العراق والشام ومصر وبلاد فارس، فقام بعض الفاتحين بالاستيطان في هذه البلاد، ولما كان القليل منهم ذا ميول علوية يفضلون الإمام علي، وهذه الفترة اتسمت فقط بالتشيع السياسي للإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دون ظهور أي معالم من عقائد الشيعة إلا القليل منها، وهؤلاء كانوا قلة، فقد كان لهم بعض الأثر في سكان البلاد المفتوحة، حيث يمثلون أوائل انتقال التشيع السياسي العربي الأصل إلى البلاد المفتوحة، ولأهمية ذلك يمكن تتبع هؤلاء وأثرهم على النحو الآتي:

أولًا: في البصرة.

من أوائل من ذكر من المتشيعين للإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عبدالرحمن بن الأشعث الكندي، وقد كان أبوه قبله من رجال الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو الأشعث بن قيس رئيس قبيلة كندة الذي اشترك في حرب صفين مع الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وله مواقف مشهورة، وقد جاء عبدالرحمن بن الأشعث من الكوفة إلى البصرة قائمًا بحركته ضد الأمويين؛ وتمثل قبيلة الأوزد تجمعًا كبيرًا في البصرة، ومنهم بنو ضمرة الذين خرج منهم محمد بن نصير النميري البصري، وقيل: إن النميري لا علاقة له بالأوزد بل هو من موالي بني صعصعة، وكان للنميري شأن كبير في التشيع؛ والبلعميون في محلة بنى تميم لهم شأن في التشيع، فمنهم البلعمي أحد وزراء الدولة السامانية، وهو جد بني نوبَخت من الشيعة، ومنهم ينسب النوبختي صاحب كتاب فرق الشيعة، وهو من أوائل الكتب المهمة في الفرق ومقالاتها وأسباب انقسامها، ومن البلعميين هؤلاء محمد بن جمهور العمي البصري وإليه تنسب فرقة الغرابية الشيعية من الغلاة وكان شيخًا لإسحاق الأحمر من مؤسسي فرقة الغرابية في المدائن حيث جاءت إليها من البصرة، وقيل: إنه من سلالة الأشتر

النخعي في الكوفة ومن رجال الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشهورين، وهو كذلك شيخ لفرقة العزاقرة الشيعية من الشلمغانية في البصرة، ومن البيوت المشهورة في البصرة الربعيون الساكنون في محلة عبد قيس، وكان زعماء هؤلاء من فرقة الجارودية الشيعية (منهم الحوثيون في اليمن الآن)، الذين لهم شأن في السيطرة على الخليج بعدئذ، وكانت علاقتهم بالفرس وثيقة لارتباطهم بالمرزبان في الأهوار، وقد ذكر الإصطخري أن المرزبان كان والدًا لزوجة الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكر الإصطخري أن لهم صلة نسب بالصحابي سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذكر أن زيد رئيس لبني عبدة من بني صرحان كان أحد تلامذة سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكر أيضًا أن رئيس قبيلة عبد قيس جاء من البحرين، وهو الجارود الذى أسلم على يد سلمان الفارسي، وقد نشأت فرقة السليمانية بين عبد قيس في البصرة، وانتقلت أفكارها إلى المدائن، وهى تنسب نفسها إلى سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن الذين عرفوا بالتشيع المغالي عبدالله بن وهب السمداني سنة ٣٦هـ وقد رحل بعد ذلك إلى المدائن، وتصفه المصادر بأنه سبئي متطرف، وقيل: إن من آثار التشيع في البصرة انتقال التشيع الإسماعيلي إلى نجران والأحساء عن طريق رحلات قبيلة كندة، وفيما بعد انتقل هذا الأثر الشيعي البصري إلى خراسان وهراة ومرو وما هان، حيث استوطنت هذه المناطق من قِبل قبائل عربية بصرية، ومن المعلوم أن أفكار الديانات السابقة **في كل هذه المناطق عبرت إلى الشيعة بوسائل** مختلفة، فهذه المدن كانت هي الجسور التي أمدت أولئك القوم بالفكر السبئي[1].

أثر محمد بن نصير النميري في نقل الفكر الأجنبي إلى الشيعة ٢٦٠هـ

ذكر عنه النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) أنه كان من أصحاب الإمام الحسن العسكري، وذكر النوبختي أن النميري هذا قد ادعى النبوة، وقيل: إن فرقة النصيرية من الشيعة تنسب إليه، ومن الذين تأثروا بأفكاره محمد بن جندب

(١) ما سنيون: خطط البصر/ المجلسي: بحار الأنوار، المجلد ١٣، ص٢٢.

والحسين بن حمدان الخصيبي، ومن الأفكار التي نسبت إلى النميري هذا أن روح الله قد حلت به، وذكر عنه أنه يعتقد بألوهية الإمام الحسن العسكري، وأنه قال بإباحة المحارم، ونسب له النوبختي القول بحلية نكاح الغلمان، ونسب إلى فرقة النصيرية، ونسب إليه القول بتناسخ الأرواح والألوهية للأنبياء والأئمة، وأنه يؤمن بتناسخ الأرواح، وهى فكرة مأخوذة من الديانة الفارسية القديمة، حيث تدخل أرواح الموتى بدورات من السنين معذبة أو فرحة، ونسب إلى النصيرية عبادة السماء والقمر والنجوم، وأنها متجسدة في حقيقة الإمام علي، وسنتعرض إلى نشأة مذهب النصيرية في الشام وأثر النميري وأتباعه في نقل بعض الأفكار الزرادشتية من إيران إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، خاصة في كل من اللاذقية وأنطاكية وصور وصيدا... إلخ[1].

ثانيًا: في الكوفة.

تنقل كتب الشيعة القديمة أساطير كثيرة عن الكوفة وأرضها بوصفها أرضًا مقدسة للأنبياء ذكر منهم إبراهيم ودانيال ونوح والخضر وغيرهم، ولكن أهم تجمع للشيعة كان من قبل الأشاعرة من مسجح القبيلة اليمنية، وقد هرب الكثير منهم بعد فشل ثورة عبدالرحمن بن الأشعث في الكوفة على الدولة الأموية، فاستوطنوا في كثير من مدن فارس، وخاصة مدينة قم، فنزل أشاعرة الكوفة على بني عمهم من المرازمة الأشاعرة، فكان المرازمة من الشيعة المعتدلين، ولكن غالبية أشاعرة الكوفة كانوا من الغلاة، فحصل بين الفريقين اختلاف وتصادم نتج عنه طرد أولئك الأشاعرة المغالين إلى خارج قم، فذهب بعضهم إلى كاشان، وتفرق الآخرون بفارس بعد أن نبتت جذور تشيعهم في الكوفة من قبل الغلاة من السبئية، وخاصة بعد مقتل الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد تعالت أصوات القبائل اليمنية مطالبة بتسويتها في قسمة الفيء مع من يسمون أهل العالية من قريش والأنصار،

(١) فتحي الزغبي: غلاة الشيعة، ص١٣٤-٢٦٠-٢٦٢.

وقد ذكر أن الأشتر النخعي كان من أوائل المعارضين والمطالبين بحصة أكبر من سواد العراق حيث كان القريشيون يحتجون بأن سواد العراق بستان قريش. من الجدير بالذكر أن الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خلافته قد ساوى في توزيع الفيء على المقاتلين، ولكن بعد مقتله أرجع الأمويون سياسة التقسيم بحسب الأسبقية في الإسلام، فالأوائل من المهاجرين والأنصار لهم الحصة الأكبر[١].

ما يدور في جبانات الكوفة:

يبدو أن بعض أفكار التشيع قد نبتت في جبانات الكوفة، وذلك فيما يدور من صراعات كلامية في أحقية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة، وفيما حصل من مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم حرب الجمل وصفين والمخالفين من موقف معاوية من كل ذلك، ففي رواية أبي مخنف أن حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخُزاعي وعبدالله بن وهب جاؤوا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسألوه رأيه في أبي بكر وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فنهرهم، وأسكتهم، وتشير بعض المصادر إلى شرطة الخميس وعلى رأسهم الأصبغ بن نباتة، فتذكر إحدى الروايات عن الزهري أن شرطة الخميس كانوا بإمرة قيس بن سعد بن عبادة، حيث كانت لهم خصوصية في القتال مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم صفين حيث عاهدوه، ولزموه وبعد مقتل الإمام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بويع ابنه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبعد الخلاف الذي دب بين القبائل لم يبقَ مع الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا القليل، ثم أظهرت بعض القبائل عدم رضاها عن تنازل الحسن لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ووصل الحال ببعض الشيعة أن لقبوا الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (مذل المؤمنين) وقد تمخض عدم الرضا بحركة حجر بن عدي الكندي ضد أمير الكوفة[٢].

---

(١) ياقوت الحموي: ج١، ص٥٤٤، ج٣، ص٧١/ ياقوت الحموي: ج٢، ص٤٨٠، ج٤، ص٧٨٣ و٣٣١/ الطبري: تاريخ الطبري، ج١. ص٨٥٤ و٢٨٥٥. فتوح البلدان: ص٢٨١.
أحمد صالح العلي: امتداد العرب في صدر الإسلام، ص٢٧-٢٩.

(٢) د. الجعيط: الكوفة، ص٤٠٩ /الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص٩١ ابن الأثير: الكامل: ج٣، ص٤٠٤. د. إبراهيم بيضون: اتجاهات المعارضة في الكوفة، ص١٨-٢٢.
حركة المختار: هند أبو الشعر، ص٣٤ وما بعدها.

الكوفة مركز من مراكز التشيع:

تمثل الكوفة أهم مركز من مراكز انتشار التشيع، تمثل ذلك في كثير من الحركات والثورات العلوية والشيعة ضد الدولة الأموية والدولة العباسية بدءًا بحركة التوابين بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثم حركة عبدالرحمن بن الأشعث، ثم ثورة المختار بن عبيدالله الثقفي وثورة زيد بن علي بن الحسين، وغيرها من الثورات وأن أكثر الذين شغبوا على والي الكوفة سعيد بن العاص كانوا من قبائل يمنية وعلى الرغم من أن الوالي شتت رؤساءهم خارج الكوفة إلا أن هؤلاء الرؤساء كان لهم أثر في انتشار التشيع، فكانت الكوفة تمثل لهم رأس الحربة للمعارضة السياسية منذ زمن الخليفة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نتج عن ذلك وضع الصراع في الكوفة والعراق عمومًا بين القرشيين والأنصار من جهة والقبائل اليمنية من جهة أخرى، وقد انتشر التشيع السياسي في الكوفة بين عموم الناس، بل انتقل أثره إلى رواة الحديث في كتب الثقات من السنة، ذلك ما روي أن عمرو بن ثابت البكري الكوفي (١٧٣هـ) وهو من التابعين ومن موالي قبيلة عجل قال عنه أحمد بن حَنْبَل: كان يشتم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وترك ابن المبارك حديثه، وقال عنه الساجي: إنه مذموم، وإنه كان ينال من عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما ورد عن عمر بن ثابت أنه كان يعتقد بردّة الصحابة وكفرهم إلا أربعة وقيل: إلا خمسة. ومن الرواة الذين ورد عنهم في الكوفة إسماعيل بن خليفة العبسي (ت١٦٩هـ) روى عنه الثوري ووكيع، وكذلك ورد اسم يونس الثوري قال عنه البخاري: إنه منكر الحديث، وقال عنه أحمد بن حَنْبَل: إنه كان خبيث الرأي، وإنه متأثر برأي ابن سبأ. وشيوع أفكار السبئية في الكوفة واضحة حتى عمت بلواها إلى بعض الرواة والمحدثين حيث ورد في كتب الرجال أن من أسباب رد حديث الرواة أن ذلك الراوي كان يؤمن برجعة الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الدنيا.

وما نقلناه أعلاه نموذج وأمثلة من أفكار رجال كانوا غالبًا من الموالي ومن أصول غير عربية أو كونهم عربًا متأثرين بالأفكار الأجنبية حيث تبنوها، واتخذوها معتقدًا تكون على إثرها الكثير من الفرق والمقالات التي انتقلت منها الأفكار اليهودية والمجوسية والنصرانية، إضافة إلى أن التشيع منذ أوائل تكوينه كان العامل الاقتصادي أحد أسبابه، فقد كان أهل العالية من القرشيين والأنصار يتسلمون حصة أكبر من العطاء وهذه السياسة يبدو أنها شكلت بعض الأسباب التي استغلها الشيعة السبئية من القبائل اليمنية حيث كان دخولها إلى الإسلام متأخرًا.

وأهم المساجد التي كان يعظمها الشيعة في الكوفة هي مسجد السهلة، ومسجد جعفي، ومسجد الحمراء، وهو لغير العرب (الموالي غير العرب) وقد اتخذت القبائل اليمنية في الكوفة لها جبانات، وهي أماكن تتجمع فيها القبيلة لتنفيذ أغراضها الخاصة، وتبدو أنها تقليد نقلته معها من اليمن، ومن غير المستبعد أن الحسينيات المنتشرة عند الشيعة خاصة في العراق هي تطور عن تلك الجبانات التي تعد من المراكز لنشر التشيع وأفكاره[1].

ثالثًا: انتقال أوائل الشيعة إلى بعض البلاد المفتوحة.

(أ) العرب في أذربيجان.

سكن بعض العرب أذربيجان في أواخر خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي خلافة الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد فتح العرب حصنين مشهورين: أحدهما في مراغة، والآخر في أردبيل، واستوطن كثير من العرب هاتين المدينتين، وكان أكثرهم من قبائل يمنية خاصة من قبيلة كندة وقلة من بني وائل، ويعود

(١) محمد بن يحيى بن أبي بكر الأندلسي: التمهيد والبيان في مقتل عثمان، ص٤٧ وما بعدها دار الثقافة، ١٩٨٥م/ ابن تيمية: العصبية القبلية والإمام المظلوم، ص١٢٣ وما بعدها عثمان بن عفان/ الطبري: تاريخ الطبري، ج٤، ص٥٠٥/ د. الجعيط: الكوفة، ص٤١٦.

السبب في ذلك إلى كون الأشعث بن قيس الكندي واليًا على أذربيجان (عينه الإمام علي في خلافته) في هذه الفترة، ومن المعلوم أن الحسن بن علي بن أبي طالب كان قد تزوج ابنة الأشعث وبطول إقامة هؤلاء العرب في هذه المنطقة فيما بعد أصبح الجميع ناطقين بالفارسية منذ القرن الثالث الهجري، بل ربما أصبحت ثقافتهم فارسية، فقد ذكر أن محمد بن بعيث من بني وائل كان شاعرًا بالفارسية، ومنذ مطلع القرن الثالث الهجري كان في أذربيجان، وخاصة بلاد الديلم وهم شيعة زيدية. وفي القرن السابع الهجري اعتنق بعض الأتراك من القرى هذا المذهب، واستوطنوا هذه المنطقة قادمين من صحاري بلاد المغول.

(ب) **العرب في قم وكاشان.**

يعود وجود العرب في قم وكاشان إلى زمن الفتح الإسلامي حيث سكنت هذه المناطق بعض القبائل العربية خاصة من مسحج والقادمين من الكوفة بالعراق، وبعد ثورة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي في الكوفة سنة ٨٠هـ على الدولة الأموية كان شيعة العراق والكوفة خاصة هم عمود هذه الثورة، وقد ناصر هذه الثورة كثير من الفقهاء حيث لم يتضح بعد مذهب التشيع، ولم تتشكل مبادئه وعقائده، وكان أهم المناصرين الشيعة لهذه الثورة كميل بن زياد النخعي وهو من رجال الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واستمرت هذه الثورة أكثر من سنتين في العراق إلى أن تصدى لها الحجاج بن يوسف، وهزم جيش ابن الأشعث في معركة الجماجم قرب الكوفة، وتشتت جيش بن الأشعث، وهرب بعضهم إلى إيران، ولكنهم تركزوا في قم، وكان أغلبهم من النخع والأشعريين، ويقول ياقوت الحموي: إن قم استخدمها العرب أيام الحجاج سنة ٨٣هـ، وأهلها شيعة إمامية[1] وقد عرف شيعة قم وكاشان بأنهم من غلاة الشيعة، وأنهم عاشوا في ظل التقية قرونًا يكتمون مذهبهم، ونقل عن جلال الدين الرومي في

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٧/ أمير حسين خنجي: إيران الصفوية، ص١٤٤.

كتابه (المثنوي): إنك إن كنت في مدينة كاشان، وكان اسمك عمر فلن تجد خبازًا واحدًا يبيعك الرغيف[١].

وقبل سنة ١٥٠١م استقبل سكان قم وكاشان الجيش الصفوي بالأفراح والأهازيج، وأقاموا الاحتفالات، ونشطوا مع القز لباش في تعقب أهل السنة؛ لإجبارهم على البراءة من الصحابة، أو يقتلونهم، ولم تسلم حتى مدينة سمنان من بطش الشاه إسماعيل على الرغم من أن أهلها زيدية.

رابعًا: الشيعة العرب في الشام.

بعد ثورات العلويين والشيعة أيام الدولة الأموية والدولة العباسية هرب كثير من شيعة الكوفة، خاصة إلى المناطق النائية عن مركز الدولة، فكان منهم في جبل عامل بلبنان وفي حلب والإسكندرون، وكان أكثرهم من غلاة الشيعة المطلوبين للدولة، وذكر البعض أن منهم من كان من القرامطة والإسماعيلية[٢].

وكان يسود في الشام المذهب الحنبلي، ولذا نشأ التشيع في الشام سريًّا ومغاليًا، وقد اُتُهم شيعة الشام بمساعدتهم للصليبين، وتعرضوا لنقمة المجتمع الحنبلي خاصة، وقد أعدم الشيخ شهاب الدين السهروردي بالشام في ظل تلك الأجواء، واتهم شيعة الشام بمساعدة المغول في احتلالهم البلاد، وفي كتابات الشيخ ابن تيمية رد فعل كبير ضد الشيعة عمومًا يوضح الخلافات القائمة في ذلك الوقت. ونتيجة ذلك اتجه كثير من الشيعة إلى أماكن بعيدة والهرب في الجبال وخاصة تلك التي يسكنها المسيحيون مثل جبل عامل بلبنان، وبعد إخضاع العثمانيين الشام قام السلطان سليم بتهجير كثير من شيعة الشام وخاصة حلب إلى الجانب الأوروبي من الدولة العثمانية، وهؤلاء وجدوها فرصة فيما بعد إلى

(١) صالح العلي: امتداد العرب في صدر الإسلام، ص٣٠-٣٥، ط٢، ١٩٨٣م، بيروت.
(٢) د. أمير حسين خنجي: المصدر السابق، ص٣٣٥.

الذهاب إلى الدولة الصفوية المناصرة للتشيّع، ويرى الدكتور أمير حسين خانجي في كتابه (إيران الصفوية)[١].

إن جميع فقهاء إيران منذ البداية وحتي القرن الحادي عشر الهجري كلهم كانوا من العرب وعلى الأخص من القبائل اليمانية، فأغلبهم جاء من العراق، وما نسب إلى طوس وطبرس إلا لأنهم سكنوا تلك المناطق، ويرى أن ابن بابوية القمي صاحب كتاب (من لا يحضره الفقيه) عربي من أهل الكوفة، وأن محمد بن يعقوب الكليني صاحب كتاب (الكافي) عربي الأصل عراقي، بل لم يذهب إلى إيران، وكذلك الشيخ الطوسي محمد بن الحسن الطوسي صاحب كتاب (التهذيب) وكتب أخرى كثيرة في المذهب، وكذلك الطبرسي صاحب التفسير المشهور كلهم عرب لم يكن أي منهم إيرانيًّا، وكذلك يرى أن علماء شيعة الإسماعيلية هم عرب أمثال ناصر خسرو، وحسن الصباح عربي من قبيلة حمير اليمنية الذين كانوا في الكوفة، ويرى في المقابل أن أكثر علماء الإسلام المشهورين بإنتاجهم الفقهي والحديث والفلسفة هم من الإيرانيين (غير الشيعة).

وعلماء الشيعة في العراق كانوا عربًا أمثال الشريف المرتضى والشيخ المفيد (محمد بن محمد بن المعلم ت٤١٣هـ) فهو من قبيلة حارثة اليمنية، وكذلك هو الذي أصل المذهب الإثنا عشري، وتلميذه الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، والشيخ المفيد جيء به إلى إصطخر منفيًّا من الأمير الديلمي بهاء الدولة، ولكنه رجع إلى بغداد بعدئذ.

وفي خوزستان كان يوجد شيعة عرب إمامية معتدلون يسمون المشعشعين، وقد جاؤوا من مدينة واسط بالعراق أوائل الحكم الصفوي، وسكنوا أول الوقت (الهويزة) ولكونهم معتدلين فقد أذاهم الشاه إسماعيل بجنده، وبطش بهم، وينقل خانجي عن (حسن رو ميلو) أنه قبل العصر الصفوي لم يسكن في إيران

(١) د. أمير حسين خنجي، المصدر السابق، ص٣٣٨ .

أي مؤلف كتاب شيعي، ويرى أن أول كتاب فقه عرفه الشيعة في إيران هو (قواعد الإسلام) لابن المطهر الحلي الذى كتب في العراق، ونقل إلى إيران، وكان يعلمه للشيعة القاضي نصير الله زيتوني، وقام فيما بعد الفقهاء العرب الشيعة القادمون من لبنان بتدريس الكتاب للشيعة الإيرانيين، وكان أول هؤلاء العلماء هو علي بن عبدالعال الكركي من مدينة الكرك جنوب لبنان، فقد بدا يكتب، ويفتي بجنده للغزل باش بتعهد طهماسب بمساعدة نعمة الله الحلي والشيخ إبراهيم القطيفي القادم من الأحساء[١].

وتولى كل فَقِيه شيعي عربي قادم من هذه الأماكن رئاسة جماعة من جماعات البراءة التي كانت تدخل تحت حماية أحد القز لباش، ودخل هؤلاء العلماء في منافسة بينهم على الأموال المنهوبة أصلًا من السنة، وانتهت المؤسسة الدينية بانتصار الكركي، وهرب القطيفي إلى الأحساء ونعمة الله إلى الحلة، وانتصر جناح العلماء اللبنانيين، واختفى الشيخ الكركي عند الشاه طهماسب الشاب الصغير (ولي الإمام الغائب) فكان أول تأصيل فقهي في إيران يُمنح للشاه، ولقى بهذا حظوة عند طهماسب، وأضحى رأيه لا يرد، ومن هنا راج سوق فقهاء الشيعة اللبنانيين، ويرى الدكتور خانجي أن الشيخ الكركي هو الذي أفهم القز لباش والشاه طهماسب الشاب الصغير أن السلطة الحقيقة هي للإمام الغائب وما الشاه إلا متلقٍ لتلك السلطة من الإمام الغائب، وهكذا جعل الشاه الشيخ الكركي منبعًا لمشروعية حكمه، ومن هنا ولأول مرة في التشيع ابتدع مقام المرجعية، وتطورت فيما بعد، ولذا فإن فكرة ولاية الفقيه كان الشيخ الكركي أول مبتدعيها في جسم التشيع، وقد أشرت إلى ذلك في كتابي (جذور التشيع). ومن هنا وجب على كل شيعي أن يقلد مرجعًا دينيًّا، وأن يتبعه، ولا يخرج عليه، وهذا البلاء نزل في عقل التشيع الإيراني بالذات في هذه الفترة، وألغي العقل، وحل محله تصديق الخرافات والأكاذيب التي امتلأت بها مؤلفات الشيعة الإيرانيين

(١) د. أمير حسين خنجي: المصدر السابق، ص٣٤١ و٣٤٩.

خاصةً في تلك الفترة، ولقد حلت الحسينيات محل الزوايا الصوفية القديمة ومحل المساجد التي هدمها، وتركها القز لباش والتي لم يعد الإيراني يصلي بها خشية رميه بالتسنن، وقيل: إن الكركي أفتى بأن جميع المساجد التي بناها السنة لم تكن على القبلة الصحيحة؛ ولذا يجب هدمها وبناؤها من جديد، وقام الكركي بتأسيس مدارس للمذهب، وأخذ أطفال السنة والأيتام لتدريسهم التشيع.

الفصل الخامس

الثورات والحركات الإيرانية ضد الدولة العباسية

قامت في أنحاء مختلفة من إيران في العصر العباسي كثير من الثورات والحركات الفارسية المارقة عن الفكر الإسلامي التي تتوجه ضد الحكم العباسي في توجهات مجوسية قومية وشيعية، ومن أهم هذه الحركات الفارسية المارقة:

١- **الروندية**: وهي نسبة إلى ابن الروندي، وأصل عقيدتها منتحلة من الديانة المزدكية الفارسية، وقيل: إن أبا مسلم الخرساني هو الذى عين ابن الروندي للدعاية إلى أحقية الخلافة لآل البيت، وادعت الروندية صفة الإلهية للخليفة المنصور، ويتضح من تاريخ الروندية تحالف الشيعة الغلاة مع الحركة العباسية في أول نشأتها بفارس، وادعت الروندية أيضًا فكرة الحلول الإلهي وفكرة التناسخ، وقد ادعي بعض الروندية أن روح المسيح قد حلت بالإمام علي، ثم انتقلت إلى الأئمة، ونادوا بحلية النساء كما في المزدكية، وقد قضى عليهم المنصور بمساعدة من معن بن زائدة[١].

٢- **البابكية**: وهي المنسوبة إلى بابك الخرمي، وكان من موالي الشبل بن المنفي الأزدي في أذربيجان، وانضوى تحت نفوذ جاويدان، وتزوج امرأته، واستولى على ماله، فورث نفوذًا بين أتباعه الذين اتسع نفوذهم في السلب والنهب وقطع الطريق، فثار ضد المأمون والمعتصم، وقد شهد المؤرخ الشيعي النوبختي

(١) د. علي عبدالرحمن العمرو: أثر الفرس في العصر العباسي، ط٤، ص٣٠٦ وما بعدها - شركة العبيكان - الرياض، ١٩٩٢م، ط٤.
د. فاروق عمر: المصدر السابق، ص٧٩ وما بعدها.

في كتابه (فرق الشيعة) أنهم من الشيعة الغلاة الخارجين عن الإسلام؛ لما ادعوه من عقائد فاسدة. وأهم عقائد البابكية الخرمية هي فكرة الحلول الإلهي، وأن النبوة لا تنقطع، ويَرَوْن أن بابك نبي يوحى إليه، ولا يؤمنون بجنةٍ ولا نار ولا بيوم حساب، ويستحلون المحرمات من النساء المحارم والغلمان، ونادوا بدين اللذة متأثرين بالديانة الفارسية القديمة[١].

٣- **حركة سنباذ:** وأغلب من انضم إلى هذه الحركة هم من الخرمية وبقاياهم، قيل: إنهم يعتقدون بعدم وجود جنة ولا نار، وأمر سنباذ أصحابه بالتوجه في الصلاة إلى الشمس أو النار والتوجه إلى هدم الكعبة[٢].

٤- **حركة المازيار:** وقد أسلم المازيار على يد المأمون، وولاه طبرستان، وأعلن المازيار حركته ضد المعتصم، ونادى بآراء المزدكية، فقضى عليه المعتصم[٣].

٥- **حركة إسحاق الترك:** وهو من أتباع أبومسلم الخرساني، وادعى بعد مقتل أبومسلم أنه سيرجع، وينادي بشريعة زرادشت، وتذكر المصادر التاريخية أن أفكار هذه الجماعة زرادشتية، قد استمر أثرها في مدينة بلخ وما حولها حتى القرن الرابع الهجري.

٦- **طائفة المغيرية:** وهم من أتباع المغيرة بن سعيد العجلي (١٢٠هـ).

٧- **طائفة البيانية:** وهم أتباع بيان بن سمعان التميمي النهدي (ت١١٩هـ) حيث زعم أيضًا بصفة الألوهية لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٨- **فرقة الجناحية:** وهم أتباع عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، وهم القائلون: إن روح الله قد حلت بآدم، ثم في الأنبياء بعده، حتى انتهت إلى علي بن ابي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأولاده ثم إلى عبدالله بن معاوية.

---

(١) الطبري: تاريخ الطبري. ج٧، ص٣٨، ٤٨٠، ٤٩٠.

(٢) المسعودي: مروج الذهب. ج٣ ص٢٢٠، ص٣٠٦.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري. ج٩، ص٩٨.

٩- **فرقة النصيرية**: وهم أتباع النصير النميري القائلون: إن روح الله قد حلت بمحمد ﷺ وفاطمة وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم، ثم حلت بالنميري نفسه، وقد سبق أن فصلنا ذلك في هذا البحث[١].

١٠- **فرقة الحلمانية**: وهم أتباع أبي حلمان الدمشقي الفارسي الذي نشأ في الشام، ونشر القول بفكرة الحلول.

١١- **فرقة الرزامية**: وهم أتباع رزام بن رزم من أهل خرسان، ونسبت أيضًا فكرة الحلول إلى فرق إسلامية كثيرة ضالة مثل الشعيرية أتباع محمد بن موسى الشعيري، والعذاقرة أتباع أبي جعفر علي الشلغماني (ت٣٢٢هـ) وكذلك فرقة الخطابية أتباع أبوالخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع مولى بني أسد (ت١٤٣هـ) حيث زعموا بألوهية علي بن أبي طالب وجعفر الصادق ومنهم فرقة المفوضية القائلين: إن الله قد فوض تدبير الكون إلى الأئمة (أئمة الشيعة) ومنهم الإسحاقية، وهم أتباع زيد بن الحارث (ت٢٧٢هـ) ومؤرخو الفرق أدخلوا بعض القائلين في الحلول في حديثهم، عن الفرق الإسلامية الضالة كفرقة الدروز، وفرقة الإسماعيلية الفاطمية، وخلاصة الكلام: إن أكثر القائلين بفكرة الحلول هؤلاء هم من الشيعة الغلاة وبعض فرق الصوفية ونسب القول بالحلول أيضًا إلى فرقة الجهمية، وهم أتباع الجهم بن صفوان (ت١٢٨هـ) وينسب القول بالحلول لبعض الجهمية، ومن القائلين بفكرة الحلول بعض الطوائف المنسلخة عن الشيعة الإثنا عشرية كالبابية والقاديانية[٢].

---

(١) د. فاروق عمر. المصدر السابق. ص ٨٩ وما بعدها.

(٢) أ. د. محمد عبدالعزيز بن أحمد العلي: (عقيدة الحلول والتناسخ عرضًا ونقدًا): ص١١٤-٢٩٦- دار الصميعي للنشر- ط١، الرياض، سنة ١٤٣٠هـ.

١٢- **حركة فريد:** ثار بنيسابور سنة ١٢٩هـ، ونادى بأفكار زرادشت، وإنه خليفته مرسل من السماء، وفرض على أصحابه التوجه إلى الشمس بسبع صلوات، وتأثر بأفكاره أشنان الذي نشرها في مدينة بادغيش التي استمرت آثارها حتى القرن الرابع الهجري كما يشير إلى ذلك ابن النديم في كتابه (الفهرست)[١].

١٣- **حركة المقنع:** ظهرت هذه الحركة في خراسان ضد الخليفة المهدي، وقد نادى، وادعى بفكرة التناسخ والحلول كما في الزرادشتية، وادعى أيضًا أنه سيرجع بعد موته، وأسقط عن أتباعه فرائض الإسلام، وأباح دماء المسلمين واستحلال النساء وشرب الخمر، وقد طال أثر هذه الحركة حتى قضى عليها الخليفة المهدي إن هذه الحركات التي نشأت منذ أوائل الدولة العباسية، واتسمت بالعنف والثورة ضد العرب والإسلام، وذلك بما حملته، ونادت به من أفكار وعناصر مجوسية على اختلاف أنواعها من زرادشتية وبابكية ومانوية، واستمر أثرها حتى القرن الرابع الهجري كما شهد بذلك ابن النديم في القرن الرابع حينما استولى البويهيون على الحكم بفارس وبغداد كانت هذه الأفكار ممهدة بسيادة مذهب الشيعة الذي فرضه البويهيون، ومن هنا ندرك أهمية هذا الجسر الذي عبرت منه عناصر الديانة الفارسية القديمة إلى التشيع، وخاصةً المغالي، والسبب الذي دعانا إلى الإشارة لهذه الحركات التي قام بها غير العرب من العجم الموالي وإشارتنا لبعض أفكارها هو امتداد أثارها إلى روايات الحديث عند الشيعة الإثنا عشرية على الرغم من أنهم يتبرؤون منها، التي يجدها القارئ مبثوثة في ثنايا كتاب (الكافي) للكُليني أو في كتاب (بحار الأنوار)

---

(١) ابن النديم: الفهرست، ص٣٤٤.

للمجلسي وغيرها من كتب الحديث، ولم يستطع علماء الشيعة الإثنا عشرية تنقية هذه الكتب من تلك الأفكار التي أصبحت وبالًا على المذهب.

ولهذا أوردنا تلك الحركات بوصفها جسرًا عبرت منه كثير من العناصر الفارسية والهندية القديمة إلى التشيع مع أن الشيعة الإثنا عشرية يتبرؤون من هذه الحركات ومن أفكارها[١].

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق. ص٢٤٤، ابن الأثير: الكامل، ج٦، البروفيسور غلام حسين صديقي: الحركات الدينية في إيران: المركز الأكاديمي للأبحاث - بيروت، ٢٠١٣هـ (رسالة دكتوراه في جامعة السوربون).

الفَصْلُ السَّادِسُ

إيران والعراق في عهد البويهيين

ظهر البويهيون في بلاد الديلم غرب إيران المكونة من جبال الديلم وبحر الخزر وطبرستان وجيلان وأردبيل، وهم من الجنس الفارسي، ويتكلمون الفارسية، وتصل حدودها إلى خرسان وأذربيجان، ومنذ مطلع القرن الثالث ضعف نفوذ العنصر العربي في تحكمه بهذه المنطقة، وحل محله العنصر الفارسي واستقلال بعض الأمراء عن الدولة العباسية، وقد تميز هذا الإقليم بكثرة الثورات والحركات المارقة والشعوبية على دولة الخلافة العباسية.

والحقيقة منذ عهد الخليفة المعتصم حيث أدخل في جيشه العنصر التركي بعد تراخي العنصر العربي في الجيش، حيث اضطر الخليفة إلى إسكانهم خارج سر من رأى (سامراء) ما شجع العناصر غير العربية في الأطراف البعيدة عن مركز الخلافة على الاستقلال عن الدولة، وفي سنة ١٧٦هـ دخل بلاد الديلم بعض العلويين الهاربين من الكوفة وهم يحملون مذهب الشيعة الزيدية، فقاموا بنشر الإسلام على المذهب الزيدي خاصة في المناطق الجبلية التي لم يبلغها الإسلام حيث بدأ يحيى بن عبدالله العلوي نشاطه في هذه المنطقة، ولكن بعد أن بلغ الخليفة الرشيد خطره قام بالقبض عليه وعلى ابنه الفضل، وسجن ببغداد فترة من الزمن، ثم أطلق سراحه إرضاءً للعلويين، ولكن سجن مرةً أخرى حتى مات في سجنه، ولكن الدعوة الزيدية استمرت في هذه المنطقة، ويبدو أن الدعوة لمذهب الشيعة الزيدية قد انتشرت في خرسان على يد الداعي يحيى بن عمر العلوي الذي انتقل فيما بعد إلى الكوفة، وجمع فيها جيشًا ثار به سنة ٢٥٠هـ ضد

الخلافة العباسية، ولكن جيش العباسيين وبمساعدة من الطاهرين السنة قضى على هذه الثورة، وقتل يحيى بن عمر[١].

وقد هرب الحسن بن زيد العلوي من الجيش الثائر إلى طبرستان من بلاد الديلم، ونشر فيها الدعوة الزيدية، وتجمع حوله الديالمة الذين اعتنقوا الإسلام على المذهب الزيدي بعد أن كان أجدادهم من المجوس في هذه الجبال المنعزلة، ولكن الخليفة المستعين بالله أرسل جيشًا هزم به جيش الحسن بن زيد العلوي على بحر قزوين، ولكن الحسن بن زيد عاد سنة ٢٥٧هـ على الري وطبرستان بعد ضعف ولاة العباسيين وفيها توفي سنة ٢٧٠هـ، فخلفه أخوه محمد الذي دخل في نزاع مع جيوش الأقاليم المناصرة للعباسيين والسامانيين، وأخيرًا قتل في جرجان سنة ٢٧٨هـ، ووقعت طبرستان وما حولها في قبضة السامانيين الذين أحسنوا معاملة الزيدية من الديالمة، ولما ضعفت قبضة السامانيين على طبرستان استولى الحسن بن علي العلوي الملقب بالأطروش على حكم طبرستان، ونجح بذلك بسبب انتشار المذهب الزيدي في هذه منذ زمن، وكان في جيش الأطروش بويه الديلمي على مذهب الزيدية وأجداده من المجوس، وكان له أبناء ثلاثة علي وأحمد والحسن.

وعمومًا اتسم القرن الثالث والرابع الهجري في إيران بظهور ولايات عدة أو أقاليم تابعة شكلًا للخلافة العباسية، ولكنها تتمتع بالكثير من الاستقلال كظهور السامانيين في خراسان والصفاريين والنزاريين (الحشاشين الإسماعيلية) والبريديين في الأحواز والغزنويين في غزنة وبلاد الأفغان حيث وصل سلطانهم إلى بلاد البنجاب في الهند على يد السلطان محمود الغزنوي سنة ٤٢٥هـ، وغيرهم حيث امتزج النفوذ العربي والنفوذ الإيراني والفارسي في هذه المنطقة، وأظهر هذا الامتزاج خدمة تلك الأقاليم والإمارات عمومًا لامتداد الإسلام

(١) د. فاروق عمر: المصدر السابق، ص١٣٢ وما بعدها.

والعرب معًا، حيث ترجمة الكثير من الكتب العربية إلى الفارسية على الرغم من ظهور النزاعات غير العربية التي تمجد الأصول الفارسية والزرادشتية حملتها كثير من الكتب ككتاب الشاه ناما للفردوسي وأشعار حافظ والخيام وغيرهما.

ظهور الدولة البويهية:

في سنة ٣٠٤هـ دخل حسن الأطروش في معركة ضد جيش الري قتل فيها بعد انتصار جيشه، فاستخلف من بعده الحسن بن القاسم العلوي، فدخل بويه وابنه علي في جيش الحسن، فأخضع الحسن الري وقزوين ولأبهر وزنجان وقم إلى سلطانه بمساعدة من بويه، ولكن الحسن بن القاسم قتل في إحدى معاركه سنة ٣١٦هـ، فآلت الأمور إلى مردا ويج الديلمي، وكان معه الابن الأكبر علي بن بويه، وقد اشترك بويه وأولاده في إخضاع طبرستان للمذهب الزيدي العلوي سنة ٣١٦هـ، وانضم الابن علي بن بويه إلى جيش السامانيين في خرسان من سنة (٣٠١-٣٣١هـ) وقد تولى علي بن بابوية ولاية الكرج بأمر من مردا ويج لأول مرة ساعده أخواه الحسن وأحمد. وقد حاول مردويج القضاء على علي بن بويه، ولكن علي زحف على أصفهان، ثم دخل، واحتل أرجان سنة ٣٢١هـ، ثم استولى على النوبندجان ثم شيراز، وكتب للخليفة العباسي الراضي بالله مقرًّا الدخول في طاعته، وأنه سوف يدفع له الخراج فلما أرسل الخليفة رسوله بالخطاب الموافق على ذلك على أن يقبض الرسول مبلغ الخراج الموعود لكن علي بن بويه حبس الرسول عنده حتى توفي، ودانت فارس إلى سلطة علي بن بويه مستغلًّا بذلك ضعف ولاة العباسيين والسامانيين على الأهواز خاصة وعلى الأقاليم الجنوبية الشرقية. وقد ساعده أخواه الحسن وأحمد بقيادة جيوش الديلم، وبسط نفوذهم على إيران. وخضعت الأهواز والبصرة إلى نفوذ أحمد بن بويه بعد إخضاع البريدي، فأصبح لأحمد نفوذ واسع وقيادة قوية على جيش الديلم وذلك بمساعدة من أخيه علي، وساعد أخوه الحسن على الاستيلاء على أصفهان وما جاورها.

البويهيون والدولة العباسية:

كان العنصر التركي في عهد المستكفي بالله ومن قبله من الخلفاء هم شوكة الجيش العباسي، فكانوا يتحكمون ببعض الخلفاء، وقد عمد مؤنس إلى قتل الخليفة المقتدر بالله وفي هذه الفترة ضعفت الأموال التي كانت تجبى للخلافة في بغداد نتيجة استقلال البويهيين والسامانيين والبريديين عن الخلافة ما تسبب في تفكك العنصر التركي وضعفه أيضًا. وفي سنة ٣٢٩هـ نصب الخليفة المتقي بالله كورتكي الديلمي على الجيش، فكان نفوذ الديلم يظهر لأول مرة، وأصبحت هذه الفترة سجالًا بين نفوذ الترك والديلم حيث تشجع البريديون، فاحتلوا بغداد، فهرب الخليفة إلى الحمدانيين في الشام، فأرجع الحمدانيون الخليفة إلى بغداد، وقام الخليفة بتعيين توزون قائدًا على جيشه، ولم يبقَ للخلافة مهابة، وانتقلت الأموال إلى الأمراء من الترك والديلم، ولما سار توزون إلى الموصل لقمع حركة فيها استغل أحمد بن بويه الهجوم على واسط سنة ٣٣٢هـ، وبعدها اتجه أحمد، فاحتل بغداد، فسار إليه توزون لمحاربته، ولكن أحمد انتصر عليه أول مرة، ثم استجمع توزون قوته، فهزم أحمد متجهًا إلى الأهواز سنة ٣٣٢هـ فتجهز أحمد بجيش سار به فيما بعد إلى بغداد، فهرب الخليفة ومن معه خارجها، ولكنه رجع بعد أن تفاهم مع أحمد، فعينه أميرًا للأمراء، وسماه (عضد الدولة) وسمى أخاه عليًّا (عماد الدولة) وأخاه الحسن (ركن الدولة) وانتزع البويهيون صلاحيات الخليفة في الحكم، واستبدوا بالأمر، فلم يبقَ للخليفة إلا اسمه على الصك والدعاء له يوم الجمعة، وكان احتلال عضد الدولة لبغداد والعراق سنة ٣٣٤هـ فكان هو والديلم على مذهب الشيعة الزيدية حيث اشرأبت أعناق زيدية بغداد للحكم، وقالوا لعضد الدولة: إن الحكم بحسب قواعد المذهب هو للداعي الزيدي، ولما علم عضد الدولة بأن الشيعة الإثنا عشرية يعتقدون أن الإمامة هي للإمام الغائب، نادى بالمذهب الإثنا عشري، ونكل بالزيدية، فهربوا، وقام

عضد الدولة بتقريب شيوخ الشيعة الإثنا عشرية وعلى رأسهم الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان الشهير بابن المعلم (ت٤١٣هـ)، وبعد فترة قام عضد الدولة بعزل الخليفة المستكفي بالله، ونصب بدله المطيع لله، وفكر عضد الدولة بنقل الخلافة إلى العلويين، ولكن أشير عليه بخطرهم على الحكم البويهي، وأن من الأفضل إبقاء العباسيين خلفاء من حيث الشكل فقط؛ لأن أغلب الأمة تدين لهم منذ زمن طويل، فانتشر التشيع الإثنا عشري في العراق وإيران، وظهرت مواكب عزاء الحسين في عاشوراء، وكثرت الاشتباكات بين السنة والشيعة خاصة في الكرخ، وسادت ظاهرة شتم الصحابة وعائشة ومعاوية، واحتفل البويهيون بمناسبات الشيعة كغدير وخم وغيرها، وتشجع علماء الشيعة الإثنا عشرية على الكتابة عن مذهبهم، فقام محمد بن الحسن الطوسي بشرح كتاب أستاذه الشيخ المفيد المسمى المقنعة، وسمى شرحه كتاب التهذيب وألف كتاب المبسوط، أما الشيخ المفيد فصرح علانية بكتبه خاصة (أوائل المقالات) وكتاب (الأمالي) وكتاب (الاختصاص) سطر فيها خلافات الشيعة الإثنا عشرية مع السنة في نكاح المتعة وتحريف القرآن وصفات الائمة الاثني عشر وغيرها، فقد كان عضد الدولة يركب ببغداد، فيزور الشيخ المفيد بداره، ووجد شيعة إيران الإثنا عشرية في عهد البويهيين حرية كبيرة، فكتب محمد بن يعقوب الكليني كتابه المعروف بـ (الكافي) وكتب ابن بابوية القمي كتابه (من لا يحضره الفقيه) وكتابه (علل الشرائع) وغيرهم من شيوخ الشيعة الإثنا عشرية الذين وجدو أنفسهم أحرارًا في الكتابة وجمع مأثورات المذهب وتبويبها بشكل يشابه ما عليه الحال عند السنة، فانتشر مذهب الشيعة الإثنا عشرية في كل من إيران والعراق خاصة في هذا العهد[1].

(١) أ. د. إبراهيم سليمان الكروي: البويهيون والخلافة العباسية، ص٤٥ وما بعدها- مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ٢٠٠٨م.

وقد شجع ضعف الخلافة العباسية وضعف السنة عمومًا على انتشار التشيع في العالم الإسلامي ما دفع الفاطميين بمصر وهم على مذهب الشيعة الإسماعيلية إلى إرسال دعاتهم إلى العراق وإيران، فظهر بإيران سنة ٤٣٥هـ الداعي الإسماعيلي هبة الله الشيرازي الذي تقرب من البويهيين قاصدًا نشر المذهب الذي انتشر فيما بعد على يد الحشاشين في قلعة الموت، وقد دفع عضد الدولة الخليفة لاستصدار بيان من العلماء يطعن فيه بنسب الفاطميين رغبة منه في إبعاد نفوذهم عن العراق، واستقر الحكم للبويهيين في إيران والعراق على الرغم من محاولة خصومهم الإيقاع بين الإخوة[١].

ولكن بعد وفاة عضد الدولة ببغداد استقل الأمراء البويهيون بشؤون إيران، وذلك من قبل بهاء الدولة وفخر الدولة ما أضعف البويهيين، ومهد لحكم السلاجقة، فسقطوا سنة (٤٢٢هـ)[٢].

تفسير مناحة العزاء على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ذهب كثير من الكتاب والمؤرخين مذاهب شتى في تفسير شيوع البكاء على مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكون البويهيين قد اتهموا بأنهم من أوائل من أدخل مراسم البكاء في عاشوراء على الحسين في بغداد وكربلاء التي تضم قبر الإمام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الموجود ضريحه بها الذي يُعدّ محجًّا للشيعة كما تحتوي على كثير من الأضرحة مثل ضريح أخي الحسين غير الشقيق العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ضريح صاحب الحسين في المعركة الحر بن يزيد الرياحي وعون بن عبدالله بن جعفر بكربلاء (قد سبق أن الخليفة المتوكل قد حرث القبر لإخفاء معالمه وطرد من وُجِد حوله) نلخص أدناه مذاهب الدارسين لهذه الظاهرة كما يلي:

---

(١) أ. د. إبراهيم سليمان الكروي: المصدر السابق، ص١٢٨.

(٢) الدكتور: فاروق عمر المصدر: ص١٤٣ وما بعدها، ص١٤٨-١٤٩.

١- يذهب أكثر المؤرخين العرب كابن كثير في تاريخه وابن مسكويه في (تاريخ الملوك) وابن الجوزي في كتابه (المنتظم) وغيرهم، يقولون: إن الإيرانيين البويهيين هم أول من أدخل مواكب العزاء الحسينية في عاشوراء، فكان الشيعة وخاصة في الكرخ يخرجون بهذه المواكب، فيطوفون بشوارع بغداد مظهرين قوتهم أمام السنة ما تسبب في صدام مستمر بين الطرفين، والسؤال هنا: هل هذه العادة إيرانية جلبها البويهيون معهم، فأدخلوها في العراق أم أنها كانت كامنةً فاستنهضوها لخدمة أغراضهم السياسية؟ وسنؤجل إجابتنا بعد الانتهاء من استعراض بقية الآراء[1].

٢- إن مراسم العزاء الحسينية يرجع أصلها إلى عادة البكاء على تموز إله بابل في العهد الأشوري، فبعد مأساة قتل الحسين أسرع الناس في المنطقة نفسها إلى ما كان يفعله الأجداد منذ القديم، وهذا الرأي قال به الدكتور كامل الشيبي في كتابه (العلاقة بين التشيع والتصوف).

٣- يرى الدكتور فاضل الربيعي في كتابه (المناحة العظيمة) أن طقوس هذا العزاء ليس لها علاقة بالفرس، وينفي أن يكون الفرس قبل الإسلام قد اعتادوا هذه الفكرة، وإنما في رأيه ترجع إلى جذور تاريخية منها القديم كالبكاء على الإله تموز عند الآشوريين، والبكاء على هدم أورشليم والهيكل عند اليهود، ومنها في الأصل ما يرجع إلى العلاقة التاريخية بين السنة والشيعة، حيث أشار إلى جذور الخلافة بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثم بين يزيد والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم في موقف عبدالله بن زياد والمغيرة بن شعبة وما جرى في الكوفة على مسلم بن عقيل ثم في واقعة قتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أرض كربلاء، وهذا في الحقيقة رأي أكثر الشيعة الذين يرون أن عزاء الحسين هو تجسيد

(١) د. عبدالهادي التازي: إيران بين الأمس واليوم قراءة جديدة (لرحلة ابن بطوطة) المعهد الجامعي للبحث العلمي -المغرب- الدار البيضاء- ١٩٨٤م، ص٤١ وص٩٦.

لما أصاب الشيعة في تاريخهم الطويل في العهد الأموي والعباسي خاصة، وما لحقهم من نكبات[١] وقد استعرض ما كان عليه العرب قبل الإسلام من عادة البكاء والنياحة على الميت، وأورد الشواهد الكثيرة في الحيرة والعراق ومكة وتيماء واليمن، وظن أن تلك الشواهد تدل على أن أصل عزاء الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنما يرجع إلى تلك العادة العربية القديمة إضافة إلى ما ورثته المنطقة من تقليد نياحة عشتار على تموز عند البابليين، والحقيقة أن عموم العرب وقبائلهم خاصة الشمالية ليس لها هذا الميراث من العزاء كما هو مطبق عند الشيعة، والحقيقة أن الشيعة العرب منذ القديم قد تأثروا بالعادات اليهودية والفارسية والنصرانية خاصة الحواضر، وأما البادية من القبائل العربية وهم الأكثرية في جزيرة العرب فلا تعرف ولم تمارس هذا الطقس من العزاء، وقد كفانا الكاتب الربيعي مشقة التدليل على ما نقول حيث أورد الشواهد التاريخية القديمة، وكلها تدل بوضوح على أن بعض العرب قد أخذوا، وتأثروا بعادة العزاء من ميراث عناصر أجنبية أخصها يهودية ونصرانية ومجوسية، وقد اعترف الكاتب نفسه بأن الفرس قبل الإسلام قد تأثروا بعادة البكاء على تموز في بابل (انظر: صفحة ٨٨ من كتابه المذكور) والحقيقة أن كثيرًا من المسلمين العرب الذين كانوا على تماسّ بتلك الديانات في كل من يثرب وتيماء واليمن والحيرة، وعموم العراق كانوا عرضة لانتقال عادة النياحة والعزاء وهؤلاء لم يرثوا فقط هذه العادة وحدها بل ورثوا تلك الأفكار السبئية من فكرة العزاء والتقية والبداء وتعظيم أئمتهم بشكل يخرجهم عن آدميتهم إلى أن يكونوا في مصاف أعلى من الأنبياء وما إلى ذلك من عقائد الشيعة السبئية المعروفة عند الباحثين، والحقيقة أن الإيرانيين والعرب المتأثرين بتلك الديانات القديمة هم الذين قاموا بتضخيم العزاء على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مدفوعين بعوامل عقائدية وسياسية حيث إن

(١) فاضل الربيعي: المناحة العظيمة، ص٧ وما بعدها -جداول للنشر والتوزيع- لبنان، ٢٠١١م.

الإيرانيين قد ادعوا أن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد تزوج من ابنة الملك الساساني فجرى نور الإله أهورا مازدا في أصلاب أئمتهم وإلا فلماذا اختصت صورة العزاء بالحسين، ولم تكن لأبيه الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي اغتيل في مسجد الكوفة أليس الأب أولى بذلك، وقد تناولت هذا الموضوع باستفاضة والتدليل عليه بشكل علمي في كتابي (أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة) وكتابي الآخر (أثر العناصر الأجنبية على بعض الشيعة الإمامية)[1].

٤- وقد أشار الرحالة ابن بطوطة في رحلاته إلى إيران إلى عادة شيعة إيران اللطم وضربهم على صدورهم بمناسبة عاشوراء، وأورد هذا الرحالة كيف كان وهو في شيراز سنة ٧٢٧هـ حيث ورد على أميرها وفد من بغداد من قبل السلطان المغولي يأمر الأقاليم باعتناق مذهب الشيعة الإثنا عشرية. ويذكر ابن بطوطة في رحلته الرابعة إلى إيران الصدام الدامي بين أمير مدينة بيهق حيث كانوا على مذهب الشيعة الإثنا عشرية وأمير مدينة هرات الذين كانوا على مذهب السنة، وكانت الهزيمة قد دارت على شيعة بيهق.

(١) د. صابر طعيمة: الأصول العقدية للإمام إمامية، ص١٦-٢٨ وما بعدها، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤م.

الفَصْلُ السَّابِعُ

إيران والعراق في عهد السلاجقة

السلاجقة قبائل تركية عدة نزحت من آسيا الصغرى في أواخر القران الرابع الهجري، واستوطنوا خرسان، ثم استولوا على نيسابور، وكانوا قد دخلوا الإسلام على مذهب السنة، وتمكنوا من تأسيس أنفسهم بعد انتهاء الغزنويين وسقوطهم، وقد انتصروا على السامانيين الذين كانوا يحكمون بعض أطراف إيران، ثم اكتسحوا نفوذ البويهيين في كل من إيران والعراق، وحكموا الشام، ووقفوا ضد الحروب الصليبية وضد تدخلات الدولة الفاطمية بمصر، ولقد أسقط السلاجقة السلطة الغزنوية سنة ٤٣١هـ، واعترف بهم الخليفة العباسي، بقيادة طغرل بيك، ثم استولى على الري، واتخذها عاصمة، وفازوا باعتراف الخليفة العباسي بفتوحاتهم وسلطتهم، وقسم سلاطين السلاجقة حكم الأقاليم بينهم خاصة في إيران والعراق، واعتمدوا على تأييد العلماء والصوفية، فانتعشت بذلك الفرق الصوفية في عهدهم، وقد يرجع ذلك إلى سبب نشأتهم في آسيا الصغرى وسبب تأثر المسلمين بالديانات والمذاهب الأخرى التي تلتقي مع التصوف في الفكر، وحيث ضعفت قوة البويهيين على الحكم، وكثر تدخل الفاطميين في هذا الوقت جاء طغرل بجيشه، ودخل بغداد سنة ٤٤٧هـ، وطرد النفوذ البويهي، وتوفي طغرل في الري سنة ٤٥٥هـ ومع أن خلافات قد حدثت بين السلاجقة حول الحكم إلا أن الأمور آلت إلى ألب أرسلان الذي كان في الري أيضًا، وبسط نفوذه فيما بعد على العراق والشام، ففي العراق نصب وزيره نظام الملك الذي اشتهر بالمعرفة والحكمة، فهو الذي أنشأ المدرسة النظامية ببغداد، وقد قتله الشيعة الحشاشون الذين علا شأنهم في الشام وسواحل البحر الأبيض المتوسط[١].

---

(١) د. عبدالنعيم محمد حسنين: إيران والعراق في العصر السلجوقي، ص٩ وما بعدها -دار الكتاب اللبناني- بيروت، ١٩٨٢م.

واتجه ألب أرسلان لقمع الحركات الثائرة ضده خاصة في إيران، فلما استقرت الأمور إليه اتجه لتحقيق أهدافه الكبرى؛ وذلك بنشر الإسلام في أصقاع الدولة البيزنطية التي سادت فيها الديانة النصرانية، فقاد جيشه من أذربيجان، وأخضع بلاد الأرمن وجورجيا حيث أدخل الإسلام إليها، ثم اتجه إلى الشام، وأخضع حلب، وانتشلها من نفوذ الفاطميين، وعزز حدود الدول ضد بلاد القيصر بيزنطة، وأخضع فلسطين وبيت المقدس لنفوذه، وكان ذلك عام ٤٦٣هـ، ثم حارب جيش الروم، وانتصر عليهم في معركة ملازكرد، وأسر قيصر الروم، فانحسر نفوذ الدولة الرومانية عن آسيا الصغرى ما سهل فيما بعد الأمور لحكم العثمانيين، ووصل نفوذ السلاجقة إلى مدينة قونية وما حولها، ونشر السلاجقة الإسلام في هذه المنطقة زمنًا طويلًا تحت نفوذ الروم ما جعل ملوك أوروبا يتخوفون من هذا الزحف؛ ولذا بعد عشرين سنة بدأت الحروب الصليبية لصد الإسلام، وخاصة في الشام وفلسطين لإيقاف هذا الزحف، وقد قتل ألب أرسلان سنة ٤٦٥هـ قريبًا من مرو بإيران، ودفن فيها، وقتل انتقامًا على يد أحد قواد الأمراء الخانيين فيما وراء النهر سنة ٤٦٥ - عن عمر ٤٤ سنة، فخلفه ابنه ملك شاه، حيث قمع ثورة عمه المطالب بالسلطان، وساعده على ذلك الوزير نظام الملك، فأعاد إخضاع بلاد الشام وحلب ودمشق خاصة لنفوذه كل ذلك باسم الخلافة ببغداد باعتبار أن الخليفة العباسي قد أوكل إليهم فعل ذلك، فاتسعت دولة الإسلام في عهدهم مشتملة على كثير من الشعوب والأقوام، ولكن دب في دولتهم عوامل الضعف التي نختصرها فيما يلي:

١- ظهور الدعوة للمذهب الإسماعيلي الفاطمي في إيران خاصة على يد الحشاشين (كانوا يتناولون الحشيش) ويرجع نفوذ الإسماعيلية الحشاشين إلى حسن الصباح حيث كان في الري، وتنقل في الشام والعراق، ثم استقر به المقام بمصر عند الفاطميين، وانتهز فرصة انقسام وتأسيس دولة فاطمية

صغيرة في الإسكندرية انفصلت عن القاهرة، ولكن السلطان الفاطمي قضى عليها، فهرب حسن الصباح إلى مكان مولده، ونشر التشيع الإسماعيلي سنة ٤٧١هـ، فكون بذلك جيشًا من الإسماعيلية النزارية (الحشاشون) واتخذ سنة ٤٨٣هـ قلعة الموت بإيران مركزًا له، فألفوا فرقًا فدائية تقوم بقتل مخالفيهم.

٢- من الأمراء والوزراء والقضاة، فقد قاموا بقتل الوزير السلجوقي الحاكم ببغداد نظام الملك، وهو يستعد لاستقبال السلطان السلجوقي ملك شاه، وقد تنبه السلاجقة لخطرهم سنة ٤٨٥هـ، وبعد هذه الحادثة ضعف حكم السلاجقة نتيجة الخلافات فيما بين أمرائهم الذين يحكمون الأقاليم في إيران والعراق خاصة وكذلك الخلاف بين أمرائهم ووزرائهم من جهة والخلافة العباسية، إلا أن أهم عدوين اصطدما بالسلاجقة هما الفاطميون الإسماعيليون حكام مصر، ثم الصليبيون الذين تجمعوا بقوة ملوك أوروبا والكنيسة المسيحية.

٣- وقد ذهب الإسماعيلية في أصفهان وما حولها من قلاع، وأصبحوا يهددون سلطان السلاجقة، فقام السلطان محمد السلجوقي بحصار قلعة الموت وفيها زعيم الإسماعيلية، ولكنه لم يقدر على فتحها ما جرأ الإسماعيلية على نشر مذهبهم في الشام وانتقال حسن الصباح ونشر الدعوة الإسماعيلية على سواحل البحر المتوسط، فانتشر مذهبهم في اللاذقية وأنطاكية وسور وجبل عامل وغيرها، واعتمد الإسماعيلية على نشر مذهبهم بالقوة والتهديد، فألفوا كتائب الفدائية لتقوم باغتيال الزعماء من خصومهم من وزراء أو قضاة سواء كان في إيران أو الشام.

٤- أما خطر الحروب الصليبية فقد كانت سببًا لضعف حكم السلاجقة، وبسبب حقد الصليبين على السلاجقة، فقد تجمعوا سنة٤٩٢هـ لغزو بيت

المقدس مدعين أن المسلمين يمنعون النصارى من زيارة القدس، وأنهم يجاهرون بعداء النصرانية، فقد نادى بابا روما والقيصر لحرب صليبية ضد المسلمين وطلبا جيشًا من ملوك أوروبا، فتجمع في القسطنطينية جيش كبير زحف على مراكز السلاجقة في بلاد الأناضول ونيقية، ثم اتجه إلى جبال طوروس، ودخل أنطاكية، ولم يستطع السلاجقة صد هذا السيل الجارف سنة ٤٩١هـ ما مكن الصليبيين من الاستيلاء على سواحل البحر الأبيض المتوسط بانياس، وطرسوس، وعكا...

٥- اختلاف قوة السلاجقة والفاطميين الذين كانوا يحكمون هذه المنطقة وانقسام قوى المسلمين فيما بينهم، فقد كان الفاطميون يحكمون بيت المقدس قبل استيلاء الصليبيين عليها، وبعد تعاظم الخطر الصليبي التجأ الناس إلى الخلافة في بغداد طالبين صد هجومهم، ولكن كانت الخلافة وسلطان السلاجقة في حالة ضعف، وبعد إلحاح سنة ٥٠٩هـ جمع الخليفة والسلطان محمد السلجوقي جيشًا سار به لمحاربة الصليبين، ولكن هذا الجيش لم يستطع الانتصار على الموجات الصليبية المتتالية، ولم ينتصر الفاطميون على الرغم من قوة أسطولهم البحري، فقد استمر الحكم الصليبي لفلسطين والشام ما يقرب من قرنين من الزمن، ودب الخلاف أول الأمر بين سلاجقة إيران وسلاجقة العراق كلٌّ منهم يريد التغلب على السلطة، وقد كان سلاجقة إيران هم الأقوى في هذه الفترة، وخاصة في خرسان غير أن دولة القبائل التركية من الفترة الخطائية والخوارزمية بدأت بالتمدد من بلاد ما وراء النهر إلى إيران والانتصار على السلاجقة.

أما سلاجقة العراق فقد انتهى بهم الأمر إلى الخلاف فيما بينهم وظهور قوة متشاكسة هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم يتمتعوا بثقة الخلافة العباسية التي كانت في أوج ضعفها، ولكن قوة أخرى برزت في العالم الإسلامي وهي

قوة صلاح الدين الأيوبي حيث كان أحد قادة الجيش الفاطمي بمصر، فلما شاهد انحراف الفاطميين وتخاذلهم عن حرب الصليبين قام وأنصاره بإسقاط الخلافة الفاطمية بمصر، ثم بسط نفوذه على اليمن، ثم بسط نفوذه على سوريا والموصل، فوحد هذه الجبهة ضد الصليبين، واعترف له الخليفة العباسي بالسلطة والإمارة، فبدأ بغزو الصليبيين وقتالهم بادئًا من طبرية، ثم التقى الجيش الصليبي في معركة حطين الشهيرة، فكان هو المنتصر، وبدأ بتطهير نفوذ الصليبيين من مدن الشام إلى أن وصل سنة ٥٨١هـ إلى أن دخل القدس، فأحس ملوك أوروبا بهذا الخطر، فتجهز فريدريك إمبراطور ألمانيا، وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا، وفليب أغسطس ملك فرنسا، فتمكنوا من الاستيلاء على عكا سنة ٥٨٧هـ ولكن أخيرًا تمت الغلبة لجيوش المسلمين ودحر الصليبيين في وقت وفاة صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٩هـ[١].

الحالة الدينية والاجتماعية في العصر السلجوقي:

الأصل في حياة السلاجقة أنها كانت بدوية، ولكن بعد استقرارهم في الأمصار وتعاملهم في الحكم تغيرت أحوالهم، فنظموا دولة السلطنة التي هي أساس حكمهم، فاكتسبت شرعية من اعتراف الخلافة العباسية لها، ونظموا منصب الوزارة والدواوين والشرطة بما يتناسب مع احتياجات الحكم في كلٍّ من إيران والعراق خاصة، وعمومًا فقد كان هناك رضا نسبي من قبل المجتمع السني وتأييد الخلافة لهم، ولكن تدهور الأحوال الاقتصادية والخلافات بين أمراء السلاجقة انعكست على الوضع الاجتماعي خاصة في أواخر حكمهم، فانتشر التشيع الإسماعيلي في إيران والشام، وأصبحت ظاهرة الاقتتال بين المذاهب ظاهرة شائعة حتى عمت مذاهب السنة أنفسهم حيث حصل اقتتال بين

(١) د. عبدالنعيم محمد حسنين: المصدر السابق، ص٣٩، وما بعدها/ د. فاروق عمر: المصدر السابق، ص١٦٢ وما بعدها.

الشافعية والحنفية في إيران، وظهرت ملامح التعصب الديني المذهبي إلى درجة وصلت ببعض المفتين من علماء عصرهم القول بعدم صحة الصلاة في حالة اختلاف مذهب الإمام والمأمومين، وانتشرت فرق الصوفية، واتخذ مريدوها زاوية في كل مدينة، وقد استخدم السلاطين والوزراء نفوذ مشايخ الصوفية لنيل أغراضهم وسريان نفوذهم على العامة، فتأخر العلم الديني، ودخلت الأمة في سبات فكري أنتجت ظهور طائفة أباحت لنفسها أن تقوم مقام الدولة في تأديب الناس حتى تجاوزوا على رجال الدولة وعلى الشرطة، وقد شاعت حياة الترف بين الطبقة العليا، وكثر العبيد والموالي في الوقت نفسه، فقد تخلف العنصر العربي في إدارة الدولة والمجتمع، وأصبحوا ضمن عداد الفقراء، وتخلف نفوذهم الاجتماعي ما ساعد على شيوع العادات الأعجمية وعلى الرغم من كل ذلك فقد كان للسلاجقة وخاصة في عهد الوزير نظام الملك عناية بنشر العلم والثقافة، فقام هذا الرجل بتأسيس المدرسة النظامية ببغداد لتدريس العلوم الإسلامية، وقد غلب عليها المذهب الشافعي، وكان أبوحامد الغزالي أهم مدرسيها، وأنشئت مدارس مثلها في الحواضر الكبيرة كنيسابور والري وأصفهان ومرو، وشاع نسخ الكتب في جميع العلوم الإسلامية، وانتشر التدريس في المساجد التي ضم أكثرها خزائن ومكتبات يرجع إليها الدارسون، وكان السلاجقة قد اهتموا ببناء المساجد والأضرحة ووضع القبب عليها، وشاع هذا الفن المعماري في دولتهم، وقد كانت اللغة العربية والفارسية هما لغة الثقافة والعلم، وقد ظهر في هذا العصر فلاسفة كبار كتبوا مؤلفاتهم التي كانت بين الفلسفة اليونانية والفلسفة الإسلامية، وظهر شعراء مشهورون مثل عمر الخيام. ويرجع الرقي في العلوم والتأليف في هذا العصر إلى كونه إحدى النتائج التي خلفها القرن الثالث والرابع الهجري من علوم وترجمة، فقد استغل السلاجقة هذا التطور الفكري، وأفادوا منه على الرغم من أصولهم البدوية وقلة معرفتهم العلمية، ولكنهم شجعوا العلم

والعلماء، وأجزلوا الهبات، وتوسعوا في بناء دور العلم والمساجد نتيجة تكامل وتقدم المجتمع الإسلامي الذي ورث علوم السابقين، فأظهرها[١].

الحشاشون في إيران: (الإسماعيلية).

نسب اسمهم يرجع إلى استخدامهم الحشيش المادة المخدرة، ويسمون أيضًا النزارية نسبة لمؤسسهم نزار بن المستنصر بالله الفاطمي، أو يسمون السبعية الإسماعيلية الباطنية؛ وذلك لاعتقاد الإسماعيلية للأئمة السبعة، ويسميهم مؤرخو الغرب القتلة؛ لاعتمادهم الاغتيالات لمخالفيهم، وقد نشأت هذه الفرقة في إيران عند انتشار مذهب الشيعة الإسماعيلية في بعض الأقاليم، ونشؤوا في القرن الرابع الهجري بتأثير من الإسماعيلية الفاطمية بمصر والشام، وقيل: إن أول دعاة الإسماعيلية إلى إيران شخص اسمه خلف أرسله ابن ميمون القداح لنشر الدعوة في الري وآبة وقم وكاشان وولاية طبرستان ومازندران، ثم تولى ابنه محمد بعد موته نشر المذهب، ومن أهم من تأثر به بحسب ما قيل رجل يدعى أبا حاتم وصف بأنه الرازي وأن البغدادي قد ذكره في كتاب (الفرق بين الفرق) ويبدو أن بعض أمراء السامانيين قد أيدوا الدعوة الإسماعلية، ولكنها نكبت في عهد الأمير الساماني نصر بن أحمد الساماني، وبعد أبي حاتم تولى الدعوة عبدالله الكوكبي وأبو إسحاق وعبدالملك ومن دعاة الإسماعيلية في خراسان وبلاد ما وراء النهر أبو عبدالله الخادم، وأبو سعيد الشعراني، الحسين بن على المرورادي، والنسفي، وكان ذلك في بداية القرن الرابع الهجري[٢] ويذهب بعص المؤرخين إلى أن نشأة الإسماعيلية في الكوفة قد تمت قديمًا على أنقاض مذهب الخطابية الموغلين في التفسير الباطني، كذلك

(١) د. عبدالمنعم محمد حسنين: المصدر السابق، ص١٥٩ وما بعدها.

(٢) د. فاروق عمر: المصدر السابق، ص١٨٧ وما بعدها/ د. محمد السعيد جمال الدين: الدولة الإسماعيلية في إيران، ص٤٦ وما بعدها، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٩٩٩م.

بعد وفاة المستنصر بالله الفاطمي بمصر سنة ٤٨٧هـ، ويرى بعض المؤرخين أن الدعوة الإسماعيلية بمصر انشقت إلى قسمين بسبب تنافس قادة الجيش الفاطمي الذين كان منهم حسن الصباح، حيث حاول إقامة دولة إسماعيلية في الإسكندرية، ولكن جيش الفاطميين هاجمه، وأجهض جهوده، فهرب إلى إيران مؤسسًا بذلك مذهب الحشاشين النزاريين. قيل: إنه فارسي الأصل ومن الموالي، وقيل: إنه من قبيلة حمير اليمنية حيث نزح أبوه إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى قم، ثم انتقل منها إلى الري، وفيها ولد حسن الصباح الذي نشأ في قم، ودرس في نيسابور مع صديقيه عمر الخيام ونظام الملك، وقد سبقه الداعي الإسماعيلي أبونجم السراج العراقي إلى مدينة الري لنشر هذا المذهب. وفي سنة ٤٨٤هـ استولى الحشاشون بقيادة حسن الصباح على قلعة الموت في إيران، وأسسوا فيها مذهبهم، وبسطوا نفوذهم فيما حولها قرب مدينة قزوين، فكون جيشًا من الفدائيين القتلة بدوافع مذهبية، الذين نجحوا في اغتيال الخليفتين العباسيين المسترشد والراشد، والخليفة الفاطمي، ووزير السلاجقة ببغداد نظام الملك، وكثير من أمراء وعلماء المسلمين خاصة في الشام، ولكنهم فشلوا في اغتيال ملك شاه السلجوقي وصلاح الدين الأيوبي، وتنقل من الشام إلى مصر سنة ٤٧١هـ ملتحقًا بخدمة المستنصر بالله الفاطمي، وقد توفي حسن الصباح سنة ٥١٨هـ، وأوصى بالإمامة لخليفته بزرك أميد، وحاول السلاجقة في إيران الوقوف ضد الحركة الحشاشية وهدم بعض قلاعها، ولكن المغول في إيران هاجموا قلعة الموت بقيادة هولاكو، فتفرق الحشاشون سنة ٦٥٤هـ، وكان يرافق هولاكو علاء الدين ملك عطاء الجويني حيث ذكر في كتابه الذى ألفه عن الإسماعيلية أنه قد نصح هولاكو بعدم حرق مكتبة الإسماعيليين في قلعة الموت، وأن ينتخب له أجود ما فيها من كتب وحرق المتبقي ذكر ذلك في كتابه (جهانكشاى) الذى ألفه عن الإسماعيلية، وتولى فيه تاريخ حسن الصباح ونشره المذهب في إيران والعراق، وانحرفت هذه الحركة حتى عن العقيدة الإسماعيلية الأساسية حيث أوغلوا في

التفسير الباطني والتحلل من الواجبات الدينية، وانتقلت دعوة الحشاشين إلى بلاد الشام بجهود من رشيد الدين سنان بن سلمان المرسل من حسن الصباح سنة ٥٥٨هـ حيث تركزت أولًا في حمص، ومنها تسللوا إلى بعض القلاع المنتشرة في الجبال المحاذية لسواحل البحر الأبيض المتوسط، وبثوا الرعب عن طريق الاغتيالات كما كان شأنهم في إيران والعراق، فقد اغتالوا الكثير من فقهاء الشام وأمراءها، وانتهت هذه الحركة على يد المماليك خاصة بجهود من الظاهر بيبرس على الرغم من أن بعض المماليك قد استخدموهم في الاغتيالات لأغراضهم السياسية، ويبدو أن آثار هذه الحركة انتقلت إلى مراحل سرية بعد هزيمتها في هذه المنطقة، خاصة ما تعلق منها بتعاليمها الدينية التي تقضي بأن النبوة لم تنقطع، وأن تعاليم الإسلام خاضعة للتأويل الباطني بما يخدم أغراضهم وسياستهم، ونسب إليهم عقيدة الحلول الإلهي والمناداة بإباحة المحرمات، ويبدو أنهم متأثرون بالعقائد المجوسية، وخاصة العقيدة المانوية الفارسية، وقد فسر كثير من المؤرخين الدعوة الحشاشية بأنها رد فعل ضد تعاليم الإسلام ونفوذ العرب في إيران مستخدمة التعاليم الزرادشتية القديمة والموروثة في المنطقة، وقد فضح مذهبهم أبوحامد الغزالي في كتابه (فضائح الباطنية).

الفصل الثامن

إيران والعراق في العصر المغولي
حالة العالم الإسلامي قبل الغزو المغولي

أوضحنا سابقًا كيف حكم السلاجقة إيران والعراق، وفي أواخر عهدهم نشأت الدولة الخوارزمية في إيران على يد أحد رجال السلطان السلجوقي ملك شاه حيث استقل بالحكم في خوارزم، وكان ذلك في بداية القرن السادس الهجري، فأخضع الخوارزميون أكثر أقاليم إيران لسلطتهم، وانتشر في زمانهم مذهب التشيع الإسماعيلي في إيران خاصة على يد مذهب الحشاشين بقيادة حسن الصباح الذي نقل التشيع الإسماعيلي العلوي المغالي إلى الشام، وكثير من المدن على البحر الأبيض المتوسط، ودخلت الدولة الخوارزمية في خلاف مع الخلافة العباسية، فقد حاولوا احتلال العراق، وفي هذا الوقت كانت الخلافة العباسية ضعيفة، لا تتعدى سلطة الخليفة المستعصم بالله حدود بغداد، والبقية يحكمها أمراء ومتنفذون حيث يتنافسون النفوذ فيما بينهم، واتسمت هذه الفترة بالخلافات المذهبية بين السنة والشيعة، منها ما حصل في بغداد من قيام شيعة الكرخ بالاعتداء على السنة الذين حولهم، ما اضطر الخليفة المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس إلى أن يرسل ابنه أبوبكر بقوة لتأديب شيعة الكرخ ما دفع وزيره المؤيد بالله ابن العلقمي إلى أن يضمر الوقيعة بالخليفة، فكاتب هولاكو الذي كان في إيران وبتسهيل من نصير الدين الطوسي المشهور بالخواجة، الذي أصبح وزيرًا لهولاكو. وفي هذه الفترة كان الأيوبيون يحكمون الشام ومصر، ولم يكن أن الطامعين قد كثروا على إسقاط الخلافة العباسية سواء من داخل العراق أو من خارجه، حيث كان للشيعة وخاصة الإسماعيلية والدولة الخوارزمية

وبعض المماليك الأيوبيين دور كبير في إضعاف الخلافة في بغداد والقضاء على النفوذ العربي السني خاصة ما سهل على المغول اجتياح العراق بقيادة هولاكو. وعمومًا فقد اتسمت أحوال إيران في العصر المغولي بالاضطرابات والثورات التي قادها مختلف الاتجاهات المعادية للمغول منها حركات وثورات شيعية، ومنها حركات صوفية تزعمت الطبقات الضعيفة من الفلاحين والمتضررين من الحكم المغولي[١].

دخول المغول:

كان يسكن صحراء الصين قبل الميلاد قبيلتان تركية ومغولية، وكانت حياتهم رعوية اشتهرت بالشدة والغلظة استقرت القبيلة التركية في القرن السادس الميلادي في تركمانستان، أما القبيلة المغولية، فقد استقر بها الحال بمنغوليا بقيادة جنكيز خان، وذلك عن طريق الاحتلال والقتل بقسوة، حيث يقول عنهم المؤرخون: إنهم قبائل متوحشة، وكان أكثريتهم من التتار، اتخذ جنكيز خان سنة ١٢٠٦م جيشًا لهم، وعمل على توسيع دولته، فاحتل بكين سنة ١٢١٥م، ثم استولوا على تركستان وفرغانة، ثم اصطدموا بجيش الدولة الخوارزمية بقيادة خوارزم شاه، ودخلوا بخارى، وعملوا فيها السيف، وبعدها احتلوا جرجانة ونيسابور، وهرب أمامهم خوارزم شاه داخل بحر قزوين، وهراة، ثم دخل سمرقند سنة ١٢٢٠م، واحتلوا غزنة، ثم باميان، ثم ساروا إلى همذان، فصالحهم أهلها، ودانوا لهم بالطاعة، ثم تقدموا إلى جورجيا، ولكنهم لم يوفوا بالصلح من همذان، فخربوها، ونهبوها، ثم استولوا على أردبيل وتبريز، وانقسم الجيش المغولي إلى قسمين: أحدهما اتجه إلى بلاد القرم، والآخر بقيادة جنكيز خان اتجه إلى قم والري (طهران) فقد دمر جنكيز خان بجيوشه شمال إيران وغربها محدثًا القتل والحرق والتخريب، وقد سلمت الأقاليم الجنوبية من إيران

(١) أحمد عودات: تاريخ المغول والمماليك، ص٩ وما بعدها، دار الكندي، الأردن، ١٩٩٠م.

من هذا المصير، ثم رجع جنكيز خان على منغوليا ١٢٢٥م فقد توفي سنة ١٢٢٧م عن عمر يناهز السبعين عامًا، وجاء بعده ابنه أوكيتاي، وفي زمنه عادت مملكة خوارزم شاه لبعض الأقاليم فترة من الزمن، ثم قضى عليها الجيش المغولي بقيادة ابن جنكيز خان أوكيتاي سنة ١٢٣١م، فواصل الجيش المغولي احتلاله للجزيرة وشمال العراق وديار بكر، واتجهوا إلى آسيا الصغرى، وهزموا الجيش السلجوقي، وصالحوه على فدية سنة ١٢٤٣م، وفي إيران استمر أمراء المغول في حكمها، ولما كانوا غير متدينين بدين سماوي حاول النصارى إقناعهم بالمسيحية، وجرى على ذلك محاولة من سفارة البابا ومن الملك لويس التاسع، تعهدوا بحماية النصارى وكنائسهم ونتيجة لاحتكاك أمراء المغول بالمسلمين، ولدوافع فيما يبدو سياسية ليسهل انقياد المسلمين للمغول اعتنق الأليخان المغولي (نكورد) الإسلام، وأعلن ذلك في بلاد الإسلام، ولكنه قتل على يد قادة المغول وبعده كان أوضح مثال على دخول أمراء المغول الإسلام هو اعتناق الأيلخان غازان بن أرجون خان الديانة الإسلامية، ونادى بالإسلام بوصفه دينًا رسميًّا للدولة، وتبعه بذلك بقية المغول، وذلك عام ١٢٣٥م على مذهب الشيعة الإثنا عشرية، واشتهر بعدم التعصب لمذهبه الشيعي، ونعم المسلمون عمومًا في إيران بالاستقرار والهدوء في هذه الفترة.

وجاء بعد غازان هولاكو، وهو حفيد لجنكيز خان، فحاول إخضاع الإسماعيلية المتركزين في طالقان وقلعة الموت، وذلك سنة ١٢٥٦م وقيل: إن هولاكو طلب من الخليفة العباسي إمداده بالجيش للقضاء على نفوذ الإسماعيلية المعززين من قبل الدولة الفاطمية بمصر، ولما لم يستجب الخليفة لذلك فكر هولاكو في غزو بغداد، وقد حاول الخليفة إرسال هدايا إلى هولاكو ليتقي شره ولمهادنته.

وفي هذا الوقت كان في قلعة الموت الشيخ نصير الدين الطوسي الملقب بالخواجة، وكان على المذهب الإسماعيلي مدعيًا أن الشيعة الإسماعيلية قد

احتجزوه، وطلبوا منه تأليف بعض الكتب في المذهب، وقد فعل ذلك، وأرسل إلى هولاكو خطابًا يذكر فيه أنه قد رأى في المنام أن هولاكو وجيشه يتقدم والأقاليم تتساقط أمام زحفه فاستدعاه هولاكو، وأصبح مستشارًا له، وأعلمه هولاكو برغبته في احتلال بغداد، فكاتب نصير الدين الطوسي وزير الخليفة العباسي المستعصم بالله المدعو بالمؤيد بالله ابن العلقمي، وكان ابن العلقمي حاقدًا على الخليفة وعلى ابن الخليفة أبوبكر الذي قمع بشدة شيعة الكرخ، وكان ابن العلقمي على مذهب الشيعة، وقد قيل: إنه أخبر نصير الدين الطوسي، وشجع على قدوم هولاكو لفتح بغداد، فسار هولاكو بجيشه إلى بغداد، وسهل له ابن العلقمي الدخول مباشرة إلى قصر الخلافة حيث واجه اثني عشر ألفًا من الجند، فقتلوا جميعًا، وكان ذلك في كانون الثاني سنة ١٢٥٨م (٦٥٦هـ).

وبدأ بقصر الخليفة، فقتل جميع القادة، واستولى جيشه على أموال الناس، فقاموا بقتلهم وتخريب بيوتهم وإشعال النيران فيها مدة أربعين يومًا، انسحب منها جيش هولاكو خشية الأمراض، ثم اتجه لاحتلال كردستان، ودخل الشام سنة ١٢٥٩م، وكان فيها ضعفاء من أمراء الأيوبيين خاصة في حلب، واتفق أمير أنطاكية الصليبي مع هولاكو ضد المسلمين، فشجعه على احتلال دمشق، فوضع السيف في رقابهم، وخرب البلاد، فهرب ناصر الدين الأيوبي على مصر، ثم سار جيش المغول إلى نابلس ثم الخليل، ثم السلط وبانياس وبعلبك، وقام بتعيين أمراء من الفرس على تلك الأقاليم وذلك نظير اشتراكهم في جيشه الغازي، وفي هذا الوقت رجع هولاكو إلى منغوليا وترك (كتبغا) أميرًا على الشام، فقام هذا بالتحالف مع الصليبيين الذين كانوا قد احتلوا أجزاء ومدنًا على البحر المتوسط وعلى القدس. وكان يحكم مصر الظاهر بيبرس أحد أمراء المماليك، حيث أعد جيشًا لملاقاة المغول، فالتقى الجيشان في معركة عين جالوت معززًا بجيش الأمير قطز القادم من مصر والظاهر بيبرس الذي كان في

الشام، واستفادوا من رحيل هولاكو مع بعض جيشه، فانتصر المسلمون في هذه المعركة في تموز سنة ١٢٦٠م وقد ساعد الصليبيون في أنطاكية الجيش المغولي في هذه المعركة بخلاف الصليبيين في عكا الذين قد أدركوا ربما قوة المماليك في هذه المعركة، فكانت الهزيمة الأولى والأخيرة للمغول، واستقرت معظم الشام لحكم المماليك، وأنقذت مصر من الخراب المغولي.

واستمرت إيران يحكمها الإيلخانيون من أمراء المغول الذين بدأ نفوذهم يضعف بسبب الخلافات فيما بينهم إلى أن ظهر فيما بينهم تيمور الذي اتخذ سمرقند عاصمة له سنة ١٣٧٩م وكون جيشًا مزيجًا من المغول والترك، وبدأ بالزحف على أقاليم إيران حتى خضعت له جميع الأقاليم، ثم زحف بجيشه إلى العراق، فاحتل بغداد، وعين أميرًا له على الحلة، ثم اتجه بجيشه إلى الشام، فأخضع تلك المناطق لحكمه، ثم سار إلى تركيا، واحتل أجزاء منها، واحتل أنقرة سنة ١٤٠٢م، وسجن السلطان العثماني بايزيد، وأصبحت إمبراطورية التيموريين واسعة قامت على أنقاض وامتداد الإمبراطورية المغولية حيث اتجه تيمور لاحتلال الصين، ولكنه توفي قبل دخول بكين سنة ١٤٠٥م، وبدأ الضعف يدب سريعًا في هذه الإمبراطورية التي بدأ الأمراء يتقاسمون نفوذها حيث قامت الدولة العثمانية بعد ذلك ببسط نفوذها، وقامت الدولة الصفوية بعدهم في إيران سنة ١٥٠٢م[1].

(١) بطروشوفسكي: المصدر السابق، ترجمة: د. السباعي محمد السباعي، ص٣٤٥-٣٤٦ وما بعدها، دار الثقافة للنشر، القاهرة (--١٩م).

الباب الثالث

إيران في العصر الصفوي

الفصل الأول

المشيخة الصوفية

ينسب الصفويون إلى الشيخ صفي الدين إسحاق الأردبلي الذي كان في الأصل شافعي المذهب، وقد تنقل في بلاد إيران طلبًا للعلم، ودرس على يد الشيخ تاج الدين إبراهيم الجيلاني في مدينة جيلان التي لا تبعد كثيرًا عن أردبيل موطن صفي الدين، فأخذ عنه التصوف، وبعد وفاة شيخه ادعى رئاسة طريقة شيخه، ولكنه اصطدم بابن شيخه علي، فترك زاوية شيخه، وأسس له زاوية في أردبيل، فما لبث أن كثر مريدوه من الطلبة حيث تقوم الزاوية على تدريسهم وإطعامهم، وأشيعت عنه بعض الكرامات، فكان أمير أردبيل يغدق عليه الهبات وصنوف الطعام، ومال في تدريسه إلى بعض مبادئ الشيعة التي سبق انتشارها بجهود دعاة المذهب الإسماعيلي، وكان من مريدي الشيخ صفي الدين (الخواجة رشيد الدين فضل الله وزير غازان خان المغولي) ويخطئ من يظن أن لصفي الدين اتجاهًا نحو مذهب الشيعة بدليل ما نقل عنه شعرًا (حب الإمام علي يغفر كل إثم) فإن هذا النقل، وإن صح فهو يوجد عند كثير من غلاة الصوفية[١] وهذه نقطة التقاء بين التصوف والتشيع كما أوضحنا ذلك في كتابنا (أثر العناصر الأجنبية على بعض الشيعة الإثنا عشرية) وبعد وفاة الشيخ صفي الدين (تولى ابنه صدر الدين موسى مشيخة الطريقة الصوفية الصفوية، وقيل: إن الأمير تيمور لينك مقرب لهذا الشيخ، وكان ذلك سنة ٧٩٣هـ، وبعد وفاة صدر الدين موسى ورث ابنه علي مشيخة الطريقة الصفوية، وشاعت تعاليمها في إيران بتأييد من أمراء الأقاليم، وفي هذه المرحلة لم يكن لهذه الطريقة إلا صفة سنية مع

(١) جعفر المهاجر: الهجرة العامليية إلى إيران في العصر الصفوي، ص١٩ وما بعدها - دار الروضة - بيروت، ١٩٨٩م/ شموئيل سيجف: المثلث الإيراني، ص٣، ج١، ترجمة: دار الجليل - عمان، سنة ١٩٩٠م.

ميل لتعاليم آل البيت حيث تلتقي بعض مبادئ الصوفية مع بعض مبادئ الشيعة كفكرة الولاية والمعجزات والكرامات...) وبعد وفاته تولى ابنه الجنيد مشيخة الزاوية في أردبيل، وبسبب كثرة المريدين وتشكي أهل أردبيل من سلوك المريدين قام أمير تبريز وأردبيل الأشرف تيمور تاش المغولي وبمساعدة من عم الجنيد بطرد الجنيد ومريديه هربوا إلى بلاد الأناضول، وهناك حصل تحول فكرى عند الجنيد نحو التشيع العلوي بسبب وجود هذا المذهب في المنطقة ادعى الجنيد أنه من نسل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكثر حوله الأنصار، وهاجم مدينة طرابزون بوصفها أرض كفر يحكمها الروم، فرجع الجنيد ومريدوه إلى أردبيل، ولكن الملك شرون شاه قتله، وكان للجنيد ابن اسمه حيدر تربى عند أخواله فترة من الزمن، والتف حوله مريدو الزاوية الصوفية، وكان يطلب الانتقام من قتلة أبيه، فدرب المريدين على السلاح، ودرس على يد مشايخ من الشيعة العلوية في بلاد الأناضول، فكون جيشًا من القزل باش، فلما عظم خطره تولى العثمانيون القضاء عليه وقتله.

١- الشاه إسماعيل.

كانت امرأة الجنيد النصرانية حاملًا أحاطها القزل باش بالرعاية، فولدت إسماعيل سنة ٨٦٦هـ، وعند بلوغه سبع سنوات أخذه القزل باش إلى مدينة لاهيجان، وحظي بعناية وتأييد من (كريكا ميرزا علي) وكذا الشيخ ديلمان الشيعي فدرسوه كراهية الصحابة ومبادئ غلاة الشيعة من الشيخ شمس الدين اللاهي جي ولما بلغ ثلاثة عشر سنة رجع والقزل باش إلى أردبيل، وتعلموا فنون الحرب، وتجهزوا بصناعة آلات الحرب، فلما بلغ تسع عشرة سنة بدأ هو وأتباعه بفرض سلطتهم على أردبيل وما حولها، ونادوا بالتشيع لآل البيت، ودخلوا تبريز سنة ٩٠٧هـ، وفي جامعها خطب إسماعيل معلنًا نفسه بأمر من الإمام المنتظر وشتم الصحابة وعائشة، وطلب من أتباعه قتل من لم يقر بمذهب التشيع، فقتل خلق كثير في المسجد، ثم سار بجنوده إلى بيوت الأكابر في تبريز، فنهبوا، وقتلوا كل من عارضهم، ثم هاجم شروان، وفعل فيها كما فعل في تبريز، ثم استولى على

أقاليم إيران، ونادى بالتشيع الإثنا عشري مذهبًا لدولته، وبدأ عهد اضطهاد السنة وعلمائهم في إيران عن طريق القوة والقتل، واجتاح بجيشه أجزاء كبيرة من العراق، فدخل بجيشه بغداد سنة ٩١٤هـ، وقضى على حكم أسرة (آق قيون لو) التركمانية قبل أن يتوفى سنة (ت ١٥٢٤م). ولما تعاظم شأن الصفويين في إيران اشتكى الناس إلى السلطان العثماني سليم الأول، فقاد بنفسه جيشًا مسلحًا لأول مرة، ونقلوا إليه مقالات الصفويين وأفعالهم، فالتقى الجيشان في معركة جال ديران انكسر فيها الجيش الصفوي، وجرح إسماعيل، ثم هرب مع بعض أتباعه متخفيًا أشهرًا عدة حتى رجع الجيش العثماني إلى إسطنبول، فظهر إسماعيل من مخبئه، ورجع إليه جنوده، فسار بهم إلى تبريز، فعمل بها ما فعله في المرة الأولى، وأخضع بقية أقاليم إيران، وكتب إلى السلطان العثماني مخادعًا ومظهرًا الطاعة، وكان العثمانيون منشغلين بجيوشهم في فتح أوروبا، وقد توفي إسماعيل عن عمر ٣٧ سنة بعد تجرعه الهزيمة وانغماسه في الشراب. ونشير هنا إلى أن الشاه إسماعيل قد قام باحتلال العراق، ودخل بغداد سنة ١٥٠٨م ونادى بتطبيق المذهب الشيعي الإثنا عشري في العراق، ثم اتجه إلى النجف وكربلاء، وهدم كثيرًا من مساجد السنة، وذبح بعض علماء السنة، ولكن السلطان العثماني سليمان القانوني أخرج النفوذ الفارسي بقوة من الجيش العثماني، وكان من نتيجة انهزام الجيش الصفوي في جالديران أن اتسعت الدولة العثمانية، وضمت إليها أراضي واسعة في غرب إيران. وقد ساعد العثمانيون على ذلك الأكراد في كردستان، فقام إسماعيل بالانتقام من العثمانيين عن طريق تحالفه بمعاهدة مع البرتغاليين، فاتفق معهم على أن ينضم جيشهم مع الجيش الصفوي لاحتلال البحرين والقطيف، وأن يساعدوهم على قمع تمرد بلو شستان، وتتنازل حكومة الشاه عن مضيق هرمز للبرتغاليين.

ويدين كثير من أساتذة التاريخ الإيرانيون وخاصة بعض من هم في جامعة طهران الأعمال الوحشية التي قام بها الشاه إسماعيل، ولا يخفون سوء سيرته، وأن أعماله لا تشرف الإيرانيين.

٢- طهماسب.

وقد خلفه ابنه الصغير طهماسب البالغ إحدى عشرة سنة، وفي أول حياته كانت الأمور تسير بأمر من الأمراء الصفويين، وفيما بعد، بعد قدوم الشيخ عبدالعال الكركي من جبل عامل في لبنان تولى هذا الشيخ الشيعي الإثنا عشري توجيه الشاه طهماسب مدعيًا أنه ينفذ إرادة الإمام الغائب، فكان الشيخ الكركي من أوائل من وضع نظرية ولاية الفقيه، وقد دخل الجيش الصفوي في عهد طهماسب في نزاع مع العثمانيين ما اضطر السلطان سليمان القانوني إلى احتلال تبريز، ثم البصرة ما اضطر طهماسب إلى عقد صلح أماسية سنة ١٥٥٥م تنازل فيه الصفويون عن أراضٍ كثيرة في الأناضول وغيرها وعدم احتلال العراق،... وبعد وفاة طهماسب حكم ابنه الشاه إسماعيل الثاني، ولم تدم مدة حكمه أكثر من سنة وبضعة أشهر رفع فيها شتم الصحابة ومخالفة الغلاة من الشيعة، وكان عنيفًا مع خصومه ما سبب أن دسوا له السم، فمات، فخلفه أخوه الشاه محمد بن طهماسب، ولم يدم حكمه طويلًا؛ لضعف شخصيته ومرضه[١].

٣- عباس الأول:

فخلفه ابنه عباس الأول، واتسم أول عهده بالاضطرابات والدخول في حروب مع العثمانيين والأوزبك، فقد كان حديث السن (١٨ سنة) ولكن فيما بعد بسط نفوذه شيئًا فشيئًا بدءًا من الأقاليم الشمالية الغربية من إيران وانتزاعها

---

(١) د. أمير حسين خنجي: إيران الصفوية كيف صار الإيرانيون شيعة صفويين؟: مكتبة النافذة - القاهرة - ٢٠١٠م.

- د. أمير حسين خنجي: المصدر السابق.

- د. أبوبكر مرشد فازع الزهيري: التوجهات الإيرانية في المنطقة العربية - ص٢٢، ط٢، مكتبة مركز الصادق - صنعاء.

- كولن تيرنر: التشيع والتحول في العصر الصفوي، ترجمة: حسين علي عبدالستار، ص١٠٢ - منشورات الجمل - بغداد، ٢٠٠٨م.

من العثمانيين، ثم حارب البرتغاليين الذين بدوا يظهرون في الخليج العربي، فدخل معهم في حروب في بندر عباس وعلى سواحل الخليج، ووقع معهم معاهدة سنة (١٦٠١- ١٦٠٨م) وفي سنة (١٦٢٣م) احتل العراق وكردستان، وقد قام بإصلاحات داخلية، فأدخل المسيحيين في جيشه، واتفق مع الأوروبيين، وتنازل لهم عن النفوذ في الخليج لقاء تزويده بالسلاح وصد الدولة العثمانية ونفوذها عن المنطقة، فكان أول تحالف غربي يدخل نفوذه هذه المنطقة عن طريق الصفويين وبمعاهدات رسمية، واتخذ أصفهان عاصمة له. وفي سنة ١٦٢٤م غزا العراق والبحرين، ودخل بغداد بعد حصار ثلاثة أشهر أكل فيها الناس المحرمات من الحيوان، فنكل بالسنة في احتلاله، فهدم جامع أبي حنيفة والشيخ الجيلاني، ثم زار مراقد أئمة الشيعة في النجف وكربلاء، فأصلح أمورها، وقد تولى مكان الكركي في عهد الشاه عباس الكبير الشيخ حسين بن عبدالصمد العاملي الذي قدم من جبل عامل، ولكن لزهده ترك هذا المنصب لابنه محمد الملقب بالشيخ البهائي، وكان عالمًا موسوعيًّا في معرفة علوم عصره، ولذا ترك منصبه الدنيوي، فتركه متنقلًا ثلاثين سنة في أقاليم إيران وتركيا والشام، وكتب كتابه المشهور بالكشكول الذي احتوى على علوم مختلفة مرت عليه في أسفاره، فكان فكره غير متعصب لمذهب معين ما جعل بعض السنة يعدونه من شيوخهم، ويُعدّ الشاه عباس الأول أو الكبير من أكثر المتعصبين للتشيع، فقد أمر بصك أسماء الأئمة الإثنا عشر على العملة، وكان يحيي عزاء عاشوراء ويوم استشهاد الإمام علي، وقد مشى من عاصمته أصفهان إلى مشهد الإمام الرضا، وبقي فيه ثلاثة أشهر ينشر تعظيم الأئمة، وقيل: إنه حاول إقناع الشيعة الإيرانيين بعدم الحج إلى مكة والاكتفاء بالحج إلى مشهد متعللًا بالصعوبات التي يلقاها الحاج من العثمانيين وبقصد تجنب رسم الحج المفروض آنذاك، وقد تأيّد مثل هذا التوجه في بعض الأحاديث المنسوبة كذبًا إلى الأئمة.

وجاء بعده في الملك سام ميرزا بن صفي ميرزا بن عباس، وسمي صفي الأول، وحكم ثلاث عشرة سنة، وكان ضعيفًا في حكمه، وانشغل في حروبه ضد العثمانيين والأوزبك، وتوفي سنة ١٦٤٢م، ودفن في قم، وجاء بعده ابنه عباس الثاني، وكان صغير السن هادن الأوزبك، ووثق العلاقات التجارية مع الدول الغربية[١].

٤- الشاه صفي الثاني:

وجاء بعده ابنه صفي الثاني الذي سمى نفسه الشاه سليمان، فقد كان وزراؤه يديرون الحكم عنه، وانتعشت التجارة في عهده مع البلاد الأوروبية، وأصبحت مزارًا للأطماع الاستعمارية تنازع عليها الفرنسيون والبريطانيون، وفي عهده جاء لإيران من جبل عامل الشيخ محمد باقر المجلسي، فكان ذا حظوة وقوة عند الشاه، وكتب كتابه المشهور (بحار الأنوار) وقد توفي سنة ١٦٩٩م، وكان المجلسي متعصبًا لمذهبه محرضًا على إيذاء المخالفين، وخاصة من السنة، وتعود ضخامة كتاب (بحار الأنوار) ليس إلى أفكار المجلسي وعلمه، بل كان عمله قد جمع كل ما جاء في كتب الشيعة التي ألفت قبله؛ ولذا فقد احتوى كتابه على الكثير من الأساطير والمعجزات والأخبار غير الصحيحة التي أساءت إلى مذهب الشيعة الإثنا عشرية لما فيها من غلو وأكاذيب، وقد جاء كتابه في ثلاثة وعشرين مجلدًا من القطع الكبير طبع على الحجر في العهد القاجاري، واليوم أعيد طبعه، فكان أكثر من مئة مجلد، رفعت بعض عباراته المتعلقة بشتم أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٥- الشاه حسين الأول:

وجاء بعده ابنه حسين الأول، وكان ضعيفًا، وفي زمنه انتشرت المجاعات في إيران، فضعفت سلطة الدولة، وعمها الاضطراب على الرغم من تعصب

(١) د. إبراهيم خليل أحمد ود. خليل علي مراد (إيران وتركيا دراسة في التاريخ الحديث) ص٤٥ وما بعدها، دار الكتب للطباعة والنشر الموصل، بغداد، ١٩٩٢م.

الشاه حسين للمذهب الشيعي ما دفع السنة الأفغان إلى محاصرته وإرغامه على التنازل عن العرش، وذلك سنة ١٧٢٢م، وبهذا انتهت الدولة الصفوية التي حكمت ما يقرب من قرنين من الزمن، ولم يستطع الإيرانيون الحكم عليها؛ لما عم من اضطرابات خاصة المنادية برجوع الحكم الصفوي.

احتلال الأفغان لإيران: (١٧٢٢-١٧٢٩م):

عانى الأفغان احتلال الصفويين لبلادهم، حيث احتلوا قندهار وهراة، وقد قامت قبيلة غلزائي وقبيلة أبدالي بقيادة مير ويس بدحر الجيش الصفوي في عهد السلطان حسين الذى كان يريد السيطرة على قندهار، وبعد وفاة مير ويس سنة ١٧١٥م خلفه محمود الابن الأكبر، وكان مير محمود في الثامنة عشرة من العمر عند توليه السلطة، ويحظى باحترام قبيلته؛ لكونه محاربًا شجاعًا، وبسط نفوذه على كل أفغانستان ما اضطر الشاه حسين إلى قبول الأمر الواقع والاعتراف به حاكمًا فعليًّا على أفغانستان، ولكن مير محمود أدرك ضعف الدولة الصفوية ما جعله يتوسع على حسابها، وفى عام ١٧١٩م احتل مدينة كرمان مدة ٩ شهور، ثم اضطر إلى الانسحاب منها لمواجهة بعض الأخطار التي هددت مركزه في قندهار، ثم إعادة الكرة مرة أخرى على ذلك بسبب ضعف الدولة الصفوية، وفى عام ١٧٢١م أعد قوة عسكرية ضد إيران، وهاجم في طريقه كلًّا من كرمان ويزد، ولم يفلح في احتلالهما إلا أنه واصل تقدمه نحو مراكز الجيش الصفوي، وفى ١٧٢٢م تمكن الأفغان من هزيمة الجيش الصفوي في موقعة كلنا باد بالقرب من العاصمة أصفهان، ثم بدأ في فرض الحصار، وفى ١٢ تشرين الأول دخل مير محمود العاصمة، وتوج ملكًا في ٢٥ تشرين الأول ١٧٢٢م من قبل الشاه الذى استسلم، ثم اقتيد الشاه الصفوي إلى السجن. يُعدّ الغزو الأفغاني وتتويج مير محمود النهاية الفعلية للحكم الصفوي، وبعدها أرسل مير محمود حملات عسكرية إلى بعض المدن العسكرية مثل قزوين لاعتقال طهماسب

(الثاني) الذى هرب منها إلى تبريز، وقد احتلت هذه القوات مدن كاشان وقم وقزوين، لكنها تكبدت خسائر كبيرة ذلك بسبب قسوة القوات الأفغانية ما جعل السكان يقومون بثورة ضدها، وقتلت عددًا كبيرًا منهم، وهرب من بقي منهم إلى خارج المدينة ما جعل مير محمود ينتقم منهم بذبح (٣٠٠٠) رجل من أسرى الجيش الصفوي في أصفهان، وفى شباط ١٧٢٥م دبر مير محمود مذبحة أخرى شملت معظم أفراد الأسرة الصفوية، وفى عام ١٧٢٥م تم قتله على يد ابن عمه أشرف الذى أعلن نفسه ملكًا في ٢٦ نيسان ١٧٢٥م.

نادر شاه:

فظهر قائد طموح اسمه «نادر الأفشار ادعى النيابة عن حكم الشاه طهماسب (الثاني) ابن الشاه حسين الصفوي حيث قضى على جيش الأفغان، واحتل بجيشه بلادًا واسعة من إيران وأفغانستان وأجزاء من الهند، ثم اتجه لاحتلال العراق، فدخل بغداد، وزار قبر الكاظمين وقبر أبي حنيفة، ثم اتجه إلى النجف وفيها عقد مؤتمر النجف الشهير بين علماء الشيعة والسنة، وفيما يبدو أنه أحيا الحكم الصفوي حيث ثارت عليه العديد من الخلافات قتل فيها، وتولى حكم إيران جزئيًّا خاصة في جنوبها كريم خان الزند الذي تولى بعده القاجاريون حكم إيران»[(١)].

وقد استكمل إسقاط الدولة الصفوية على يد السلطان الأفغاني أويس حاكم قندهار سنة ١٧٠٩- ١٧١٥م وكذلك من بعده المير محمود بين سنتي ١٧١٥- ١٧٢٤م، فاحتلوا عاصمة الصفويين أصفهان.

وقد اتسمت العلاقات الصفوية العثمانية بكثير من التنافس والاقتتال خاصة في عهد السلطان يزيد الذي دحر الجيش الصفوي في معركة جالديران الشهيرة وكذلك الحال في عهد السلطان سليمان القانوني الذي طرد الصفويين

(١) محمد المعموري: الأسرة الصفوية شيوخها وملوكها، ص١٧٠ (من كتاب الصفوية التاريخ والصراع والرواسب/ وما بعدها- مركز المسبار للدراسات والبحوث، ط٣- دبي، ٢٠١١م.

بالقوة من العراق ومن أجزاء كبيرة من غرب إيران، وضم تلك الأجزاء إلى الدولة العثمانية على الرغم من أن هناك الكثير من عناصر الالتقاء بين الدولتين، فشعوبهما تتكونان من أجناس متجانسة كالتركمان والأكراد والعرب وأقليات مسيحية ويهودية، ويلتقيان في تشابههما في الامتداد الحضاري لكلتا اللغتين التركية والفارسية، ويلتقيان في شيوع الفكر الصوفي على الرغم من اختلافهما المذهبي كما أوضحنا، ويمتد التشابه إلى الفنون والآداب والطعام وما إلى ذلك من أساليب الحياة غير أنه مع الأسف في الوقت الذي بدأت فيه أوروبا بالنهضة الصناعية الحديثة منذ مطلع القرن السادس عشر أضعفت الصراعات بين هاتين الدولتين قوتهما الاقتصادية، وعملت أوروبا بدءًا من البرتغال وهولندا وفرنسا وبريطانيا في إشعال الفتن بينهما ليخلو المسرح السياسي والاقتصادي إلى الدول الأوروبية مستغلين بذلك الخلافات المذهبية بين السنة والشيعة وتعارض مصالحهما الاقتصادية وهذه اللعبة السياسية تتكرر على السياسة أيضًا اليوم في كلٍّ من إيران والعراق والشام وتركيا، والعدو هو الوحيد المستفيد من تلك الصراعات[١] وقد قام الدكتور أحمد بوشرب بترجمة وثائق برتغالية في فترة الحكم الصفوي توضح هذه الوثائق نفوذ البرتغاليين في الخليج العربي والبحر الأحمر وصراعهم مع القوى العربية والعثمانية وأسطول المماليك في مصر، وغالبية الصراع يدور حول المغانم التجارية وتدبير البرتغاليين لغزو البحرين والبصرة والأحساء والقطيف وعدن وتخريب ميناء جدة والسيطرة على مضيق هرمز كل ذلك بتسهيل وسكوت من الحكم الصفوي[٢] وقد أوضح المؤلف أن تلك الوثائق تعكس استخدام البرتغاليين جواسيس من اليهود والنصارى حتى بعض القسس في كنائسهم.

---

(١) د. عباس إسماعيل صباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية - ص٢٠ وما بعدها - دار النفائس، بيروت، ط ٣- ٢٠١١م.

(٢) د. أحمد بوشرب: (الخليج العربي والبحر الأحمر من خلال وثائق برتغالية (١٥٠٨- ١٥٦٨م)، (ص١٧٦-١٨٠-٢٣٠-٢٧٢-٢٧٥-٣٨٠-٤١١-٤٧٤).

علاقة الدولة الصفوية بالبرتغال وإسبانيا:

كانت التجارة في المحيط الهندي والخليج العربي بأيدي العرب خاصة الذين يسكنون شواطئ الخليج العربي إلى أن بدأ نفوذ البحارة والتجار البرتغاليين سنة ١٥٠٢م في الانتشار بدءًا من سواحل الهند على يد المستكشف البرتغالي فاكسو دي جاما حيث اكتشف البرتغاليون تلك الموانى الجديدة على سواحل الخليج، فبدؤوا الاتصال بالدولة الصفوية خاصة في عهد الشاه عباس الكبير مزاحمين بذلك نفوذ الدولة العثمانية، فدخل البرتغاليون في صراع مع التجار العرب المصريين واليمانيين والعمانيين والبحرينيين والكويتيين وبقية القوى العربية، فانحسر بذلك في هذه الفترة النفوذ العربي. وفي سنة ١٥٠٦م أرسل ملك البرتغال حملة عسكرية استولت أول الوقت على موزمبيق، ثم على عدن، ثم استولوا على جزيرة هرمز، وتحكموا بهذا المضيق. وقد وصف الرحالة البرتغالي ماركو بولو التبادل التجاري في هذه المنطقة وعدد أنواع البضائع التي تنتقل من الشرق إلى الغرب، ثم امتد نفوذ البرتغاليين إلى جزيرة كيش على الساحل الإيراني ومسقط، ثم على البحرين والبصرة، وكان لهم في هذه الأماكن وجود تجاري وسياسي في هذه الفترة، ودخل الجيش البرتغالي بقيادة بوكيرك في حرب ضد الجيش العربي في مضيق هرمز، وعلى الرغم من كون العرب أكثر عددًا، ولكن البرتغاليين هزموهم بسبب استخدام المدافع والبنادق التي لم تكن معروفة وقتها عند العرب، وبنى البرتغاليون القلاع الحصينة على سواحل الخليج، وفرضوا على أهل البلاد الخراج لحكومة البرتغال، وقد هدد البرتغاليون الشاه إسماعيل الصفوي، ومنعوه من أخذ الخراج على أمير هرمز؛ لأن هذا الحق قد انتقل إليهم. وفي سنة ٩١٨هـ قرر القائد الأسطورة البرتغالي البوكيرك الاستيلاء على ميناء عدن ومكة، ولكنه فشل في الوصول إلى مكة أو الاستيلاء على عدن، ورجع إلى مقره في الهند، وفي سنة ١٥١٥م عقد الشاه إسماعيل

الصفوي معاهدة مع البرتغاليين لمساعدته في السيطرة على بعض الموانى والمدن الفارسية التي كانت تتمرد خاصة من قبل العرب وعمان، واتفق على غزو البحرين والقطيف، واتفق اتحادهما ضد الدولة العثمانية ونفوذهما في المنطقة، وتمتع البرتغاليون بالسيطرة على الخليج في العهد الصفوي حتى عهد طهماسب الثاني، وبعده بدأ تنامي النفوذ الهولندي والبريطاني في الخليج وصراعهما مع بريطانيا، وفي سنة ١٥٥٠م دخل العثمانيون في مواجهة ضد النفوذ البرتغالي في الخليج، حيث استعاد العثمانيون النفوذ على البصرة والقطيف وطرد القوات البرتغالية منها، وفي السنة نفسها استولت القوات العثمانية على مسقط وطرد النفوذ البرتغالي منها، وقد حاول العثمانيون بسط نفوذهم على الموانى الإيرانية، ولكنهم فشلوا حيث استرد البرتغاليون نفوذهم عليها خاصة هرمز، وقد حل النفوذ الإسباني محل النفوذ البرتغالي حتى سنة ١٦٤٠م حيث حل نفوذهم على المنطقة والخليج محل البرتغال، وفي عهد عباس الكبير سمح الصفويون لكثير من القسس الكاثوليك بنشر الديانة المسيحية واستقبال مندوب من البابا، حيث استقبل الشاه عباس الكبير في أصفهان مندوبًا من البابا. وفي سنة ١٥٩٩م كتب الشاه عباس الكبير إلى دول أوروبا المسيحية، وأرسل سفارته لهم عارضًا الاتفاق معهم ضد النفوذ العثماني ومحاربة الدولة العثمانية في مقابل أن يفتح لهم نشر المسيحية في إيران واختصاصهم بتجارة الحرير الإيراني، فذهبت بعثته بزعامة أنتوني شارلي وحسين علي بيك، وقابلت قيصر روسيا ثم القيصر الألماني ثم البابا في الفاتيكان وأخيرًا إلى ملك إسبانيا محملة بالهدايا الإيرانية إلى أن رجعت هذه البعثة من لشبونة عن طريق البحر إلى هرمز. وفي سنة ١٠١٠هـ استولى الجيش الإيراني على البحرين طاردًا النفوذ البرتغالي منها، فكان أول من استجاب إلى دعوة الشاه لنشر المسيحية الدولة الإسبانية التي أرسلت من الهند بعض القسس الذين التقوا مع الشاه في مشهد سنة ١٦٠٢م. فوافق الشاه على إقامة كنيسة ودير في كاشان وأصفهان. وأرسل الشاه عباس الكبير وفدًا

إلى ملك بريطانيا حاملًا الأغراض نفسها السابق ذكرها إضافة إلى أن تقدم إيران التسهيلات التجارية خاصة لشركة الهند الشرقية ومنحهم مركزين من موانى إيران على الخليج، وكان ذلك سنة ١٦١١م، وقد أدى البريطاني أنتوني شيرلي وبعض قسس الكاثوليك الفرنجة خدمات جليلة للشاه عباس، وعملوا على الصلة بينه وبين الفرنجة خاصة ملك إسبانيا بقصد التعاون العسكري ضد الدولة العثمانية وتسهيل الشاه للتجار الفرنجة التجارة في الخليج وخاصة تجارة الحرير، ولكن الشاه عباس بعد أن يئس من مساعدة دول الفرنجة خاصة إسبانيا والبرتغال لمساعدته ضد الدولة العثمانية بدأ يهاجم النفوذ البرتغالي والإسباني في الخليج خاصة في البحرين وهرمز وقشم ومدينة جمبرون التي سميت فيما بعد بندر عباس، واتجه في سياسته إلى بريطانيا وإحلال نفوذها في الخليج محل البرتغال والإسبان خاصة.

علاقة الصفويين ببريطانيا:

ترجع علاقة الصفويين ببريطانيا إلى عهد الشاه طهماسب الأول حيث أرسلت بريطانيا سفيرها إلى إيران سنة ٩٦٩هـ، قد قام الشاه بتسهيل الحرية للتجار البريطانيين في نقل البضائع وحرية سكنهم والمحافظة على أمنهم، فكانت تجارة البريطانيين في هذه الفترة تتم عن طريق روسيا وحدودها مع إيران متجنبين الصدام في الخليج بالنفوذ البرتغالي والإسباني، وفي عهد الشاه عباس الأول نمت العلاقة التجارية بين بريطانيا وإيران، وكان لجهود الأخوين البريطانيين أنطوني وريبورت شيرلي دور كبير حيث استقدم كثير من التجار البريطانيين إلى إيران سنة ١٥٩٨م وبأمر من كونت أسكس أحد عظماء بريطانيا طلب منهما السفر إلى إيران وتحريض الشاه عباس على محاربة الدولة العثمانية، وقد أدخل الشاه هذين البريطانيين في خدمته، وقام بتدريب الجنود الإيرانيين لاستخدم الأسلحة النارية وفنون الحرب، واقترح على الشاه إرسال

السفارات إلى ملوك أوروبا يحرضهم على محاربة الدولة العثمانية، وقد أرسل الشاه أنطوني شيرلي وحسين علي بيك في سفارة طويلة لملوك أوروبا وإلى البابا لهذا الغرض، وبعد ثماني سنوات من سفارة شيرلي في أوروبا عاد إلى إيران وأرسى نفوذ شركة الهند الشرقية، ووسع نشاطها التجاري إلى بعض موانى إيران جالبًا بذلك قماش الجوخ المصنع في بريطانيا خصيصًا للشاه حاملًا ردود بعض ملوك أوروبا المتضمنة عمومًا رغبتهم في مساعدة إيران ضد الدولة العثمانية ما عدا إمبراطور ألمانيا الذي اعتذر لشيرلي بأنه قد وقع مع العثمانيين معاهدة وصداقة، ومنذ سنة ١٥٨٣م بدأ التجار البريطانيون علاقتهم بالهند بداية من سواحل المحيط الهندي مزاحمين بذلك النفوذ البرتغالي والإسباني، وفي سنة ١٦٠٨م وصلت أول سفينة بريطانية تابعة لشركة الهند الشرقية إلى سوحل الهند، ثم توالت السفن التجارية البريطانية، وعقد التجار البريطانيون مع الهنود عقودًا للتبادل التجاري، مزاحمين بذلك نفوذ الآخرين، فتمكنوا من تأسيس أول مركز تجاري في سورت، وشيئًا فشيئًا سيطرت شركة الهند الشرقية البريطانية على تجار الهند، وحصلت على تسهيلات من حكام الهند خاصة الموانى في المحيط الهندي. أمر الشاه بتسهيل نشاط التجار والبواخر البريطانية ومعاملتهم كبقية الفرنجة، فزاد نفوذ شركة الهند الشرقية التجاري في الموانى الإيرانية وداخل المدن الكبيرة، وتبادلوا بينهم السفارات، وأصبح الحرير الإيراني يصدر كثير منه عن طريق السفن التجارية في الخليج بدل أن كان يصدر عن طريق الأراضي العثمانية التي كانت تأخذ رسومًا على عبور الحرير عن طريق بغداد وحلب إلى أوروبا، وكان الشاه عباس يريد أيضًا إضعاف النفوذ البرتغالي والإسباني الذي استحوذ على أكثر موانى الخليج. وفي آخر عهد الشاه عباس ضعفت تجارة البريطانيين في إيران لأسباب أهمها مضايقة التجار الهولنديين ومزاحمتهم في هذا المقام، ولكن بعد وفاة الشاه عباس وفي عهد الشاه صفي الدين توثقت العلاقات أكثر مع بريطانيا، وعقدت معاهدة سنة ١٦٣٨م منح

البريطانيون إنشاء مراكز تجارية في المدن الإيرانية وحريتهم في نقل البضائع وتقلد السلاح لحمايتهم. وفي عهد الشاه عباس الثاني بدأ البريطانيون يحتلون المراكز التجارية في الخليج بدل الهولنديين خاصة في جزيرة قشم ومسقط والبصرة، وكان ذلك سنة ١٦٥٤م، وإضعاف النفوذ الهولندي سنة ١٦٨٨م على يد الفرنسيين الذين حاربوا هولندا في البحر المتوسط، وبهذا بادر البريطانيون إلى مزيد من إحلال نفوذهم حتى في الهند، وفي أواخر عهد الدولة الصفوية وفي أثناء حكم الشاه سليمان ضعفت سيطرت الإفرنج جميعًا وخاصة البريطانيين ما دفع بالدولة العثمانية لتحريض العرب خاصة في عمان على الاستيلاء على بعض المراكز التجارية في الخليج وبمساعدة من الأفغان الذين هاجموا شمال الدولة الصفوية، وقد تشجع البلوش في كرمان على مهاجمة المراكز التجارية البريطانية خاصة في بندر عباس بعد ضعف الدولة الصفوية. وساد في هذه الفترة النفوذ الأفغاني والعربي في إيران في أغلب المراكز التجارية في الخليج خاصة على الساحل العربي منه.

علاقة الصفويين بهولندا:

لما كانت هولندا في القرن السادس عشر تابعة للنفوذ البرتغالي والإسباني فإن التجار الهولنديين قد تعرفوا إلى التجارة مع الهند خاصة عن طريق رأس الرجاء الصالح ١٥٩٤م وصلت الهند أول سفينة هولندية تحمل تجارًا من الهولنديين، وفي سنة ١٥٩٨م كونت هولندا في الهند الشركة الهولندية الشرقية، فاتسعت التجارة بين الهولنديين والمراكز التجارية الهندية، وفي سنة ١٦٥٣م استولوا الهولنديون على رأس الرجاء الصالح، واتسعت تجارتهم في جاوة، واستعمروا إندونيسيا، وبسطوا نفوذهم على بعض المراكز التجارية في شرق آسيا، وحاصروا تجارة البرتغاليين والبريطانيين على التوابل في هذه المنطقة. وفي سنة ١٦٢٣م وفي عهد الشاه عباس الكبير أسس الهولنديون مركزًا تجاريًّا

في هرمز، وبسطوا نفوذهم على ما حوله مستغلين بذلك غياب الجيش الصفوي في العراق لمحاربته العثمانيين. واستقبل الشاه عباس بعد رجوعه من العراق سفيرًا لهولندا سهل له وللتجار الهولنديين تجارة الحرير خاصة التي كان الشاه يحتكرها لنفسه ولأتباعه، وأعفى التجار الهولنديون من كثير من الرسوم والضرائب، وأضفى حمايته عليهم، وأعطاهم حرية إقامة كنيسة لهم، وفي آخر عهده اشتدت المنافسة بين التجار الهولنديين والتجار الإنجليز. وفي سنة ١٦٤٥م هاجم الأسطول الهولندي، واحتل جزيرة قشم الإيرانية، ثم اتجه أيضًا إلى هرمز، ولم يفلح في فرض سيطرته عليها، ودخلت هولندا في صراع على النفوذ مع بريطانيا من جهة ومع البرتغال وإسبانيا من جهة أخرى، وفي سنة ١٦٥٠م هاجم الهولنديون المركز التجاري البريطاني في البصرة، وأسس الهولنديون في البصرة مركزًا منافسًا خاصة لتجارة التوابل، وأسس الهولنديون وبمساعدة من عرب مسقط مركزًا تجاريًّا لهم في عمان، وأضعفوا الوجود البرتغالي في مسقط، واشتدت المنافسة التجارية بين الهولنديين والبريطانيين ما دفع بريطانيا سنة ١٦٥٢م إلى إعلان الحرب ضد هولندا. وتكررت الحرب بينهما سنة ١٦٦٤م، فكان من نتيجة ذلك الصدام بين السفن التجارية الهولندية والبريطانية خاصة في الخليج وفي بندر عباس، وعلى الرغم من هزيمة إنجلترا في هذه الحرب إلا أن الأوضاع التجارية في الخليج استمرت نشطة من كلا الطرفين، ثم دخلت هولندا في حرب مع فرنسا ما ضعف نفوذها حتى في الخليج متخلية بذلك إلى النفوذ البريطاني في الخليج وفي إيران، نجحت تجارة الشركة الهولندية الشرقية في عهد الشاه عباس الثاني بسبب صلتهم الشخصية بالشاه وإغداق الهدايا عليه على الرغم من عدم ثقة الإيرانيين في التجار الهولنديين لكثرة مكرهم، وكانوا يجلبون إلى إيران المنتجات الهندية خاصة التوابل وكذلك المنتجات الأوروبية من أقمشة وصناعات مختلفة، ويشترون من إيران الحرير والخزف، ويرجع

نشاط الهولنديين التجاري إلى تدخل دولتهم ومساعدتها لهذه الشركة، وكان أهم مراكزهم التجارية في بندر عباس وأصفهان وفي مدينة لار.

وفي عهد الشاه سليمان والمدعو الصفي الثاني تقلصت التجارة الهولندية، ودخل الهولنديون في خلافات مع الإيرانيين، فاحتلوا في سنة ١٦٨٦م بالقوة بندر عباس وقشم. ثم بدأ ضعف التجارة الهولندية في إيران، وحل محلها البريطانيون وخاصة شركة الهند الشرقية البريطانية، وقد كان لهجمات الجيش الأفغاني على إيران زمن الشاه سلطان حسين أثر في انتهاء النفوذ الهولندي زمن الصفويين حيث هاجم الأفغان أكبر المدن التجارية مثل لار وأصفهان وبندر عباس، وذلك سنة ١١١٠هـ-١١١١هـ[١].

ونود أن نضيف أن الصفويين قد حاولوا استعداء ملوك أوروبا على الدولة العثمانية، فمنذ عهد الشاه إسماعيل سنة ٩١٨هـ وبعد هزيمته في معركة جال ديران أمام السلطان العثماني سليم الأول، فقد كتب إسماعيل إلى إمبراطور ألمانيا والمجر وغيرهما حتى أولئك الذين ليس لهم مصالح في الخليج لمساعدته على الدولة العثمانية.

(١) محمد فتحي يوسف الريس: إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي ٩٠٦-١١٤٨هـ/ ١٥٠٠-١٧٣٦م، ص١٣٣-٢٢٤ - دار الثقافة للطباعة والنشر- القاهرة، ١٩٨٩م.

الفصل الثاني

انتشار التشيع في العصر الصفوي

كانت غالبية سكان إيران من السنة، ولكن انتشار التصوف في آخر الدولة السلجوقية وانتشار الجهل ساعد على انتشار مذهب الشيعة الإثنا عشرية، خاصة في العصر المغولي حيث اختلط التشيع بالتصوف، فكانت المذاهب الصوفية وسيلةً مبدئية لانتشار أفكار الشيعة في إيران، فلما جاء الصفويون بدءًا من الشاه إسماعيل، وضوعوا السيف والقتل في رقاب الناس والعلماء، فأجبروا على اعتناق التشيع، فكانت مجموعات من الغزل باش يدورون في المدن والأسواق يطلبون من الناس البراءة من صحابة رسول الله ﷺ ومن لم يتلفظ بها يقتل.

فقد كان الشاه إسماعيل قد تربى على يد شيخ من الشيعة العلوية، فأُشرب كراهية صحابة رسول الله ﷺ وشتمهم، وأول عمل قام به هو شتم الصحابة والزيادة في الأذان: (أشهد أن عليًّا ولي الله) (وحي على خير العمل)، فكان يأمر جنوده بقتل كل من يعارض ذلك من السنة، وأشاعوا هذا الأمر في المساجد والأسواق مدعيًا أن الإمام الغائب قد خوله القيام بذلك، ونقل الدكتور علي الوردي أن الشاه إسماعيل كان يمتحن العلماء والناس بطلب سب الصحابة، فمن يرفض قتله بالسيف علانية، وهو الذي أحيا مواكب العزاء الحسيني في عاشوراء الذي استحدثه البويهيون ببغداد، فكان هذا الأسلوب سببًا في نشر التشيع خاصة بين الجهلة وقبائل البدو التي نزحت من الجزيرة إلى العراق، وذكر عبدالوهاب المسيري في الموسوعة اليهودية أن الصفويين أجبروا حتى اليهود بالدخول في الإسلام الشيعي، فتكونت منهم طائفة خاصة في مشهد سموا المارانو (المراؤون) أو اليهود المتخفين (متخفيين بالإسلام)[1].

(١) عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية، المجلد الثاني، ص١٧٩، مصر، دار الشروق، ١٩٩٩م.

وفي عهد الشاه طهماسب ولكونه صغير السن احتاج إلى مستشارين وشيوخ من الشيعة الإثنا عشرية، فاستقدم الشيخ علي بن عبدالعال الكركي من النجف، وكان من شيعة البقاع ومن مدينة كرك نوح، فلقي عنده حظوة كبيرة، وكان يأتمر بأمره، وقد أصدر أمرًا إلى جميع وزرائه وقواده بالسمع والطاعة للشيخ الكركي الذي ادعى أنه ولي أو وكيل عن الإمام الغائب، وقد كتب الكركي رسائل وكتبًا في الخراج الذي يجبى إلى الشاه، وأضفى عليه مشروعية دينية، وكتب رسالة في حلية شتم أبوبكر وعمر وسماها[1] (نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت) ورسالة في السجود على التربة الحسينية، ورسالة في وجوب صلاة الجمعة، وقد خالفه كثير من علماء الشيعة الإثنا عشرية خاصة في العراق، ومن أهمهم الشيخ إبراهيم القطيفي الذي رفض خدمة الشاه وهديته، وانتقد رسائل الكركي السالفة وآراءه.

وتولى مكان الكركي الشيخ حسين بن عبدالصمد الوافد من جبل عامل أيضًا، ولكنه كان زاهدًا صوفيًّا، فترك إيران، وسكن البحرين مبتعدًا عن أضواء السلطة، وقد نصح ابنه الشيخ محمد البهائي بترك خدمة السلطان أيضًا.

ولم تدم خدمته عند الشاه كثيرًا، بل ترك منصبه متجولًا في إيران وتركيا والشاه، وكتب كتابه الشهير بالكشكول ضمنه مختلف العلوم، ولم يكن متعصبًا للشيعة.

ومن آثار النزاع المستمر بين العثمانيين والصفويين أن هذا النزاع قد أنقذ أوروبا من احتلال العثمانيين، وقد شهد بهذه الحقيقة كثير من مؤرخي أوروبا، فكان الصفويون دائمًا في سياستهم ينحازون إلى الأوروبيين ضد الدولة العثمانية خاصة في علاقتهم مع البرتغاليين والإنجليز والإيطاليين والإسبان، ومن أسباب ضعف الدولة العثمانية في آخر عهدها استنفاد قوتها في حروب مع

(١) كولن تيرنر: المصدر السابق، ص١٠٣.

الصفويين إضافة إلى الأوروبيين، وقد وصل هذا التحالف ليس فقط لاحتلال البحرين وسواحل الخليج بل تعداه إلى الاتفاق مع البحرية البرتغالية لحصار مدينة جدة من قبل البرتغاليين، وأن يقوم جيش الصفويين بحصارها واحتلالها من البر عند احتلالهم للعراق.

ومن مؤثرات الصفويين في مذهب السنة في إيران أن دفعت كثيرًا من العلماء إلى الهجرة وترك إيران إما إلى العراق والشام أو إلى أنحاء مختلفة من الدولة العثمانية، وقد أحصى الدكتور مشتاق عبد مناف الحلو في بحثه (الصفوية والعثمانية.. تطاحن الإيديولوجيات الطائفية) نحو ستين عالمًا ممن تركوا إيران، ويرى الدكتور علي شريعتي أن الجنس الفارسي من الإيرانيين والذين اعتنقوا التشيع في العهد الصفوي كانت لديهم نزعة قومية فارسية لإرجاع النفوذ الفارسي القديم منذ ما قبل الإسلام أرادوا إحياءه، ولكن على أسس مختلطة بين التعاليم المجوسية وتعاليم مذهب الشيعة الإثنا عشرية[١].

ونتيجة لانتشار التشيع في العصر الصفوي ظهر كثير من علماء الشيعة متأثرين بالمدارس الصوفية أمثال:

- الشيخ البهائي العاملي صاحب كتاب الكشكول.
- محمد تقي المجلسي، وهو تلميذ الشيخ البهائي.
- الملا محسن الفيض الكاشاني.

وظهر علماء شيعة قد تأثروا بالفلسفة خاصة اليونانية أو تأثروا بمقالات مجوسية أو نصرانية أو يهودية من أمثال: المير داماد: وهو محمد باقر الداماد الحسيني الإسترآبادي.

---

(١) د. علي الشيخ: الدولة الصفوية وأتباع الأديان والمذاهب الأخرى، ص ٩٤ (الصفوية التاريخ والصراع والرواسب) وما بعدها، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ط٣ - دبي، ٢٠١١م، علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، جـ١، ص٤٣.

- الميرفندرسكي: وهو أبوالقاسم المير فندر سكي.
- صدر المتألهين (الملا صدرا الشيرازي).
- الملا عبدالرزاق اللاهي جي.
- الملا حسين التنكابنى.
- محمد بن علي رضا آقا جاني.

وإذا كان الإيرانيون وعلماؤهم من رجال الثورة يقتدون بجمال الدين الأفغاني فإن آراءه لا تتفق معهم حيث يرى أن العلاج الناجح للأمة إنما يكون برجوعها إلى قواعد دينها والأخذ بأحكامه على ما كان في بدايته[١].

وقد بحثنا هذا الموضوع بالتفصيل في كتابنا (أثر العناصر الأجنبية على الشيعة الإثنا عشرية) (مكتبة العبيكان).

هجرة علماء جبل عامل الشيعة إلى إيران:

يرى بعض علماء الشيعة أن التشيع في الشام قديمًا يرجع إلى زمن نفي أبي ذَر الغفاري إلى الربذة على اعتبار أن أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أصحاب الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أو إلى زمن الصحابي سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومروره بدمشق زائرًا الصحابي أبًا الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بيروت، والحقيقة أن التشيع لم تتضح معالمه إلا بعد مقتل الإمام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢].

---

(١) د. حيدر عبد المناف البياتي: (الصفوية التاريخ والصراع والرواسب)، ص١١٥ وما بعدها، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ط٣ - دبي ٢٠١١م.

الأفغاني: رسالة الرد على الدهريين (الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني) ص١٦٠ وما بعدها - تحقيق ودراسة: د. محمد عمارة - القاهرة، ١٩٦٨م.

د. صابر طعيمة: الأصول العقدية، ص١٧ وما بعدها - مكتبة مدبولي - القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٢) علي مروة: التشيع بين جبل عامل وإيران، ص٤٣-٤٧.

ويبدو أن التشيع الواضح الذي ترك بعض الأثر في المذهب الشيعي وهو الدليل القاطع كان إبان انتشار التشيع في العالم العربي زمن البويهيين حكام إيران والعراق. فقد امتد تأثير شيعة العراق في هذا الوقت إلى مدينة صور بلبنان، وكان ذلك في نهاية القرن الخامس الهجري، ثم القرن السادس والسابع بدأ تقاطر الشيعة إلى صور وطرابلس والكرك وجبل عامل، وأضحى العلماء فيها يفد إليهم طلاب العلم من إيران والعراق وغيرها، ولكن المنطقة هذه كانت تحت النفوذ الفاطمي الشيعي الإسماعيلي وهو منافس للتشيّع الإمامي الإثنا عشري الذي كان يرعاه البويهيون في العراق وإيران وبعض مناطق نفوذهم الأخرى.

ونشير إلى نفوذ الدولة الأيوبية التي كان مركزها حلب في هذه الفترة، وهي تتبنى التشيع الفاطمي الإسماعيلي والتشيع الإثنا عشري معًا، ولكن شعبها أكثرهم من أهل السنة، ولكنها واقعة بين النفوذين. من أوائل العلماء في جبل عامل في القرن السابع الهجري الشيخ نظير الدين العاملي، وكان له تلاميذ ومريدون، وهذا يدل على وجود بعض الشيعة في جبل عامل منذ ذلك الوقت، وقد رحل من علماء جبل عامل وجزين وجباع وما حولها إلى العراق طلبًا للعلم خاصة إلى النجف بعد أن أسس فيها الطوسي علمه ومدرسته، فكان إسماعيل بن الحسين الجزيني العاملي (٥٨٠ هجرى) من أوائل من رحل إلى العراق طلبًا للعلم، وبعد أن انتقل إلى العراق نقل التشيع العاملي إلى الحلة بمساعدة من الزيديين مثل كثير من طلبة العلم في جبل عامل وما حولها يدرسون في الحلة عن مشايخها منهم جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي العاملي، وكان في الحلة يومها الشيخ فخر الدين المطهر العلامة (٧٧١ هجري) وممن رحل أيضًا الشهيد الأول محمد مكي، ومنذ سقوط بغداد على يد هولاكو إلى بداية القرن التاسع الهجري أصيب التشيع وغيره بانتكاسة عاد بعدها إلى الانتعاش خاصة في الحلة، ومن بين الرحلات العلمية من قبل طلبة جبل عامل وما حولهم لم تكن فقط إلى العراق بل كانت أيضًا إلى الهند خاصة حيدر أباد وإلي مصر منهم الشهيد الثاني الشيخ صفي

الدين العاملي زار مصر سنة ٩٤٢ هجرية، وأخذ عن بعض علمائها. وعمومًا، فإن التشيع قد تأصّل في جبل عامل، وانتشر فيما حول المنطقة خاصة كرك نوح التي ينسب لها الشيخ الكركي وبسيطرة الصفويين على حكم إيران، ومن بداية حكم الشاه إسماعيل الصفوي بدأت رحلات شيوخ جبل عامل ولبنان تتوالى على إيران بتشجيع من الصفويين، حيث كان أتباعهم القز لباش من العناصر التركية لا يفقهون كثيرًا في المذهب الإثنا عشري غير ما تعلموه في الغلو وسب صحابة رسول الله ﷺ وإكراه سنة إيران وإجبارهم على التشيع بحد السيف، ومن أوائل من ذهب من جبل عامل إلى إيران الشيخ حسني عبدالصمد العاملي شيخه الشهيد الثاني زين العاملي حيث لم يحتمل العثمانيون آراء بعض الشيعة المتطرفة أو المغالية حيث قتل البعض أمثال المدعو بالشهيد الأول، حيث قد عملت العلاقات المتوترة بين العثمانيين (الذين يحكمون الشام) والصفويين الذين يحكمون إيران عملها في هذه الفتن. ولكن أهم من رحل من جبل عامل إلى إيران في عهد الشاه إسماعيل وبدعوة منه هو الشيخ علي بن حسين بن عبد العالي الكركي بعد إقامته بالعراق. وقد أغدق عليه الشاه المال الكثير لإنفاقه في نشر المذهب وتدريس طلبة العلم. وبعد وفاة الشاه إسماعيل بقي الكركي مكرمًا من ابنه الشاه طهماسب الأول، فعينه حاكمًا في الأمور الشرعية لجميع البلاد، وكتب له بذلك فرمانًا، وقيل: إن الكركي كان وراء العمل في تغيير القبلة التي كانت عليها مساجد إيران حيث حرفت إلى اليسار على عدة أسس ودعاوى منها ما قيل: إنها توافق الاتجاه للحجر الأسود، وقيل: إن ذلك جرى بعد تحقيق من علماء الهيئة، وقيل وهو الأول: ربما لمخالفة ما كان عليه سنة إيران حيث عمد الصفويون وبمساعدة من علماء الشيعة أمثال الكركي وغيره ممن قدموا من العراق والشام وهم ضد أهل السنة والعثمانيين إلى مخالفة أهل السنة في إيران لمحو آثارهم كما قدمنا... ونقل عن الشيخ نعمة الله الجزائري (وهو من علماء الشيعة الصفويين) أن الشاه طهماسب كان يعد الشيخ الكركي نائبًا للإمام

الغائب، وأنه كان يقول له: أنت الحاكم الحقيقي، ونحن أتباعك. وبعد أن جاء علماء الشيعة من جبل عامل قام الصفويون بمزيد من التقتيل لعلماء السنة حيث عمدوا إلى قتل الشيخ أحمد بن يحيى بن سعد التفتزاني سنة ٩١٦هجرية من علماء السنة.

وقد قيل: إن الكركي كان حينها في معية الشاه طهماسب، وإنه تأسف على مقتل التفتزاني، وقال: إنه كان راغبًا في محاورته، وعمومًا فإن للكركي تأثيرًا كبيرًا لما تركه من تلاميذ أصبحوا مؤثرين في التشيع الصفوي منهم عبد النبي الجزائري الشيخ الشهير بابن خاثون، وأثر الكركي في التشيع نتج عنه تركيز التشيع في إيران وصعود الشيعة إلى درجة المغالاة في المذهب وكراهية السنة.

بعد قيام الدولة الصفوية واتجاهاتها نحو التشيع المغالي والفظائع التي ارتكبها جيش القزل باش بقيادة الشاه إسماعيل، وجدت الدولة العثمانية نفسها مضطرة إلى قمع النفوذ الصفوي بدءًا بموقعة جالديران التي أشرنا إليها قرب تبريز للضغط على شيعة جبل عامل بلبنان ما دفع العثمانيين وخاصة في عهد السلطان سليم إلى تتبع وقمع الحركات الشيعية في أنحاء الإمبراطورية العثمانية وقبلهم أنهى أيضا سلطان المماليك على بلاد الشام مما ضايق تجمعات الشيعة في حلب ونواحي ساحل البحر الأبيض المتوسط، والذين تشجعوا بتأثير من الدولة الصفوية واتخذ هذا الصراع نهجًا مذهبيًا حيث قام قاضي القضاة العثماني الشيخ أبو السعود بإصدار فتوى بتكفير الشيعة جنود القزل باش.

ويلاحظ الباحث أن الثورات الشيعية والعلوية التي حصلت خاصة في العصر العباسي كانت أكثرها حركات فاشلة ما يضطر القائمين بها إلى الهروب عن مركز الدولة الإسلامية والتستر في الجبال والقلاع الحصينة، وهذا أمر مشاهد من أمثلته قيام دولة حسن الأطروش الزيدية في جبال الديلم بإيران منتصف القرن الثالث الهجري كما هو الشأن أيضًا في تمركز المذهب الزيدي

وانتشاره في اليمن خاصة على يد الداعية الزيدي يحيى الرسَى وبمساعدة من الداعية الكوفي الأصل والشهير بمنصور اليمن، ويبدو أن هذه الحالة تكررت أيضًا في جبل عامل بلبنان حيث تسللت قديمًا بعض الجماعات الشيعية من مذاهب شيعية شتى فيما يبدو في أول الأمر، ومن أوائل المناطق التي ذكر فيها تجمعات شيعية بلدة الظنية ومنطقة زغرتا كما وُجِد أيضًا في جبال كسروان مجموعات شيعية بعضها كانت من الغلاة فيما يبدو كما يشير الرحالة الإيراني ناصر خسرو في كتابه (سفر نامه) إلى أنه حينما زار مدينة طرابلس وجد فيها مجموعات من الشيعة أيضًا، وكان ذلك سنة ٤٣٨هـ، وكان أمراؤها فيما يبدو متصلين بالفاطميين الإسماعيليين بمصر، ويوجد في صيدا بعض الشيعة والكثير منهم في صور، و مذهب الشيعة كان منتشرًا في القرن الخامس الهجري في كل من حلب ودمشق، كل ذلك تحت المؤثرات السياسية التي قام بها البويهيون والفاطميون والحمدانيون. وفي أواخر القرن الخامس الهجري محا السلاجقة والأيوبيون المماليك مظاهر التشيع في كل من الشام ومصر خاصة، وأضحى التشيع حركة سرية انزوت في الأماكن الحصينة، ومنها جبال عامل. وفي كتاب (أمل الآمل) لمحمد بن الحسن العاملي الملقب بالحر العاملي سنة ١٠٣٣-١١٠٤هـ، وهو من المهاجرين من جبل عامل إلى إيران، فقد أحصى ما يقارب من مئتي وثلاثة عشر عالمًا منهم ستون هاجروا إلى إيران والبقية هاجروا إلى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي، وقد عينه الشاه شيخًا للإسلام في مشهد، وعرف بكتابه أيضًا (الإثنا عشرية في الرد على الصوفية) ففي كتابه (أمل الآمل) توثيق لأسمائهم في الفترة الصفوية في إيران. وقد ذكر الحر العاملي بعض علماء جبل عامل منهم:

- طه بن محمد فخر الدين الجزيني.
- مكي بن محمد بن حامد الجزيني (ت٧٢٨هـ).
- نجم الدين طومان الجزيني.
- أبو القاسم بن الحسين بن العود الأسدي.

محمد بن مكي الجزيني والمشهور (بالشهيد الأول) في كتب الشيعة، ولد سنة ٧٢٠هـ، ورحل إلى الحلة بالعراق سنة ٧٥٠ هـ، ودرس على يد تلاميذ الحسن بن المطهر الحلي (ت٧٢٦هـ) ورحل إلى بغداد، ودرس على يد الشيخ شمس الائمة الشافعي القرشي، ثم تنقل في الأمصار الإسلامية متظاهرًا عند علمائها بأنه شافعي المذهب، وفي حدود سنة ٧٦٠هـ رجع إلى جزين، وبعد مدة قصيرة اجتاح المنطقة حكم المماليك، فرجع كثير من السكان الشيعة إلى التسنن، وفي هذه الفترة رحل إلى دمشق، وفيها كتب أهم كتبه (اللمعة الدمشقية) مصنفًا على أبواب الفقه الإثنا عشري. ونقل عن تلميذه الشيخ المقداد السيوري الحلي أن المماليك أخذوا على الشيخ فكرته عن الإمامة المخالفة لفكرة المماليك عن الخلافة ما تسبب في محاكمته وقتله. ونقل أن المماليك قد أخذوا على الشيخ ما كان الشيعة يجمعون له من الأخماس. ومن المحتمل أن الشيخ وأتباعه قد وصل إلى درجة الخطورة على الحكم، ومقتله يعبر عن الاحتقان والتصادم السياسي بين الشيعة في تلك المناطق وبين السنة. وعمومًا، فقد اتهم بأنه رافضي يسب الصحابة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ويحل المتعة، وأنه على مذهب الرفض من الشيعة. واتهم باقترابه من مذهب الشيعة النصيرية وهو مذهب منتشر في أقاليم شتى من سواحل البحر الأبيض المتوسط والجبال التي خلفه، وقد اكتسحت جيوش الدولة العثمانية نفوذ المماليك الذي انتهى بعد معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ، ويبدو أن هذه المنطقة ومنها جبل عامل قد دخلت في حقبة تاريخية شديدة الوطأة على الشيعة، وذلك بسبب الصدام العثماني الصفوي الذي سبق إيضاحه، فتحول التشيع في جبل عامل إلى حركة سرية، فقد نقل أن الشيخ زين الدين بن علي الجباعي حينما عرف العثمانيون بتشيعه طلبوه، فهرب إلى مكة المكرمة، فقبض عليه فيها، وأرسل إلى إسطنبول حيث تم معاقبته سنة ٩٦٥هـ.

وعلي بن أحمد بن أبي جامع، تعده بعض المصادر من أوائل الشيوخ الذين هاجروا من جبل عامل إلى إيران، وذلك بعد مقتل الشهيد الثاني.

محمد بن حسن بن زين الدين (ت١٠٣٥هـ) أيضًا هرب من جبل عامل إلى إيران الشيخ محمد بن علي الحرفوشي (ت١٠٥٩هـ) أيضًا هرب من جبل عامل إلى إيران.

أوائل المهاجرين من العلماء إلى إيران منهم:

- **علي بن عبد العالي الكركي ت٩٤٠هـ:** نسبة إلى كرك نوح قرب زحلة درس على يد الشيخ محمد بن محمد بن خاتون والشيخ شمس الدين محمد الجزيني وشمس الدين محمد بن أحمد، ورحل إلى دمشق والقدس ومصر والعراق، ثم اتجه إلى إيران في آخر عهد الشاه إسماعيل في وقت استولى العثمانيون على الشام. التقى الشاه في هراه، وكان الشاه قد قتل فيها بعض فقهاء السنة منهم أحمد بن يحيى الشهير بـ أحمد الحفيد، استقر في كاشان، واهتم بنشر التشيع عن طريق المدارس في الحواضر التي كان يزورها، وذلك بتأييد وإمداد من الشاه، وفي سنة ٩٢٩هـ أي قبل سنة وفاة الشاه إسماعيل ترك إيران، واستقر بالنجف بالعراق، ومن المحتمل أن الكركي قد اصطدم بشخصية الشاه إسماعيل وعلماء الشيعة الذين كانوا حوله، فأمضى ست سنوات في النجف، ثم رجع بعدها في عهد الشاه طهماسب الشاه صغير السن، فأصدر الشاه أمرًا نشأ فيه بوجوب طاعة الشيخ الكركي في جميع ما يقوله، وأسند ذلك إلى رواية من حديث عن الإمام الصادق. وعلل الباحثون هذا الأمر بتأسيس ما سمي ولاية الفقيه نائبًا ووليًّا عن حكم الإمام الغائب، فاتسع بذلك نفوذ الشيخ الكركي، وأضحى هو المدبر للنشاط السياسي والفقهي في إيران في هذا العهد. فكان يعين، ويعزل الكثير من المتولين لشؤون الدولة، وبسبب اتساع هذا النفوذ أغرى المتنفذين وخاصة القزل باش تلميذ الشيخ الكركي إبراهيم سليمان القطيفي بالاصطدام معه ومعارضة اجتهاداته الفقيه حيث كان الشيخ إبراهيم متأثرًا بالمدرسة الإخبارية التي لا تجيز الاجتهاد إلا في

حدود ضيقة (متأثرًا بشيخها أحمد الإحسائي) وقيل: إن الحال وصلت إلى محاولة اغتيال من قبل الأمير محمود بك مهر دار، ويبدو أن الشاه وجد حلًّا لهذا الإشكال، وذلك بإبعاد الكركي والشيخ إبراهيم معًا إلى العراق، وفي النجف توفي الكركي سنة ٩٤٠هـ وقيل: إنه توفي مسمومًا.

- **كمال الدين درويش محمد بن الحسن العاملي:** استقر به المقام بأصفهان سنة ٩٣٩هـ قيل: إنه تلميذ الشيخ الكركي، وإنه رحل معه إلى النجف، ولكنه عاد إلى إيران بعد وفاة الكركي.

- **علي بن هلال الكركي (ت٩٩٣هـ):** من تلاميذ الشيخ الكركي رحل من جبل عامل سنة ٩٣٢هـ إلى النجف، ثم رحل إلى الهند، ومنها إلى إيران حيث عينه الشاه طهماسب شيخًا للإسلام، واستمر في هذا المنصب في عهد الشاه إسماعيل الثاني بن طهماسب الذي ذكر عنه عدم تعصبه للتشيع، وتذكر بعض المصادر أن هذا قد ارتد عن التشيع ما سبب تألب فقهاء الشيعة وخاصة القادمين من جبل عامل حيث لم يطل حكمه أكثر من سنة.

- **حسين بن عبدالصمد الجباعي (ت٩٨٤هـ):** وهو تلميذ الشيخ زين الدين بن علي الشهير بالشهيد الثاني الذي قتله العثمانيون في جبل عامل، وقد رحل التلميذ حسين إلى بغداد، ثم رجع إلى بعلبك مقيمًا عند أستاذه، وبعد مقتل أستاذه سنة ٩٦٥هـ رحل إلى إيران (أصفهان) وبعد ثلاث سنوات التقى الشاه طهماسب، فعينه شيخًا للإسلام في قزوين، وبعد أربع عشرة سنة لم يطب له المقام، فذهب إلى الحج، وفيه توفي، وقيل: إنه مال نحو التصوف، وإنه يرى وجوب إقامة الجمعة، ويحتمل أنه دخل في خلاف مع علماء آخرين، فنقله الشاه من قزوين إلى هراه ذات الأغلبية السنية، وقيل: إنه بعد ذلك كتب لابنه بهاء الدين ناصحًا: «إن أردت الدنيا فارحل إلى الهند وإن أردت الآخرة فاتبعني، وإن أردت لا دنيا ولا آخرة فامكث في بلاد العجم».

- **بهاء الدين العاملي محمد بن الحسين بن عبدالصمد العاملي (ت١٠٣٠هـ):** ولد في بعلبك سنة ٩٥٣هـ، ورحل مع أبيه إلى إيران وعمره ثلاث عشرة سنة درس على أبيه وعلى الملا عبدالله بن شهاب الدين حسين الدين اليزدي ودرس علوم الفلك والرياضيات والطب إضافة إلى علوم الدين، وحل محل أبيه شيخًا للإسلام في هراه، ثم رحل إلى الحجاز والقدس والشام ومصر وآسيا الصغرى، ثم رجع إلى إيران، فعينه الشاه عباس الكبير شيخًا للإسلام في أصفهان وفيها توفي. كتب كتابه الشهير (زبدة الأصول) نسب له بعض الشعر الصوفي الذي وصفه بعض الشيعة بالعرفاني ما سبب لمزه في بعض المصادر، ويبدو أن دراسته الواسعة للفلسفة والتصوف دفعته إلى ترك أصفهان والذهاب إلى الحج والسياحة في أرض الله كما يفعل المتصوفة، وذلك مدة ثلاثين سنة قيل: إنه متنكر بزي درويش شافعي، ثم رجع بعدها إلى إيران. وذكر له كتاب (أسرار قاسمي) في العلوم الغريبة وهندسة سور صحن مسجد الإمام علي في النجف ونسب له رسالة بالفأل، ونسب له كتاب (رسالة في وحدة الوجود) طبعت في مصر وهذا موضوع يتناوله أكثر الصوفية والفلاسفة، وله كتاب (جامع عباسي) في الفقه، وهو منسوب للشاه عباس الكبير بالفارسية، وله كتب في الرياضيات وقواعد اللغة العربية وديوان شعر، ويرى جعفر المهاجر في كتابه عن علماء جبل عامل أن الاتجاهات الصوفية عمومًا كانت موجودة في فقهاء جبل عامل[1] ويبدو لي أن الاتجاه الصوفي لدى فقهاء جبل عامل لم يحصل إلا بعد هجرتهم خاصة أولئك الذين هاجروا إلى إيران، وتمكنوا من الدراسة والالتقاء بشيوخ قد ألموا بعلوم الفلسفة والتصوف إضافة إلى الفقه الشافعي السائد يومها في إيران، ومع ذلك ينسب إلى الشيخ أحمد بن فهد الحلي توجهات صوفية في جبل عامل، وإن لم يهاجر إلى إيران

(١) جعفر المهاجر: الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي، ص٢٠٨، -دار الروضة للطباعة والنشر، ط١، بيروت- ١٩٨٩م.

وكذلك إلى الشيخ محمد بن محسن بن مرتضى الشهير بالفيض الكاشاني نسب له التأثر بالفلسفة الإشراقية (فلسفة أفلوطين) والغريب أنه من المدرسة الإخبارية التي تعادي عادة التوجهات العقلية وهو ليس عامليًّا كما كان شيخه الملا صدرا من فقهاء الشيعة المتأثرين بالفلسفة الإشراقية كل ذلك حسبما أوضحناه في كتابنا (أثر العناصر الأجنبية على بعض الشيعة الإثنا عشرية).

- **الشيخ إبراهيم بن إبراهيم بن فخر الدين البازوري.**
- **محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت١١١٠هـ) وأثره في التشيع الصفوي.**

يرجع نسب المجلسي إلى الشيخ الحافظ أبونعيم أحمد بن عبدالله بن موسى بن مهران الأصبهاني: صاحب كتاب (حلية الأولياء) الذي تصفه بعض كتب الشيعة بالعامي؛ أي السني. ولد محمد باقر المجلسي في عام ١٠٣٧هـ في أصفهان من أسرة علم، فقد كان أبوه محمد تقي المجلسي من علماء الإمامية الذين تأثروا في أول حياتهم بالتصوف، فقد كان جده صاحب (حلية الأولياء) صوفيًّا، وقد رحل الأب من أصفهان إلى النجف سنة ١٠٣٤هـ، ثم رجع عن التصوف متأثرًا بعلماء النجف المعادين للصوفية، درس محمد باقر علوم الشريعة في الفقه والحديث والأصول على والده وعلى الشيخ محمد طاهر القمي ودرس أيضًا على الشيخ محسن الفيض الكاشاني والشيخ محمد الحر العاملي، وحصل على إجازة بالمراسلة من الشيخ نور الدين علي بن علي الحسيني العاملي، ويُعدّ الشيوخ الآتية أسماؤهم من شيوخ المجلسي بشكل ثانوي أو محدد بموضوعات مختلفة، وهم: الملا محمد صالح المازندراني، وحسين علي بن عبدالله الشوشتري، ورفيع الدين محمد النائيني، وأيضًا المعروف بالميرزا رفيعا، ومير شرف الدين علي الشهرستاني النجفي، وعلي بن محمد بن الحسن الشهيدي الأصفهاني، ومحمد مؤمن الإسترابادي، ومحمد بن شرف الدين الجزائري، وقد درس المجلسي ما يسمى عند الشيعة علم المنقول والمعقول، ولكنه مال أكثر إلى أن يكون من

شيوخ المنقول (الأحاديث وأخبار الأئمة والمعجزات.... ويُتهم المجلسي بأنه مؤيد للسلطة الصفوية خاصة في عهد الشاه سليمان والسلطان حسين، وتولى إمامإمامة جامع أصفهان، ومن المعلوم أن أصفهان كانت عاصمة الصفويين ومركزهم السياسي، وقيل: إنه عين قاضيًا في أصفهان، واتهم المجلسي بتلفيق أحاديث لتثبيت وشرعنه ملوك الصفويين[١].

ومن غلاة علماء الشيعة في العصر الصفوي:

١- بهاء الدين العاملي الجبعي.

٢- عبد النبي الجزائري.

٣- نعمة الله الجزائري.

٤- العاملي الميرزا حبيب الله الكركي (ت١٠٩٥هـ).

٥- محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١٠٣٣هـ).

٦- الأغادين الخوانساري المحقق. ٧- محمد باقر المجلسي صاحب كتاب (بحارالأنوار).

كان لعلماء جبل عامل الشيعة المهاجرون إلى إيران الصفوية خدمة كبيرة للصفويين وللمذهب، ولكنهم مع الأسف شارك أكثرهم في الغلو في المذهب، وسكتوا، وحرض بعضهم على إيذاء السنة وإجبارهم على التشيع في تلك الفترة، وما ذكرنا من جملة العلماء إنما هم النموذج ولمن أراد التقصي والتفصيل مراجعة كتاب علي مروة عن تاريخ الشيعة في جبل عامل وهجرتهم إلى إيران الصفوية.

---

(١) كولن تيرنر: التشيع والتحول في العصر الصفوي، ترجمة: حسين علي عبدالستار: ص٢٥٥ وما بعدها - منشورات الجمل - بغداد، ٢٠٠٨م.

وعمومًا، فإن جبل عامل وما حوله من الشيعة الإثنا عشرية الذين يسمون في لبنان المتاولة مروا خلال فترة النفوذ العثماني على هذه المنطقة بمشكلات وأحداث حربية طائفية دفعتهم في بعض الأحيان للتحالف مع الجيش الفرنسي أيام نابليون بونابرت ومرة أخرى مع مسيحيي المنطقة الذين هم الآخرون تحالفوا مع الفرنسيين.

وكان الجو العام في جبل عامل دفع العلماء الشيعة للهجرة إلى الشام والعراق، وكان حكم الصفويين لإيران واستقراره فيما بعد ومعاداة الجميع للدولة العثمانية سببًا لرحيل كثير من شيعة جبل عامل وعلمائها إلى شتى المدن الإيرانية واستيطانهم[١] فيها، وعمومًا فإن أهم الآثار الفكرية الناتجة عن أعمال الشيعة العرب في إيران إبان تلك الفترة تتلخص فيما يلي:

١- كان مذهب الإخباريين من الشيعة الإثنا عشرية قد انتشر بواسطة الشيخ أحمد الأحسائي وتلاميذه في العراق خاصة، وهم في منهجهم يوثقون جميع الأخبار الواردة في كتب الحديث، ولا يطعنون فيها مثلما وصل هذا التيار إلى إيران في خفية من الصفويين كان انتصارًا في النهاية للأصوليين من علماء الشيعة والعلماء العرب، كانوا في غالبيتهم يقودون هذا الاتجاه، منهم يعتمدون قواعد فقه الأصول في تحقيق النصوص إلى الذي يمليه عليهم تفكيرهم، فقد لا يوثقون أخبارًا وردت من كذابين أو من لا يوثق بدينهم أو لأي سبب آخر يقدح في شخصهم أو علمهم، وهذا الفريق كان قديمًا يقوده الشيخ المفيد والطوسي والسيد المرتضى أفاد هذا الاتجاه متأثرًا بما عليه أهل السنة من أصول الفقه المفيدة تطورت منذ عهد الشافعي كما لا يخفى أثر المدرسة المعتزلة في هذا التوجه عند الشيعة عمومًا. كان الأصوليون الشيعة هم أدوات تطور الفقه، ففي هذه المقولة تطور عندهم وجوب الاجتهاد وترك التقليد (الذي لا يميل إليه الإخباريون).

---

(١) علي الزين: فصول من تاريخ الشيعة في لبنان، عرض بدر الدين عباس: المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ١٤١٢هـ.

وسبب هذا التوجه ظهر فيما بعد بين العلماء الأصوليين الشيعة ما يسمى آية الذي يتصدى للاجتهاد يجب أن يكون من أعلم العلماء، وأن الجميع قد شهدوا له بذلك وفى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ظهر هذا المفهوم، ونتج عنه أن المتصف بتلك الصفة يستحق أن يكون نائبًا عن الإمام الغائب، وأن اجتهاده ورأيه هو من رأي الإمام الغائب. وهذا العالم هو الذي يستحق أن يقلد، ومن هنا نشأ ما يسمى عند الشيعة المرجعية الدينية، وأصبح لكل قوم اتجاه ومرجع يعتمدون تقليده ودفع الزكاة والخمس له ولنائبه، وهناك تنافس بين المرجعية في قم ومرجعية النجف وهذا التنافس والخلاف قد يسبب لإيران الكثير من المشكلات السياسية حيث تتمحور غالبًا مرجعية النجف حول توجهات العرب الشيعة، ولم يكن مثل ذلك واضحًا فيما قبل.

وعن القول بالمرجعية وتقليدها أنتجت خاصة عند المُلا أحمد النراقي (ت١٢٤٥هـ) ما يسمى فيما بعد بوضوح ولاية الفقيه حيث إن هذا المرجع يجب أن يكون وليًّا ونائبًا عن الإمام الغائب، وأعطوا تلك الولاية قدسية بحيث تحل محل الإمام الغائب في الحكم، وهذا مفهوم سياسي يهدد السلطان لم يظهر من قبل.

إن البويهيين وقد كانوا زيدية انقلبوا بعد ذلك عند احتلالهم بغداد إلى إماميه إثنا عشرية؛ لأن إمام هؤلاء غائب يمكنهم من الحكم بخلاف الشيعة الزيدية الذين أفهموا عضد الدولة عند دخوله أن الحكم للداعي الزيدي وليس له، وقد تطورت هذه الفكرة إلى نظرية عند الخميني ظهرت بشكل تطبيقي لا نظري في ظل حكومة الثورة الإسلامية في إيران[1].

(١) أحمد كاظمي موسوي: ظهور مرجعية التقليد في المذهب الشيعي الإثنا عشري أو الاجتهاد، العدد الرابع ١٩٩٨م بيروت/ البغدادي: تاريخ بغداد، ج٣: ص١٨١وما بعدها/ القرطبي: التفسير، ج ١، ص٨٢/ الشهرستاني: الملل، ج١، ص١٨٤/ الكشي: رجال، ص٢٢٥ وص٢٦٦:/ المفيد: الإرشاد، ص٤١٣، نعمة الله الجزائري: الأنوار النعمانية، ج٢، ص٢٥٦.

الباب الرابع

الفكر السياسي الإيراني وعلاقته بالعرب

الفصل الأول

أثر فكر الشيعة الإثنا عشرية في إيران

إن مشروعية الحكم في مذهب الشيعة الإثنا عشرية تُؤسَّس حول فكرة الاختيار الإلهي من الله إلى الأئمة المعصومين التي تحدد باثني عشر إماما آخرهم الإمام الغائب المنتظر، وبعد ظهور البويهيين في إيران بوصفهم قوة عسكرية تأثروا بمذهب الشيعة الزيدية الذي ترك أثره في بلاد الديلم الإيرانية بعد قيام دولة حسن الأطروش، فاستولوا على الحكم في إيران أولًا، ثم استولوا على العراق، فدخل عضد الدولة بغداد بجيشه الإيراني سنة ٣٣٤هـ، فخضعت له جميع القوى، ونصحه مستشاروه بعدم إسقاط الخلافة العباسية وترك الخليفة مجرد رمز يدعى له أيام الجمع، ويصك اسمه على النقود، وفي بداية أيام عضد الدولة تقدم له كبار المذهب الزيدي طالبين أن الحكم للداعي الزيدي، وليس له ولا للخليفة العباسي، ولما علم عضد الدولة أن مذهب الشيعة الإثنا عشرية كان قد تقرر فيه أن إمامهم غائب، فتحول هو وأتباعه إلى هذا المذهب حيث تقضي الأحوال الاعتراف بشرعية الحكم البويهي، ثم قام بالتنكيل بأتباع الزيدية، وقرب إليه علماء الشيعة الإثنا عشرية وعلى رأسهم الشيخ محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد (ت ٤١٣هـ) فانتعش بذلك مذهب الإثنا عشرية، واتخذ الشيخ المفيد مسجد براثا بالكرخ مركزًا له، وله مؤلفات كثيرة في المذهب منها كتاب المقنعة الذي شرحه تلميذه محمد بن الحسن الطوسي في كتابه (التهذيب) وله كتاب (أوائل المقالات) وكتاب (الأمالي) وكتاب (الاختصاص) وكتاب (حرب الجمل) ورسائل وردود كثيرة على علماء عصره، والمهم في هذا المقام ما نقل عن الشيخ المفيد أنه في زمن الغيبة يصح التعاون على الحق مع الحاكم أيًّا كانت

الأحوال، ويبدو أن الإثنا عشرية قبل المفيد على خلاف هذا الرأي حيث يعدّون جميع الحكام من غير الأئمة المعصومين ظالمين، وقد تابع المفيد على رأيه السابق كلًّا من تلميذه محمد بن الحسن الطوسي والشريف علم الهدى المرتضى، وهذا الرأي كما هو واضح يعطي مشروعية للحكم البويهي الذي وجد فيه الشيعة الإثنا عشرية مساحة واسعة من الحرية والتأليف[١].

ويبدو أن الشيخ المفيد قد حاول أن يدَعي الاتصال بالإمام الغائب، ويثبت ذلك ما ادعاه بتسلم رسالتين من الإمام الغائب وجه إليه ولأتباعه النصح، وأنه ستحدث فوضى وإضراب في موسم الحج.

ونص هاتين الرسالتين موجود في آخر كتاب (الاحتجاج) للطبرسي، وقد تكون هذه الدعوة لفتح مشروعية نيابة الشيخ المفيد عن الإمام الغائب، وهي محاولة يبدو أنها باءت بالفشل قبل محاولة علماء آخرين كالشيخ الكركي.

ولكن بعد اكتساح النفوذ البويهي الشيعي من قِبل السلاجقة (١٠٥٥-١١٩٣م) حيث كانوا على المذهب السني انقلب علماء الشيعة في رأيهم، وعادوا إلى إبطال مشروعية الحاكم من غير مذهبهم حيث نقل مثل هذا الرأي عن أحمد بن علي الطبرسي (ت١١٦٢م)، وعند حكم المغول وإسقاطهم للسلاجقة وانتعاش المذهب الإثنا عشري خاصة على علماء مدينة الحلة عاد المذهب ليعطي بعض المشروعية للتعاون مع الحاكم الدنيوي ومساعدته لتحقيق حاجات الناس، ومن هؤلاء محمد بن مكي الجزيني العاملي (ت١٤٧١م)

وهذا الفكر كما يصح تعميمه على العراق يشمل كذلك إيران، باعتبار الحكم السياسي كان للبويهيين الإيرانيين عمومًا[٢].

فكرة الولاية:

(١) كولن تيرنر: المصدر السابق، ص١٠٥.

(٢) محمد رضا وصفي: الفكر الإسلامي المعاصر في إيران، ص٢٤ -دار الروضة في بيروت- ٢٠٠٠م.

عند الشيعة الإمامية تُعدّ الولاية ركنًا من أركان الدين، حيث يجب عندهم الإقرار بولاية علي والأئمة وبقية الأئمة الاثني عشر الذين تولوا الخلافة قبله يعدّونهم غاصبين منكرين لحق علي، فمن أنكر هذه الولاية عندهم يُعدّ كافرًا، وإن صام، وصلى، وحج، وزكى، فأعماله كلها باطلة.

أورد البحراني في تفسيره رواية عن جعفر الصادق (قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن الله عَزَّوَجَلَّ عرض ولايتي على أهل السماوات وعلى أهل الأرض أقر بها من أمر، وأنكرنا من أنكرها، وأنكرها يونس، فحبسه في بطن الحوت حتى أقرَّ بها).

وروى الكليني في كتابه (الكافي) كثيرًا من الروايات التي تفيد أن ولاية علي قد أقر بها جميع الأنبياء، وشك فيها من ابتلعه الحوت (يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ) أو أصيب بمرض عضال (أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ) وكذلك جميع المخلوقات من الطيور وغيرها.

وذكر العياشي في تفسيره (أن المؤمنين بعلي هم الخالدون في الجنة، وإن كان في أعمالهم ما يسيء)، وذكر ايضًا (أن حب علي حسنة لا تضر معها سيئة وبغضه مصيبة لا تنفع معها حسنة) ويعتقد الشيعة أن الإمام علي بن أبي طالب هو وصي من النبي مثله كمثل النبي موسي حينما أوصى إلى يوشع بن نون كما ورد هذا في كتاب (الحجة) من (الكافي) للكليني، وهذا التأسيس للولاية والوصاية على التفاصيل الكثيرة الواردة في مصادر الشيعة خاصة ما ذكره ابن بابويه القمي وما ذكره الشيخ المفيد والشيخ الطوسي وغيرهما كل ذلك منتحل ومأخوذ عن اليهود في شروح التوراة والتلمود التي عرفها العرب اليهود قديمًا من دخل منهم في الإسلام، وبقي على سوء سريرته وعقيدته اليهودية، ولم يتورع في إدخال هذه المبادئ إلى التشيع، وأن يضفي عليها تأويلات يقتضيها المقام.

وروى النعماني في كتابه (الغيبة) أن الإمام الغائب الثاني عشر قد أورد ما يفيد غيبته ثم خروجه في السفر الأول من التوراة من تمكين القائم وفضله وكذا تكرر هذا المعنى في السفر الثاني والثالث من التوراة، وهذا يوضح بجلاء المصادر اليهودية التي كان يستقي منها رواة الشيعة.

وتورد بعض الروايات أن القائم حينما يظهر بمكة ينادى باسمه العبراني كما تواضعت على ذلك مصادر القوم كـ (الأنوار النعمانية) للجزائري وكتاب (الإرشاد) للشيخ المفيد و(إعلام الورى) للطبرسي والسؤال الذى يضعه الباحث: لماذا ينادى باسمه باللغة العبرية؟ والجواب هو أنهم يَرَوْن تأكيد ذلك معززًا بأن اسمه قد ورد في التوراة، وهذا أوضح دليل على رجوعهم المباشر للغة مصدرًا للديانة اليهودية، بل الأدهى من ذلك والأمر ما أورده النعماني في غيبته أن القائم سيحكم بشريعة داود تفصيلًا لذلك كما في (بحار الأنوار) للمجلسي وغيره من المصادر بأن شريعتهم هي القتل وسفك الدماء وأنه أول ما يبدأ قائمهم بقتل العرب من قريش والعرب جميعًا، وهذا أوضح دليل أنه كتب تحت مؤثرات يهودية مجوسية ودليل على التقاء نيات الشيعة بالنيات اليهودية في سيادة شريعة اليهود ولغتهم (في مكة).

فكرة الإمامة عند الشيعة الإمامية والملكية الساسانية:

قبل الفتح الإسلامي كانت إيران والعراق محكومتين من قبل الدولة الساسانية واعتمادًا على ما أسلفنا من عقيدة الفرس (المجوس) في ملوكهم أنهم مختارون أو من نسل الآلهة ونور الآلهة (أهروا مزداد) إله النور قد رحل بالملك وبالملكة عن طريق الأساطير والمعجزات التي نقلناها في المعتقدات الفارسية القديمة، فالملك عندهم له صفة إلهية يختلف عن بقية البشر وصفاته النورانية المقدسة تنتقل في الأصلاب جيلًا بعد جيل في الأسر الحاكمة وأوامره واجبة الطاعة وليست قابلة للمناقشة يتلقاها منه الكهنة رجال الدين كطبقة

نافذة في المجتمع الساساني، فلما تم الفتح الإسلامي، ودخل الكثير من المجوس في الإسلام تفرقت بهم المذاهب والنحل، وكانوا يحملون في عقولهم هذه الحقيقة عن الملك ورجال الدين، وفي المعتقد الشيعي الإمامي فإن أثر هذه النظرية واضح وآتٍ في النصوص الواردة في مصادر الشيعة الإمامية وخاصة كتب الحديث الأربعة المشهورة، وقد عززوا هذه النظرية بادعاءات تاريخية وفلسفية منها:

١- أصل الأئمة الاثني عشر مزيج من الدم الهاشمي والدم الفارسي الساساني:

استغل الشيعة الإمامية روايات قد تكون مكذوبة مفادها أن (شهربانو) ابنة الملك الساساني يزدجر المهزوم بعد الفتح أسرت في المدائن، وقيل: أسرت هي واثنتان من أخواتها، فجيء بهن مع السبي إلى الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتقول الرواية الشيعية: إن عمر أمر ببيعهن مع جملة السبايا، ولكن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اعترض قائلًا: إن بنات الملوك لا تباع، وانتهت المسألة بتزويجها إلى الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فولدت منه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فالأئمة الاثنا عشر هم من هذا النسل المقدس، وهذه الرواية على الرغم من عدم ثبوتها فإن المقصود منها واضح جلي أهمه أن الإمامة ليست للخلفاء الراشدين عن طريق الشورى والاختيار بل هي نص إلهي من الله إلى رسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما يدعون، وإن هذه الرواية تبرر لهم رغبتهم في كراهية عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي فتح بلادهم، وهزم جيشهم، وتبرر أيضًا كراهيتهم لصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المهاجرين والأنصار بل كراهية العرب جميعًا[١].

(١) انظر: مناقشة تفصيل عدم ثبوتها: كتاب التشيع العربي والتشيع الفارسي لنبيل الحيدري: ص٩٨- دار الحكمة، لندن، ٢٠١٤م.

فالعقلية المجوسية حينما دخل بعضهم إلى الإسلام وخاصة عن طريق فرق الشيعة ظلت عقليتهم في مفهومها القديم للملك الساساني المقدس وصفاته الإلهية، وهذه العقلية عند الإيرانيين بقيت حتى العهد العباسي، حيث سيطرت على عقائد الشيعة، فصاغوا صفات الأئمة الاثني عشر كصفات الملوك الساسانيين من العصمة ومعرفة الغيب ومعرفة جميع اللغات بل وتسيير الكون، حيث كانوا يعتقدون أن الآلهة قد فوضت للملك الكون من تسيير الرياح والأمطار وما إلى ذلك من القوى الطبيعية كما هو مفصل في موضعه في هذا البحث، ونشير هنا إلى ما ورد في محاكمة البرامكة أيام الرشيد حيث وجد عندهم كتب مرسلة من إيران معنونه (إلهنا جعفر البرمكي) من المحتمل أن هذه الفلسفة التي ظهرت منذ القرن الثاني الهجري قصد بها نقل السلطان من يد العرب وإرجاعه إلى فارس، وهذا واضح من توجه الثورات المعادية للإسلام في العصر العباسي خاصة التي سبق أن أشرنا إليها في هذا البحث، وتكرر القصة نفسها الخاصة بزواج الحسين إلى زواج الإمام الحسن العسكري بابنة أحد ملوك الفرس الساسانيين، ولكن مصادر الشيعة تختلف في اسمها والغرض من ذلك واضح كما هو في القصة الأولى، ولكن هنا يراد إضفاء قصة القدسية على الإمام الثاني عشر المدعى باختفائه في سرداب سامراء، على الرغم من أن الروايات التاريخية الثابتة تنفي أن يكون للحسن العسكري ابن، والصفات التي منحتها المصادر الشيعية الإمامية إلى الإمام المنتظر فاقت جميع الصفات التي منحها المجوس لملوكهم وآلهتهم كما سنفصل ذلك في صفاته في هذا الكتاب.

وقد باءت محاولة المجوس الفرس بالفشل في مجموعة ادعاءات بظهور المهدي المنتظر على يد كثير من الفرق الشيعية التي حاولت الثورة في كثير من المرات على الحكم العربي الإسلامي، والنتيجة أن الشيعة الأوائل الذين كتبوا تلك العقائد المختلطة بالديانة الفارسية، قد أسسوا السلطة والحكم على أساس

الحق الإلهي المحصور بين أئمة آل البيت الاثني عشر فقط، الذين هم من نسلٍ تجري في عروقه الدماء الفارسية المجوسية المقدسة، وعن هذا الطريق يفرضون سلطانهم على العرب، ولذا يتضح أن الإمامة عند الشيعة الإثنا عشرية صناعة فارسية مجوسية الأصل كما هو واضح.

تطور فكرة الإمامة عند الشيعة الإمامية (ولاية الفقيه):

رأينا فيما سبق أن من أسباب ظهور فكرة الغيبة لدى الشيعة الإمامية هو الإخفاقات السياسية المتلاحقة، فالغيبة أصبحت تمثل رغبة مكنونة في ضمير الشيعة وأمنية مستقبلية عوضًا عن الواقع المر الذي صدموا به دون نتيجة.

إن فكرة الإمام الغائب مناسبة لأحقاب الاضطهاد السياسي كما قدمنا إلا أنها كما نستقرئ من تاريخ التشيع نشاهد أن بعض علماء الإمامية في أحقاب الانفراج يتبرمون لا من الفكرة ولكن من نتائجها المنطقية التي يرفضها الشيعة أوقات الحرية، فينادون بعدم تعطيل إقامة ما يجب على الإمام القيام به من الجهاد والأمر بالمعروف وإقامة الحدود وصلاة الجمعة، فينادون بوجوب التهيؤ لظهور الإمام في غيبته.

إن نتيجة تعطيل هذه الواجبات وانتظار الإمام الغائب فقط هو عند الخميني مرشد الثورة الاسلامية الإيرانية أسوأ في نظره من الاعتقاد بنسخ الإسلام كلية. إن هامش الحركة الذي توافر للخميني وغيره من علماء الإمامية كان دافعًا لهذا التفكير.

إن دعوى غيبة الإمام قد خفف من نتائجها على الشيعة وجود السفراء الأربعة كما قدمنا، حيث أخذوا يسيرون أمور الشيعة بالقدر المستطاع آنذاك، ورأينا كيف سد السفير الرابع قبل وفاته دعوة السفارة بعده ما أدخل التشيع في سبات عميق حاول بعض الفقهاء بطرق عدة فكرة الولاية عن الإمام الغائب،

ولكنها لم تستقر في المذهب. أن أحقاب الحرية التي يمر بها التشيع ترشح منها بعض آراء الفقهاء من الإمامية يحاولون فتح الباب، أما دعوى اتصال الإمام الغائب بهم عن طريق رسائل بعثها لهم فيها توجيهات وما أشبه وهي محاولة لإقامة ما يشبه النيابة عن الإمام، ولكن المحاولات الأولى لم تنجح. في العهد البويهي تمتع الشيعة الإمامية بحرية كبيرة لكتابة مصنفاتهم القديمة، وناقشوا علنًا آراء الغير فيهم، وأعلنوا مبادئ الإمامية وعقيدتها بكل وضوح، ومن أمثلتهم الشيخ المفيد محمد بن محمد النعمان (ت٤١٣هـ) فقد ادعى أو ادعي عليه بورود خطابين له من ناحية الإمام الغائب، وأورد صاحب البحار نصهما. وهذه دعوى تدل على محاولة إقامة صلة بين الإمام الغائب المدعى عليه به وأكبر شخصية شيعية إمامية في وقته ببغداد ذي نفوذ كبير لدى البويهيين المتشيعين والحكام الحقيقيين للعراق وفارس آنذاك.

إن الإمام في الفكر الإسلامي هو ولي المسلمين جميعًا، وكذلك في الفكر الشيعي الإمامي يُعدّ الإمام أيضًا وليًّا لشيعته، فإن كان غائبًا فهل تغيب معه هذه الولاية، ويبقي أتباعه لا ولي لهم؟[1].

في الأحقاب التي لم يستطع فيها الشيعة الإمامية ممارسة السياسة نرى لديهم في الواقع العملي وفي الحياة اليومية فصلًا بين الدين والسياسة.

فممارسة السياسة بمعنى الحكم أمر متروك للإمام الغائب، ولا يمكن لأحد أن يتعدى سلطته، ومن ادعى أنه إمام حاكم دونه فهو كافر، وبررت فكرة التقية للعلماء ممالأة السلاطين ومجاراتهم إلا من رحم، فقد نهض بها العلماء المجتهدون حيث لم يغلقوا باب الاجتهاد، وما رسوا على أتباعهم ومريديهم حق الفتوى وتسلُّم الأخماس وإدارة الأوقاف وتوزيع العائدات وتنظيم المدارس والطلبة والمناهج. وهناك أثر انتقل من التصوف إلى التشيع بخصوص الطاعة

(١) محمد رضا وصفي: المصدر السابق، ص٢٢٢ وما بعدها.

العمياء وللمجتهدين خاصة نلاحظه لدرجة تصل إلى التقديس في مظاهر الاستقبال والحديث والطاعة. وهذا في الواقع انعكاس للتعاليم المسطرة في كتب الشيعة من القدم في إضفاء القدسية على الأئمة كما رأينا في مبحث صفاتهم ومعجزاتهم، أما المجتهدون خاصة فهم أقرب الناس لتلك المرتبة إلا أنه لم يقل أحد بوصول العالم المجتهد إلى منزلة الإمام، ولكنه أقل منه، ويمكن أن ينوب عنه في القيام ببعض الواجبات الممكنة في مدة الغيبة، ثم بدأت تتردد لفظة (وصي الإمام أو نائب الإمام) باعتباره أحق الناس بولاية الأمر من أي أحد في هذه المدة التي يعد القيام بشؤون الشيعة من الضرورات.

وبعد الشيخ محمد بن محمد المفيد ادعى الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي الكركي النيابة عن الإمام الغائب، وهذا الادعاء كان صادرًا من الشاه طهماسب على ما يبدو. فكان الشيخ ذا منزلة كبيرة عنده، فالذي يعزله الشيخ لا يستخدم والذي ينصبه الشيخ لا يعزل باعتبار الشيخ نائبًا للإمام الغائب ومن أهم كتبه (جامع المقاصد). وقد ساير رغبات الصفويين في سب الشيخين، وحرف القبلة عما كانت مستقرة في بلاد فارس، وأفتى في جواز السجود للعبد وغيرها مما شنع عليه علماء الشيعة أنفسهم قبل السنة.

من أوائل من تطرق لفكرة نائب الإمام الشيخ محمد مطي الجزيني (١٣٦٦هـ) حيث وردت هذه اللفظة في كتابه (اللمعة الدمشقية) بالمعنى الذي ذكرناه... ودعا الشيخ أحمد بن محمد مهدي النراقي (١٨٢٨م) بشكل صريح إلى إعطاء الفقيه ليس فقط وظيفة الإفتاء بل القضاء وتطبيق العقوبات وتصريف أموال القاصرين، وذلك في كتابه (عوائد الإمام) وهذا أمر جديد منه مزج بين السياسة والدين على خلاف السابقين الذين لم يوجبوا على الفقيه تلك الأمور.

إن حركة ما تسمى المشروطية التي قام بها علماء إيران من الشيعة الإمامية دفعتهم إلى التفكير في المشاركة بالحكم ولو جزئيًّا بدل أن كانوا

سلبيين، فالشيخ محمد الحائري وحسين النجفي النائيني طالبًا شاه إيران سنة ١٩٣٦م بوجوب مشاركة الفقهاء في الموافقة على التشريعات التي ينسبها البرلمان الإيراني، ومن قبل المشروطية أثيرت مسألة التنباك حيث أفتى الشيخ حسن الشيرازي (١٨٩٥م) بتحريم التنباك من أجل أن تلغى اتفاقية احتكار بين التنباك من إحدى الشركات البريطانية، فكان له ما أراد، فظهر من بين فقهاء الإمامية من لم يتحصن بالتقية أمام السلطان الجائر، فأعلن كثير منهم مخالفة الدولة الإيرانية منذ أوائل القرن العشرين لمبادئ العدالة ومصلحة عموم المسلمين ووجوب الوقوف ضد المستعمر الجائر الطامع في خيرات البلاد.

فكرة النيابة عن الإمام الغائب (عند الصفويين):

عن فكرة النيابة عن الإمام الغائب ظهرت أول الأمر من قبل السفراء الأربعة في فترة الغيبة الصغرى بعد وفاة الإمام الحادي عشر الحسن العسكري وادعاء السفراء الأربعة أنهم كانوا يتصلون بالإمام الغائب، ويتسلمون منه إجابات أسئلة الشيعة وقت ذاك، ولكن السفير الرابع ادعى انتهاء هذه الفترة، وأن الإمام قد غاب غيبة كبرى، وأن كل من ادعى اتصاله بالإمام الغائب فهو كذاب وعلى الرغم من ظهور كثير من الأدعياء اتصالهم بالإمام الغائب كالشلمغاني ببغداد إلا أن هذه الدعوة بالوكالة لم تنجح على الرغم من محاولات بعض فقهاء الشيعة الإثنا عشرية كالشيخ المفيد كما سبق ذكره، لكن عند قيام الدولة الإثنا عشرية الصفوية في إيران احتاجت إلى فقهاء من الشيعة يؤصلون لها مشروعية حكمهم في وقت كان الإخباريون الشيعة يصرون على التمسك بما نقل من نص عن الغيبة الكبرى، وأن لا ظهور قريبًا للإمام الغائب، ولذا يجب انتظار ظهوره، ولا يتعين إقامة دولة أو حكم ولا إقامة جمعة ولا جهاد إلا بعد ظهور الإمام الغائب وقيامه بهذه المهمات، ولما كانت فكرة الإخباريين هذه معطلة لأهداف الدولة الصفوية فقد عملت على تقريب الفقهاء الأصوليين الذين لا يتمسكون كثيرًا

بظواهر نصوص الأخبار، وقد استجلب الشاه إسماعيل وابنه طهماسب فقهاء الشيعة الإثنا عشرية من العرب وخاصة من جبل عامل والكرك بقصد إضفاء مزيد من المشروعية الدينية على حكمهم؛ وذلك للاحتجاج به سياسيًّا ضد الدولة العثمانية السنية، فقد جاء الشيخ عبدالعال الكركي من لبنان إلى بلاط الشاه طهماسب صغير السن، فكان الشيخ الكركي يسير أمور الحكم مدعيًا نيابته عن الإمام الغائب. وقد طور الشيخ هذه الفكرة تحت ضرورات المذهب الذي يجب أن يستجيب لحاجات الناس وإقناعهم بمشروعية من يحكمهم، وجاء من النجف الشيخ محمد باقر المجلسي الذي كتب كتابه الكبير والطويل (بحار الأنوار) حيث طبع على الحجر ثلاثة وعشرين جزءًا حوت ملخصًا لكل ما جاء من تراث الشيعة وكتبهم القديمة، وترجم إلى اللغة الفارسية[١].

(١) محمد رضا وصفي: المصدر السابق، ص٢٤ -دار الروضة في بيروت- ٢٠٠٠م.

الفَصْلُ الثَّانِي

الفكر السياسي في عهد الدولة القاجارية

في هذه الفترة التي ضعف فيها النفوذ الصفوي بدأت سلطة الشاه تبرز بوصفها قوة دنيوية تستمد مشروعيتها من ضرورة الاحتكام إلى الحق، وليس من نيابة عن الإمام الغائب، ومن هنا انقسم فقهاء الشيعة الإثنا عشرية، فمنهم من عدها سلطة غير مشروعة، وهؤلاء يمثلون غالبية الإخباريين، ولكن كثيرًا من فقهاء الشيعة الإثنا عشرية من الأصوليين نادوا بمشروعية السلطة للفقيه باعتباره القريب في معرفة شروط الحكم الشرعي.

وقد اتسمت هذه الفترة بمرحلتين: الأولى مرحلة اتساع مناداة الفقهاء الأصوليين بوجوب إعطاء مشروعية الحكم للفقيه المجتهد، وليس لسلطة الشاه الحاكم، ويمثل هذا الاتجاه الشيخ أحمد النراقي (ت١٨٢٩م) وذهب الميرزا القمي (ت١٨١٦م) إلى أكثر من ذلك واعتبار حكم الشاه القاجاري غير مشروع لمخالفته قواعد المذهب، وقد نادى بتوسيع سلطة الفقهاء لسد الثغرة الحاصلة في ضرورة الاستجابة لمصالح الناس. أما الفترة الثانية فتتعلق في بداية مؤثرات الفكر السياسي الأوروبي على إيران وخاصة المتمثل بمرحلة الملكية الدستورية التي تجمع بين مشروعية الحكم الملكي، ولكن تقيده بدستور مكتوب، وإن مؤثرات الفقه السني المتعلقة بمشروعية الحكم بدأت تؤثر في توجهات علماء الشيعة في إيران والعراق خاصة الجهود الفكرية التي بذلها جمال الدين الأفغاني في كل من إيران ومصر ومثله أفكار المجتهد محمد حسن كاشف الغطاء (ت١٧٤٣م-١٨١٢م) وقد نتج عن اختلاف فقهاء الشيعة الإثنا عشرية في إيران مع الشاه، وثاروا عليه بما يسمى ثورة التنباك (الحركة الدستورية) وذلك تنغيصًا ونقدًا

ضد الشاه على اتفاقه مع إحدى الشركات البريطانية بنشر واستخدام دخان التنباك (التبغ).

وعمومًا، فقد انقسم فقهاء الشيعة الإثنا عشرية في تبرير مشروعية الملكية الدستورية، فمنهم من اقترب في تبريره معتمدًا على نظرية جون لوك المتعلقة بالعقد الاجتماعي كالشيخ محمد حسين النائيني (١٨٦٠ م-١٩٣٦م) فقد أوضح في رسالته (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) وجوب التوفيق بين استمرار غيبة الإمام وبين الحاجة العملية إلى شكل من أشكال الحكم الذي لا يتضارب مع المتطلبات الدينية، فالشيخ النائيني يَعدّ الشاه سلطة مقدرة من الله على الناس يكون فيها وليًّا لتحقيق حاجاتهم وأمنهم المستمد من عموم الشعب (العقد الاجتماعي) في حين يرى بعضهم خلاف ذلك بإعطاء الشاه مشروعية في سلطته لكونه منصبًا من الله تعالى حيث نادى بذلك الشيخ فضل الله النوري، وعمومًا فهؤلاء الفقهاء قد أعطوا للملكية الدستورية مشروعية واقعية سواء كانت مستمدة من رقابة المجتمع أو مستمدة من تقيد الشاه لأحكام الدستور وقواعده، ويبقى أصل مشروعية الحكم تبقى للإمام الغائب، ولكن للظروف العملية من الواجب الاعتراف بالمشروعية الدنيوية الواقعية للملك سواء استمدها من الله أو بموافقة من المجتمع[١].

وهذا هو رأي الشيخ النائيني الذي يؤكد أن الملكية اغتصاب حق الإمام الغائب، ولكن انضباطها وتقيدها بالدستور أو بهيئة رقابية يبعد الملك عن الوقوع في الحكم المستبد غير المشروع من كل الوجوه، ومن أنصار الملكية الدستورية في إيران الشيخ إسماعيل المحلاتي الذي يقسم الحكومات إلى ثلاث:

---

(١) سلطان محمد النعيمي: الفكر السياسي الإيراني: ص١٥ وما بعدها - مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٩م/ تيري كوفيل: إيران الثورة الخفية، ص٢٧وما بعدها - دار الفارابي- بيروت ٢٠٠٨م/ مجيد محمدي: (اتجاهات الفكر الديني المعاصر في إيران)، ترجمة: ص. حسين، لبنان، بيروت، ٢٠١٠م.

حكومة الإمام الغائب، وحكومة الملكية الدستورية، وحكومة الملكية المستبدة.

وعلى خلاف الرأي السابق، فقد وجد بين علماء الشيعة الإثنا عشرية في إيران من يؤيد حكومة الملكية المستبدة مدعين أن الملكية الدستورية تتخفى وراء قوانين وأنظمة غير مشروعة في الدين، وإن صدرت مقيدةً بقانون من هيئة رقابية لا يؤمن انحرافها عن قواعد الدين الإسلامي، فيرى الشيخ حسين علي تبريزي أن الحياة الدستورية أمر مخالف للشرع من الأساس، فالقوانين التي تساوي بين الرجل والمرأة والمسلم بالكافر، وتبيح المسكرات هي قوانين منافية للإسلام، وإن شرع الدستور حليتها أو زاغت الهيئة الرقابية أو النيابية عن الحق، وجانبت أحكام الإسلام، ومن أصحاب هذا الاتجاه فضل الله النوري الذي يرى وجوب قيام السلطة الدستورية على مرتكزين:

الأول: هم الفقهاء الذين يجب عليهم إدارة أمور الرعية بالعدل.

والثاني: ملك مقيد بالقانون الإلهي.

وعمومًا، فقد اتسمت هذه الفترة في إيران بالصراعات بين كل من الشاه وبعض علماء الشيعة والوطنيين الإصلاحيين وبعوامل من مؤثرات غربية متعلقة بالحياة الدستورية والديموقراطية في الغرب وبالتجربة الكمالية في تركيا، وهي تقترب من المؤثرات نفسها التي حصلت في مصر وغيرها من البلاد العربية[1].

ظهور البابية والبهائية:

إن انتشار مذهب الشيخية على يد الشيخ أحمد الأحسائي والتقاءه تلميذه الإيراني كاظم الرشتي في العراق كان بداية لإحياء الفكر البابي والبهائي المتعلق

(١) رضوان السيد: (العرب والإيرانيون)، ص١٣-٦١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ٢٠١٥م.

بفكرة ظهور الإمام الغائب والنبوة والوحي، ففي خراسان مهد الحركات الفكرية الإيرانية المارقة ظهر من معتنقي هذا المذهب الميرزة حسين علي بهاء الذي اشترك في محاولة اغتيال السلطان ناصر شاه، وقيل: إن ذلك كان له علاقة بروسيا القيصرية، فقد كانت تحضر للاستيلاء على إيران كي تصل عن طريقها إلى مياه الخليج العربي الدافئة؛ ولذا فقد اختارت مدينة (عشق آباد) مركزًا لهذه الحركة البابية، وهي المدينة القريبة من الحدود الإيرانية، وقد قيل: إن الروس هم الذين أنقذوا الميرزة حسين من انتقام السلطات الإيرانية، فانتشرت أفكار الباب التي كانت لها علاقة بالفكر اليهودي السبئ المتعلق بشخصية الإمام علي وتأويل الحديث المروي أن الرسول مدينة العلم وعلي بابها، وساعد الروس هذه الحركة أن تنتشر في باكو عاصمة أذربيجان، فقد كانت تحت نفوذهم، وقد شجعت اليهودية العالمية والصهيونية اليهود الإيرانيين أن يدخلوا في مذهب البابية والبهائية معًا لتحقيق أغراضهم المعروفة، ودخلت الماسونية العالمية في هذه الحركة حيث أعطتها بعدًا عالميًّا بمقولة: إن جميع الديانات لم توجد إلا لسعادة الإنسان، وبعد مقتل الباب في إيران تحول زعماؤها إلى زعيم آخر يدعى بهاء الله حيث اتخذوا من حيفا مركزًا لنشاطهم، وذلك بمساعدة من الصهيونية العالمية ومن الماسونية على السواء، فنادوا بوحدة الأديان ووحدة الأوطان ووحدة اللغة والسلام العالمي والمساواة بين الرجل والمرأة، وبناء على فكرة وحدة الأديان التي يدعونها فإنهم يرون أن شريعة الإسلام تعدّ ناقصة أو منسوخة، ويبدو أن انتشار أفكار البهائية والبابية في إيران يعود إلى أسباب عدة ليس فقط تبني روسيا لها في البداية وإنما تبني الصهيونية العالمية، وقد شجع على انتشارها بين الشيعة خاصة أنها جاءت كرد فعل وتصحيح لما عند الشيعة وخاصة الغلاة منهم من أساطير وخزعبلات وأكاذيب نسبت إلى الأئمة زورًا وبهتانًا، ولذا فإن الإيراني الشيعي قد يجد في مبادئ البابية والبهائية ما يريح عقله وتفكيره[1].

(١) محمد رضا وصفي: المصدر السابق، ص٤٢.

حركة تحريم التنباك:

يزرع التنباك (التبغ) في إيران خاصة في المناطق الجبلية كما هو في شمال العراق، وفي عهد ناصر شاه سنة ١٨٤٨م أعطى الشاه البريطانيين ضماناً باحتكار شراء التبغ، فاستغل بعض شيوخ الدين المطالبين بالتحرر من النفوذ البريطاني محاولين إجهاض هذا المسعى من الشاه، فقام آية الله محمد حسين الشيرازي بإصدار فتوى بتحريم تدخين التنباك، وقد شجعه على ذلك كثير من العلماء منهم جمال الدين الأفغاني، الذين كانوا ينادون بالتحرر من النفوذ الغربي ووجوب توحيد جميع المسلمين ضد الغرب، وقد استجاب غالبية الإيرانيين إلى التوقف عن استخدام التنباك ما أضر بالمصالح البريطانية والشاه القاجاري، وقد تبع ذلك ما سمي شعبيًّا انتفاضة التنباك سنة ١٨٩٠م، وهذه الحركة تعد من أوائل الحركات السياسية التي قادها بعض علماء شيعة إيران ضد المصالح الغربية التي انتشرت بسبب تزايد نفوذ الدول الغربية على إيران والخليج عمومًا وتسابقها في فتح مراكز تجارية وسياسية[1].

وبعد هذه الانتفاضة سجل علماء الشيعة حركة ثانية سميت المشروطية أو الحركة الدستورية التي بدأها الشيخ محمد حسن النائيني المرجع الديني في النجف، وذلك في كتابه (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) حيث طالب بوضع شروط دستورية على صلاحيات حكم الشاه وعدم التمسك بفكرة انتظار الإمام الغائب بل تبني مزيج من النظام الدستوري الغربي والفكر الشيعي المتعلق بالنيابة عن الإمام الغائب. وعلى الرغم من أن الشيخ النائيني يعدّ الشاه مغتصبًا الولاية من الفقيه الذي يُعدّ نائبًا عن الإمام الغائب، فعلى الأقل من فرض شروط على حكم الشاه تتعلق خاصةً بالحرية والمساواة في الحقوق والأحكام والقصاص والعقوبات وفرض مبدأ الشورى. وقد تأثر بهذه الفكرة بعض فقهاء الشيعة منهم هبة الدين الشهرستاني والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.

---

(١) محمد رضا وصفي: المصدر السابق، ص٤٧ وما بعدها.

الفصل الثالث

العلاقة بين الشاه وعلماء الدين في إيران

انقسم علماء الشيعة في إيران إلى ثلاثة أقسام تجاه العلاقة بالشاه، فهناك جماعة من العلماء مؤيدة لسياسته في جميع الأحوال وأينما اتجه، وهناك مجموعة معارضة لسياسته وهم قلة، وأما القسم الثالث فهم الصامتون السلبيون الذين لا يتدخلون في السياسة، ويتجهون فقط للشؤون الدينية، ولما كان من المهم إلقاء الضوء على هذه العلاقة لأهميتها في المجتمع الإيراني ولتوجهات علماء الدين الشيعة في ذلك الوقت اهتماماتهم، ويمكن تلخيص تلك السمات والاهتمامات بالآتي:

١- الصراع على موارد الحوزات العلمية: فمن المعتاد أن هناك مصادر مالية تأتي من الأوقاف أو التجار أو زكاة الأخماس أو الوصايا التي يخصص إنفاقها على مدارس دينية معينة أو حوزة دينية معينة في مدينة أو تحت إشراف أحد علماء الدين الذي يقوم بإنفاقها على تلاميذه وعلى مدرسته، وغالبًا ما تكون هذه الموارد مثار خلاف وصراع على توزيعها.

٢- الصراع بين العلماء حول الوعظ في المساجد وفي المناسبات الدينية؛ لأن هذا الوعظ يجر معه مكاسب مالية، وكلما كان صوت الخطيب جميلًا وعاليًا ومؤثرًا في نفوس العامة كان ثمن استجلابه للخطبة والوعظ غاليًا، ويكشف أبوالفضل البرقعي هذه الحقيقة في كتابه (سوانح الأيام)، كيف أنه تعرض شخصيًّا للمزاحمة والإهمال من الأقوياء على الرغم من كونه أعلم منهم[١].

(١) آية الله العظمى السيد أبوالفضل البرقعي القمي: سوانح الأيام، ص٢٦ وما بعدها - مكتبة العبيكان، ط٢، الرياض، ٢٠١٤م.

٣- من علماء الدين الشيعة الإيرانيين المخالفين لسياسة الشاه رضا بهلوي المتعلقة بالحركة الدستورية الشيخ فضل الله النوري الذي قاد حملة المعترضين على أساس أن الدستور المقترح إنما هو استعارة من الدساتير الغربية المخالفة للإسلام، وقد أعدم هذا الشيخ علنًا في ميدان توبخانه بحضور جمهور العلماء، وقد نادى الشاه بنزع حجاب المرأة، وأن يلبس الرجل القبعة البهلوية، وألا يلبس العمامة رجل إلا معه إذن من الحكومة. وقد أدت سياسة الشاه رضا بهلوي إلى خلعه بعد الحرب الثانية من قبل الإنجليز ونفيه إلى جزيرة موريشيوس وتنصيب ابنه محمد على العرش، فكان الناس مبتهجين بانتصار الحلفاء وحتى بدخول الجيش الروسي إلى إيران.

٤- في تلك الفترة عم الفساد بين الأدعياء من رجال الدين الذين يلبسون العمائم زورًا وبهتانًا، فيقومون بعقد زيجات لأغراض مشبوهة أو يوقعون طلاقًا كل ذلك طلبًا للمال، وشاع وجود أدعياء العلم ممن يعظون الناس من دون علم حقيقي، فيضلون المجتمع، ويكذبون على الدين وعلى المذهب، وقد شهد بهذه الحقيقة آية الله العظمى البرقعي في كتابه السالف.

٥- يشير السيد البرقعي إلى أن اختيار مرجع المذهب الديني عند الشيعة لا يتم فقط باختيار الأكثر علمًا بل الأكثر قدرة على جمع المال لطلابه[١] وقد ذكر أيضًا أنه قد تم تهديده بألا يذكر أي عالم سوى البروجردي، ويتهم الغرب بأياديه يقودهم آية الله البروجردي، وكان آية الله الكاشاني المعارض يؤيده البرقعي وبعض القلة من العلماء، وقد أبعد الكاشاني إلى لبنان، فكان يدعو إلى أن يقود البلاد محمد مصدق،

(١) اية الله العظمى السيد أبو الفضل البرقعي: المصدر السابق.

وبعد رجوع الكاشاني من لبنان تم انتخاب مصدق سنة ١٩٥١م، وساعد الكاشاني وفدائيو الإسلام على تأميم النفط من قبل مصدق، ولكن مصدق ناصب الكاشاني وفدائيي الإسلام العداوة، وسجنه في بيته ما أضعف مصدق، وهيأ الفرصة لرجال الشاه وأمريكا لعودة الشاه والانقلاب على مصدق سنة ١٩٥٣م. وقد أوضح مايلز كوبلاند ضابط المخابرات المركزية الأمريكية في سيرة حياة كيف قامت المخابرات الأمريكية ودور بعض الشركات الأمريكية بعمل انقلاب على مصدق وإعادة الشاه إلى الحكم[١].

٦- يوضح الشيخ البرقعي حالة علماء الدين الشيعة في إيران في وقت دراستهم الدينية وأعمالهم في المساجد والحسينيات، وقد رسم لنا صورة سلبية عن سلوكهم غير الأخلاقي وتعاملهم مع العامة وتركيزهم على جمع المال ومواعظهم التي تدور حول المعجزات والأساطير، ويتجنبون ما فيه مصلحة ونصحٌ في سلوك الناس وتعامل[٢] وكشف الشيخ البرقعي أن أكثر علماء الشيعة قد تركوا القرآن الكريم، فاتجه بعضهم إلى الفكر الصوفي أو ما يسمونه العرفان تلطفًا وهروبًا من كلمة الصوفية، وبعضهم اتجه نحو الأفكار المجوسية (القومية) من التراث القديم الذي تزخر به كتب الإخباريين من الشيعة، وفئة نحت منحى الفلاسفة، وكتب كتابين ينتقد فيهما هذا المنحى، وهما كتاب (التفتيش) و(حقيقة العرفان) وألف كتاب (عقل ودين) وفيه الرد على المتأثرين بالفلسفة اليونانية من علماء الشيعة، وألف كتاب الشعر والموسيقا أوضح فيه مفاسد الشعراء والمغنين المخالفين للدين، وألف

(١) ما يلز كوبلا ند (حياة ما يلز كوبلا ند الضابط في المخابرات المركزية الأمريكية ودوره في مصر وسوريا ولبنان وإيران)، ترجمة: صادق عبد علي الركابي، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٧م.

(٢) آية الله العظمى السيد أبو الفضل البرقعي القمي: المصدر السابق، ص٤٢ وما بعدها.

في أحكام القرآن، وقد رد عليه بعض علماء الشيعة المؤمنون بالخرافات والمعجزات، وكتب كتاب (درس من الولاية) قام بتنزيه الإمام علي مما ينسب له من بعض الشيعة من صفات الألوهية، فكان هذا الكتاب محل جدلٍ بين العلماء في وقته كما في (تراجم الرجال) وخاصة الرواة الذين وردوا في كتاب (الكافي)، فقد انتقدهم بوضوح عدم توثيقهم من مصادر الشيعة نفسها، وهذا الكتاب قد طبع فيما بعد، وسمي (كسر الصنم)، وبسبب أفكاره المستقيمة، فقد حورب من قِبل علماء الشيعة، فاتهموه بالوهابية، وحاربه رجال السلطة[1] وقد نحا باللائمة على كل من البروجردي وشريعة مداري لمسايرتهما التيار المذهبي. وذكر جملة من العلماء المتعصبين للمذهب الذين ليس لهم قدرة علمية على تمحيص الحقيقة، بل سيطر عليهم الميراث الفكري المذهبي، فلا يستطيعون الخروج عليه. فاتسعت معاداة علماء إيران له وخاصة علماء السلطة، فسعوا إلى طرده من إمامإمامة مسجده (وزير دفتر دار بطهران) ثم بالتضييق عليه بداره إلى أن أخرج منها، فقام بالتظلم والكتابة إلى المراجع الدينية والأوقاف، فلم يستجب له أحد وهو في السبعين من عمره، فضعفت حاله، وتوفيت زوجته، وانفض عنه الناس حتى أقاربه، فأصبح وحيدًا، ولكنه ظل متمسكًا بأن الله معه ما دام يدعو إلى عقيدة التوحيد وشريعة القرآن وترك ما عداها من أساطير الشيعة.

٧- وبعد الثورة الإيرانية كان كثير من العلماء يأملون أن يتم إصلاح الفكر المذهبي الديني الذي كان يستفيد منه الشاه لقيادة العوام، ولكن بعد الثورة استمر النهج المذهبي نفسه يمارس بل إن الأجنحة الدينية المتطرفة والغلاة من الشيعة هم الذين يقودون المشهد السياسي للدولة،

(١) آية الله العظمى السيد أبو الفضل البرقعي القمي: المصدر السابق، ص٧٠-٨٤ وما بعدها.

وقد أوضح العلامة البرقعي كيف أن جهوده الإصلاحية بعد الثورة لم تقابل بترحاب، وأن الشيوخ القدماء أنفسهم قد تسلقوا من جديد المناصب في الدولة، ويذكر أنه كان صديقًا للخميني في الدراسة على يد الشيخ عبدالكريم الحائري، وقد حاول اللقاء به بعد الثورة والكتابة إليه، ولكنه كان يجابه بالرد والإهمال وإن الخميني علق قائلًا: إن البرقعي لا يحسن تجميع الناس حوله.

وعرض الشيخ البرقعي جملة من آراء المصلحين وكتبهم في مذهب التشيع، منهم محمد جواد الموسوي الغروي الأصفهاني، والشيخ حيدر علي قلمداران، والشيخ مصطفى حسين طبطبائي.

أسباب سقوط حكم الشاه:

اهتم كثير من الكتاب بالبحث في أسباب سقوط حكم شاه إيران وخاصة من الغربيين، منهم أدور سابليه في كتابه (إيران مستودع البارود) نجملها فيما يلي:

١- معاداة بعض رجال الدين من مذهب الشيعة الإثنا عشرية وتقريب بعض المساندين لحكمه.

٢- ادعاء الشاه أنه يمثل إرادة الإمام الغائب، وأنه قد قابل الإمام علي في منامه.

٣- تركيز الشاه على جباية الأموال من مجموع الشعب وترك طبقة الفقراء يعم بينهم الجهل والمرض والأمية وتركز الأموال بيد قلة من المنتفعين الذين يدورون حول مراكز النفوذ.

٤- استفحال الفساد المالي والرشوة في مفاصل الدولة وعدم قدرة الشاه على تنظيف بؤر الفساد.

٥- اتباع الشاه نهج البذخ في الإنفاق على مظاهر البلاط الملكي ما سبب فجوةً بينه وبين الكثير من المحرومين من شعبه.

٦- انتشار حركات التمرد الفكرية وخاصة من الاتجاه اليساري حيث كانت هذه الفئات هي التي ترفع لواء الإصلاح على الرغم من وجود بعض المصلحين الدينيين أو الذين نادوا بالتوفيق بين الإصلاح الديني المذهبي والإصلاح الاجتماعي، وقد استعرضنا جملة منه.

٧- تسلط الأجهزة الأمنية وخاصة (السافاك) التي حلت محل محاكم التفتيش التي سادت في القرون الوسطى، والتى بطشت بالشعب الإيراني وغالبيته المتدينة الذين يناوئون الحزب الملكي مرتكبة أشد أنواع الممارسات بشاعة ضد إنسانية الانسان من صنوف التعذيب الوحشي والتنكيل الهمجي الذى كان الشاه يستمتع بسماعه من أصوات أنين خصومه حسبما ذكره الكاتب جعفر حسين نزار في كتابه (الثورة الإسلامية في إيران) انظر: ص١٥٣ وما بعدها وأيضًا تسلطهم على مظاهر الإصلاح الاجتماعي والمالي وظهور طبقة منتفعة في القوى الأمنية التي تستخدم نفوذها لابتزاز الأموال من المواطنين وانحدار هذا النهج إلى بعض رجال الجيش الإيراني. ٨- تحول ولاء البازار (أصحاب المحال والدكاكين والباعة في الأسواق) ضد الشاه لما كان يلاقونه من ضغوط مالية وسياسية من أجهزة الدولة وفسادها وتحول هذا الولاء إلى المنادين بالإصلاح والثورة.

٩- تأخر الشاه في إصلاح ما ذكر آنفًا وفوات الوقت وإدراك الغرب وخاصة أمريكا أن الوضع السياسي لحكم الشاه يتجه إلى السقوط، وأن الإصلاح أمر ميؤوس منه.

١١- تحول وسائل الإعلام إلى وسائل غير نافعة للبلاد اتخذ أكثرها وسيلة التزلف والثناء للشاه وبشكل مبالغ فيه.

١٢عدم اتخاذ الحكمة والحزم في ضبط المظاهرات وانفلات الأمن وضعف السلطة في معالجة الخارجين عن النظام[١].

١٣- ومن الإصلاحات الشكلية التي قام بها الشاه إشاعة الاحتفالات بالمناسبات المتعلقة بتاريخ إيران القديم وكذا استبداله بالتاريخ الهجري الإسلامي التاريخ السائد في إيران المتعلق بتاريخ تأسيس الدولة الإيرانية الأخمينية، وكان ذلك سنة ١٩٧٦م ويرى تييري كوفل أن الثورة الإيرانية كان سببها فشل سياسة الشاه الاقتصادية خاصة التي أضرت بالطبقة الوسطى والفقيرة، ويرى أن الثورة كانت في الأصل من صنع المثقفين الإيرانيين سواء من اليسار أو من اليمين الإسلامي، وقد بدأت بمظاهرات طلابية أيدتها النقابات العمالية، وبسبب قمع هذه المظاهرات بشدة التحق الكثير من رجال الدين بهذه الاحتجاجات، فكانت فرصة للخميني ولمؤيديه لإشعال النقمة ضد الشاه عن طريق نشر خطب الخميني في كاسيت[٢].

رأي فقهاء الشيعة الإثنا عشرية في إيران في البرلمان المنتخب:

اختلف فقهاء الشيعة الإمامية المقرين بالطريقة البرلمانية الانتخابية على تفاصيل عدة منها: وجوب أن يكون الأعضاء من المسلمين ومن مذهب الشيعة الإثنا عشرية والملتزمين بقواعد المذهب، واختلفوا في مسألة التصويت بالأغلبية، فذهب البعض بجواز ذلك في حالات الاختيار بين الحسن والأحسن، أما رأي

(١) أدور سابليه: المصدر السابق، ترجمة: حسين عبد الزهرة مجيد، ص١٥-٧٠ وما بعدها.

(٢) تييري كوفيل: المصدر السابق، ص٦٩.

الأغلبية إذا كان مخالفًا للإسلام ولقواعد المذهب فليس له من مشروعية، وقيدوا رأي البرلمان وإن صدر بالأغلبية ألا يخالف اجتهاد الولي الفقيه النائب عن الإمام الغائب. وعمومًا فقد عرف الفقهاء المؤيدون للملكية الدستورية بفقهاء المشروطية التي تمخضت عن طلبهم للملك بإصلاحات وتقييد حكمه بشروط شرعية يرونها على خلاف وتفصيل فيما بينهم، في حين يرى مخالفوهم من العلماء أن الملكية الدستورية قد تكون أسوأ من الملكية المستبدة (المقيدة بالشرع الإثنا عشري) التي يطالبون بإقامتها، وقد عارضوا إقامة دستور باعتباره مخالفًا للشرع الإلهي، وعارضوا انتخاب برلمان إلا أن يكون جميعهم من الفقهاء، وعارضوا مبدأ الأغلبية خاصة حينما يكون مخالفًا لقواعد الشرع والمذهب، وخالفوا في المناداة بمبدأ الحرية والمساواة باعتبارها مخالفة، وتتخذ سببًا لمخالفة قواعد الشرع، وطالبوا برقابة الفقهاء على شؤون الدولة، وهم يرجحون نظام الملكية المستبدة على الملكية الدستورية، ويعيبون على أهلها أنهم متأثرون بالغرب. نشير أيضًا إلى وجود تفكير ليبرالي في إيران في هذه الفترة إن كان ضعيفًا على رأسه ميرزا ملكم خان الذي درس بباريس، وطالبت هذه الحركة الشاه بسن قوانين للإصلاح، وخاصة مبادئ فصل السلطات الثلاثة[١].

(١) سلطان محمد النعيمي: المصدر السابق، ص٣٥ وما بعدها.

الفصل الرابع

الفكر السياسي الشيعي في إيران في مطلع القرن العشرين

تأثرت إيران كغيرها من دول الشرق بانتقال المبادئ السياسية الغربية نتيجة اتصال الإيرانيين بالغرب بوسائل شتى سببت ظهور تيارات سياسية مختلفة وتكوين أحزاب علمانية مناهضة لفكر مذهب الشيعة الإثنا عشرية، ونتيجة لتدخل الدول الغربية الاستعمارية في إيران وخاصة ما تعلق منها بالنفط وشعور المجتمع الإيراني بتدني الأحوال المعيشية، هذان العاملان تسببا في ثورة الدكتور مصدق النفطية الفاشلة والمؤيدة من بعض العلماء على رأسهم آية الله الكاشاني، في حين سبق ذلك بعض آراء علماء الشيعة المنادين بالانعزال وعدم العمل بالسياسة وعلى رأسهم آية الله حائري الذي قال: إن السياسة علم مستقل بذاته لا نتدخل بشأنه، وأيد هذا الاتجاه آية الله البروجردي بدعوة أن الصبر على الملكية المستبدة هو أفضل من مجيء حكومة مخالفة للمذهب ولقواعد الإسلام عمومًا[١].

وفي الستينيات استقوى موقف الشاه بحيث طالب صراحة العلماء بعدم التدخل في السياسة وحصر دورهم في المسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية، ولم يخلُ من بعض الفقهاء المؤيدين له، وقاد الشاه ما يسمى الثورة البيضاء في الإصلاح الاجتماعي وإبعاد علماء المذهب عن المسرح السياسي ما أثار في وجهه الخصوم من العلماء الذين ذهبوا إلى درجة أن العلماء هم أولياء على المؤمنين

(١) تييري كوفل: إيران الثورة الخفية، ص٤٠ وما بعدها: دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨م.

يستمدون سلطتهم من الإمام الغائب، ولكن آية الله الخوئي عارض جزئيًّا هذه النظرة حيث قصر ولاية الفقيه على مسائل الفتوى والقضاء، وما تعلق بالمسائل الحسابية، وأيده آية الله آراكي حيث قالوا بعدم وجود نص أو سند شرعي يخول الفقيه أكثر من ذلك، وقد عارض الثورة البيضاء التي نادى بها الشاه كلٌّ من كاظم شريعة مداري وآية الله كلبايكاني، وطالب بعودة دستور ١٩٠٦م المتعلق بالملكية الدستورية، وفي الوقت نفسه كان هناك اتجاه بدأ يتسع، وينادي بإسقاط النظام الملكي الدستوري.

نظرية الحكم عند الخميني:

يرى بعض الباحثين أن الخميني في نظرته للحكم مر بأربع مراحل:

١- من بداية تعلمه إلى سنة ١٩٥٣م وفي كتابه (كشف الأسرار) نادى برأي يقترب من رأي آية الله النائيني.

٢- ولاية الفقيه باعتباره وكيلًا على الإمام الغائب، كما جاء في كتابه (تحرير الوسيلة) وكتاب (البيع)، وقد استغرق الخميني في الاستدلال لنظريته بالموروث الفكري الشيعي، وجعلها ولاية عامة تشمل جميع مناحي الحياة.

٣- عزز في هذه المرحلة دعوته لولاية الفقيه هذا المصطلح الجديد باعتباره مراقبًا للأحداث السياسية خاصة، كما جاء في محاضراته وإعلاناته في باريس منذ ١٩٧٧م، وكان قد اشترك سنة ١٩٦٤م في مظاهرات ضد الشاه، وتم إيقافه، ثم أطلق صراحه، ونفي بعدئذ إلى تركيا ثم إلى النجف في العراق[١] ثم غادر إلى فرنسا وفيها ساق المسودة الأولى

(١) تيري كوفل: المصدر السابق، ص٥٤، الدكتور أحمد الموصللي (موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا) ص١٩٧، وص١٩٨، وص١٩٩، مركز دراسات الوحدة العربية -الحمراء- بيروت، لبنان، يناير، ٢٠٠٤م.

لدستور الثورة وبحسب ما ذكر د. أصغر شيرازي في كتابه أن الخميني كان يصرح للإعلام والصحافة الفرنسية بأنه لن يتولى أي منصب في الحكومة التي يقوم بوضع دستور لها ولا للفقهاء مناصب فيها اللهم، إلا الدور الإشرافي والتوجيهي، ولم يظهر حتى تلك الفترة ولا إشارة واحدة عن ولاية الفقيه، وقد أشار إلى الدولة الإسلامية، لكنه لم يحدد ما كان يعنيه، لقد قدم الخميني كل التأكيدات بأنه لا ينوي الاطلاع بأي مسؤوليات حكومية، إنه يريد أن يكون قائدًا روحيًّا للأمة، وإن بني صدر كان قد قدم اعتراضاته على فكرة الدولة الإسلامية التي قدمها الخميني، وقبلها الخميني حسبما ذكر[١].

٤- وفي هذه المرحلة نادى الخميني بولاية الفقيه باعتبارها ليست عامة فقط، وإنما عامة ومطلقة. ويعزز الخميني نظريته بأن الله أوكل إلى نبيه تحقيق الحكم بالعدل وأن رسول الله ﷺ قد أدلى بهذا الحق للإمام وللأئمة الاثني عشر، والفقهاء هم ورثة علم الأئمة وعليهم تقع مسؤولية تحقيق حكم الله باعتبارهم أولياء للأئمة، ويتعين عليهم فرادى أو مجتمعين القيام بهذه المسؤولية.

الحركات اليسارية التي مهدت للثورة الإيرانية:

منذ مطلع القرن العشرين بدأت تظهر في إيران الحركات اليسارية والشيوعية المتأثرة بالفكر الماركسي أو بالفكر الماوي، وقد بدأت في طلاب الجامعات، وسلكت في مجموعها طريقة تحرر عن طريق الكفاح المسلح متأثرةً بالثورة البلشفية والكوبية بل وحتى بالثورة الجزائرية، وقد تمخضت عن تنظيمات عدة كان من أهمها:

(١) د. أصغر شيرازي (السياسة والدولة في الجمهورية الإسلامية) ترجمة حميد سلمان الكعبي، ص٦٠، المدى للثقافة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠٠٢م.

فدائي خلق، وهم ثلاث مجموعات:

أ - مجموعة بيزن أُسِّست ١٩٦٤م قضت عليها الحكومة بعد وقت قصير.

ب - مجموعة أحمد زادة الذي كتب كتابًا في الكفاح المسلح داعيًا إلى ثورة مسلحة على غرار ما يحصل في أمريكا اللاتينية (كوبا).

ج - مجموعة بهروز دهقاني ١٩٦٥م حيث انضم إليها أفراد المجموعات السابقة مطالبين بالكفاح المسلح ونقد التطور التدريجي الذي يدعو له بعض الماويين أو أفراد من حزب تودة الشيوعي.

وقد انقسمت هذه المجموعة فيما بينها أخيرًا إلى قسمين أحدهما ماركسيون والآخرون ماويون يختلفون في بداية الثورة وانطلاقها من المدن أم من الأرياف؟

منظمة فدائيو خلق: وهذه المجموعة التي أُسِّست سنة ١٩٦٥م تأثرت بالفكر اليساري المنادي بالكفاح المسلح، ونادت بأن يكون على أسس إسلامية تتخذ من التراث الإسلامي منهجًا لكفاحها المسلح، ومن أهم مؤسسيها محمد حنيف نجاد، والمهندس سعيد محسن، وعلي أصغر بديع زادكان، وأحمد رضائي، وكان لآراء الدكتور علي شريعتي الذي كان أستاذًا للدراسات الاجتماعية بجامعة طهران أثر واضح في تكونهم، فقد نادى شريعتي بالرجوع إلى قواعد الإسلام الأساسية، وانتقد الموروث الشيعي خاصة المتأثر بالحكم الصفوي، وقد تحولت هذه الحركة من العمل النظري إلى العمل العسكري، وتلقت تأييدًا من بعض العلماء كالشيخ آية الله طالقاني، ثم من مجموع الشعب الإيراني المتمثل في تأييد الحركة بالمال من قبل البازار (محال الأسواق في المدن) وقد ضعفت هذه الحركة سنة ١٩٧١م بسبب مضايقة الحكومة لها. ولقد ساعدت آراء آية الله طالقاني المتمثلة في المزج بين الأفكار الاشتراكية اليسارية وقواعد الدين الإسلامي وكذلك تأثرت هذه الحركة برأي الدكتور شريعتي الذي ركز على نقد الذات في سلوك الفرد والمجتمع ووجوب التخلص من الموروثات الفكرية المذهبية

والرجوع إلى قواعد الدين الإسلامي العامة وربما يكون شريعتي قد تأثر ببعض أفكار حركة الإخوان المسلمين المتعلقة في البدء بإصلاح الفرد المسلم كي يصلح المجتمع، وتمثل حركة مجاهدي خلق الفكر اليساري الإسلامي الذي يعرض حكم الإمام علي وابنه الحسن وثورة الحسين وبقية الأئمة على أساس أنها ثورة اجتماعية ضد الظلم وضد الطبقات المستبدة.

وقد حاولت هذه الحركة المزج بين الديموقراطية والاشتراكية، وسمي هذا الاتجاه فيما بعد اليسار التقدمي الإسلامي، وتنادي هذه الحركة بوجوب تفعيل الجماهير ضد الظلم والفساد الذي يمثل طائفة المستكبرين، وقد استدعت هذه الحركة التاريخ الشيعي والبشري في انقسام الناس إلى طائفة المستكبرين المستغلين وطائفة الضعفاء المظلومين، واتخذت من الخلاف بين قابيل وهابيل وفرعون وموسى والإمام علي وخصومه والحسين ويزيد مسرحًا لشرح أفكارها منتقدةً سلوك الصفويين ضد خصومهم، حيث جعلهم ضمن طائفة المستكبرين المستبدين، ونادت هذه الحركة بوجوب تكوين نخبة من القادة الذين لا ينتمون إلى علماء الدين ولا إلى الميول الغربية بل من المفكرين المسلمين ذوي المعرفة بالإسلام من حيث كونه ثورة اجتماعية جماهيرية ضد الظلم والفساد، وتحقيق الأهداف التي نادى بها الإمام علي والصحابي أبوذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وذهب أحمد رضائي (من مؤسسي مجاهدي خلق) إلى وجوب القضاء على الملكية الفردية، وسيطرة الدولة على وسائل الإنتاج، ويرى أن الإسلام الشيعي في صورة ثورة الحسين يهدف إلى هذه المبادئ، ولكن هذه الأفكار وضغط النظام البهلوي على هذه الحركة تسبب في انشقاقها إلى قسمين، قسم يساري لينيني، والآخر إسلامي تقدمي كما يصف هذا التيار نفسه[١].

---

(١) سلطان محمد النعيمي: المصدر السابق، ص٥٤ وما بعدها/ محمد رضا وصفي: المصدر السابق، ص١٤٦ وما بعدها.

فاطمة الصمادي: (التيارات السياسية في إيران)، ص٢٢ وما بعدها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر/ بيروت، ٢٠١٢م.

التيار الليبرالي الإيراني: بعد بدايات الفكر الليبرالي الذي وضعه الميرزا ملكم خان اتسع هذا التيار مخالفًا توجهات رجال الدين وفي البداية مطالبًا بإصلاحات دستورية من الشاه، ولكن في النهاية اتجه إلى المطالبة بتغيير النظام الملكي إلى نظام دستوري ديموقراطي انتخابي، وقد تمثل هذا التيار في تنظيمات سياسية عدة:

١- حزب إيران بقيادة اليهر صالح تشكل سنة ١٩٤٢م وقادته جمعية المهندسين الإيرانية، طالب هذا الحزب باستقلال إيران عن التدخلات الغربية وعمل جملة إصلاحات.

٢- حزب الشعب الإيراني بزعامة محسن يزشكي، وحسين علي صارم، ومحمد رضا عاملي تهراني، وجواد تقي زادة سنة ١٩٤٧م نادى بالتجمع الوطني وأخيرًا انضم إلى جبهة المقاومة الوطنية.

٣- تنظيم فدائيي الإسلام بزعامة نواب صفوي، ظهرت هذه الحركة عام ١٩٥٠م معلنة الكفاح المسلح ضد الشاه وبطانته في صحيفتها الشهيرة (منشوربرادرى) وكتابها الأساسي (بيان فدائيان إسلام) يقول نواب صفوي في كتابه ذلك: إن إيران ببركة الحكومة الخائنة انتشر فيها الفقر والمرض والجهل، وها هم أبناء الشعب يصرخون، ويستغيثون ولكن الحكومة الظالمة ورجالها اللصوص لا يسمعون أصواتهم - أيها الرجال الخونة، إيران دولة إسلامية وأنتم لصوص وغاصبون للحكومة الإسلامية ص٤٢ وفى آخر الكتاب يصرح نواب صفوي، ويحذر «إلى أعداء وغاصبي الحكومة الإسلامية الشاه والسائرون في ركابه إذا لم تطبقوا الإسلام وقوانينه فبعون الله سنحطمكم، ونشكل الحكومة الإسلامية الصالحة لتطبيق الإسلام في كل أنحاء البلاد» ص٨٨ ولم تكتفِ المنظمة بالبيانات بل قامت بتصفية كثير من رموز النظام، فقتلت أحمد كسروي الذى قاد حملة للتشهير بالإسلام باسم التجديد،

وقام بحرق بعض الكتب الدينية، كما نقل فهمي هويدي صاحب كتاب (إيران من الداخل) وتم قتل وهزير وزير البلاط والعقل المدبر لأعمال الشاه والجنرال رزام آراء الوزير الذى عارض التأميم النفطي، وكان آخر ضحاياها حسن علي منصور رئيس وزراء الشاه الذى أحيا معاهدة الامتيازات الأجنبية، قتله أحد أعضاء (فدائيان إسلام) واسمه صادق أماني، وكانت أعمال المنظمة بمباركة رجل الدين آية الله البروجردي، لكن تم إلقاء القبض عليهم، وحكم عليهم بالإعدام وعلى رأسهم نواب صفوي، ومحمد واحدي، وعبد خدائي، وخليل طهمسبي، ما أصاب نشاط المنظمة بالشلل.

٤- تنظيم (المسلمون المجاهدون) بقيادة آية الله الكاشاني. اتحد التيار الليبرالي والتيار الإسلامي فيما يسمى الجبهة الوطنية، وكان من نتيجة ذلك ثورة الدكتور مصدق على الشاه ١٩٥٣م التي فشلت بسبب التدخل الأمريكي ومساعدة بريطانيا وإعادة الشاه الهارب إلى إيران، ثم تصدعت هذه الجبهة، وقد قامت حكومة الشاه بتشتيت هذه الجبهة، ولكنها استعادت نشاطها مرة أخرى بقيادة آية الله رضا زنجاني وآية الله أبي الفضل زنجاني والمهندس بازر كان وآية الله محمود طالقاني والدكتور عزت الله سحابي، وقد غلب عليها التيار الإسلامي، وانضم إليها حزب إيران، وحزب الشعب، وحزب الأمة الإيرانية، وحزب كادحي الشعب الإيراني، وكانت أهدافها وطنية واسعة مستوحاة من ثورة مصدق، وقد اصطدمت بالنظام وتم حلها سنة ١٩٦٥م[١] وقد انفصلت حركة الحرية الإيرانية (نهضة أزادي إيران) عن الجبهة، وكان لها دور سياسي في ثورة ١٩٧٩م بزعامة آية الله محمود طالقاني، ومهدي بازاركن، وعزت الله سحابي.

---

(١) تيري كوفل: إيران الثورة الخفية، ص٤٨ -٧٠ -٨٠- وما بعدها - دار الفارابي - بيروت، ٢٠٠٨م/ محمد رضا وصفي: المصدر السابق، ص٩٧ وما بعدها.

الإصلاحيون الدينيون في العصر الحديث:

ظهر في إيران وفي أثناء حكم الشاه بعض الإصلاحيين الذين نادوا بوجوب الإصلاح السياسي الديني نذكر من هؤلاء:

١- جمال الدين الأفغاني.
٢- مهدي بازركان.
٣- محمود طالقاني.
٤- مرتضى مطهري.
٥- علي شريعتي.
٦- محمد حسين طبطبائي.
٧- الملا صدرا.
٨- حسين نصر.
٩- السيد أبو الفضل البرقعي القمي.
١٠- محمد خاتمي.
١١- عبدالكريم سروش.

جهود علي شريعتي في الإصلاح:

جمع علي شريعتي بين العلوم الدينية في المذهب الشيعي الإثنا عشري في إيران وبين دراسة العلوم الحديثة وخاصة علم الاجتماع، وانفتح على قراءة رأي المصلحين من علماء السنة والشيعة كجمال الدين الأفغاني، ومحمد رشيد رضا، ومالك بن نبي (من السنة)، ومن الشيعة محمد مهدي الخالصي، ويمكن تلخيص آراء علي شريعتي في الإصلاح عمومًا بما يلي:

١- طالب بتجديد فهم الإسلام على أسس علمية اجتماعية وسياسية، فالهدف عنده هو الإنسان، وليس الضياع في متاهات النزاعات التاريخية والسياسية.

٢- يجب العودة إلى منبع الإسلام الأول وتنقية الفكر الديني على ضوء ذلك.

٣- يجب فهم التطور الاجتماعي والتاريخي لأمتنا ودراسته من أجل تجديد وتنقية العيوب والأخطاء التي وقع فيها السابقون.

٤- الرجوع إلى الشخصيات الإسلامية ذات النهج الإصلاحي واتخاذها مثالاً وقدوة تعصم عن الانحراف عن الهدف الأساسي المتمثل في تحرير الفرد والفكر وتحقيق المساواة والحرية وحاجات البشرية.

٥- مكافحة الاستعمار الخارجي والاستغلال الديني الداخلي، وذلك بنزع السلاح الديني الذي تسلحت به الطبقة الكهنوتية، وذلك بسبب سكوتنا أمام رجال الكهنوت، ولكن نتكلم، ونخالط، ونعلم عموم الناس، فلا يدعو إلى الاستسلام للسلطة الدينية، ولكن ينزع سلاحها عن طريق عزلها عن المجتمع وتولي المصلحين قيادة المجتمع، وقد ذكر أن علينا ألا نسلب هؤلاء من الناس بل علينا أن نسلب الناس من هؤلاء فقط.

٦- توعية الفرد والمجتمع بالظلم الذي هو واقع فيه والعمل على تسوية الطبقات الاجتماعية واقترابها مع بعضها في الثروة والفكر والإحساس بالمسؤولية.

٧- وضع جسر بين المفكرين ومجموع أفراد المجتمع وعدم تركهم في عزلة عن العالم والتحرر أو تركهم للكهنوت الديني يقودهم إلى الظلام.

٨- أن نعي متطلبات العصر الحاضر، ونبتعد عن الصور النمطية لمتطلبات العصور البائدة.

٩ - تقديم الإسلام كفكرة تغطي بشكل عام وتحقيق الوئام والتناسق بالأنا (الذات) والعالم عن طريق معرفة متطلبات العصر.

١٠- تجديد الاجتهاد (في الشريعة) والتفريق بين الثابت (النص) والمتطور والتخلص من التقليد الأعمى وما لا ينفع الناس في حياتهم والمجتمع يحتاج إلى تجديد المفاهيم بحسب التطور الاجتماعي والعرفي،

وبذلك يجب التخلص من القوالب الاجتهادية القديمة والواردة من أفكار المجتهدين لا من النص الثابت.

١١- معرفة الحضارة والثقافة الغربية بقصد الاستفادة منها والمحافظة أيضًا على الهوية الإسلامية، ويبدو أن شريعتي قد تأثر بالأفكار التي وردت شعرًا من عند محمد إقبال حول رأيه في الإصلاح يقول: «على المسلم اليوم أن يعيد النظر في الإسلام -في التراث البشري منه- دون انقطاع عن الماضي» «إن كعبتنا عامرة بأصنامنا، وإن الكفر ليضحك من إسلامنا، وإن شيخنا قامر بالإسلام في عشق الأصنام، واتخذ خيط مسبحته من الزنار وهو في سفر دائم مع مريديه، وفي غفلة عن حاجات أمته، الوعاظ والصوفية عبدوا المناصب، وأضاعوا حرمة الملة البيضاء: واعظنا إلى بيت الصنم ناظر ومفتينا بالفتوى يتاجر»[١].

وقد مر علي شريعتي بمراحل عدة، مرحلة الشباب والتكوين الفكري منذ سنة ١٩٣٣م-١٩٥١م وفيها شارك في حركة مصدق، والمرحلة الثانية انخرط فيها في العمل السري ضمن الحركة الوطنية ضد الشاه، وفي المرحلة الثالثة درس في أوروبا منذ سنة ١٩٥٩م وقد درس علم الاجتماع (أنثروبولوجيا) وحصل على شهادة الدكتوراه سنة ١٩٦٤م، ورجع إلى الوطن، وفي المرحلة الرابعة كانت فترة التدريس قصيرة، ثم أقصي، وأصبح من العاطلين حيث تعرض أيضًا للسجن سنة ١٩٦٩م، وفي المرحلة الخامسة وبعد خروجه من السجن بدأ نشاطه الوعظي والفكري في حسينية الإرشاد في طهران إلى سنة ١٩٧٤م، وفي المرحلة السادسة تعرض للمراقبة والملاحقة والسجن[٢].

---

(١) عبدالرزاق الجبران: علي شريعتي وتجديد التفكير الديني بين العودة إلى الذات وبناء الأيدولوجية، ص١٤وما بعدها/ مجيد محمدي: (اتجاهات الفكر الديني المعاصر في إيران)، ترجمة: ص. حسين، بيروت، ٢٠١٠م، دار الأمير - بيروت -.

(٢) محمد رضا وصفي: المصدر السابق، ص١٦٣.

جهود آية الله العظمى السيد أبو الفضل البرقعي القمي في الإصلاح:

درس البرقعي العلوم الدينية لمذهب الشيعة الإثنا عشرية في كل من قم، والنجف، وحصل على درجة الاجتهاد بعد أربعين سنة، وقام بالتدريس في كثير من مدارس المذهب، ولكنه اكتشف في أثناء دراسته لكتاب (الكافي) لمؤلفه محمد بن يعقوب الكُليني أن الأحاديث المروية مطعون بها من جهتين جهة الثقة بالراوي؛ لأن أكثر رواتها كذبة لم توثقهم حتى مصادر الشيعة وكتب الرجال، ومن جهة أخرى مخالفة متن الحديث للقرآن الكريم أو للعقل لما فيها من خزعبلات ومعجزات منسوبة زورًا إلى الأئمة، وقد تعرض المؤلف في إيران للاضطهاد والتحقيق والسجن مرات عدة تسبب كل ذلك في مرضه ووفاته. وكتب كتبًا عدة في إصلاح المذهب، منها: (درس حول الولاية) و(الخرافات الوافرة في زيارات القبور) وأيضًا (تفسير شعاع من القرآن) وأيضًا (تحقيق علمي في أحاديث المهدي) وقد سمى كتابه المتعلق بأحاديث الكافي (كسر الصنم) حيث اعتبر النصوص الواردة في الكافي كأنها صنم يعبد في المذهب، فلا بد في رأيه من كسر هذا الصنم أولًا، وامتدح البرقعي ما قام به ابن الغضائري من تحقيق الثقة بالراوي ورواياته وبنصوص كتب الحديث المروية خاصة كتاب (الكافي) الذي تعرض لزيادات قام بها أهل الأغراض، وامتدح جهود الشيخ قلمدان على كتابه (هدية السماء) المتعلق بروايات (الكافي) التي قال عنها: إنها مكذوبة وموضوعة من أعمال المغيرة بن سعيد وأبوالخطاب وبنان. وعرض المؤلف تعريفًا لكتاب (الكافي) وكتابته ومتى كتب وبعض خصائص هذا الكتاب، ثم عرض هدف المؤلف من تأليفه، وعرض طريقة دراسته لكتاب (الكافي) عن طريق نقد سلسلة أحاديث الرواة، ثم نقد نص الحديث، وانتهى إلى عرضه على نصوص القرآن والعقل، ثم استعرض أبواب الكتاب واحدًا بعد الآخر، بدأ بكتاب العقل والجهل إلى آخر الأبواب.

جهود الشيخ محمود طالقاني:

يُعدّ الشيخ طالقاني من أقرب شيوخ الدين إلى الطلبة المتعلمين في الجامعات، وتميزت جهوده بوجوب الثورة على الظلم خاصة ما تعلق بحقوق الملكية، وله كتاب في هذا الشأن، ونادى في كتابه (تنبيه الأمة إلى النظر في القرآن الكريم وما ورد من أقوال الإمام علي في كتاب نهج البلاغة)، وتدور آراء طالقاني على استخلاص الغاية من تعاليم القرآن الكريم، وهذه الغاية يجب أن تتحقق في إصلاح المجتمع من جميع الجوانب، وانتقد جهود المفسرين في تركيزهم على المعاني الفلسفية دون الالتفات إلى الغاية التي أرادها الله لعباده.

جهود السيد مهدي بازركان:

يبدو أن بازركان أذاري الأصل درس في طهران، وتخصص في هندسة السيارات، وذهب ببعثة دراسية لفرنسا، وبعد رجوعه خدم في شركة النفط الإيرانية سنة ١٩٥٣م، وتولى رئاسة حكومة الثورة الإيرانية مدة قصيرة. وقد اعتقل في عهد الشاه سنة ١٩٦١م، وسجن خمس سنوات، تأثر بازركان بإبراء جمال الدين الأفغاني، والشيخ النائيني وإقبال اللاهوري، وتدور كتاباته وآراؤه حول الإصلاح الديني المتعلق بمذهب الشيعة الإمامية، وركز في كتاباته على طرح إصلاح الحكم السياسي وإقامة الدولة الإسلامية اعتمادًا على مبادئ الإسلام، وله كتاب البعثة والأيديولوجية أصدره سنة ١٩٦٩م، وفي كتابه أوضح أساليب الحكم الموجود في العالم، واختار حكم الإسلام المبني على الحرية والقانون والحكومة والدولة والانتصار وضرورة تفسير مفهوم الاختيار والشورى واختيار الزعيم.

وأساس الحكومة عنده يقوم على الشورى والبيعة، ويوفق بين الحكم الإسلامي وفكرة الديموقراطية، ويوفق بين الواجبات الدينية والأمور الطبيعية والكونية. ويعتقد بازركان أن الدين يعلو، ويحكم السياسة ويعدّ مخالفة السياسة

للدين نوعًا من الشرك والضلال لا تبرره قواعد القرآن الكريم. وتعدّ الأطروحات الفكرية لبازركان المتعلقة بالأيديولوجيا السياسية في المجتمع الإيراني أطروحات مهمة في الزمن الذي كانت تطرح فيه أيديولوجيات مختلفة يسارية أو يمينية ما كان له أثر في كثير من الشباب الإيراني المتعلم. وقد أسس بالتعاون مع عدد من الإسلاميين الجامعيين في السنوات الأولى من عودته من الغرب الجمعية الطلابية الإسلامية، وكانت من مبادئها:

١- إصلاح المجتمع على أساس التعاليم الإسلامية.

٢- السعي لخلق المحبة والوحدة بين المسلمين عامة والشباب المستنير خاصة.

٣- نشر الحقائق الإسلامية عن طريق إنشاء مؤسسات الإعلام والنشر والصحافة.

٤- مكافحة الخرافات، ويرى أن الدين عامل موحد لمختلف القوميات والأفكار الوطنية[١] ويرى بازركان أن المشكلة الأساسية للفكر الديني لدى الإيرانيين تكمن في الاهتمام بفلسفة اليونان واعتبار معتقدات الفلاسفة مسلمات ومحكمات، ويرى أن الفلسفة أدخلت شرخًا في التوحيد ومن آراء بازركان أن شيعة إيران قد تمسكوا فقط بعترة الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ شكليًّا، وأهملوا التمسك بالقرآن[٢].

جهود مرتضى مطهري في الإصلاح:

ولد مطهري سنة ١٩١٨م في كرمان من أعمال خراسان، ثم درس في مشهد، ثم انتقل للدراسة في قم في حوزة آية الله البروجردي، وتأثر بدروس كل

(١) محمد رضا وصفي: المصدر السابق، ص١٥١ وما بعدها.

(٢) مجيد محمدي: المصدر السابق، ص٢٢٠ و٢٤٢.

من الخميني والسيد محمد حسين الطبطبائي، ثم انتقل للتدريس في طهران، وفيها اقترب مطهري من فكر المثقفين، واختلط بطبقات من المهندسين والأطباء، وقدم الدين على أساس أنه الحل للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية، ويمكن تلخيص آراء مطهري الإصلاحية كما يلي:

١- تقديم الدين الإسلامي بوصفه منهجًا إصلاحيًّا للفكر شاملًا نشاط الدنيا والآخرة متأثرًا بأفكار الملا صدرا.

٢- وجوب إحياء الفكر الإسلامي تأسيسًا على المنهج الوسطي في علم الكلام عند المسلمين واستخلاص الغاية والهدف الموصل لأن يكون الدين في خدمة الفرد والمجتمع.

٣- نادى مطهري بتأسيس حقوق المرآة على أساس من الشريعة الإسلامية، وكتب بهذا كتابه (حقوق المرآة في الإسلام).

٤- يرى مطهري عدم وجود تعارض بين العلم والدين، فالعلوم الدينية مبنية على العقل والوحي، وهو في هذا يقدم مقاربة بين الفلسفة والدين. وعمومًا فالدين عنده لا يعارض العقل، ولكن يجب أن يحكم العقل عنده بالوحي الإلهي؛ لأن العقل قاصر عن الوصول إلى الأسرار الإلهية.

٥- يركز مطهري في مسيرة الإصلاح على الأخلاق، وقد كتب (قصص الأبرار) التي تدور حول السلوك القويم والخلق السليم النابع من الفكر الديني.

٦- يجوز عنده نقد الفكر الديني المؤسس على الخرافات ومخالفة العقل، ويجوز عنده في هذا المجال طرح فكرة الشك لوصول المسلم إلى اليقين.

٧- نادى مطهري بالعدالة الاجتماعية، فهي عنده حق طبيعي نادى به الإسلام، فالعدالة عنده مقياس للدين، فكل ما تأمر به العدالة يُعدّ من الدين، وعقيدة التوحيد الإلهي عنده لا تكفي وحدها لتحقيق العدالة.

٨- نادى مطهري بإحياء الدين الإسلامي تأسيسًا على القرآن الكريم ونهج البلاغة وسيرة أولياء الله، وتأسيس الفكر الاجتهادي في الفروع الإسلامية بما يحقق حاجة الإنسان وسعادته، والتأكيد على الحياة العملية، واعتماد الفكر الفلسفي في جهود الأحياء كما فعل الملا صدرا[١].

والمفاهيم التي يركز عليها هي من قبيل: الدعاء والعدالة والزهد والإيمان والمهدوية والشهادة والجهاد والملحمة والموعظة ورزاقة الله والتوكل، وكان مطهري يرى أن جعل العنصر الآري من قبل بعض القوميين أسسًا في تعيين حدود وأطر القومية الإيرانية ينتهي في المطاف إلى التقارب مع الغرب، وهذا التقارب يؤدي إلى آثار تنعكس على نهجنا القومي والسياسي، وأهم هذه النتائج القطيعة مع الجيران والعالم الإسلامي غير الآري، أما لو عكسنا الأمر، واعتبرنا النظام الفكري والمبدئي والمؤسسات الاجتماعية التي توطدت أركانها خلال القرون الماضية مقياسًا لقوميتنا، فإننا سنواجه وضعًا مغايرًا ونهجًا آخر سيكون المسلم العربي والتركي والهندي والإندونيسي والصيني صديقًا وأخًا والغرب غير المسلم أجنبيًّا[٢].

وقد اختير مطهري عضوًا لمجلس الثورة الإسلامية، فكان يرفع راية الحرية للفرد والإرادة، وينادي بعدم تعارض المدارس الفكرية في منهجها التحرري، فلا بأس عنده من اختلاف المدارس الفكرية الإسلامية، فلكل إنسان حرية طرح أفكاره، وهذا المنهج عنده هو سر بقاء الإسلام إلى يومنا هذا، فلا يجوز عنده الحجر على حرية الفكر والكتابة، وتم اغتياله من قبل منظمة متطرفة تسمي نفسها (فرقان) وكان ذلك في السنة الأولى من قيام الثورة.

---

(١) محمد رضا وصفي: المصدر السابق، ص١٧٨ وما بعدها.

(٢) مجيد محمدي: (اتجاهات الفكر الديني المعاصر في إيران)، ترجمة: ص. حسين، ص١٠١ وما بعدها، بيروت، ٢٠١٠م.

جهود آية الله الدكتور محمد حسين بهشتي:

يُعدّ بهشتي من الشيوخ المتنورين حتى في العلوم الحديثة، وقد أسس مدرسة (الدين والمعرفة للعلوم الحديثة) في قم، واهتم بتدريس اللغة الإنجليزية وإحياء العلوم السياسية في الإسلام، ومن أرائه وجوب تأسيس التنظيمات الأساسية كما فعل صاحبه موسى الصدر، وقد كتب إلى طلبة الجامعات دروسًا في الحكومة الإسلامية ما سبب طرده من قم، وفي سنة ١٩٦٥م رحل إلى ألمانيا، وأسس جامع هامبورج، ثم التقى الخميني في باريس، وأصبح عضوًا ثوريًّا في الجمهورية الإسلامية، وانتصر لآراء علي شريعتي.

جهود علي أكبر رفسنجاني:

يُعدّ رفسنجاني أيضًا من علماء شيعة إيران التنويريين، فقد ألف كتاب (النضال ضد الاستعمار) وترجم إلى الفارسية كتاب (قضية فلسطين) لأكرم زعيتر، وقد أهلته أفكاره السياسية لأن يصبح رابع رئيس للجمهورية الإيرانية في الفترة من ١٩٨٩-١٩٩٧م ولد في رفسنجان بمقاطعة كرمان، وتعلم في مدرسة دينية محلية، ثم أكمل تعليمة في معهد قم الديني، وتتلمذ على يد روح الله الخميني، وتخرج في نهاية الخمسينيات برتبة حجة الإسلام، وسار على نفس نهج أستاذه خميني في معارضة محمد رضا شاه، واعتقل أكثر من مرة لتوليه إدارة القوى المؤيدة للخميني، وقضى نحو ثلاث سنوات في السجن ١٩٧٥-١٩٧٧م بسبب نشاطه السياسي، وتولى مهمة رئاسة القوات المسلحة في الفترة من ١٩٨٨-١٩٨٩م، ولقد تعرض لموجة انتقادات بسبب اتفاق السلاح مقابل الرهائن الذى أبرمه مع أعضاء من إدارة الرئيس رونالد ريغان ١٩٨١-١٩٨٩م، وكان له رأي في حرب الخليج عام ١٩٩١م حيث أدان كلًّا من الولايات المتحدة والعراق[١].

(١) محمد صادق إسماعيل: (من الشاه إلى نجاد إيران... إلى أين)، ص١٠٣ وما بعدها، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠م.

العلامة محمد حسن الطبطبائي:

لم يهتم العلامة الطبطبائي بقضايا الحكم الإسلامي بل اهتم كثيرًا بالمباحث الفلسفية، وتأثر بمن قبله من علماء الشيعة الذين يقتربون من مدرسة التصوف والعرفان، وكان له مجالس علم ومناظرات مع المستشرق الفرنسي هنري كوربان الذي اهتم بالكتابة عن التصوف والعرفان والفلسفة في إيران في دراساته وكتبه، وقد ألف الطبطبائي تفسيرًا للقرآن الكريم اهتم بفكرة تفسير القرآن بالقرآن نفسه حيث يستدعي جميع الآيات في الموضوع الواحد مستخدمًا الفكر الفلسفي العرفاني متأثرًا بمنهج ابن سينا والملا صدرا، وأهمية الطبطبائي تعود إلى تأثر الكثير من الإصلاحيين بأفكاره.

الدكتور حسين نصر:

ولد في طهران عام ١٩٣٣م وإضافة إلى الدراسة النظامية في المدارس الحكومية درس العلوم الدينية في الحوزة العلمية على يد العلامة الطبطبائي ورفيعي القزويني، وبعد تخرجه في جامعة هارفارد الأمريكية ورجوعه إلى إيران أصبح رئيسًا لجامعة طهران، وأسس جمعية الحكمة والفلسفة في إيران ويُعدّ من دعاة العودة إلى الأصالة والتراث في مواجهة الغرب، واهتم بدراسة الفلسفة والتصوف، وتأثر بما كتبه ابن سينا والملا صدرا وشهاب الدين السهروردي، وعمل محاضرًا للدراسات الإسلامية في الجامعة الأمريكية ببيروت، واشتغل أيضًا أستاذًا للدراسات الإسلامية في جامعة جورج واشنطن، ومختصر آرائه تنبني على الاعتقاد بالخالق وتوحيده الذي يُعدّ أساس الاعتقاد الذي نسيه الإنسان حيث يجب تأسيس الوجود عليه وعلى الحكمة المنبعثة من العقل، ومشروعه الإصلاحي للإيرانيين يعتمد على:

إحياء السنن والتراث الفكري الإيراني الإسلامي الأصيل في الفلسفة والعرفان، والتحذير من الفلسفة الغربية المادية، والانفتاح على حضارات منطقة

الشرق الأوسط للاستفادة منها في النهضة الحديثة ومواجهة الغرب، ووضع منهجًا للحفاظ على أصالة الثقافة الإيرانية في مقابل الغرب[١] ويعتقد نصر أن العالم الإسلامي ينام على كنوز من الحكمة، وأن الغفلة عنها لا تدل بأي شكل من الأشكال على عدم وجود هذه الكنوز، ومن المؤسف أن نصر في توجهه الباعث من دراسة الدين والعلوم الإسلامية والثقافة هو الدفاع عن الهوية الإيرانية الإسلامية الشيعية التي يقول: لها دور في الحضارة الإسلامية، وأغفل الدور السني سواء كان من قصد أو غير قصد، وهو ما أكده قوله بالنظر إلى اتباع الفرق الشيعية بشكل عام لعلوم السابقين وتجاهل ذكر الفرق السنية التي أدت دورًا أساسيًّا في الحضارة الإسلامية والعالمية[٢].

الدكتور عبدالكريم سروش:

ولد في طهران سنة ١٩٤٥م، ودرس في بداية عهده العلوم الطبيعية والصيدلة، وكان في بعثة دراسية في بريطانيا لدراسة الكيمياء، ثم درس علم التاريخ والفلسفة، ورجع إلى إيران في ١٩٨٠م بعد انتصار الثورة الإسلامية، وأصبح عضوًا في مجلس الثورة الثقافية بتعيين من الإمام الخميني، وهي الهيئة المكلفة بأسلمة الجامعات والدروس الجامعية، ولكنه استقال بعد فترة لاختلاف وجهة نظره مع المجلس، وكتب كتابًا (القبض والبسط في نظريات الشريعة) رد فيه على الأفكار الماركسية والمادية من منظور الإسلام، وحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة طهران، واهتم في كتاباته بفكرة التوفيق بين الفكر الإسلامي ومعطيات العصر الحديث، ويرى أن الدين يجيب عن جميع تحديات العصر الحديث، وقد أسس فكره على التوفيق بين الدين والعلم وخاصة العلوم الاجتماعية، فنظريته المبنية على الدين يرى أنها ثابتة تحكم المتغير من

(١) محمد رضا وصفي: المصدر السابق، ص٢٣٨ وما بعدها.

(٢) مجيد محمدي: المصدر السابق، ص٢٧٥ و٢٨٨.

أحوال الإنسان الاجتماعية والفلسفية، ويمكن تلخيص نظريته من كتابه السابق في النقاط الآتية:

- إن الدين في أصله ثابت لا يقبل التغيير، وليس فيه زيادة ولا نقصان.
- المعرفة الدينية بحسب فهمنا هي المتغير بحسب الزمان والمكان.
- معرفة الدين هي معرفة بشرية متغيرة.
- الشريعة الإسلامية صامتة تستجيب لأسئلتنا عنها.
- إن أي تغير في المعارف غير الدينية سوف يؤثر في المعرفة الدينية.
- إن المعرفة الدينية متطورة.
- إن تنقيح المعرفة الدينية يحتاج إلى جميع المعارف الإنسانية حيث على ضوئها تنكشف الحقيقة.

وقد تأثر بأفكار جلال الدين الرومي خاصة ما تعلق منها بالتعددية الدينية، ويرى في العالم أديانًا مختلفة.

- كل دين يرى أنه على حق.
- لكل دين فرق متعددة.
- كل فرقة ترى أنها على حق، وأن غيرها على ضلال.
- القبول برأي الآخر يتعارض مع صفة الرحمن والهادي.
- قبول مذهب الآخر يتعارض مع حرية الاختيار والعقل.
- المعرفة الدينية تقتضي القدرة على معرفة التعددية الدينية[١].

(١) محمد رضا وصفي: المصدر السابق، ص٢٩٤.

ونظام الحكم الإسلامي كما يراه أقرب ما يكون مؤسسًا على فكرة الديموقراطية، حيث تحقق مبدأ العدالة الاجتماعية بين الناس، ويرى أن الفقه أو الفقيه أقصر في الوصول إلى هذه النتيجة.

محمد مجتهد شبستري:

ولد في أذربيجان سنة ١٩٣٦م في مدينة شبستر، وانتقل في شبابه إلى تبريز، ثم إلى قم، والتحق بالدراسة الدينية في الحوزات مدة ثماني عشرة سنة، وتتركز دراسته على الفلسفة وعلم الكلام وأصول الفقه وعلم النفس وسياسة الحكم في الإسلام، وفي الستينيات كان عضوًا في تحرير مجلة (مكتب إسلام) التي تنادي بالتجديد في المفاهيم الإسلامية، وحل محل الدكتور بهشتي في جامع هامبورج سنة ١٩٦٩م، ودرس العلوم الفلسفية في ألمانيا، وبعد رجوعه أصبح مدرسًا في جامعة طهران، ويمكن تلخيص آرائه كما يلي:

١- وجوب تطوير علم الكلام عند المسلمين بإدخال جميع العناصر التي يقتضيها الفكر العصري وإخراج علم الكلام من الجمود الموروث.

٢- حاول توضيح فكرة الإيمان والفرق بينها وبين الاعتقاد أو العلم أو الفكر أو مجرد الاعتقاد بالله، وليس الفلسفة في رأيه موصلةً للإيمان، والإيمان عنده ليس هو اليقين أو العلم، وتعرض أيضًا إلى فكرة الوحي، وهي عنده أقرب إلى الصلة بين الإنسان والخالق، مخالفًا بذلك الآخرين.

٣- تعرض إلى كيفية فهم المسائل الفقهية، وهل يصلح علم الكلام أو أصول الفقه إلى أن تكون معيارًا لفهم الفقه خاصة بعد ظهور تطورات حديثة في علم الاجتماع والاقتصاد والعلوم الأخرى، وطرح من خلال ذلك إشكالية فهم النص الفقهي، وتعرض إلى الأسباب المؤدية إلى

اختلاف فتاوى المجتهدين، وهل فكرة حقوق الإنسان يمكن تأصيلها على الموازين والعلوم الدينية أم أن المسألة أوسع من ذلك؟

٤- إن أصحاب الديانات السماوية الثلاث يصفون المخالفين لهم بألفاظ سلبية كالكافر دون النظر لما هو عليه في الاعتقاد، وينسى هؤلاء حقوق الإنسان التي فرضها الله على خلقه لأجل التعايش بين البشر وعدم الاقتتال فيما بينهم أو ادعاء كل منهم أنه وحده على حق، وهذا هو الدين الحق في رأيه.

٥- يرى أن الدين الإسلامي ظاهرة تاريخية وأن الرسول ﷺ والقرآن هما ظاهرتان تاريخيتان ظهرتا في الجزيرة العربية، ويطرح عمل الفقهاء والفقه في العصر الحديث، وأنه قاصر عن الاستجابة للمتطلبات وحاجات الإنسان المتطورة في قضايا الحكم والخلافة والولاية والعقوبات وكيفية تحقيق العدالة في التقاضي وفي قضايا الحدود والقصاص... إلخ، ويرى أن النص القرآني أو الشرعي يجب فهمه في ظل الظروف والأسباب التي نزل فيها، فآيات القصاص والعقوبات قصد بها تحقيق الرحمة والعفو، وليس الانتقام، كذلك في مسألة الحكم تأسيسًا على الشورى والبيعة يجب فهمها في ظل العرف الاجتماعي في ذلك الوقت، وفي العصر الحديث لا بأس من الأخذ بالتطورات التي تقضيها المفاهيم والتطبيقات الحديثة في الحكم[١].

أحمد الكسروي:

هو أحمد مير قاسم بن مير بن أحمد الكسروي ولد في تبريز عاصمة أذربيجان عام ١٢٦٧هـ تقريبًا، وبحسب ما ذكر أحد الكتاب من أسرة يعود نسبها إلى أهل البيت، فقد تلقى تعليمه الشرعي في إيران، وكان يصلي بالناس

(١) محمد رضا وصفي: المصدر السابق، ص٣١٥ وما بعدها.

في إحدى قرى أذربيجان وأخذ من معين العليم بنهم حتى أجاد لغات عدة، هي اللغة العربية والتركية والإنجليزية والأرمينية والفارسية الحديثة والقديمة البهلوية، وعمل أستاذًا في جامعة طهران، وتولى مناصب قضائية عدة، فتولى مرات عدة رئاسة بعض المحاكم في المدن الإيرانية، وأصبح أحد كبار مفتشي وزارة العدل الأربعة في طهران، ثم تولى منصب المدعي العام في طهران، وعمل محررًا لجريدة (برجم) الإيرانية وقد اغتيل علي يد مجموعة في إيران بعد أن خلص من تأليف كتابه (التشيع والشيعة) الذي تسبب في إدخاله المستشفى من محاولة اغتيال فاشلة، حيث جعل المناوئين له يترصدونه للإيقاع به، فرموه بفرية مخالفة الإسلام، ورفعوا ضده قضية شكوى إلى وزارة العدل، وفي التحقيق أطلق عليه النار مرة أخرى، وطعن بخنجر، فمات إثر تلك الحادثة، وقد عاش كسروي ٥٧ عامًا، ولقد ذكر أن من اغتاله هو نواب صفوي زعيم (فدائيان إسلام) عام ١٩٤٦م، وكانت له مؤلفات عدة منها:

١- صوفيكاري (كتاب في نقد الصوفية).

٢-بهائكيري (كتاب في نقد البهائية).

٣- شيعكيري (كتاب في نقد الشيعة).

٤- (أبيين) أي الدستور أو الدين نشر فيه أفكاره الأساسية سنة ١٣١١هـ.

٥- التشيع والشيعة. ونشرت له مقالات كثيرة في مجلة (بيمان) وجريدة (برجم). يرى الكسروي أن تبصر الخلق في مخلوقات الله وسننه في الكون من أهم الأمور التي غفل الناس عنها، وذكر الكسروي أن بعض من عاصروه من الإمامية لهم فكر سلبي وصل بهم الحال إلى مخالفة كل من يسعى في سبيل الإصلاح معتقدين أن صلاح العالم هو أمر رباني خص به الله محمد بن الحسن العسكري، وليس للآخرين شأن في ذلك، ويرى أن الإسلام جاء يعلم الناس عبادة الله وحده وتوحيده وعدم الشرك به وترك عبادة من سواه، وينبه الكسروي إلى ما يعده من البدع والمنكرات التي ظهرت، وهي

عبادة القباب والأولياء، وذكر خالد بن محمد البدوي صاحب كتاب (إعلام وتصحيح الاعتدال) ذكر الكسروي «فيقول: وآخر منكراتهم ما هو رايج فيهم و(يعني الإمامية) من عبادة القباب، فقد شيدوا علي قبر كل واحد منهم في خرسان أو العراق أو الحجاز قبة من الذهب أو الفضة، وبنوا مباني، ونصبوا خدامًا، فيقصدها الزائرون من كل فج عميق، فيقفون أمام الباب متواضعين، ويستأذنون متضرعين، ثم يدخلون، فيقبلون القبر، ويطوفون حوله، ويبكون، ويبتهلون، ويسألون حاجات لهم، فهل هذه إلا العبادة؟» ثم يضيف: «يذكر الكسروي أن هؤلاء إذا نُصحوا يدافعون بقولهم: إننا لا نعتقد أن الأئمة آلهة، ولا نزورهم لنعبدهم، بل نعتقدهم عبادًا مقربين عند الله، ونزورهم لكي نستشفعهم في حاجاتنا، وبين أن من أسباب رواج هذه الانحرافات اعتقاد كثير من الشيعة أن الأئمة أحياء، وأنهم قادرون على كل شيء» وهو ما يعدّه الكسروي انحرافًا في التوحيد، وفي خلاصة الأمر يرى الكسروي أن العبادة يجب أن تصرف لله وحده، وأن ما شاع من لجوء الناس في حاجاتهم من الأئمة والصالحين هو الشرك بعينه، وله رأي في المسائل التي كان لها علاقة بموضوع الغلو، فقد بين أن من أهم مظاهر الغلو التي دخلت على المذهب الإمامي ما يلي:

١- مسألة خلق الكون من أجل الأئمة.

٢- مسألة التفويض الإلهي للأئمة بأمر الكون.

٣- مسألة خلق الأئمة قبل الكون بآلاف السنين.

٤- مسألة بقاء الأرض والسماء حاصل بوجودهم.

٥- نسبة علم الغيب إليهم.

٦- القول: إن حب علي حسنة لا يضر معها سيئة.

٧- القول بحلول الله في الأئمة.

٨- القول: إنهم يرزقون.

يرى الكسروي أن مظاهر الغلو وغيرها من أشكال ما يهدمه القرآن وما ينتقد الكسروي على المذهب الإمامي قولهم في جعل القرآن مادحًا لعلي، فيقول: فقد أفرطوا في ذلك إفراطًا لا مزيد عليه، وذكر من الأخطاء التي وقع فيها كثير من المنتسبين للمذهب الشيعي تقديس الأرض والأماكن التي يدفن فيها الأئمة، وكذلك مسألة نقل الموتى إلى كربلاء والنجف بسبب ما روج له بعض فقهاء المذهب في فضائل ذلك كقولهم: إن الميت إذا دفن في واحد من هذه المشاهد أمن عذاب القبر وسؤال الملكين، وأنه كان يوم القيامة فتح من قبره باب إلى الجنة يدخلها بغير حساب، وكان له رأي في عقيدة الإمامية في الإمامة، ويرى أن الإمامة التي يعتقدها الإمامية لا تدل عليها النصوص، وأن إيجاب وجود الإمام عقلًا هو من الإيجاب على الله، وهو مما لا يليق بالبشر أن يتفوهوا به، وأن الرأي القائل: إن الإمامية بالشورى هو الموافق للقرآن وكلام علي، وموافق كبار العلويين، وإنكار الكسروي المهدي من أصله يرجع ذلك إلى أثر الديانة القديمة في موروثات الزرادشتية التي دخلت إلى الفكر الإسلامي عن طريق الفرس الذين أسلموا، وقال: إن مسألة شتم الصحابة أو الطعن فيهم من أقبح الأعمال، وكذلك له رأي في الخرافة، ويعدّ الكسروي إقامة المأتم، وما يصاحبه من رفع الأصوات بالنحيب والعويل وضرب الصدور والرؤوس من الأمور القبيحة والبعيدة من الإسلام[1].

إسماعيل آل إسحاق العلامة الخوئيني:

هو إسماعيل بن محمد بن عبدالكريم آل إسحاق الخوئيني ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٧م في مدينة زنجان، ونشأ فيها في رعاية والده آية الله عبدالكريم الخوئيني من بين تسعة من الأبناء، ومع هجوم التحالف في الحرب العالمية الثانية تعرضت مدينة زنجان إلى القصف من قبل التحالف ما جعل والده يرحل إلى قرية خوئين التي صار ينسب إليها، وتعلم القراءة والأدب الفارسي والعربي في

(١) خالد بن محمد البدوي: (أعلام الاعتدال والتصحيح)، ص١٥٥، ٢٠٠٦م.

خوئين، ثم انتقل مع والده إلى مدينة قم، وكان عمره ثماني سنوات حيث أكمل دراسته على يد والده وبعض المشايخ، ثم انتقل إلى النجف ليكمل دراسته، وبقي فيها ثلاث سنوات درس فيها على يد آية الله محمد الحكيم وأبي القاسم الخوئي وغيرهم، ثم رجع إلى قم، ودرس عند البروجردي والخميني وحسين منتظري، وانتقل إلى طهران بدعوة من محمد رضا المهدي وحسين النوري وإمامي الكاشاني، فأقام في طهران، وبدأ يدرس في المدرسة العلوية، ثم دخل كلية الإلهيات في جامعة طهران، ودرس فيها خمس سنوات بتوجيه من آية الله البروجردي، ومن أعماله شارك في تأسيس مؤسسة رفاه لطلاب العلوم الدينية في قم التي قام جهاز السافاك بإغلاقها بحسب ما قيل لخطورتها، ومنع من التدريس مدة أربع سنوات، ثم نفي بعدها إلى مدينة بيجار، وهو نشاط ثقافي واجتماعي، فقد قام بفتح حلقات وتقديم الدروس في مدينة بوشهر وتبريز، وقام بتقديم المعونات الإنسانية عن طريق مؤسسة بيت الزهراء الخيرية، وكان يلقي المحاضرات في إذاعة تبريز وأبادان وغيرها، وكذلك إشرافه على برنامج علاق الجامعة بالمسجد، وهو برنامج تتبناه مجموعة من العلماء في طهران عن طريق وزارة التعليم إلى أن توقف البرنامج بسبب وقوف تيار آخر من العلماء ضده، وأسهم في تأسيس مركز المستضعفين الخيري، وترأس مركز حماة القدس للتحقيقات الإسلامية، ورشح الخوئيني نفسه لرئاسة الجمهورية بطلب من مؤيديه وذلك في الدورة الثانية، لكن في الأخير رفض ترشيحه دون ذكر سبب لذلك، ورشح نفسه للاشتراك في مجلس الخبراء لانتخاب القائد، ولكن لم يخرج اسمه ضمن قائمة المرشحين، فقد تعرض لكثير من المضايقات بسبب تمسكه بآرائه التي تخالف الغلو والخرافة، وكانت رسالته التي وجهها للخميني بداية لكثير من المحن التي لقيها، وبعد ذلك بعد أن نشر رسالته قبض عليه، وسجن على الرغم من مرتبته العلمية ومكانة أسرته علميًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا، وربما كانت مكانة الأسرة واحدة من دواعٍ كثيرة لمحاولة الحيلولة دون سطوع نجمه،

فقد كان المناوئون له يحاولون إيجاد أي مبرر لإدانته بالعمالة، ولكن عندما لم يجدوا شيئًا اضطروا إلى إجباره بعد ستة أشهر تحت التهديد والتعذيب أن يقر بأشياء لم يرتكبها، وحكم عليه بالإعدام، ولكن عناية الله تعالى ولطفه أدركته، فقد مرض الخميني مرضه الأخير، ثم مات، فتم تأخير حكم الإعدام، ثم تم نفيه إلى سجن إوين، وهو في حالة صحية سيئة ومن ثم فصله من عمله في مركز حماة القدس، وقد تعرض لضغوط مالية كبيرة، وهو يكفل ١٥ فردًا من أسرته ولا يستحل أخذ شيء من سهم الإمام (الخمس) ما اضطره إلى بيع مزرعته من أجل العلاج وأشد ما آلمه هو تخلي أسرته عنه في تلك الظروف خوفًا على مناصبهم وفقد مكانتهم السياسية والاجتماعية إلا أنه لم يتراجع عن مواقفه، وبقي إلى آخر يوم في حياته يتابع أعماله ونشاطه السياسي، وقد توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم التاسع من رجب من عام ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠/١٠/٧م بعد أن بلغ من العمر ثلاثًا وستين سنة، ومن أهم ما كتب من الكتب والمؤلفات والمقالات والرسائل نذكر منها الآتي:

١- البحث في المذاهب والأديان.
٢- تبين الإسلام معرفة الله في نظر الأنبياء.
٣- الإيمان والإنسان.
٤- منطقنا آفات المعرفة.
٥- أنواع المعرفة.

وله بعض الآراء فيما يتعلق بالتوحيد، فهو يركز على قضية معالجة القرآن لقضية التوحيد، والنهي عن اتخاذ الأنداد، ويوضح بذل جهد في توعية الغافلين لهذا الجانب، فيقول: بذلت جهدي، وسعيت لإثبات التوحيد ونفي الشرك بأنواعه كما بذل الآخرون في هذا الصدد وإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قدوة لنا في هذا الموضوع حتى رموه في النار، ولكن ما منعت هذه التهديدات والمشقات من بيان التوحيد،

ويرى أن أكثر الانحرافات المتفشية في جانب التوحيد هو اتخاذ الوسطاء بين الله وخلقه في طلب الحاجات ولهذا بين الخوئيني أن طلب الدعاء من البشر هو من الشرك، وفي القول بالولاية التكوينية ينكر الخوئيني القول: إن الأئمة يتصرفون في الكون أو إن لهم قدرة على ذلك، ويبين أن هذا شرك، ويقول: إن أحد أشد الأقوال غلوًّا، وهو قول تيار غلاة الإمامية حيث يدعون أن أمور العالم كلها بيد الأئمة يقلبونها كيف شاؤوا، ويرى أن هذه العقيدة فاسدة لأنها تخالف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وصحبه، وكذلك القول: إن الأئمة يعلمون الغيب والقول بوحدة الوجود، وقد وجه الخوئيني رسالة في هذا الصدد إلى الخميني ذكر فيها ملاحظاته على رسالته التي وجهها إلى (جورباتشوف) رئيس روسيا آنذاك، وأهم ملاحظة للخوئيني هي أن الخميني تبنى آراء الفلاسفة، ومنها القول بوحدة الوجود وله رأي في الإمامة والمهدي، وأيضًا نقده للغلاة من القرآن، وانتقد موقف المذهب الإمامي من الصحابة رضوان الله عليهم وهو موقف في غاية الإنكار، ويرى أن الدافع وراء ذلك سياسي حيث الفتح الإسلامي للمملكة الفارسية والروم ما دفع هؤلاء إلى الحقد عليهم[1].

محمد خاتمي:

قد اعتلى رئاسة حكومة الثورة مرتين، وقد اتسمت فترة حكمه بالاتجاهات الإصلاحية والسلمية المؤسسة على القواعد الدينية في مذهب الشيعة الإثنا عشرية، وتطورات الفكر الديمقراطي الغربي في تقبل مبدأ الشورى في الحكم عن طريق البرلمان، وقد استخدم خاتمي الفكر الخميني لتثبيت وإعطاء شرعية لفكرة الإصلاحي، وحاول استجلاب شراكة أوروبية وأمريكية لصناعة النفط في إيران كوسيلة للتقارب السياسي بين الطرفين، وقد دعاء خاصة أمريكا إلى حوار الحضارات هادفًا إلى تحسين العلاقات المتوترة مع أمريكا والغرب في الوقت

(١) خالد بن محمد البدوي: (أعلام الاعتدال والتصحيح)، المصدر السابق، ص٢٢٣وما بعدها.

الذى كانت فيه أمريكا راغبة في التفاهم مع الحكومة الإيرانية حول ملفات كثيرة خاصة ما يتعلق منها بتخصيب اليورانيوم وملف دول الخليج العربي ومجموع سياسة أمريكا في الشرق الأوسط، وقد نجح خاتمي في سياسته المنفتحة خاصة بعد أن تم استجواب وزير الثقافة عطاء الله مهاجراني من بعض أعضاء البرلمان المحافظين، وقد قال خاتمي في معرض هذا الاستجواب: إن من يعارض توجهات مهاجراني الثقافية إنما يعارض عموم الشعب الإيراني، وفى عهده وضح التصادم الفكري بين سياسة المحافظين والإصلاحيين الذين يمثلهم خاتمي، حيث تصاعدت حدة الخلافات إلى حصول اغتيالات وزعزعات أمنية يراد بها إضعاف خاتمي، وقد استرعت هذه الظاهرة محمد صادق الحسيني إلى كتابة كتابه (إيران سباق الإصلاح بين الرئاسة إلى البرلمان) الذى أوضح فيه الصراع بين المحافظين والإصلاحيين ونتائج هذا الصراع[١] وهذه الظاهرة قد سجلها أكثر من باحث إيراني، فقد ذكر حجت مرتجي في كتابه (التيارات السياسية في إيران المعاصرة ص٩) كيف كان المحافظون يهاجمون سياسة وزراء خاتمي من أمثال حجة الإسلام عبدالله نوري وزير الداخلية الذى أدخل سجن إيفين، وحوكم بسبب مقال كتبه في جريدة خرداد، وهو ناشر لهذه الجريدة الذى ينتقد فيه ولاية الفقيه[٢] والدكتور عطاء الله مهاجراني وزير الثقافة والإرشاد وغلام حسين كربا سيجي رئيس بلدية طهران متهمين إياهم بالخروج على الشريعة الإسلامية وتقليد الغرب وتقليد أعداء الإسلام، وهاجم المحافظون الصحف والرموز التي تمثل التيار الإصلاحي الذى يبدو أنه بدأ يتنامى في عهد خاتمي بين شباب الجامعات والمعاهد العليا، وبسبب معارضة اليمين المحافظ

(١) محمد صادق الحسيني: (إيران سباق الإصلاح من الرئاسة إلى البرلمان) ص٣١، ص٦٧، ص١٠١، ص١٥٣، بيروت، لبنان، الأول من يناير، ٢٠٠١م.

(٢) رياض نجيب الريس: (مصاحف وسيوف إيران من الشاهنشاهية إلى الخاتمية). ص١٨٠ وما بعدها، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

استغال وزير الداخلية، وحوكم السيد غلام حسين حاكم بلدية طهران وأحد الموالين لخاتمي، وأوقفت صحيفة توس من الصدور، وحوكم وسجن القائمون على تحريرها، وعطلت المجلة الشهرية (جامعة سالم) وتعرضت الصحيفة الأسبوعية إلى ضغوط (جماعة راهي نوء) لكى لا تصدر، وتعرض نوري ومهاجراني إلى الضرب والشتم في أثناء صلاة الجمعة في طهران، وأخيرًا تسبب كل ذلك في إسقاط حكومة خاتمي ليس بسبب معارضة المحافظين كما يبدو وإنما بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية وتأثيراتها الاجتماعية[١] وقد أوحت سياسة خاتمي التصالحية مع الدول العربية ودول الخليج خاصة الكاتب جميل المومني في كتابه (الطريق إلى القدس/ إيران والمستقبل) إلى التصالح والتفاهم مع إيران بوصفها قوة واقعية في المنطقة، ودعا العرب إلى استغلال إيران وإدخالها عامل ضغط ضد إسرائيل، وفى ذلك يتحقق للعرب مزيج من التفاهم والوحدة فيما بينهم على هدف تحرير القدس وفى كتابه المذكور أوضح رأيه في سبل الالتقاء بين العرب وإيران، وذكر خطوات التقارب التي حصلت بين إيران والسعودية في عهد خاتمي، وتنبأ بحصول تقارب سياسي واقتصادي بين إيران وأمريكا، وطالب السعودية بأن تقود التفاهم العربي مع إيران خاصة مع مصر، وطالب بتكوين تحالف إقليمي يتكون من إيران والبلاد العربية استباقًا لمفهوم الشرق الأوسطي الكبير الذى تخطط له القوة الغربية، وطالب بضرورة تنسيق القوة العسكرية بين الدول العربية وإيران خاصة أن إيران امتلكت تصنيع الصواريخ البالستية والحقيقة أن الكاتب بنى آراءه على توجهات خاتمي التي عصفت بها الرياح، ولم يتعرض الكاتب إلى تصادم أسلوب إيران الطائفي والمذهبي مع الدول العربية وخاصة دول الخليج، وهذا الأسلوب بقيت عليه حتى في عهد خاتمي، واستمرت في سياستها الطائفية في العراق واضطهاد السنة

(١) حجت مرتجى: (التيارات السياسية في إيران المعاصرة) ترجمة: محمود علاوي. ص٩ وما بعدها المجلس الأعلى للثقافة/ الأوبرا الجزيرة القاهرة/ ٢٠٠٠م.

في عهد خاتمي، وقد تكشفت سياسة إيران في الوقت الحاضر في كل من العراق وسوريا ولبنان على الوضع الذى شرحناه آنفًا إلى أن وصلت الحال إلى مهاجمة جموع من الإيرانيين السفارة السعودية في طهران وقنصليتها في مشهد[١].

الهوية والاستيطان وما تثيره من مشكلات بين الإيرانيين والعرب:

إن استيطان العرب في الجانب الشرقي من الخليج خاصة وكذلك استيطان بعض الإيرانيين لبعض السواحل العربية من الخليج مشكلات جمة لكل من الحكومات الإيرانية وحكومات الخليج العربي واعتناق بعض المستوطنين مذهب التشيع الإثنا عشري يزيد من أزمة الهوية عند الطرفين في معالجتنا لمشكلة الأحواز العربية واعتناق أكثرية العرب الأحوازيين مذهب التشيع يثير عند الطرفين أزمة الهوية، فهل هم إيرانيون يتمتعون بحقوق الإيرانيين كاملة أم أن جنسهم العربي يجعلهم في نظر الإيرانيين في مرتبة دنيا على الرغم اتفاق الطرفين في المذهب، وعند استعراضنا موضوع الأحواز يتبين حصول انتفاضات عدة ضد الحكومات الإيرانية، وإنهم يرفضون الهوية الإيرانية، ويصرون على هويتهم العربية، بل يطالبون بالاستقلال وإنشاء حكومة تلبي مطالبهم القومية على الرغم من أن انتماءهم لمذهب الشيعة الإثنا عشرية كان عاملًا من بعض العوامل التي لم تساعد على انحياز الأحواز إلى العراق في الحرب الإيرانية العراقية، وقد كان الحكم في العراق في وقتها يتوقع انضمام الأحواز ومشاركتهم للجيش العراقي في الحرب ضد إيران، وستبقى هذه الأزمة تتكرر خاصة حينما تضعف الدولة المركزية في طهران من جهة أو تزداد المظالم على عرب الأحواز من قبل الإيرانيين، ويبدو أن احتفاظ الأحوازيين بهويتهم العربية يعود إلى وجودهم في محيط عربي يفخر باستخدامه اللغة العربية وبجميع

(١) د. جميل المومني: الطريق إلى القدس (إيران ومستقبل النظام السياسي العربي)، ص٤ وما بعدها، عمان، الأردن، ٢٠٠٢م.

موروثه القديم، وبخلاف ذلك عند استعراض موضوع استيطان العرب لإيران عند الفتح الإسلامي فإن أولئك قد ذابت هويتهم العربية شيئًا فشيئًا كلما تقدم بهم الزمن إلى درجة لم يبقَ من بعضهم إلا بعض الألقاب التي تدل على أصلهم العربي، وما ذلك إلا بسبب غلبة المحيط الإيراني سواء في اللغة والثقافة وارتباط المصالح المادية التي تجبر الفرد على تبني هوية محيطه.

وفي المقابل، فإن كثيرًا من الإيرانيين العجم قد استوطنوا العراق والشام وبعض بلاد الحجاز، وبطول الزمن فقدوا هويتهم الإيرانية، وتعايشوا مع محيطهم العربي لكن تبقى مشكلة الهوية، وما يرافقها من عناصر مذهبية لدى الجماعات الإيرانية التي استوطنت بعض دول الخليج العربي في العصر الحديث تثير مشكلة الهوية بين فترة وأخرى، وذلك حينما تتغير العلاقات السياسية، وتتأزم بين إيران والعرب، فإذا أخذنا مثلًا الكويت، فقد تعرضت منذ أوائل القرن العشرين إلى هجرة بعض العجم واستيطانهم فيها، وكان أكثرهم من الشيعة الإثنا عشرية، فكان اندماج هؤلاء في محيطهم العربي أمرًا عسيرًا حيث كان فيما يبدو أن المجتمع الكويتي عمومًا يعدّهم عجمًا وغير كويتيين على الرغم مما ذكر بأن بعضهم قد استخدم موظفًا لدى الشيخ جابر المبارك الصباح ١٩١٥م مثل الملا صالح في منصب سكرتير، ثم يخلفه ولده عبدالله ملا صالح بعد أحداث المجلس التشريعي أو تعيين التاجر عبدالكريم أبل الإيراني الأصل وكيلًا ماليًّا للشيخ سالم مبارك الصباح والشيخ أحمد جابر الصباح أو ما ذكر من مقتل علي دشتي الإيراني الأصل في معركة الجهراء التي دارت بين الكويتيين وجيش الإخوان بقيادة فيصل الدويش أو ما ذكر من مشاركة بعض الإيرانيين بمالهم أو بجهودهم في بناء سور الكويت سنة ١٩٢٠م كل ما مر من أمثال تُعدّ مبادرات فردية استثنائية من شيعة عجم لا تتناسب مع التوجهات العامة للعجم الشيعة القاطنين حينها في الكويت استنادًا إلى الوثائق البريطانية، وفي عهد الشيخ سالم

مبارك الصباح حينما أصدر أمره بتأسيس المجلس التشريعي للكويت في سنة ١٩٣٨م، فقد استبعد الشيعة العجم من الترشيح والانتخاب لهذا المجلس، وكان عددهم حينها كما تشير المعلومات ٣٦٤٧ نسمة، واستبعد من هذا الحق الشيعة القادمون من الأحساء، وكان عددهم أكثر من ٩٠٠ فرد، ومثلهم القادمون من البحرين، وكان عددهم أكثر من ٧٠٠ فرد قد بلغ عدد الجميع ٤٦٤٧ فردًا ما دفعهم إلى الشكوى لدى المعتمد البريطاني في الكويت، وطلب بعضهم الهوية أو الجنسية البريطانية، وقد اتخذ محمد إبراهيم الحبيب في كتابه (الشيعة في معركة الجهراء)[1] تلك الأمثلة الاستثنائية دليلًا على مشاركة الشيعة العجم في الكويت في معركة الجهراء، وإن الدولة والمجتمع يَعدّهم كويتيين لا إيرانيين، والحقيقة التي نراها بخلاف ذلك حيث فيما يبدو لم يمضِ الوقت الطويل على إقامة أولئك العجم في الكويت بحيث يمتزجون في مجتمعهم، ويفقدون هويتهم الإيرانية، بل إن اعتناقهم مذهب الشيعة قد عزز من مشاعرهم المختلفة عن محيطهم العربي.

وفي الخمسينيات من هذا القرن كثر قدوم الأعاجم إلى الكويت بعد ظهور النفط وكثرة الطلب على العمالة خاصة عمال البناء، وكنت أشهد في صحراء الزبير بين الكويت والبصرة مجموعات من الإيرانيين القادمين من إيران والمتجهين مشيًا على أقدامهم إلى الكويت يحمل كل منهم بعض الماء والطعام، وقد استوطن كثير منهم الكويت، وحصلوا بسهولة وبمساعدة من أبناء جلدتهم على الجنسية الكويتية في ظاهرة بدت لافتة في سياسة التجنيس والتساهل في تجنيس هؤلاء، وفي المقابل التشدد في تجنيس العنصر العربي، واليوم تثار مسألة الهوية وأصل الجنس في المجتمع الكويتي؛ وذلك لكثرة الأعراق والأجناس المختلفة فيه، وتشتد إثارة مسألة الهوية والأصل حينما تتعرض المنطقة للهزات

(١) محمد إبراهيم الحبيب: (الشيعة في معركة الجهراء) ص٤٦، ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، ٢٠١٥م.

السياسية، وقد رأينا في موضوع تدخل إيران الثورة في دول الخليج وفي البلاد العربية مستخدمة العاطفة المذهبية التي تجمع بين الطرفين، والملاحظ أن أكثر الكويتيين الذين هم من أصول إيرانية يشعرون بانتمائهم الكبير للكويت وأهلها لما هم فيه من خير وحرية والقليل ربما يتعاطف مع توجهات الثورة الإيرانية ما يؤثر في لحمة المجتمع الكويتي الذي يحاول احتواء الجميع في مظلة الانتماء الوطني والتشريعي، ومما لا شك فيه أن هؤلاء الأعاجم من الشيعة يحتاجون إلى زمن طويل ليفقدوا بقية انتمائهم أو هوياتهم غير العربية كما هو الشأن حينما فقد العرب الذين استوطنوا فارس قديمًا هويتهم العربية، وربما كان هناك وضوح في هوية الكويتيين الأعاجم وذلك بسبب كثرتهم نسبيًّا وتجمعهم في مجموعات سكنية تمكنهم من الاحتفاظ بموروثهم القديم في حين نرى أن المجموعات الصغيرة من الإيرانيين الأعاجم الذين استوطنوا مكة المكرمة أو المدينة المنورة قد فقدوا ربما نهائيًّا هويتهم الأعجمية، واكتسبوا إلا أقلية منهم الهوية العربية المكية.

الباب الخامس

الثورة الإيرانية
سنة 1979م

الفصل الأول

ثورة الخميني

تنامي الغضب الشعبي ضد الشاه، يقابله تراخي الأجهزة الأمنية والعسكرية، وعلى الرغم من ذلك قد قيل: إن السافاك قد قتل ٦٠ ألفًا من المتظاهرين، وإن اليهودي الإيراني حبيب الله القانيان الذي قدم مبلغ ٥٠٠ مليون، ليفدي بها نفسه من حكم الإعدام، رفضت السلطات ذلك، وتم إعدامه. وهذا قليل من كثير، هذا ما نقله الكاتب فهمي هويدي في كتابه (إيران من الداخل)، نقلًا عن الشيخ محمودي صفحة ٢٠٨ الطبعة الثانية، حيث أُجبر الشاه على ترك إيران، وتسليم مقاليد الحكم إلى (بختيار)، على أمل أن يقوم بتهدئة الشعب[١]. وقد كان الجيش الإيراني مواليًا للشاه، وتم تسليحه بالأسلحة الأمريكية، وساعدت أمريكا في تدريبه، ولكن الثورة الإيرانية منذ بدايتها عملت على خلخلة الولاء للشاه، ونقل الولاء إلى الوطن والإسلام عمومًا، والذي تمثل فيما بعد بالخميني، فحصل انشقاق داخل الجيش، وازداد التخلي عن الولاء للشاه، وما حصل من مظاهرات واضطرابات تظهر بوضوح هذا الانشقاق، الذي بدأ ولاؤه للشاه يضعف يومًا بعد يوم، إلى أن عم بقية أقسام القوة العسكرية، وقد فصل الكاتب جعفر حسين في كتابه (الثورة الإسلامية في إيران) كيف تم تحييد الجيش وتوقفه عن إطلاق النار ضد المتظاهرين[٢]؟ وعدم رجوع الشاه إلى إيران، كما حصل ذلك في ثورة (مصدق)، وقد ذكر إدور سابليه في كتابه (إيران مستودع البارود): أن الحسن الثاني ملك المغرب قد قال له عند لجوء

(١) محمد حسنين هيكل: مَدافع آية الله، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٨م، ص١٠١.

(٢) جعفر حسين نزار: الثورة الإسلامية في إيران وقائع وأحداث، ص١٠٥، وما بعدها، الدار الإسلامية ١٩٧٩م.

الشاه إليه: «أراد كارتر أن يتخلص منه، لأن نظامه قد تجاوز في استبداديته الحدود»[١]، ونقل أن الشاه قد قال للملك: إن شركات النفط قد تعمدت خفض الإنتاج، وتدني الأسعار، كي تسقطني. ونقل أيضًا أن الشاه قد قال: إنه أرسل بعثات الطلبة الدراسية إلى روسيا وأمريكا، فيرجعون من روسيا راضين عنا، ويرجع طلبتنا من أمريكا ساخطين. «كما نقل أن الشاه قال لملك المغرب: إن الخميني الموجود في باريس يتلقى الدعم من تلك الخيوط المرتبطة بأصابع أولئك الذين يحاربون نظام حكمي». وأن الشاه قد قال: إن كارتر حينما زاره سنة ١٩٧٧م، قال له: «إن إيران جزيرة الاستقرار في إحدى أشد المناطق اضطرابًا في العالم». كما نقل أن المستشارين الأمريكان الذين يعملون في الجيش الإيراني: «يشتغلون لحساب شركات الأسلحة» في مقابل عمولات كبيرة، ولكن بخلاف ذلك أورد رجل المخابرات الأمريكي ما يلز كوبلا ند في كتابه (حياة ما يلز كوبلا ند): إن المخابرات الأمريكية قد نصحت الشاه بوجوب التخلص من ظاهرة الفساد، التي شاعت في إيران، وأنها تسبب السخط الشعبي عليه، كما ذكر أن الرئيس كارتر كان يعلم هذه الحقيقة، فكيف يستقيم ما نقله الشاه عن مدح كارتر لنظامه[٢]، واستنتج الملك الحسن الثاني أن سقوط الشاه يرجع للأسباب الآتية:

- التعديل الأخير للدستور الإيراني.
- احتفاله الباذخ بمرور ٢٥٠٠ سنة على تأسيس إيران.
- تغيير التاريخ الهجري في البلاد.
- اعتقاده بوجود ملكية علمانية في دولة إسلامية.
- سلم الحكم لرئيس وزراء يمثل حزبًا واحدًا فقط.

---

(١) ما يلز كوبلا ند: حياة ما يلز كوبلا ند، ص٣٥٢، وما بعدها، ترجمة صادق عبد علي الركابي، بيروت، مكتبة مدبولي ٢٠٠٧م.

(٢) برنار أوركاد: جغرافيا إيران السياسية، ص٥٩، وما بعدها، لبنان، طرابلس،٢٠١٢م، (جروس برس ناشرون).

وفى هذه المرحلة انتقل الخميني من باريس إلى طهران، فقام أنصاره بإسقاط حكم (بختيار)، وعلى الرغم من استنجاد الشاه بأمريكا وإسرائيل، إلا أنهما لم يستطيعا مساعدته، وهرب الإسرائيليون من إيران بعد قطع العلاقات مع إسرائيل بإيقاف تزويدها بالنفط. وأعلن الخميني سياسته ضد إسرائيل وأمريكا، معتبرًا أنها الشيطان الأكبر، وأيد حق الفلسطينيين، مما دفع عرفات بزيارة الخميني مع عدد كبير من الزعماء الفلسطينيين، وطلب الخميني من عرفات أن تكون الثورة الفلسطينية ثورة إسلامية، وانتقد التوجهات العلمانية داخل منظمة التحرير، وفتحت منظمة التحرير فروعًا لها في المدن الإيرانية الكبيرة، ومنها في الأحواز، وقد تساءل شيوخ الثورة الإيرانية: عما كان سلوك هؤلاء الفلسطينيين ينسجم مع قواعد الإسلام، حيث كان بعضهم يعاقر الخمر ولا يؤدي فرائض الإسلام! مما أوجد نفرةً بين رجال الثورة الإيرانية والفلسطينيين، فبعد سنة تم إغلاق مكاتب منظمة التحرير. وبعد الثورة تناقصت القوة العسكرية لإيران، حيث تسرب أكثر من مئة ألف عسكري خارج الخدمة، وتناقص الإنفاق العسكري أيضًا إلى أقل من النصف مما كان ينفق سابقًا، وفكر رجال الثورة بمد نفوذهم إلى البلاد العربية، مستخدمين فكرة الإسلام ومعاداة إسرائيل. وفي الوقت نفسه تعاظمت قوة العراق العسكرية: تسليحًا وعددًا، وفقدت أمريكا وإسرائيل حليفها الشاه، وكانا يرغبان في استمرار علاقة طيبة مع رجال الثورة ومع الخميني، لولا أن طلبة من جناح اليسار حاصروا السفارة الأمريكية بطهران بمن فيها، مطالبين بتسليم الشاه. أما إسرائيل فقد حاولت عدم إثارة رجال الثورة الإيرانية، خاصة مع وجود ما يقرب من مئة ألف يهودي إيراني، وكانت ترغب بعدم إغضاب الخميني، ثم محاولة مد جسور بينهما، خاصة وأن الطرفين باتا يعتقدان أن العراق أصبح القوة المهددة لكليهما، بل فكرت إسرائيل بالتساهل ومساعدة النفوذ الإيراني في لبنان، طالما أنه يخدم بعض أغراضها المتعلقة بعدائها ضد الدول العربية والعراق خاصة، وقامت بإرجاع الدبابات التي

كان الشاه قد بعثها للإصلاح في إسرائيل، بعثتها إسرائيل إلى طهران قاصدة التودد لرجال الثورة، وفي الوقت ذاته وجدت إيران نفسها معزولة بسبب تجميد أرصدتها في أمريكا، ومعاداة العرب وخاصة العراق لها. وفي سنة ١٩٨٠م زار أحمد الكاشاني إسرائيل، مدعيًا أنه لا يمثل حكومة الثورة الإيرانية، ولكنه طلب مساعدات من قطع غيار طائرات حربية وأسلحة، سارع بيغن إلى تلبية الطلب مغضبًا الرئيس الأمريكي كارتر، وفي المقابل أذن الخميني لليهود الإيرانيين بالسفر والهجرة إلى حيث شاءوا، وتم نقلهم بالحافلات إلى باكستان، كما أذن الخميني بشراء صفقة أسلحة كان مصدرها الحقيقي إسرائيل، وفي الوقت نفسه كان الإعلام الرسمي الإيراني يصرح بالعداء في كل مناسبة بإسرائيل[1].

ولاية الفقيه كما يراها الخميني:

هو السيد روح الله الموسوي الخميني، نشأته من (١٩٨٩-١٩٠٢م)، وكان جده قد نفاه الإنجليز من كشمير، وهو هندي الأصل، توفي والده السيد مصطفى العالم الديني بعد ولادته بستة أشهر، وتوفيت أمه وخالته وهو في الخامسة عشر من عمره، وتربى مع أخيه الأكبر، فحفظا القرآن، وتعلما مبادئ المذهب الشيعي معًا، سافر إلى أراك لدراسة القانون الإسلامي، درس الخميني العلوم الشرعية الشيعية في قم بإيران، ثم بالنجف في العراق، وكان الخميني عند شبابه قد التحق تلميذًا عند الشيخ عبدالكريم الحائري في قم (سنة ١٩٣٥م)، وكانت المدة التي عاشها اتسمت ليس فقط بظهور نظريات الفكر السياسي الإسلامي، التي كتبها

---

(١) إدور سابليه: إيران مستودع البارود: ترجمة عز الدين محمود سراج، ص١٦، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٣م، وقد استولى الطلبة على وثائق السفارة الأمريكية، ونشر منها مجموعة متعلقة بأمريكا وإسرائيل والقضية الفلسطينية، في كتاب طبع ونشر تحت اسم (وثائق سرية حول إيران وفلسطين، ومخططات الكيان الصهيوني) أغلبها عبارة عن رسائل من وزارة الخارجية الأمريكية إلى السفارة الأمريكية بلندن صورةً منها إلى السفارة الأمريكية بطهران، بيروت، الوكالة العالمية للتوزيع، (١٩). نشرها كما ذكر الطلبة المسلمون السائرون على نهج الإمام، وذلك حسب ما ذكر.

علماء المسلمين عامة، وإنما ظهور الحركات السياسية الإسلامية، ومناداتها بتحكيم الإسلام، ووجوب الجهاد ضد الاستعمار وإخراجه من بلاد المسلمين.

وجد الخميني كثيرًا من علماء الشيعة الإمامية يجارون شاه إيران في رغباته، دونما اعتبار للمبادئ الدينية في المذهب، أو لمصلحة جموع الشعب، وكانوا يحتجون ضده بفكرة التقية، وأنهم مجبرون على ذلك. وقد فكر الخميني كثيرًا في استخدام التقية، فتوصل إلى إساءة استخدامها من قبل هؤلاء، ووصمهم بالجبن والتخاذل للسلطان، ورفع الخميني شعار الجهاد ضد المستعمرين والأجانب، وذكر أن هؤلاء لا يهمهم إقامة الصلاة أو رفع الأذان، وإنما يخافون من رفع راية الجهاد، التي ستؤدي إلى حرمانهم من خيرات البلاد، وأن يحل محلهم أهل البلد حينما يتعلمون، وتتوافر لهم القدرة الذاتية على الإنتاج. فدعا العلماء أولًا إلى ترك ما هم فيه من جمود وسلبية وعدم اكتراث، لما يجري حولهم من استشراء أعداء الإسلام وذهاب بيت المقدس. ونادى الأمة إلى طرد فقهاء السلاطين، فهم آفة الجمود.

لقد كان لآراء الخميني أثر كبير في إيران، سواء على علماء الشيعة أو على العامة، مما دفع شاه إيران إلى إخراجه، فالتجأ إلى النجف بالعراق للخلاف القائم آنذاك بين البلدين. وفي النجف التقى كبار مجتهدي الشيعة خاصة على آل كاشف الغطاء والسيد الخوئي، وقد قام الخميني في هذه المدة بالتدريس في كلية أصول الدين في النجف، وأملى على طلابه محاضرات (الحكومة الإسلامية)، التي نضجت فيما بعد، وكان لها أثر كبير في الثورة الإيرانية، في كتابه (الحكومة الإسلامية) أظهر الخميني نظرية ولاية الفقيه بشكل أكثر وضوحًا من الناحية النظرية، ثم وافته الفرصة لتطبيقها بعد الثورة الإيرانية.

لم يخرج الخميني عن أصول الشيعة الإمامية فيما يتعلق بالإمامة بأنها بالنص، وكذلك مفهوم الغيبة والعصمة على الشكل الذي شرحناه في

مؤلفاتنا، ولكن قال بعدم جواز استخدام مبدأ التقية، حيث يجب إعلان الحقيقة شرعًا، وخاصة فيما يتعلق بمصالح المسلمين، فلا يجوز قبول المظالم من دول الاستعمار وأذنابهم، والسكوت على ذلك بحجة التقية. إن الاستعمار أضعف العالم الإسلامي بتجزئة دوله، وسلبها قوة الإجماع، فنهب ثرواتهم، وضرب بعضهم بعضًا بالحيلة والدهاء السياسي، ونجح المستعمرون في فصل الدين عن السياسة، وأصدروا تشريعات مخالفة لأحكام الإسلام. وحمل الخميني على رجال الدين المتكسبين ووصفهم بالمتصوفة المتسربلين بهالة من القدسية الفارغة. وطالب العلماء بطرد فقهاء السلاطين، فهم سبب جمود الأمة. هذا الإصلاح المطلوب يجب أن يكون ثورة على الظلم والفساد والتشرذم، فلا بد من إقامة الحكومة الإسلامية، وهدم حكم الطاغوت، ولا يتم ذلك إلا بتغيير مفاهيم الناس والعلماء من الداخل ومن الخارج، بالانقضاض على الحكومة الفاسدة، فلا يجوز العمل بالتقية والسكوت على الظلم، ولكن: من يقوم بتشكيل الحكومة الإسلامية المطلوبة؟ أجاب الخميني: «...إذا نهض بأمر تشكيل الحكومة فقيه عالم عادل، فإنه يلي من أمور المجتمع ما كان يليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآله منهم، ووجب على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا»، وهذا يعني عقد الولاية السياسية للفقهاء، ليقوموا مقام الإمام الغائب في مرحلة غيبته. وهذا واجب عليهم، فلا يجوز لهم التخلي عنه[1] وقد أورد الخميني دلائل على ذلك من القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأقوال الأئمة، ولكن من يقوم بتعيين الولي الفقيه؟ الفقهاء متساوون في الولاية، باعتبار كل واحد منهم أهلًا لها إذا استكمل شروط الفقيه، أما الاختيار العيني فيتم للأمة، فهي صاحبة الرأي، وحين تتعدد المراجع الدينية، فإن الفصل يتم عن طريق الاستفتاء الشعبي. فإن لم تتوافر شروط الولاية للفقيه، فيتولى قيادة الأمة مجموعة من ثلاثة أو خمسة من مراجع فقهية،

(١) الخميني: الحكومة الإسلامية، ص٢٠، ص١٤٥.

تجمع الشرائط الممكن توافرها في الفقيه بقدر الإمكان. وقد كرر الخميني بعض آراء الشيعة الغلاة: كهشام بن الحكم المتعلقة بالأئمة، فقال في كتابه الحكومة الإسلامية: «...إن للأئمة مقامًا محمودًا، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية، تخضع للولاية وسيطرتها جميع ذوات هذا الكون، وأن من ضرورات مذهبنا: أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل ... وكان هشام بن الحكم قد احتج بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسدد مباشرة من قبل الله، في حين لا يحتاج الإمام المعصوم لمثل هذا التسديد»، وهي الدعوى نفسها الواردة في التلمود البابلي على يد حاخامات اليهود، بل تطاولوا أكثر من ذلك، وهذا كله من أثر الغلو الذي لم يفلح في تنقيته، وإنما ينسل إلى العقائد البشرية، فيتجدد وألبس لبوسًا جديدًا حسب الزمان والمقام. وفي كتابه (كشف الأسرار) كرر الخميني احتجاجات الشيعة المتعلقة بالإمامة، ونسب الخطأ للخلفاء الراشدين، وأنهم تجاوزوا عليًّا، لأنه منصوص على إمامته[١]. وذكر الخميني حدود ولاية الفقيه، فذكر أن أصول الشريعة لا يجوز له مخالفتها والخروج عليها، وما عدا ذلك من مصالح المسلمين وتحقيق العدل بينهم، ويعد كله في حدود ولايته، ولا يجوز الخروج عليه أو عصيان أمره. فحدود ولايته كولاية الإمام، وعند آخرين بما أن الفقيه لا يتمتع بالعصمة كالإمام، فإن تربيته الأخلاقية وإخلاصه وعلمه، وفوق ذلك كله رقابة العلماء الآخرين والتسديد الإلهي له يجعله بعيدًا عن الانحراف. ولهذا قالوا: إن الفقيه لا يحتاج إلى الشورى، بمعنى أنها ليست ملزمة، ولا يستمد سلطته من الشورى[٢].

وقد استجاب لآراء الخميني هذه الكثير من رجال الدين في مذهب الشيعة الإثنا عشرية، ووصفوا بأنهم من المتشددين أو من التيار المحافظ، وهذا التيار هو الذى غلب على قيادة الثورة الإيرانية، فأصبح عندهم نظرية ولاية

(١) الخميني: كشف الأسرار: ص١١٤، المطبعة الإسلامية، طهران، ١٩٤١م.

(٢) محمد عطا المتوكل: المذهب السياسي، ص٢٣٢، بيروت ١٩٨٥م.

الفقيه، نظرية واجبة التطبيق، لا رأي للشعب فيها، ولا يجوز طرحها لتصويت، كما ذهب هذا التيار إلى القول: إن الثورة الإيرانية وإيران أصبحت أم القرى ومركز العالم الاسلامي، حيث يجب على إيران التدخل ومناصرة المسلمين في أي مكان في العالم، وهذا ما صرح به بوضوح محمد جواد لاريجاني، كما نقل عنه حجت مرتجى[1] وهذا اليمين الديني المتشدد يسيطر على الحوزة العلمية في قم، وعلى الباز، وعلى شبكة المساجد الموجودة في إيران، ويتكون البناء التنظيمي له من رابطة الفقهاء المناضلين، جمعية المؤتلفة الإسلامية، الاتحاد الإسلامي لمهن البازار، رابطة الجامعيين الإسلامية، رابطة المهندسين الإسلامية، قوات الباسيك الطلابي. ويتخذ الإذاعة والتلفزيون وخطب الجمعة وصحف راسالت وجمهوري إسلامي كيهان، قدس وإبراء وسائله الإعلامية في ذلك، وتتمثل أدواته الإدارية في السلطة القضائية وأغلب مقاعد مجلس الشورى ومجلس صيانة الدستور، ومجمع تشخيص مصلحة النظام ومجلس الخبراء، وتنضوي جميع المستشارات الثقافية بالسفارات بالخارج، تحت إدارتهم الدينية، كما أن إدارة مؤسسة المستضعفين تتبع لهم إداريًّا.

النقد الذي وجه إلى نظرية ولاية الفقيه:

إن إعطاء الفقيه هذه المنزلة الكبيرة في السياسة التي تحتاج في الأصل فنونًا مختلفة، قد لا تتوافر في الفقيه؛ لأن السياسة أصبحت علمًا جامعًا لعلوم كثيرة، قد يكون من أهمها الفقه. فهي نظرية تقرب من أن تكون مشابهة لفكرة أفلاطون، حينما قصر ممارسة السياسة على الفلاسفة وحدهم. فهي فكرة خيالية، لولا أن الخميني وفق في إخراجها للواقع العملي من خلال الثورة الإيرانية.

١- إن ولاية الفقيه تكاد تكون جديدة على الفكر الشيعي، ومتناقضة مع أصوله التاريخية. ذلك أن السفر الرابع كما رأينا، أغلق الباب على

(١) حجت مرتجى: التيارات السياسية في إيران المعاصرة، ص٨٩.

أي دعوى، سواء عن طريق السفارة أو الوكالة أو النيابة عن الإمام الغائب، فلا وجود لنص لمن ينوب عن الإمام مطلقًا.

٢- إن ولاية الفقيه إذا استمرت ستلغي عمليًّا فكرة الغيبة التي هي ركن أساس من أركان التشيع الإمامي، وقد حاول الخميني أن يخفف من ذلك بالقول: إن ولاية الفقيه ستهيئ لخروج الإمام الغائب، وتمهد له.

٣- إن ولاية الإمام المعصوم ولاية عامة، لا حدود لها، ولا رقابة عليها، وانتقال جزء من هذه الولاية إلى الفقيه بالشكل المشروح سياسيًّا، أمر له خطورته في إضفاء قدسية على الفقيه، لم تكن له أصلًا مما يصعب مراقبة أعماله، فلا ضمانة من سوء استغلال هذا المنصب الخطير.

٤- كون جميع الفقهاء متساوين شرعًا في استحقاق الولاية، يجعل الباب مفتوحًا لنشوء خلافات فيما بينهم، خاصة أن مسألة الشورى مستبعدة. وهكذا ابتعدت نظرية الإمامية القائمة أصلًا على النص والتعيين، إلى نظرية تعبر عن الحاجة الواقعية للشيعة الإمامية، وأنهم لن ينتظروا إمامًا غائبًا لا يعلمون متى ظهوره.

٥- إن ولاية الفقيه فكرة تناقض مبدأ الحرية للإنسان وقد تستعمل كسيف مسلط لإرغام الناس للخضوع لما يراه الفقيه، وقد ذكر مطهري من بين من قال بهذه الفكرة.

٦- إن تبني نظرية ولاية الفقيه تؤدي عمليًّا إلى تولي الفقهاء جميع مفاصل الدولة والحكم، وهذا ما وقعت فيه إيران عمليًّا، وقد ينتج عن ذلك انفصال فكرى بين طبقة رجال الدين وبقية عموم الشعب، أو سيؤدي استمرار حكم رجال الدين للدولة إلى تخليهم عن كثير من

الأفكار الدينية أو الشرعية، وخضوعهم إلى الواقع العملي، الذى يضطرهم إلى تبني النظريات والأعمال في الإدارة الحديثة، والأخذ بمظاهر الحضارة الحديثة، ومنتجات التقنية، فإن لم يستطيعوا مواكبة حاجة الدولة والشعب، وأصروا على التمسك بنظرياتهم القديمة سيؤدي ذلك إلى الانفصال بينهم وبين الواقع العملي، وربما يؤدي إلى فشلهم وسقوط الحكم[١].

٧- وقد اختلفت أفكار فقهاء الشيعة حول نظرية ولاية الفقيه في طريقة تأصيلها ومشروعيتها، وقد خالف نظرية ولاية الفقيه عدد من فقهاء الشيعة، أسهمت التيارات السياسية والفكرية التي شرحناها سابقًا في إيران بنجاح الثورة ضد نظام الشاه الملكي، وكان التيار الإسلامي الديني على مختلف توجهاته هو الغالب على هذه الثورة. وقام آية الله الخميني بقيادة هذا التيار، مبعدًا بعد ذلك مخالفيه من الليبراليين واليساريين، فهو يرى وجوب تأسيس حكومة إسلامية، استبعد أن يصفها بالديمقراطية خشية دخول المفهوم الغربي لتلك اللفظة.

ويرى الخميني أن لجماهير الشعب رأيًا في الحكومة الإسلامية، ولكنه محدود بقواعد الفكر الإسلامي في المذهب الإثنا عشري، المتعلق بالحاكم الذي يستمد سلطته ليس من الشعب، ولكن من التعيين الإلهي المستوحى من ولاية الفقيه عن الإمام الغائب، أما دستور الحكومة الإسلامية فيجب أن يكون مستخلصًا من قواعد الفكر الإسلامي، المنصوص عليها في القرآن والسنة (أحاديث الشيعة الإثنا عشرية)، ونواب الشعب يجب أن يكونوا من هذا الفكر، حيث يجب إبعاد المخالفين لمبادئ الحكومة الإسلامية، وليس للنواب ولا للأكثرية رأي في المسائل

(١) د. أصغر شيرازي (السياسة والدولة في الجمهورية الإسلامية)، ترجمة: حميد سلمان الكعبي، ص٢٢٠، وما بعدها، المدى للثقافة والنشر، دمشق، ٢٠٠٢م.

المخالفة لقواعد الفكر الإسلامي حسب رأيه، وذلك خشية انزلاق الأكثرية ومتابعة التيارات اليسارية أو الليبرالية، وفي رأيه أن النخبة من العلماء والفقهاء هم الذين يقودون الأمة في الحكم والقضاء، بوصفهم وكلاء عن الإمام الغائب في مرحلة الغيبة، وعلى رأسهم الولي الفقيه، وسلطته مثل سلطة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلي والأئمة بعده، فهو الذي يعين رئيس الجمهورية، نخص من هؤلاء العلماء:

١- آية الله محمد علي آراكي الملتزم بالمذهب الإخباري، حيث يرى أن سلطة الفقهاء يجب ألا تتعدى سلطة الحسبة في الإسلام، والمحدودة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما له الولاية على القصر وإقامة الحدود والإفتاء والقضاء بين الناس.

٢- آية الله أبو القاسم الخوئي في رأيه: للفقيه الولاية على الفتوى والقضاء، أما الولاية المتعلقة بالحكم والإمارة السياسية فليس في مذهب الشيعة الإثنا عشرية سند يؤيد نظرية ولاية الفقيه، كما عرضها الخميني.

٣- آية الله محمد محسن الطبطبائي القمي ناقش هذا الشيخ أدلة القائلين بنظرية ولاية الفقيه المحصورة في روايتين عن الإمام علي: أحدهما قول علي لأصحابه: «جعلته حاكمًا عليكم»، يقصد به حنظلة، والثاني متعلقة بآخر أنه «جعلته عليكم قاضيًا»، فهذه السلطة لا تتعدى سلطة القضاء والفصل في النزاع، وليس ولاية الحكم السياسي.

٤- آية الله شريعتمداري يرى أن للفقهاء فقط دورًا في النصح والإرشاد، وأن سلطة الولي الفقيه يجب أن تكون محدودة بزمن الضرورة، كتعيين البرلمان أو رئيس الجمهورية، ثم تنتهي سلطتها.

٥- آية الله محمود طالقاني يرى وجوب أن تكون الحكومة الإسلامية متماشية مع الحكم النيابي الديمقراطي، وليس لفرد -وإن كان فقيهًا-

سطلة الحكم والولاية على الآخرين، لأن ذلك يؤدي إلى الاستبداد، ولم تنجح وجهات النظر السابقة، بل إن نظرية الخميني تأصلت عمليًّا في الحكم حتى بعد وفاته.

٦- آية الله حسن طبطبائي القمي، وهو رافض لتطبيقات ولاية الفقيه كليًّا بعد الثورة الإيرانية.

٧- آية الله حسين منتظري، وقد خالف في التوسع في تطبيق ولاية الفقيه بالشكل المطلق، الذي طبقه الخميني، ولذا أبعد عن مكتبه التقليدي في قم.

٨- محسن كديور الذي يرى عدم وجود أساس لولاية الفقيه في الشرع الإسلامي مطلقًا.

المبادئ الأساسية في دستور الحكم:

ينص دستور الحكم للجمهورية الإيرانية الإسلامية على المبادئ الأساسية التالية:

١- وصفت المادة الأولى في الدستور بأن نوع الحكم جمهوري إسلامي، بمعنى أن نظام الحكم يستقى شرعيته من جمهور الإيرانيين، حسب تنوع أجناسهم، كما وصفته أيضًا بأنه إسلامي، أي يستقي شرعيته ومبادئه من الدين الإسلامي.

٢- تنص المادة ٥٦ من الدستور على أن الحاكمية هي لله، وأن الشعب هو الذي يظهرها.

٣- تنص المادة ٥٨ على أن السلطة التشريعية تكون لمجلس الشورى المنتخب من قبل الشعب، الذي يتكون من مئتين وسبعين عضوًا.

٤- تنص المادة ٦٠ من الدستور على أن السلطة التنفيذية تمارس من قبل رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، وأجهزتهم التنفيذية في مختلف الوزارات.

٥- تنص المادة ٦١ من الدستور على أن القضاء يمارس من خلال أجهزة المحاكم لوزارة العدل.

٦- تنص المادة الثانية من الدستور الفقرة الخامسة على أن الذي يمارس سلطة الحكم هو الإمام (الولي الفقيه)، كما أن المادة ١٠٧ من الدستور تنص على أن الحاكمية هي للفقيه العادل، الذي تكون له ولاية الأمر وكافة المسؤوليات الناشئة، وله هذه السلطة طالما كان متمتعًا بشروط المرجعية، حيث لم يقيد بمدة، وأنه يجب أن يكون جعفري المذهب، وأن يقسم بأنه حارس للمذهب.

٧- تنص المادة ١١٠ على أن للولي الفقيه سلطة تعيين وإقالة القائد العام لقوات الحرس الثوري، وإعلان الحرب والسلم، وعزل رئيس الجمهورية، وسلطة العفو، أو تخفيف الأحكام القضائية.

٨- تنص المادة ٩١ على تشكيل مجلس المحافظة على الدستور، ويتكون من اثني عشر شخصًا: ستة أعضاء من الفقهاء العدول، يختارهم الولي الفقيه. وستة من الحقوقيين القضاة، ومن صلاحيات هذا المجلس حسب الدستور تفسير نصوصه.

٩- يرشح مجلس الشورى رئيسًا للوزراء، ومن ثم يتم تعيينه من قبل رئيس الجمهورية، كما هو نص المادة (١٢٤).

١٠- تنص المادة ١٢ من الدستور الإيراني على أن الدين الرسمي لإيران هو الدين الإسلامي، وفق المذهب الجعفري الإثنا عشري. وأن المادة هذه غير قابلة للتغير أبدًا.

١١- تنص المادة ١٤٤ على أن يكون الجيش جيشًا إسلاميًّا عقائديًّا وشعبيًّا، وهذه إشارة إلى أن يتكون من الشيعة الإثنا عشرية واستبعاد ما عداهم.

١٢- تنص المادة ١٥٠ على وجوب بقاء قوات حرس الثورة على كونها حامية لها، وهذا يفتح الباب لتكوين مليشيات وقوة عسكرية لحماية أغراض الثورة[١].

ومن هنا يتبين أن الولي الفقيه الموصوف بمذهب الشيعة الإثنا عشرية يتمتع بسلطات مطلقة وغير مقيدة، قد يرتقي فيها إلى انقلابه إلى حاكم مستبد، شأنه شأن حكم الملك المطلق، وأن ما ورد من نصوص حول السلطات الثلاث ما هو إلا مظهر شكلي أريد به الاقتراب من الحكم الجمهوري الدستوري، ويرى د. أصغر شيرازي في كتابه (السياسة والدولة في الجمهورية الإسلامية): أن دستور الثورة الإسلامية ينص في مواده على تناقضات أساسية، منها النص المتعلق بشرعية الحكم من الله، المتمثلة في إرادة الفقهاء المجتهدين، والذين يمثلون في رأي المذهب رأي الإمام الغائب، وهذا يتناقض مع المواد التي تسند شرعية الحكم لشعب عن طريق الانتخاب الديمقراطي، والذى يمثله مجلس الشورى، والمادة ٥٦ من ذلك القسم، تنص على أن لله وحده (الحق المطلق في الحكم على البشر والعالم)، وأنه هو الذى يفوض هذا الحق لا للفقهاء، إنما للناس جميعًا، ووفقًا لذلك، فهذا الحق ممنوح من الله، يمارسه الشعب وليس الفقهاء، وهو عين التناقض، كما يرى الكاتب أن هناك تناقضًا بين مواد تشير إلى تحكيم الشريعة الإسلامية، ومواد أخرى أخذت مفاهيمها من دساتير علمانية في العصر الحديث، بوصفها فكرة الفصل بين السلطات الثلاثة، وفكرة المدعي العام،

(١) د. موسى محمد الباشا: الدولة الدينية الإسلامية في النظرية والتطبيق، ص٢٠٨، وما بعدها، مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي، أم درمان، السودان، يونيو.

وفكرة التعاونيات في الاقتصاد، والبرلمان، والمجالس، والبرلمانات، والاستفتاء العام، والانتخابات، ووسائل الإعلام، والمواصلات الجمعية، ومنظمات حكومية، التي لم ترد فيما كتبه الفقهاء في كتبهم ومراجعهم، كما بين كريم سنجابي زعيم الجبهة الوطنية: بأن الجمهورية سميت إسلامية، لأن أغلبية مواطنيها مسلمون، وفى الجمهورية الإسلامية تكون المبادئ على التقوى والرفق والعدل والمساواة والتضامن، حاسمة في تنظيم العلاقات الاجتماعية، وذهب أبعد من ذلك، عندما قال: إن الإرباك الذى تسببه كلمة إسلامية، اذ تستعمل لوصف الجمهورية المقبلة لا أساس له، معلنًا أن الجمهورية الإسلامية ديمقراطية، وفى بداية الثورة كان يشاع من قبل الخميني وجماعته بأن الحكم سيكون ديمقراطيًّا، وأن جميع الحقوق متساوٍ فيها الرجال والنساء، وعكست ذلك وسائل الإعلام والصحف، وسرى بها الليبراليون، ولكن اكتشف الجميع أنها أكذوبة وتضليل للرأي العام. وأكد أحمد صدر حاج سيد جوادي وزير الداخلية بأن الدستور سيعكس وجهة النظر الإسلامية عن سلطة الله بشكل معقول، معلنًا أن كل ما يمليه العقل تنص عليه الشريعة، وقد بلغت الأكاذيب عندما قدم وكيل وزارة الداخلية صادق طباطبائي بناءً على تعليمات الخميني، قبل الاستفتاء بثلاثة أيام للشعب معلومات معينة عن الدستور القادم، وقدم من بين جملة أمور: إن في دستور إيران الجديد القيادة تكون بيد الجمهور، وإن الجمهور بوصفه ممثل الله القائد الحق، سيحكم البلاد، وسيقرر دستور بلادنا شكل المجالس، وفى الدستور سنضمن الحقوق الفردية والجماعية لكل شخص والجماعات، وستعاد حقوق الأقليات الإثنية المضطهدة، ستتمتع كل الأقليات السياسية بالحقوق السياسية ذاتها، كحق التعبير الحر، وحرية التجمع والائتلاف، وحق ممارسة النشاط السياسي[١].

(١) د. أصغر شيرازي: السياسة والدولة في الجمهورية الإسلامية، ترجمة حميد سلمان الكعبي، ص٤ وما بعدها، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٢م.

الحرب العراقية الإيرانية وآثارها:

سعت إيران إلى تصدير الثورة خاصة إلى العراق، عن طريق رجال الدين الشيعة، في الوقت الذي كان فيه جيشها قد ضعفت وحدته وسلاحه، مما أغرى صدام حسين على إعلان إسقاطه لمعاهدة الجزائر، وكان يأمل في أن يحل محل الشاه، ويصبح المسيطر على المنطقة، ويقضي على الثورة الإسلامية بسبب الفوضى الداخلية، التي سادت إيران في سبتمبر ١٩٨٠م، وأيضًا عندما شعر صدام بأن العدد الكبير من سكان العراق من الشيعة يعرضه للخطر، ووجدت أمريكا في صدام بغيتها للانتقام من إيران، وفي ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٨٠م شن الجيش العراقي أول هجوم له على الأهواز، مدعيًا بقيام إيران بالاعتداء على حدوده، ولكن إيران صدت الهجوم، وكان هدف إيران في البداية استعادة أراضيها، التي احتلها العراق. واكتسبت الحرب التأييد على المستوى القومي والشعبي فيما بعد، وأخذت ترسل المطوعين إلى الجبهات، وأضحى القتال سجالًا بين الطرفين، كل مرة يحتل طرف أماكن وحدود الطرف الآخر، مثل الفاو في العراق، والمحمرة في إيران. واستمر القتال ثماني سنوات، قتل فيها ما يقرب من مليون شخص، واستردت إيران خور مشهر عام ١٩٨٨م، وبدأت هجومها على الأراضي العراقية، وفي ذلك الوقت دعت الجامعة العربية، ومجلس التعاون الخليجي، الذي أنشئ في عام ١٩٨١م إلى وقف إطلاق النار فورًا، وعرض على إيران تعويضًا ضخمًا، لكن إيران رفضت العرض المقدم لها، والمقترحات السلمية، وتوسعت أهدافها من رد أراضيها إلى هدف الإطاحة بصدام حسين، وتصدير الثورة الى ربوع المنطقة وما وراءها، وتحويل إيران إلى دولة مهيمنة أيدولوجيًّا على المنطقة، وكان هذا هدفها منذ بداية الحرب، وأصبحت إيران معزولة عن المنطقة، بسبب إصرارها على المطالبة باستسلام العراق، ومتابعة أهدافها بتصدير الثورة، ونظرات إيران إلى الحرب على أنها نزاع أيديولوجي

بين الإسلام وأعدائه، لذلك لم تستطع أن تستغل الخلافات بين العراق والدول العربية المطلة على الخليج، على الرغم مما يثيره العراق من مخاوف توسعية في تلك الدول، وفي فترة الحرب الإيرانية العراقية واصلت إيران سياسة عداء معلن ضد إسرائيل وأمريكا، ولكن واصلت شراء الأسلحة من إسرائيل، حيث بلغت مشترياتها ٨٠٪ من مجموع مشترياتها من مصادر مختلفة، وكانت إسرائيل تعتقد خلافًا لأمريكا بضرورة مد إيران بالأسلحة، وعدم سقوطها أمام العراق، بحيث سيكون ذلك خطرًا في المستقبل على إسرائيل، ويمكن أيضًا السوفييت من التدخل في إيران، وكانت إسرائيل ترغب في مد علاقتها بالجيش الإيراني، وإحياء علاقتها كما كان الأمر في عهد الشاه. وقد شن الطيران الإسرائيلي غارات على المفاعل العراقي قرب بغداد، وذلك بمعرفة وتنسيق مع الإيرانيين، وفضح تحطم طائرة النقل الأرجنتينية على الحدود السوفيتية التركية، فكانت محتوياتها أسلحة إسرائيلية متجهة إلى إيران، وذلك بتاريخ ١٨ يوليو سنة ١٩٨٠م، ووثق معهد يافا للدراسات الإستراتيجية شحنات الأسلحة الإسرائيلية المباعة لإيران مقابل النفط، وفي سنة ١٩٨٢م صرح شارون علنًا لإن بي سي: أن إسرائيل زودت إيران بالأسلحة، وأنكر الخميني أي تعاون مع إسرائيل متهمًا دوائر الاستكبار بإضعاف إيران، وفي سنة ١٩٨٢م قامت إسرائيل باجتياح جنوب لبنان، للتخلص من نفوذ منظمة التحرير، فبدأت تتشكل مقاومة شيعية ضد الإسرائيليين وضد القوة الدولية، فقامت إيران بمساعدة شيعة لبنان، وخاصة من كانوا في الجنوب، وتشكيل ما يسمى بحزب الله، حيث قاموا بمهاجمة الإسرائيليين، وأسر بعض الأمريكان، فوجدت إيران طريقًا سياسيًّا للضغط على أمريكا ومساومتها. وفي سنة ١٩٨٤م منعت أمريكا إسرائيل من تزويد إيران بالأسلحة، وأيدت صدام في حربه ضد إيران، ولكن بين عامي ١٩٨٤م إلى ١٩٨٦م تم بين الإيرانيين والإسرائيليين من جهة، والأمريكان من جهة أخرى اتفاق لحصول إيران على أسلحة أمريكية، خاصة صواريخ تاو في مقابل إطلاق سراح الأسرى الأمريكان

في لبنان، وبعد تسليم حمولة طائرتين إلى إيران تم إطلاق سراح أمريكي واحد فقط، وكانت الأسلحة فيما يبدو إسرائيلية، فطالب الإيرانيون بالاتفاق المباشر مع الأمريكان، وإتمام بقية الصفقة، وأخيرًا وقع ريغان على الموافقة على ذلك، مبررًا أن مبلغ الأسلحة هذه أرسل إلى ثوار الكونترا في نيكاراغوا، وعرفت هذه بفضيحة إيران- كونترا. وقد شهد الإسرائيليون في أثناء تعاملهم مع الإيرانيين بأن أيدولوجيا الإسلام غائبة في تعاملاتهم في حين تظهر النزعة القومية، كما كان الأمر في عهد الشاه، وبعد انتهاء الحرب العراقية ووفاة الخميني أعادت إسرائيل الاتصال بالإيرانيين، ومن أجل مساعدتهم اشترت منهم نفطًا، وقاموا بإطلاق سراح ثلاثة إسرائيليين أسرى عندهم.

وعند مجيء رفسنجاني سار على سياسة معتدلة، فمد الجسور مع الدول العربية، وركز على الإصلاح الداخلي، ورغب في التقارب مع أمريكا، وتم إطلاق بقية الأسرى الأمريكان في لبنان، وبدا في نظر الغير تغييرًا في السياسة الإيرانية، وعدم تصدير الثورة بالقوة[1]. وفشل كل من العراق وإيران من فهم الرسائل الموجهة من النظام العالمي، وعجز صدام حسين من فهم سخاء الغرب في مساندته، لم يكن بهدف تمكينه في الهيمنة على المنطقة، إنما ولكن للحد من خطر إيران، أما الخميني ذلك لم يع الدور المرسوم له من أمريكا وإسرائيل، وخاصة أمريكا لم تكن تسمح بانتصار إيران بأي حال، وذلك لما يلحقه من ضرر بمصالحها في المنطقة، ويؤدي إلى تغيير في منطقة الشرق الأوسط من تحالفات جديدة، غير مأمونة العواقب، ونستعرض رسالتين تم تبادلهما بين الرئيسين صدام حسين وهاشمي رفسنجاني، وذلك بعد انتهاء الحرب بينهما، نبدأ برسالة الرئيس صدام حسين إلى رئيس إيران:

---

(١) تييري كوفل: إيران الثورة الخفية، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨م.

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد علي أكبر هاشمي رفسنجاني المحترم

رئيس جمهورية إيران الإسلامية

السلام عليكم..

اطلعت صباح اليوم الجمعة ١٩٩٠/٨/٣م على خلاصة لنشاطكم السياسي، وجانبًا مما صدر عن حكومة إيران: (بيان وزارة الخارجية الإيرانية، واجتماعكم مع القادة العسكريين، وما صدر عنه من خبر).

ووجدت من المصلحة وتأكيدًا لأحكام المسؤولية الإنسانية تجاه شعب إيران إلى جانب المسئولية الوطنية تجاه شعبنا: أن أكتب إليكم مرة أخرى. في ١٩٩٠/٧/١٦م اقترحنا عليكم استقبال مبعوثنا عنا، لأمر يتعلق بدفع عملية السلام إلى الإمام وبأسرع وقت. وعندما تأجل جوابكم على تحديد موعد استقبال المبعوث، بادرنا لإيصال الرسالة الخطية التي كلفنا المبعوث بحملها إليكم، لكي تتهيؤوا لقراءتها، وتستحضروا ما يقتضي من تفكير ومذاكرة، مع إخوانكم في القيادة حول مفاهيمها، وما تضمنته من آراء ومقترحات، وذلك نكون على بينة من موقفكم منها، عندما تسمح ظروفكم باستقبال المبعوثين، الذين لم تحددوا لهما حتى الآن يومًا لاستقبالهما عن اليوم الذي اقترحناه عليكم (١٩٩٠/٧/٣٠م).

وقبل رسالتنا هذه كنا قد أرسلنا توضيحًا بمبادرة عن طريق ممثلكم في جنيف السيد ناصري، وقد قمنا بكل هذا ليس فقط تعبيرًا عن تأكيد الرغبة في السلام، وإنما تأكيد الرغبة في إنجاز السلام بأسرع وقت، لنبقي بلدينا وشعبينا بعيدًا عن تطورات الظروف في المنطقة والعالم، وبعيدًا عن احتمالاتها الخطرة.

السيد الرئيس «.... لقد قمت بكل هذا ليقيني أن المحاربين يستطيعون أن يفهموا بعضهم نوايا كل واحد منهم بدرجة أسرع، حتى لو كانت صفة المحارب قد اكتسبت من خلال صراع مسلح فيما بينهم،

والآن.... وبعد قضية الكويت ذرت قرنها في الأفق بوادر أزمة، قد تدفع إلى مجرى الصراع من لم يتروَّ بما فيه الكفاية».

إن من أصعب الأمور، وقد تكون من بين أخطرها أن يتجاوز التفكير والسلوك في لحظة ظرفية الهدف أو الأهداف، التي يسعى إليها بمشروعية إلى أهداف ليست لها مشروعية، لا في تفسير شعبه، ولا في تفكير المقابل من الذين هم طرف في الأمر. وفيما نعرفه عن المعلن من أهدافكم: أنكم تريدون السلام، وقد قدمنا من جانبنا ما يؤكد رغبتنا نحن أيضًا في السلام، ونعرف أيضًا بأنكم تسعون إلى تحقيق الانسحاب، وهذا ما تضمنته رسالتنا تلك في ٣٠/ ٧/ ١٩٩٠م معالجات محدودة، ومقترحات عملية، وليس كلامًا عامًّا عن كل بند تضمنه القرار ٥٩٨.... الذي أكد العراق وأكدت إيران الالتزام به، ونحن ما زلنا بانتظار موافقتكم على تحديد يوم تستقبلون فيه مبعوثينا، الذين سميناهما لكم، وهما (وزير الخارجية وممثلنا الدائم في جنيف)، والذي بعد إجراء المحادثات معكم، ومع من تنسبونهم سنكون أمام مرحلة حاسمة للسلام، كما نأمل بإذن الله.

فإذا كان هذا هو الذي تريدونه وهو المعلن، والذي نعرفه، وأن جوابنا عليه هو كل ما ذكرت، فإن الانزلاق في مجرى الإفرازات الظرفية التي تخص العلاقات العربية، وتدور في خلفيات وحيثيات، حاضرها يبعد مسعاكم عن الهدف، ويشوش الصورة عنه، وإذا ما تشوشت الصورة عن الهدف يصعب عند ذلك علينا وضع الترتيبات التي نأمل من خلالها وبالإسراع في إنجازها أن يتحقق السلام.

وقد يدفع باتجاه يبعد الأمور عن حساباتها الصحيحة من لم تكن له خبرة، ولكنني في كل الأحوال لا أتوقع ولا أتمنى أن يتزحزح المجبورون لحرب دامت سنوات من أمثالكم وإخوانكم في قيادة إيران إلى أمر ليس من مصلحة إيران، وليس من بين أهدافها المشرعة.

إنكم لا شك أو هذا ما أظنه على الأقل- تعرفون دوافع التصريحات

التي تطلق من صباح يوم الخميس ١٩٩٠/٨/٢م، سواء من داخل المنطقة أو خارجها، وقد كان لكم تقييمكم لأطرافها، وكان لنا تقييمنا لأطرافها، وكلنا يعرف دوافعهم، ولكنكم تعرفون بأنهم جميعًا قادرون على إصلاح مواقفهم، بوسائلهم الخاصة، وبإمكاناتهم المعروفة، عندما يكتشفون أن تصريحاتهم سوف لن تقدم ولن تؤخر أمام إرادة شعب العراق العظيم، الذي صمم على إحقاق الحق، ومعالجة الغبن والغدر والتآمر. إن من يصدر السلاح إلينا، ويصرح بوقف تصديره سيصلح الأمر عندما يعيد تصديره إلينا، وأن يوقف أو يقطع العلاقات الاقتصادية، سيعالج الأمر عندما يعيدها معنا... أما العراق وإيران إذا ما انزاح موقف أي منهما عن موضعه الصحيح، فإنه سيفوت فرصة تاريخية على شعبه في الفوز بالسلام، إلى جانب تثبيت حقوقه المشروعة، وأن الخسارة ستكون كبيرة إذا ما اهتز مسار ما أنجزناه من شوط في حوارنا على هذا الطريق، الذي كونه بداية ثقة بخطوات بعضنا، وهذا ما لا نتمناه لكم، مثل ما لا نتمناه لأنفسنا.

وعلى أي حال، فإذا كان الذي نعرفه، وهو المعلن من أهدافكم في المفاوضات، هو كل أهدافكم، فيما نؤكد لكم أن المعلن منا هو كل أهدافنا بالتأكيد، فعلينا أن نسرع بعقد اللقاء، وعليكم أن تسرعوا بتحديد يوم لاستقبال المبعوثين، وعن هذا الطريق، وهذا الطريق فقط تتحقق الأهداف المشروعة، ويتحقق السلام الذي هو غاية نبيلة لشعبي البلدين، والله أكبر.

والسلام عليكم

صدام حسين
رئيس جمهورية العراق
بغداد في ١٢ محرم ١٤١١هـ
الموافق ٣ آب ١٩٩٠م

ترجمة رسالة القيادة الإيرانية

بسم الله الرحمن الرحيم

فخامة السيد/ صدام حسين رئيس الجمهورية المحترم

تسلمت رسالتكم المؤرخة في ٦٩/٥/١٢ ش، التي على الرغم من أن مبدأ الرسالة في الظاهر قبل كل شيء، أرى أنه من الضروري أن أؤكد مرة أخرى على إرادة ورغبة جمهورية إيران الإسلامية، بالنسبة لتحقيق السلام العادل والدائم، وجاء في الرسالة أيضًا: (وآمل أن تكون قد وصلتم إلى هذه النتيجة أيضًا)، «.... فقد قررنا ألا يحد أي شيء تقدمنا في مسيرة السلام، سوى كل ما يتعلق بالحقوق المشروعة غير القابلة للتغير للشعب الإيراني، وقد نفذنا ذلك أيضًا» أن طريقة تعاملنا طوال المباحثات، التي جرت تحت إشراف السكرتير العام للأمم المتحدة، وكذلك ردودنا على رسائلكم والمباحثات الجارية بين مندوبينا في جنيف، لا بد وأن تكون قد أوضحت هذه المسألة لكم. وجاء أيضًا في الرسالة: «إن الإسراع في أمر الوصول إلى سلام، واتخاذ خطوات عملية في تنفيذ القرار ٥٩٨ بدلًا من كتابة الرسائل والمباحثات المطولة، والتي كانت من الأمور التي أكدنا عليها في بداية مباحثات مندوبي البلدين في جنيف، وإيماننا الآن أيضًا بأن التقدم في مضمون المباحثات، وليس في شكلها.... والتي يمكن أن توجد في الظروف الراهنة للعالم والمنطقة»، كما جاء فيها أيضًا: «وهكذا فإن السلام سوف يكون في متناول الدولتين الجارتين، مما يتيح للقوات المشغولة ببعضها أن تضع نفسها في خدمة الاحتياجات الحيوية للأمتين، والاضطلاع بمسئولياتها الأساسية في البناء والسلام والأمن في المنطقة، وبالإشارة إلى ما سبق، فإنني أرى من الضروري التذكير بالنقاط التالية، فيما يتعلق بمضمون رسالتكم في ١٢/ ٥/ ٦٩ ش ٣ أغسطس ١٩٩٠ورسالتكم المؤرخة في ٨/ ٥/ ١٣٦٩ الموافق ٣٠ يونيو ١٩٩٠م بدون توقيع، ورسالتكم المؤرخة في ٢٥/ ٤/ ١٣٦٩هـ ١٦/ يونيو ١٩٩٠م»:

١/ «إن اللقاءات والمباحثات على مستوى أعلى معًا هو جار الآن في جنيف... ولكن يجب أن تعلموا: أننا لم نحقق تقدمًا ملموسًا في جنيف، اللهم إلا التعرف أكثر على وجهات نظر بعضنا البعض، فبينما كانت مهمة مندوبينا التباحث في المسائل الجوهرية... وفي غير هذه الحالة، فإن فشل مباحثات رئيسي البلدين يمكن أن تكون لها آثار بالغة الضرر على السلام، وتقصيه بعيدًا عن متناول البلدين»، وجاءت سبعة نقاط رد فيها رفسنجاني على الرسائل التي بعث بها الرئيس صدام حسين، جاء في آخر كلامهم... ٧- إننا نقبل تمامًا النقطة التي أكدتم في رسالتكم عليها، بصدد سرعة التحرك من أجل السلام، ولكن ما يدفع السلام إلى الإمام ليس تقدمًا في عرض المقترحات الشكلية، ورفع مستوى المباحثات دون حدوث تقدم في المضمون، ولكن ينبغي (يتعين) أن نلتزم بالقرارات المعترف بها دوليًا بين البلدين، ولا نطلب أكثر من حقنا المشروع، لأنه ليس من المتصور أن ما لم يتحقق بحرب الثمان سنوات يتحقق في المباحثات.

إذا تقبلنا هذا الموضوع فليس من الضروري أن نبحث في غير معاهدة ١٩٧٥م لتحديد الحدود في الأرض والنهر، وإذا لم نتقبل، فمن الأفضل أن نعهد بأمر تنفيذ القرار إلى منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وفي إطار ذلك نحافظ على نقطة ارتباط جنيف، لتبادل وجهات النظر في المسائل المشتركة[١].

والسلام عليكم...

أكبر هاشمي رفسنجاني
١٦ محرم ١٤١١هجري قمري
الموافق ٦٩/٥/١٧ هجري شمسي

(١) د. عصام السيد عبدالحميد: العلاقات السعودية الإيرانية ١٩٨٢م-١٩٩٧م، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

وفي سنة ١٩٩٠م انهار الاتحاد السوفيتي، وقام صدام بغزو الكويت، فقامت أمريكا باستصدار قرار من الأمم المتحدة بإخراج الجيش العراقي من الكويت، وكونت أمريكا تحالفًا دوليًّا لهذا الغرض، دخول الدول العربية أو بعضها لهذا التحالف. طلبت من إسرائيل عدم المشاركة في هذا التحالف ضد العراق، وأصبحت أمريكا هي القطب الواحد، والقوة العظمى في هذه اللعبة. وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي، أصبحت إيران تنظر إلى روسيا بأنها دولة يمكن أن تكون صديقة، ليس لها أطماع في غزو إيران، وفي الوقت نفسه ارتاحت إيران من دخول أمريكا في أفغانستان لكسر شوكة الأفغان السنة المتعصبين، وخاصة طالبان، كما في ذلك إضعاف لباكستان، وفي هذه الفترة ركزت إيران على بناء تسليحها العسكري، وخاصة منظومة الصواريخ بعيدة المدى، لأنها عانت من صواريخ سكود العراقية، ولم ترَ إسرائيل في هذه الخطوة ما يهددها لبعد إيران عنها، وكانت إيران تخشى من أن يمتد النفوذ الإسرائيلي إلى دول الاتحاد السوفيتي، المجاورة لإيران خاصة أذربيجان. كما بدأت بهدوء بتخصيب اليورانيوم، مما أزعج إسرائيل والولايات المتحدة، على الرغم من تصريح إيران بأنها تستخدم الذرة للأعمال السلمية.

بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الإيرانية العراقية حاولت أمريكا إقناع إسرائيل بعقد مؤتمر السلام بمدريد على حدود ١٩٦٧م، وكانت إسرائيل قد رفضت ذلك، ولكنها وافقت على الحضور لمجرد التباحث فقط، ولم تدع أمريكا إيران لحضور المؤتمر، وكانت تشتهي أن تكون لاعبًا سياسيًّا في المنطقة، ولذا قامت إيران بتخريب مساعي أمريكا عن طريق اتصالها بالفلسطينيين، وإقناعهم بعدم جدية إسرائيل في السلام، واستخدمت حزب الله اللبناني لهذا الغرض. وكانت منظمة التحرير قد ضعفت بسبب مناصرتها للعراق والاتحاد السوفيتي، فلم تجد إسرائيل أمامها من خطر إلا التفكير في

إيران، بوصفها ستكون عدو المستقبل. فطرحت إسرائيل فكرة الشرق الأوسط الجديد، حيث تأمل بعقد سلام مع العرب، وتفتح لها الأسواق، العربية فتسيطر على اقتصاد المنطقة، وتنشأ تحالفًا ضد تصاعد القوة الإيرانية، وأظهرت إسرائيل في إعلامها مبالغة في خطر إيران القادم، كما أبرزت إسرائيل خطر الراديكالية الإسلامية المتنامية في أفغانستان والسودان، وبعض أجزاء من العالم العربي، واتبعت أمريكا في هذه المرحلة سياسة الاحتواء المزدوج لإيران والعراق، وطمأنة إسرائيل بعدم وجود أي خطر منهما، ولكن أصبحت هي وإسرائيل القطبان المتنافسان على النفوذ في الشرق الأوسط. وأدركت إسرائيل عودة السياسة الإيرانية السابقة أيام الشاه، ولكن باستعمالها أدوات دينية مذهبية. وفي سنة ١٩٩٣م وقعت إسرائيل والفلسطينيون اتفاقية أوسلو، حيث اتفق الطرفان على الأرض مقابل السلام، فتحولت سياسة إيران بعد ذلك إلى مناوئة إسرائيل، والاتصال ببعض الفلسطينيين، قائلة: إن هذه الاتفاقية هي خيانة للشعب الفلسطيني، وبدأت الاتصال ببعض الجهات الفلسطينية المؤيدة لها. وطالبت إيران أمريكا بإشراكها في عملية السلام، التي أقصيت منها، وأوضحت أنه لا يمكن أن يتم سلام أو تفاهم في الشرق الأوسط دون إشراك إيران في تلك الترتيبات، ودللت على كونها مساعدةً لتهدئة الأوضاع السياسية، ما فعلته من دور في النزاع بين أذربيجان وأرمينيا، حيث أمدت أرمينيا بالغاز للتدفئة في وقت عصيب، مما ساعدها في نزاعها على كارا باخ، وإن كان ذلك مغضبًا لأذربيجان، وبدأت إيران بمد حزب الله الشيعي اللبناني بوسائل القوة، كما فعلت أيضًا مع منظمة الجهاد الإسلامي بغزة، وأمدت أجنحة فلسطينية أخرى مناوئة لاتفاقية أوسلو، وقد اتهمت إسرائيل إيران بدورها في التفجير، الذي حصل في السفارة الإسرائيلية في الأرجنتين سنة ١٩٩٤م، وردت إسرائيل بقصف مخيم لحزب الله في لبنان، واغتيال بعض رجالهم. وفي سنة ١٩٩٥م نشطت منظمة مجاهدي خلق، التي كانت في العراق على عمل تفجيرات داخل إيران، وذلك بمساعدة

وتشجيع من إسرائيل وأمريكا، بقصد تحجيم وتهديد الأعمال الإيرانية ضد إسرائيل، ووفرت إسرائيل قمرين صناعيين للمنظمة لبث تلفزيوني. ولكنها لم تقدم للمنظمة مساعدات ذات قيمة، وإنما وضعتها فقط كأسلوب تهديد، وطالبت إسرائيل أمريكا بتشديد الحصار على إيران ومقاطعتها، مستخدمة القول باتباع إيران سياسة راديكالية، وأنها تستعد لتصنيع قنبلتها الذرية، فكانت إيران بعد هذه المرحلة مهتمة بتخفيف الضغط الصادر ضدها من أمريكا، ولم تهتم بإرضاء إسرائيل. فركزت السياسة الإسرائيلية بعد ذلك على طلب الحوار مع أمريكا بقصد فك عزلتها عن العالم، فكانت إسرائيل تخشى من هذا التوجه. وقد قامت منظمة الإرباك اليهودية في أمريكا بالضغط على الإدارة الأمريكية في تشديد الحصار على إيران، واعتبارها معارضة لجهود أمريكا وإسرائيل في إحلال السلام وتطبيق اتفاقية أوسلو. ونادت أمريكا بأن إيران أكبر راعٍ للإرهاب في العالم، ولكن العلاقات التجارية بين البلدين لم تتأثر بالأوضاع السياسية، فقد بلغت التجارة بينهما سنة ١٩٩٤م أكثر من ٣ مليارات دولار، وباعت إيران نفطًا إلى شركة كونوك الأمريكية بسعر رخيص، كما أرست معها عقد تطوير بعض الآبار النفطية، كل ذلك بقصد استمالة أمريكا. وقد حاولت إسرائيل عن طريق الإرباك إلغاء التعاقدات النفطية، واستمر الجدل بين الفريقين بسبب تعارض مصالحهما. وبعد قيام إسرائيل باغتيال يحيى عياش من حماس، قيل: إن حماس ردت على ذلك بتفجيرات عدة في تل أبيب، ولكنَّ الإسرائيليين اتهموا إيران بتدبير ذلك، وبعد سنة ١٩٩٦م انقسم الرأي في إسرائيل: هل إن الخطر سيأتي من إيران أم من العراق؟ فكان الرأي في البداية: أن إيران لا تمثل خطرًا على الرغم من أنها بدأت بتطوير الصواريخ وأبحاثها النووية، واتجه مؤشر الخطر إلى الأصولية الإسلامية وإلى الفلسطينيين المتمثل بعرفات، والذي يمثل في نظرهم عقبة في طريق السلام، حيث بدأ بعض العرب بإمداد الفلسطينيين بالمساعدات، وكان حزب الليكود يمثل هذا الاتجاه، ويرغب بإعادة الاتصال

بالإيرانيين، ويتخوف من أن تعيد أمريكا صلاتها الدبلوماسية مع إيران، وتبقى إسرائيل خارج اللعبة، وبعد قيام حزب الله بأنشطة عسكرية على حدود إسرائيل وأسر جنديين، قامت إسرائيل بالانتقام من حزب الله، ودك الضاحية الجنوبية في بيروت، التي انتجت بعدها بما يسمى بهدنة وتفاهمات نيسان بين إسرائيل وحزب الله، وذلك بمساعدة من إيران التي توسطت بإعادة رفاة جنود إسرائيليين والتفتيش عن أحد طياريها، وفي سنة ١٩٩٧م فاز الإصلاحيون الإيرانيون بقيادة محمد خاتمي، وظنت أمريكا أن ذلك بادرة لنبذ إيران سياستها الراديكالية، وبدأت تصريحات الجانبين تخففان من التوترات السياسية فعمدت أمريكا بمد جسورها الأولية عن طريق المباريات الرياضية، وانعكست هذه الأجواء على الدول العربية والإسلامية، فتم عقد مؤتمر منظمة العمل الإسلامي بطهران، حضرها الأمير عبدالله ولي العهد السعودي حينها، كما حضرها عرفات، ولكن إسرائيل لم ترحب بخطوات أمريكا نحو إيران، وكانت ترى ألا يتم أي تقارب بينهما إلا عن طريقها فقط. ومنذ عهد رفسنجاني حذرت إسرائيل من قيام إيران بصناعة صواريخ بالستية، وحذرت روسيا من مساعدتها على ذلك، ومالت في سياستها إلى الهند وجمهوريات الاتحاد السوفيتي وتركيا، رافضةً الضغوط الأمريكية حول عملية السلام مع الفلسطينيين ومع البلاد العربية بما فيها العراق.

ولم تكن إسرائيل تتخوف من الصواريخ الإيرانية، بل ركزت اعتراضاتها على مشروع إيران النووي، الذي تعده خطرًا محدقًا بإسرائيل، على الرغم من امتلاك إسرائيل القنابل النووية المحمولة على غواصاتها في الخليج، ولذا فقد كان هناك جناح في إسرائيل يتبنى ويرغب في سياسة التفاهم مع إيران، وفي هذه المرحلة قامت إسرائيل بمحاولة التفاهم لسداد دين قديم مقداره ملياري دولار، بواسطة جمعية الصداقة العربية الإيرانية، ولكن الأمر رفع للتحكيم، ولم يتم دفعه، وذلك بضغط من أجنحة سياسية أخرى في إسرائيل، وفي السر

عبرت إسرائيل عن رغبتها في التفاوض مع إيران، حول مشروع الصواريخ البالستية، وأن هذه الصواريخ موجهة إلى العراق لا إلى إسرائيل، كما كانت تبلغ الإسرائيليين سرًّا بأنها لا تعارض عملية السلام عن طريق إقامة الدولتين، طالما كان الفلسطينيون يرغبون بذلك، فكانت هذه سياسة إيران في عهد خاتمي، ومع هذه المرونة لم تشعر إيران بتغير سياسة أمريكا تجاهها، وفي سنة ٢٠٠٠م انسحبت إسرائيل من جنوب لبنان، فأعطى ذلك نصرًا لحزب الله وإيران، وبقيت إيران تتوق إلى التفهم مع أمريكا لرفع القيود المفروضة عليها، ولكن سياسة إسرائيل كانت تعمد إلى إبعاد أمريكا عن ذلك. وعند زيارة شارون للمسجد الأقصى واندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية، توقع الفلسطينيون وخاصة غزة أن تساعدهم إيران في انتفاضتهم، ولكنهم أصيبوا بخيبة أمل، ولم يحصلوا إلا على التصريحات الرنانة[1].

أسرى الحرب العراقية الإيرانية:

ومن آثار هذه الحرب حصول أسرى لدى الجانبين، وقد بلغ عدد الأسرى العراقيين حسب مسؤولين من الحكومة ١٣ ألف أسير و٥٦ ألف مفقود، كما بلغ الأسرى الإيرانيين في العراق أن معاملة الأسرى طوال مدة أسرهم كان له آثار نفسية وفكرية على الأسرى، كما كان له آثار على سلوك الطرفين بعضهم لبعض. وبعد تبادل الأسرى ورجوع كل طرف إلى بلاده، قامت كل دولة بالتحقيق مع الأسرى، وتسجيل ما حصل لهم ممن أسروهم. وقد دفع سوء معاملة الأسرى العراقيين في إيران العميد: عبدالجبار محمود السامرائي إلى كتابه (براكين الغضب في أقفاص الأسر الإيرانية)، وهو شكوى الأسرى العراقيين، وتفاصيل في كيفية معاملتهم، ويتضح من ذلك التفريق بين معاملة الشيعة والسنة منهم، وقد قام بمقابلة كثير من الأسرى، كما قرأ بعض رسائلهم بهذا الصدد، وذكر

(١) تييري كوفل: إيران والثورة الخفية، ص٤٠، وما بعدها، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨م.

حصول فريقين من الأسرى: أحدهما استجاب للضغوط الإيرانية، فتم غسل أفكاره، وتجنيده لمصلحة إيران. وآخرون صمدوا ولم يتغيروا، على الرغم من ممارسة شتى الضغوط عليهم، فامتدحهم قائلًا: (نعم، لقد كان الأسرى الشرفاء يرزحون تحت القيود في سجون العدو، لكنهم كانوا أحرارًا، وأنقياء في ضمائرهم، لأن السجين هو سجين النفس والضمير. فالحر يبقى حرًّا حتى لو كان مكبلًا بالأغلال، والخائن يبقى خائنًا وسجين خيانته على الرغم من كونه طليقًا). أما الصنف الثاني: فقد قال عنهم: «وبينما يبقى الحر الشريف محترمًا، يبقى الخائن لأبناء جلدته موضع احتقار، حتى من قبل الذين أطلقوا له العنان». إن أخطر الآثار التي تركتها الحرب العراقية الإيرانية ومعاملة الأسرى وما نشاهده اليوم من قيام إيران بتكوين مليشيات الحشد الشعبي في العراق، تحت مسميات طائفية أيد تكوينها مرجعهم الديني في كل من إيران والعراق، وفتوى السيستاني بوجوب الجهاد العيني، وقد انكشف جهادهم في كل من العراق والشام عن دوافع طائفية شيعية، متجهة لتحطيم القوى السنية، وإفراغ سكان البلدات السنية لإحلال الشيعة محلهم أو من يناصرهم[1]، وقد جاء في هذا الكتاب: إن إيران قد عمدت إلى قتل بعض الأسرى العراقيين خاصة الرافضين إلى تحقيق أهدافها، مدللًا على ذلك باستنكار رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر في الممثلين الدائمين في جنيف، وتمارس إيران وميليشياتها العمل نفسه مع المحاصرين اليوم في حلب ومما جاء في هذا الكتاب شهادة العائد الأسير (خالد صالح ولي الجبوري) العائد من معسكر (بندر إنزلي): «لم تمر أشهر قليلة على أسرنا حتى بدأت تظهر على بعض الأسرى في معسكر بندر انزالي إمارات الخيانة، ومعظمهم من حزب الدعوة الطائفي، فأخذ الصراع بيننا يشتد يومًا بعد آخر. وكانت المعلومات تصل إلى الإيرانيين عن طريق الخونة، حيال

(١) العميد: عبدالجبار محمود السامرائي: براكين الغضب في أقفاص الأسر الإيرانية، ص٣١١. ص٣١٥، دار الحرية للطباعة، شركة عامة بغداد، حزيران، ١٩٩٩م.

كل وطني مخلص للوطن وللقائد الرمز صدام حسين، وقد لعب الخونة على ورقة الطائفية، وحققوا فيها بعض النجاح المؤقت. ونقل الأسير العائد من الأثر (طارق محمد سلمان محمد المحمد) كيف أن الأسرى أصروا على الإضراب عن الطعام، حتى يأتي مندوب من الصليب الأحمر، وإرسال رسائل إلى ذويهم في العراق لمعرفة مصيرهم، ولكن أمام الضغط استجاب البعض للتوقف عن الإضراب، لكن ٢١١ من الأسرى أصروا على إضرابهم، فتعرضوا من السلطات إلى الضرب»، ونقل كيف قتل الأسير ثامر حمدي السيد (المكنى بأبي سرمد) من أهالي بغداد من قبل حارس السجن (معسكر بجنورد) في مشهد، ونقل أيضًا حوادث قتل العديد من الأسرى في (معسكر قوجان) شمال إيران، منهم باسم حسن عباس الملقب بابن المحامي.

القوة السياسية في عهد الثورة الإسلامية:

بعد استقرار الثورة، وتغلب الجناح الديني الخميني عليها، بدأ الذين شاركوا في الثورة الاختلاف فيما بينهم، نستعرضهم كما يلي:

١- التيار الليبرالي:

بقيادة بازركان حيث طالب بالحريات، والحكم على أساس ديموقراطي، وعدم إقحام الدين في السياسة، وليس للفقهاء سلطة الحكم، فالدين يجب أن يخدم الشعب، من حيث منع الاستبداد والظلم، وليس جعل الشعب يخدم الدين في الداخل والخارج.

ويرى هذا التيار ضرورة المشاركة الشعبية في إدارة الدولة والإصلاح وإعطاء الحريات، لتكوين الأحزاب والجمعيات لكل فئات الشعب، ودون ذلك سيؤدي كبت تلك الأقليات إلى الاستبداد والفوضى، وقد شارك هذا التيار في إدارة الحكم في بداية الثورة عن طريق الحسن بني صدر رئيس الجمهورية

وبازركان رئيسًا للوزراء، وطالب هذا التيار أن يعكس دستور الدولة تلك التوجهات الليبرالية، وعدم حصر الحكم بيد فئة تستخدم الدين لأغراضها الضيقة، وتحرم بقية الجماهير من المشاركة والتعبير عن رأيها، كما يعارض هذا التيار التبشير المذهبي بالدين خارج إيران، حيث يؤدي إلى التفرقة، وتشتيت قوى الأمة، ولم ينجح هذا التيار في توجهاته على الرغم من كون رجاله مثل بازركان وبني صدر أول المشاركين في الحكم، ولم يكونوا معارضين لإعطاء الفكر الإسلامي للثورة. ولم يعارض هذا التيار فكرة ولاية الفقيه، بل طالب بتقييدها كما جاءت في الدستور، وليس كما يفسرها أصحابها بشكلٍ مطلق، والغريب أن المراقب السياسي والمؤرخ إذا درس التيارات السياسية قبل الثورة في إيران، يجد أن التيار المعتدل سواء من جانب الإسلاميين أو الليبراليين هو المحرك والمسبب الأساس للثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م، ولكن هذا التيار على الرغم من قوته وسيادته أول الوقت، لكن تغلب عليه التيار الديني الشيعي المتطرف، وكان المهندس المكانيكي مهدي بزركان هو أول من أسس حركة حرية إيران هو وآية الله محمود طالقاني، وترتكز أيدولوجيا هذه الحركة بدرجة كبيرة على كتابات ونظريات بزركان، الذي توفي في شباط/ فبراير ١٩٩٥م، وبعد وفاته تولى إبراهيم يزدي قيادة الحركة، وكان يزدي متخصصًا في بيولوجيا الجزيئات، والحاصل على تدريبه في هذا التخصص في معهد ماساشوستس للتقنية، فهل مجيئ هذا التيار وتمسكه بقيادة الثورة الإيرانية كان مطلوبًا من القوى الأجنبية ومخابراتها؟ لكي يقوم بالدور المطلوب في الصدام أولًا مع العراق، ثم في تدخلاته في الشام ولبنان واليمن؟ والإجابة أثبتها الواقع اليوم، ولا تحتاج إلى كثير من الذكاء.

ويختلف الدارسون في تفصيل وتقسيم التيارات السياسية بعد الثورة الإيرانية، فيذهب سعيد برزين- فهو أستاذ لدراسة العلوم السياسية في بريطانيا- إلى تقسيمها كما يلي:

٢- تيار حزب الله:

ويمثله آية الله أحمد جنتي، أحد الفقهاء الستة في مجلس صيانة الدستور، والمتحدث الرسمي باسمه: حجة الإسلام محمد محمدي ريشهري، وزير المخابرات السابق، وأمير الحجاج، وتمثل صحف صبح وكيهان والجمهورية الإسلامية المروج غير الرسمي لأفكارهم، ومن أهم أفكاره: الدعوة إلى التجديد الفكري، والنضال الطبقي، والنضال ضد الاستبداد، وإعادة النظر في الفكر الديني، وهو يطالب باتخاذ موقف ما إزاء الفكر التقليدي، سواء على المستوى العام أو الخاص، أو على المستوى الاجتماعي العام.

٣- التيار المعتدل الوسط:

يعد الرئيس الإيراني السابق هاشمي رفسنجاني الملهم لهم، والمرشد الروحي لهم، وتعد صحيفتا همشهري وإيران الناطقتين غير الرسميتين باسم التيار، ومن أهم أهدافهم أن هذا الاتجاه لا يؤمن حقًّا بمشروعية مطلقة للنخب السياسية في تسيير شؤون الحكم، ولا بحكم مطلق من العامة، بل يؤمن بالوسطية، ويرى هذا التيار أن المجتمع الديني حليف الدولة، ويرغب في أن تكون المؤسسة الدينية تحت سلطة الدولة: إما في المجال الاقتصادي يرى نفسه حاملًا للواء فكرة التنمية والتطور الاقتصادي.

٤- تيار اليمين:

ويمثله حجة الإسلام ناطق نوري، الذي كان رئيس المجلس البرلماني، وأسد الله باداميجيان، ومرتضى نبوي، ومحمد جواد لأريقاني، وحبيب الله عسكر أولادي، وتعد صحيفة رسالة الناطق باسم التيار، ويعتقد تيار اليمين أن الديانة التقليدية كافية من الناحيتين الفكرية والسلوكية، بالنسبة إلى الفرد والمجتمع، ومن أهم مواقف اليمين الاقتصادية تكمن الإشارة إلى دور السياسة

التقليدية، دور القطاع الخاص بشكله التقليدي، وفى السياسة الخارجية له ميول في معاداة الأجنبي.

٥- تيار اليسار الحداثي:

تعد صحيفة (سلام) الناطق غير الرسمي باسم هذا التيار، ولعل أهم ما يميز تيار اليسار، هو تأكيد ضرورة تطبيق الدستور، واحترامه فيما يتعلق بحفظ حقوق الشعب، وتنمية الحريات السياسية. ويرى أن ضمان الحريات السياسية والقانونية يشكل الأرضية الأهم للتنمية الاجتماعية، وقبول التعارض في وجهات النظر السياسية في الحكومة والمجتمع ومراعاة الحقوق الأساسية، التي يكفلها الدستور، وينتقد أساليب ومناهج العنف والمؤامرة، وما يسمى خلف الكواليس، وفى الاقتصاد يرى تنشيط دور الدولة في الاقتصاد، وتسيير الأمور الاقتصادية عن طريق الأجهزة الحكومية، وفى السياسة الخارجية يدعو إلى الراديكالية والتطرف، وفى بعض الأحيان إلى الثورية في العمل، وتتألف قاعدته من الطبقة الوسطى ودون الوسطى، والفئات الدينية في المجال السياسي، وبعض الكوادر الوسطية في البيروقراطية.

٦- التيار الوطني (الليبراليون أو الوطنيون):

وتعد مجلة إيران فردا (إيران الغد) الناطق باسم التيار، ويمثلهم إبراهيم يزدي وعزت الله سحابي، وكان سحابي مهندسًا مدنيًّا ونشيطًا في العديد من الجماعات الدينية والوطنية، خلال الخمسينيات من القرن العشرين، وتم اعتقاله أكثر من مرة خلال مدة حكم الشاه لأنشطته السياسية، وقضى أكثر من ١٢ عامًا في مختلف السجون الإيرانية، وعقب سقوط الشاه تقدم سحابي في مجلس الثورة، وأصبح مسئولاً عن الميزانية والتخطيط، ويؤيد سحابي منذ بداية ثمانينيات القرن سيطرة الدولة المعتدلة على الاقتصاد، وقيام جمهورية

إسلامية ديمقراطية، تميل إلى عدالة التوزيع، ومن أشهر زعماء هذه الجماعة الدكتور حبيب الله بيماني، والمهندس لطف الله ميسمي، وحجة الإسلام يوسفي أشف كاري. ومن أهدافهم في السياسة الداخلية إصلاح الدستور، وفى السياسة الخارجية إصلاحيون، وتتألف القاعدة الجماهيرية له من الطبقة المتوسطة والبيروقراطية والقطاع الخاص. ونقل المؤلف أن الخميني يبارك ويؤيد جميع التيارات المنضوية تحت الثورة الإسلامية طالما كان غرضهم خدمة البلاد والعباد، وان اختلفوا في الوسائل التي توصل إلى أهداف الثورة الإسلامية[1].

٧- تيار الحوزات الدينية بقم:

تمثل قم مركزًا لدراسة مذهب الشيعة الإثنا عشرية، تتحلق حول قبر فاطمة المعصومة أخت الإمام علي الرضا، وتضم هذه ما يقارب من ٦٠ مدرسة دينية، تحوى ١٢٠٠٠ ألف طالب، كان فيها بعض المناهضين للشاه، منهم آية الله البروجردي، وشريعتمداري، وآية الله كلبايكاني، وآية الله مرعشي نجفي، وآية الله الخميني، وعبدالكريم الحائري، لكنَّ كثيرًا من مراجع قم مؤيدون لحكومة الثورة، ولكن فيهم بعض المعارضين السلميين، وبسبب معارضتهم فإن كثيرًا منهم قد سكن خارج إيران أو خارج قم، نذكر منهم:

١- آية الله حسين علي منتظري:

تاريخ ومكان الميلاد في ١٩٢٢م نجف آباد في إيران. مكان الإقامة والتدريس: قم/ إيران. وكانت تبعئته الدينية في طهران وقم وأصفهان، وفرضت عليه الإقامة الجبرية الصارمة، وكان موقفه من ولاية الفقيه مؤيدًا، حتى تم اختياره خليفة للخميني في الفترة من ١٩٨٥-١٩٨٩م، وكانت مطالبته بإقصاء الولي الفقيه (علي خامنئي)، وإقامة انتخابات مباشرة من الشعب، وكان سببًا

(١) آية الله العظمى السيد أبوالفضل البرقعي القمي: سوانح الأيام، ص١٩٠، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١٤م.

لفرض الإقامة الجبرية عليه، وكان له جماعات مؤيدة بارزة في اليسار الإسلامي من بين طلابه في المدارس الدينية وغير الدينية، وأعضاء في البرلمان، وأقسام من الحرس الثوري الإسلامي، وأما مواقفه من العلاقات الخارجية غير معروفة، ولكنه ألف كتابًا باسم الخميني في ميزان الشرعية، عارض فيه الخميني في حربه للعراق، وضرورة الجنوح للسلم، كما يرى أن نظام الخميني قد ارتد عن الإسلام الأممي إلى الفارسية المتعصبة، كما نقل حسين علي هاشم في كتابه (الحرب المشتركة بين إيران وإسرائيل)، وينفي عن الخميني صفة الإمامة، ويرفض ادعاءه لها، ونقل الكاتب جملة من الكتابات والتصريحات وأقوال للخميني تنم عن تناقض وانقلاب صريح على مبادىء الثورة، وأظهر بشكل صريح رفضه للرأي الآخر، وقتل كل من خالفه الرأي، وعارضه أو نادى بالديمقراطية[1].

١- آية الله حسن طبطبائي القمي:

ولد في النجف عام ١٩١١م بالعراق، ومنها أقام في إيران ودرس بقم، وأما التبعية الدينية له في كل من إيران خصوصًا، وفي خرسان والمملكة العربية السعودية والبحرين، وكان له رفض قاطع لولاية الفقيه، مما جعله تحت الإقامة الجبرية، وكان من مطالبه انسحاب رجال الدين بالكامل من السياسة، ولا توجد معلومات موثقة عن مواقفه داخل إيران وخارجها، أما موقفه من العلاقات الخارجية كان يتمثل في التجمعات الشيعية في لندن.

٢- آية الله علي السيستاني:

ولد في مشهد بإيران عام ١٩٢٠م، ومكان الإقامة النجف بالعراق منذ عام ١٩٥٢م، مما جعله بعيدًا عن أيدي النظام الإيراني، وهو خليفة آية الله العظمى أبي القاسم الخوئي، وكان عالمًا، وقيل: إنه أكثر علمًا من الخميني،

(١) آية الله أبوالفضل البرقعي القمي: المصدر السابق، ص١٩٩، وما بعدها. ٢/ برنار أوركاد: جغرافية إيران السياسية، ص١٠٠، وما بعدها، لبنان، طرابلس، ٢٠١٢م (جروس برس ناشرون).

بحسب رأي الكثير من الشيعة، وكانت تبعيته الدينية لكل من إيران وباكستان والمملكة العربية السعودية ولبنان، وكان مراقبًا من قبل النظام العراقي البعثي، وكان له رأي صامت من ولاية الفقيه، ومن مطالبة انسحاب رجال الدين من السياسة، ويعد السيستاني أهم منافس لخامنئي على الزعامة الشيعية الدينية في العالم، وخاصة خارج إيران، وأن له علاقة بتجمع الشيعي في لندن، وخصوصًا مؤسسة الخوئي، التي تحصل على الخُمس من الشيعة، من كل أرجاء العالم، كما له علاقات وثيقة مع المجلس الشيعي الأعلى في لبنان، الذي يعمل بشكل مستقل عن طهران.

٣- آية الله ميرزا حسين حائري:

ولد عام ١٨٩٧م في تبريز، ومكان إقامته بالكويت، وتبعيته الدينية بالكويت وإيران خصوصًا في خوزستان، وكان له رفض صامت إزاء ولاية الفقيه، ومن مطالبه انسحاب رجال الدين بالكامل من السياسة، ويعتقد أن له مقدرة مالية كبيرة جدًّا تحت تصرفه، يعد ابنه عبد الرسول أحد رجال أعمدة لجنة الدفاع عن حقوق المرجعية الشيعية، التي توجه انتقادات إلى النظام، وتتخذ من الكويت مقرًّا لها، وقد سجن عبد الرسول في طهران على أمل إقناع والده بالكف عن نقد النظام الإيراني. أما العلاقات الخارجية: فله علاقة بفروع لجنة الدفاع عن حقوق المرجعية الشيعية في دمشق ولندن. كما يوجد هناك أيضًا رجل الدين آية الله صادق روحاني من قم.

٤- أحمد الكاتب:

وقد درس في قم، وكان من نتيجة دراسته إبطال عقيدة الشيعة الإثنا عشرية في نظرية ولاية الفقيه، وعدم صحة وجود إمام منتظر، سيخرج في آخر الزمان، وقد هرب من إيران، وأقام في بريطانيا، وله كتاب موثق (تطور الفكر

السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه)، وهناك اختلاف سياسي وديني بين كثير من المراجع والمدارس في قم، وبين مرشد الثورة علي خامنئي، وتوجهات الدولة عمومًا، وأكثر هذه الخلافات تتمثل في رفض تلك المراجع لتدخلات مرشد الثورة في أعمالهم، وفى مقررات التدريس، ووسائل التعليم، والأموال التي يحوزها كل مرجع.

٥- شيرين العبادي:

هي المحامية شيرين العبادي من المعارضين لنظام الحكم في إيران، وتوكلت للدفاع عن كثير من المظلومين أمام المحاكم الإيرانية، ثم تعرضت هي نفسها إلى الاضطهاد والمحاكمة، وقد هربت خارج إيران، وكتبت عن تفاصيل حياتها وعملها في الدفاع عن حقوق الإنسان، وذلك في كتابها (إيران تستيقظ مذكرات الثورة والأمل) وقد حصلت على جائزة نوبل للسلام.

٦- التيار الشيرازي:

الشيرازية هي فرقة من الشيعة الإمامية، لها فهمها الخاص بها في التشيع، وتنظر إلى غيرها من الفرق بمنظار النقد، ولها رأي في المراجع الآخرين في التيارات الأخرى، وهذا التيار له أفكار سياسية، أسسه السيد/ محمد الشيرازي في منتصف الستينيات في مدينة كربلاء بالعراق، وله طقوس خاصة في التشيع وممارسة شعائره، ومن أبرزها التطبير، ورث محمد الشيرازي والده السيد مهدي الشيرازي، وجده عبدالهادي الشيرازي، وتصد للمرجعية دون اعتراف من علماء النجف، بل حذر منه السيد محسن الحكيم، ومن تياره الذي كان يسمى في ذلك الوقت: حركة الرساليين، أو حركة المرجعية، ثم حذر الخوئي منه ومن تياره، واستمر العراك بين الشيرازية والآخرين حتى يومنا هذا.

كان التيار الشيرازي قويًّا لدرجة أن كان له نفوذ واضح في الشارع الشيعي، ومنافس لحزب الدعوة في الستينيات، فكان يشبه إلى حد ما التيار الصدري في

زخمه، ودخلت الحركة الشيرازية في إيران مرحلة النمو والانتشار بعد هجرة محمد الشيرازي إليها، وكان من داعمي الثورة الإيرانية ١٩٧٩م، وكان يتشابه مع منتظري في رأيه في ولاية الفقيه، وكان لمنظمه دور بين إبّان الثورة، عندما كانت تتظاهر في شوارع طهران، احتفالًا بالثورة، كان يقودها محمد تقي المدرسي، ونصبوا المشانق لمعارضي الثورة، وتغلل أعضاء الشيرازية في الأجهزة الأمنية والجيش والشرطة، لأن أغلبهم إيرانيون، ولدوا في كربلاء، ويحملون الجنسية الإيرانية، وكانت منظمة العمل الشيرازية في قمة الهيكل الهرمي، من حيث التسلسل بعد محمد تقي المدرسي: كمال الحيدري، ومحسن الحسيني، وهادي المدرسي، ثم خرج عنهم كمال الحيدري وأسس مرجعية منفصلة عنهم، وهو المرجع الشيعي المعروف، قد سيطر أعضاء الشيرازية على بنية الدولة، فقد تملك الشيرازيون نصف بازار طهران وعددًا كبيرًا من الحسينيات في قم وأصفهان، وقد استخدمهم الحرس الثوري خصوصًا فيما يسمي بنشر حركات التحرر في كل من السعودية والبحرين وعمان، والسودان خصوصًا مهدي الهاشمي، وقد مكنتهم علاقاتهم الجيدة بالمسؤولين الإيرانيين من تعيين -عدد ليس بالقليل- سفراء في دول العالم، وكان من بينهم سفراء البحرين وعمان وغيرهما، وركزوا على الإعلام والحسينيات والفضائيات والمنابر في نشر منهجهم، واكتسبوا من خلال الإعلام قاعدة جماهيرية واسعة في الخليج العربي وإيران والعراق، وتدفقت عليهم الأموال، ولهم دور في نشر التشيع في كثير من البلدان الأفريقية، وشمال المغرب العربي، وكانوا يبشرون فقط المسلمين السنة، وليس من أولوياتهم التبشير في أوساط النصارى واليهود، لكن نشأ خلاف بين الحكومة الإيرانية والتيار الشيرازي، كان التيار الشيرازي وحركة الطلائع الرساليين يتمتعان بدعم إيراني رسمي غير محدود، لاسيما من الجناح الراديكالي، الذي يمثله حسين علي منتظري في ذلك الوقت، لكنهم استثمروا المساحة الموهوبة لهم بشكل غير صحيح، مما أدخل الحكومة الإيرانية في حرج، مثلًا في عام ١٩٨١م نفذت

الحركة محاولة انقلابية فاشلة في دولة البحرين، وقبض على بعض أعضائها، بعضهم من إيران، وتم طرد السفير الإيراني على إثر ذلك من البحرين، لاتهامه بمعرفة المحاولة الانقلابية، والتسهيل لها، وكان يدير الخلية هادي المدرسي، وكانت هذه العملية محرجة للنظام الإيراني، مع العلم أن هناك صراعًا داخل القوتين، وكان منتظري يدعم الشيرازي وحركة الطلائع، وكان هذا مقلقًا لخامنئي ورفسنجاني، ويبدو أن الطرفين متفقان من حيث المبدأ في الفعل، لذلك لم تغلق الحكومة معسكرات التدريب داخل إيران، وهذا يدل وبوضوح على تدخلات إيران اليوم في المنطقة، وما زالت تمارس النهج القديم نفسه وبشكل جديد، وكانت العلاقة بين الرجلين جيدة، بدليل استقبال الخميني من قبل الشيرازي في العراق بعد نفيه إليها من قبل حكومة الشاة في ستينيات القرن المنصرم، وظل الرجلان ينتهجان الأفكار نفسها والطرح المشترك ذاته. وإذا علمنا أن الشيرازي سابق للخميني في نظرية ولاية الفقيه، لقد أقام الخميني بالنجف، والشيرازي في كربلاء، وكل يدعو إلى الأفكار نفسها، مع العلم كان الخميني غير مرحب به وسط علماء الحوزة بالنجف، وظل التعاون بين الرجلين لإيجاد المجتمع المثالي لأفكارهم، وكان الشيرازي يتعاون مع الخميني في إنجاح الثورة، وعندما انتقل الشيرازي للعيش في إيران اصطدم مع الخميني، وأحبط الرجل بعد أن عرض عليه الخميني إمامة الجمعة في خوزستان، ربما كان يطمح في أن يكون نائبًا عن الخميني رفيق الدرب، ومن هنا بدأت الخلافات بين الرجلين، وقيل: قد فرضت عليه الإقامة الجبرية، وذلك بعد المحاولة التي اتهم فيها صادق قطب أول وزير خارجية بعد الثورة باغتيال الخميني عام ١٩٨٢م، واعتراف قطب باشتراك شريعتمداري في المحاولة، وقد حول الشيرازي قناعته من ولاية الفقيه إلى شورى الفقهاء، ويرى الشيرازي أن الثورة لم تؤتِ أكلها، لقد أبدلت دكتاتورًا بآخر، والأخير أخطر في نظره من دكتاتورية الشاة، وذلك

بأنه استخدم الدين والمذهب لأغراضه السياسية، وقد حصل شد وجذب بين الحركتين في داخل إيران إلى يومنا هذا، مع أن كليهما يدرك حاجته إلى الآخر[١].

وهناك مجموعة من رجال الدين متأرجحة بين الطرفين، وتقلد بعضهم المهام الرسمية، ومن هؤلاء: آية الله مصطفى المحقق الداماد في طهران، وآية الله أبوالقاسم موسوي أرد بيلي، وآية الله أحمد أذري القمي في قم.

والحقيقة التي أثبتها الواقع العملي لحكومات الثورة الإيرانية، التي جاءت بالمحافظين المتشددين أو بالإصلاحيين ما هي إلا تبادل أدوار سياسية، لتنفيذ أهداف الثورة الإيرانية: مرةً بالتشدد والقوة، ومرةً بالتظاهر السلمي في العلاقات الدولية ومحاولة إقناع الآخرين بحسن النوايا. وهذا قد تكشف من سياسة الطرفين من خلال علاقتهما الدولية والملفات المتعلقة بالتسليح ودعم الجماعات الإرهابية. وأهم من ذلك كشف المعارضين ومحاكمتهم، كما حصل في واقع الحال، حيث خضع كثير من المعارضين، فكتبوا في الصحف، ونشروا آراءهم في العلن في وقت ظنوا فيه انفراج مساحة للحرية، كما أصدرها الرئيس خاتمي وأمثاله، ومن خلال الاطلاع على الإمكانيات الكبيرة التي يمتلكها أصحاب العمائم السوداء في قم، وهي إمكانيات هائلة وميزانيات ضخمة، ميزانيات ليس لها حدود، لو سخرها هؤلاء لخدمة الإسلام والمسلمين والمستضعفين في كل أنحاء البلاد الإسلامية، لكان خيرًا لهم، ولخرت لهم جباه الجبابرة ساجدة، لكن للأسف كل هذه الإمكانيات سخرت من أجل خدمة المذهب الشيعي والمتشيعين، وزرع الفتن والقلاقل في البلاد الإسلامية باسم الدين، وهو ديدن أسلافهم قتلة

---

(١) مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية. مأخوذ من مصادر عدة، منها: بدر الإبراهيم، ومحمد صادق، الحراك الشيعي في السعودية. تسييس المذهب، ومذهبية السياسة، ط١ الشبكة العربية للأبحاث. ٢- محمد الشيرازي: أجوبة المسائل الفرنسية، بيروت، مركز الرسول الأعظم. ٣- علي المؤمن: نظرية الدولة الإسلامية الحديثة، مركز الصدرين. ٤- القرافي: الأحكام في تمييز الفتاوى، ط٥، دار السلام.

عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، عندما أرادوا الانقضاض على الخليفة كانت الحجة باسم الدين، فخرجت جموعهم قاصدين بيت الله الحرام، ولكن كانت نياتهم على غير ذلك، واليوم كل فتنة يثيرونها في أي بلد باسم الدين، وهم أبعد ما يكونون عن نصرة هذا الدين، ليتهم اقتصدوا في طلب المذهب والدنيا، واجتهدوا في طلب الإسلام والآخرة، لو فعلوا لنالوا خيرًا كثيرًا، والواقع اليوم يشهد بذلك في كل من العراق وسوريا واليمن ولبنان، كل أعمالهم تصب في مصلحة أعداء الأمة، وبذلك هم يوالون الظالمين، وما تحالفهم مع الروس في سوريا وقتل الأبرياء إلا دليل على السلوك الإجرامي على مر العصور من الحقد غير المبرر لأهل السنة، الذين يكنون كل الاحترام للفئتين، وتمنعهم أدبياتهم وتعاليمهم السمحة التي اكتسبوها من رسولهم الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذى قال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» من الخوض في الفتنة، ويعدونها من أشد الفتن عليهم، التي ذكرهم بها نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن للأسف فرقة الشيعة ترى غير ذلك، والمتتبع لتاريخهم يعرف ذلك: «ومن السير يعرف المسير، ومن البعر يعرف البعير».

٨- التيار اليساري:

ويتكون هذا التيار من حزب توده الشيوعي وفدائيي خلق ومجاهدي خلق، وقد طالب هذا التيار بتأسيس حكومة شعبية على أساس ديموقراطي لا ديني، والاستفادة من تجربة الثورات الشيوعية واليسارية في العالم الثالث، والتقارب مع دول أوروبا الشرقية. ويرفض هذا التيار نهائيًّا فكرة ولاية الفقيه، التي لا تصح إلا على القصر والمجانين، وبخلاف ذلك فإن تنصيب الولي الفقيه يفقد الشعب ولايته على نفسه، وتؤدي إلى احتقاره، ولا يعارضون لرجل الدين دورًا ما زال يعد فكره تقدميًّا لا رجعيًّا، شأنه شأن بقية المفكرين، وطالب هذا التيار على لسان مسعود رجوي بتكوين جبهة شعبية ديموقراطية، تقف ضد الأطماع الأجنبية، وقد كان مسعود رجوي رئيس منظمة مجاهدي خلق، وتعد أكبر مجموعة مسلحة

معارضة، وقد ساهمت المنظمة ورئيسها في الثورة بالقسط الأوفر، وأمضى رجوي سبع سنوات في سجون الشاه تحت التعذيب، وتدرب في مخيمات الفلسطينيين في الأردن، واعتقل في إيران وحكم عليه بالإعدام، إلا أن الدفاع العالمي خفف عنه الحكم إلى المؤبد، وغادر السجن قبل عشرة أيام من وصول الخميني من باريس، حين اقتحم المتظاهرون السجن، وأطلقوا سراحه، وعاش بعدها في باريس لاجئًا هاربًا من الثورة التي قاتل من أجلها وسجن وعذب.

٩- تيار الخميني:

وفي الأخير تغلب التيار الديني المبني على أساس المذهب الإثنا عشري بقيادة الخميني، الذي عزز سلطته بفكرة ولاية الفقيه، التي أدخلت في الدستور، وتم قمع ما عدا هذا التيار الذي وسع سلطاته بشكل عملي، خاصة ما تعلق منها بالتسليح والتدخلات الخارجية لنصرة المذهب. ومارس فكرة ولاية الفقيه بشكل مطلق، فوق صلاحيات مجلس الشورى أو رئيس الجمهورية، بل فوق نصوص الدستور، معللًا بأن أصل سلطة الولي الفقيه من الوحي الإلهي لرسوله ﷺ، وكذلك سلطة الأئمة بعده[1].

ففي مواضع عملية خالف فيها الخميني مجلس الشورى ونصوص الدستور، بل وحتى مجلس الخبراء، متعللًا بنظريته المطلقة، وهذا أدى إلى تخلي التيار الليبرالي، وحتى الديني منه، واستولى على الحكم الفئة المتشددة، واستخدم الولي الفقيه صلاحيات مجلس صيانة الدستور، والذي يقوم بتعيين أعضائه بوصفهم صمام أمان، بألا يترشح للانتخابات أي فرد لا تتطابق توجهاته مع الولي الفقيه، ومجموعة الفئة الحاكمة من المتعصبين للمذهب، والموالين للولي الفقيه، وبهذه الوسيلة ضمنوا ألا يأتي أي فرد منتخب لمجلس الشورى الإسلامي لا تتطابق أفكاره مع رؤيتهم.

---

(١) سلطان محمد النعيمي: المصدر السابق، ص٧٠ وما بعدها. وفاطمة الصمادي: التيارات السياسية في إيران، ص٤١ وما بعدها، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، بيروت، ٢٠١٢م.

وقد أضعف تنظيم ولاية الفقيه ومجلس صيانة الدستور السلطة التنفيذية، وحصل دائمًا اختلاف بين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء بسبب اختلاف التجاذبات السياسية المبنية على الفكر الديني المذهبي غالبًا، وهذه الفئة الحاكمة اصطدمت عمليًّا بكثير من العقبات الفكرية والقانونية، فتكوَّن عمليًّا وجود فئتين: الأولى منظمة مجاهدي الثورة الإسلامية، وقد عين الخميني ممثلًا له داخل هذه المنظمة، وهو آية الله مطهري، وحسن راستي كاشاني، وقد أدت الأحوال الاقتصادية خاصة إلى انقسام هؤلاء إلى فئتين من اليسار واليمين الديني، وكانت الغلبة أخيرًا إلى اليمين الديني، خاصة بعد سنة ١٩٨٠م.

وقد خالف الكثير من أعضاء هذه المنظمة ممثل الخميني، فما كان من الخميني إلا أن طالبهم بالاستقالة. والفئة الثانية: هي حزب الجمهورية الإسلامية المكون من آية بهشتي ومحمد باهنر وآية الله علي خامنئي الذى ولد عام ١٩٣٩م بمدينة مشهد إيران، وانتقل في صباه إلى قم للدراسة الفقهية في حوزاتها العلمية حتى عام ١٩٦٤م، ليعود بعدها إلى مسقط رأسه، وأنهى دراسته في حوزة مشهد عام ١٩٦٨م، وتتلمذ على يد آية الله خميني، وقد تعرض خامنئي للاعتقال والسجن حوالي ثلاث مرات، ما بين عامي ١٩٦٤-١٩٧٨م، وبعد انتصار الثورة الإسلامية، ونشوب الحرب مع العراق عينه خميني مندوبًا لمجلس قيادة الثورة في الجيش، ونائبًا لشئون الثورة بوزارة الدفاع، ثم عين قائدًا لجيش الحرس الثوري، وأيضًا هاشمي رفسنجاني وآية الله موسوي أردبيلي، وقد دب الخلاف بينهم فيما يتعلق بالإصلاحات الزراعية وقانون العمل، وصلاحية مجلس الشورى في سن القوانين، وقد انقسموا إلى يسار ويمين ديني، اليسار يأخذ بفكر أوسع عقلاني، واليمين يضيق في نظرته والي ميله إلى التطابق مع الولي الفقيه. وبعد العشر سنوات الأولى من الحكم، وبسبب الممارسة العملية يظل الانقسام التقليدي بين الأصوليين والإخباريين مستمرًّا.

- ويمكن حصر أهم ممثلي اليسار الديني بما يلي:
خلخالي ومحتشمي وموسوي وبهزاد نبوي ومهدي كروبي، وهذا التيار هو الذي سيطر على الحكم إلى وفاة الخميني،

- أما أهم ممثلي اليمين الديني فهم:
رفسنجاني ويزدى ومشكيني وإمامي كاشاني وراثتي كاشاني وعلى ودري نجف أبادي وكرماني ومرتضى مطهري وبهشتي وباهنر وعلي خامنئي ومحمد خاتمي، وهؤلاء كان لهم نصيب من الحكم بعد وفاة الخميني.

وقد قاد هذا التيار الحكومة بقيادة رفسنجاني، ولكن قبل نهاية العقد الثاني من الثورة، قاد هذا التيار شخصية أخرى، تحالفت مع اليسار الديني، خاصة مع مهدي كروبي، وهذه الشخصية هي محمد خاتمي.

وعمومًا، فإن التيار الحاكم في إيران هو التيار الديني المحافظ، والشخصيات المذكورة أعلاه قد تنتقل من تيار إلى آخر، فعلي خامنئي بعد أن كان في تيار اليمين أصبح بعد تعيينه الولي الفقيه، من جملة التيار الآخر، والذي يعتقد بصلاحية ولاية الفقيه المطلقة.

وعمومًا، فإن التيار الديني المحافظ يؤمن بالمبادئ التالية:

١- إن مصدر السلطة هي من قدرة الله التكوينية، التي منحت للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللأئمة الاثني عشر بعده.

٢- إن السلطة الشرعية في الحكم زمن الغيبة هي للولي الفقيه المختار من مجلس الخبراء، (المكون من ٨٤ عضوًا)، وسلطته مطلقة بوصفه ليس وكيلًا مؤقتًا، وإنما هو وليٌّ عن الإمام الغائب، وسلطته فوق مجلس الخبراء، وفوق الدستور ومجلس الشورى معًا.

٣- مشاركة الشعب في اختيار أعضاء مجلس الشورى المرشحين فقط من قبل مجلس الخبراء (المكونين من ٢٩٠ عضوًا)، يعد قبولًا من الشعب للنظام القائم.

٤- مجلس مراقبة الدستور المكون من اثني عشر عضوًا: ستة منهم يرشحهم مجلس الشورى، والستة الآخريين من رجال القانون يعينهم الولي الفقيه.

٥- مجلس تشخيص المصلحة العليا للنظام: ويتكون من ستة أعضاء من فقهاء دينيين من مجلس صيانة الدستور، ومن رؤساء السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وعشر أعضاء آخرين يعينهم الولي الفقيه، ويتمتع بساطات سياسية واقتصادية واسعة، خاصة عند اختلاف وجهات النظر في المجالس الأخرى، والولي الفقيه هو الذي يحيل إليه النظر في تلك المسائل[1]. فكرة الحرية والثقافة يجب أن تكون محدودة بإطار الإسلام وقواعد الشرع (الإثنا عشري).

الدستور تضعه لجنة خبراء من الفقهاء يصادق عليه ويمنحه الولي الفقيه المشروعية والتطبيق للولي الفقيه تعديل أو مخالفة الدستور لسبب يراه في مصلحة الأمة.

ويبدوا أن النظام السياسي للحكم للثورة الإيرانية كما أوضحناه أعلاه مرقعًا ومأخوذًا من المبادئ الدستورية الفرنسية والنظام الرئاسي في أمريكا والمبادئ الأخلاقية الإسلامية عامةً وميراث القواعد الفقهية في مذهب الشيعة الإثنا عشرية.

وقد خالف كثير من المفكرين من علماء إيران غير الذين ذكرناهم، وطرحوا تصورًا آخر لنظام الحكم، منهم آية الله الصدر. وتتلخص نظريته بأن

(١) تييري كوفل: إيران الثورة الخفية، ص١٣٨ وما بعدها، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨م.

الجمهورية الإسلامية التي تتحقق فيها السيادة الشعبية مع المرجعية الدينية، وتكون مقيدة بالدستور، وتكون جميع مؤسساتها قائمة: إما على أساس نص شرعي، أو باختيار شعبي، أو بالاثنين معًا.

ونظرية ثانية قال بها آية الله منتظري، تتلخص بأن الحكومة الدينية الديمقراطية يجب أن يتوافر فيها ما يلي:

- تحويل صلاحية الولي الفقيه من تدخل إلى إشراف.
- تحديد فترة زمنية محددة لمنصب الولي الفقيه.
- حصر الإشراف للولي الفقيه في المجالات الفقهية والشرعية.
- إمكانية انتخاب الولي الفقيه بطريقة مباشرة، (أي عن طريق الشعب).

كما يذهب عبدالكريم سروش وكان سروش قد درس الكيمياء والعلوم الدينية الشيعية والفلسفة على أيدي العديد من كبار علماء الدين في إيران، وأكمل دراسة الدكتوراه في الكيمياء في لندن، وبعد ذلك عينه الخميني شخصيًّا في المجلس الأعلى للثورة الثقافية الإسلامية، ويفرق سروش بشكل قاطع بين الأصول الإسلامية، كما بينها القرآن وتفسيرات البشر لها، وبينما يرى أنه لا يمكن مراجعة الأولى لأنها منزلة من عند الله فإنه يرى أن تفسيرات البشر ليست مقدسة البتة، مما جلب عليه عداء رجال الدين الشيعة من اليمين التقليدي، ويرى أنه لا يوجد تعارض بين الإسلام والديمقراطية، ويتبنى نظريات سروش بحماس الطلاب ومثقفين متدينين وقطاعات كبيرة من التكنوقراطيين. وآقا جري إلى وجوب إعطاء الشعب حق اختيار السلطة العليا في الحكم، سواء كانت للولي الفقيه أو لغيره من المستحقين في نظر الشعب، ولم يسلموا بالاختيار الإلهي للولي الفقيه المطلق الصلاحية، الذي هو فوق الشعب والقانون. كما يرى أيضًا

آية الله صالحي وآية الله مطهري ورفسنجاني وخاتمي: أن الشعب هو الذي يعطي وكالة للفقيه المتمتع بسلطة الحكم، وهذه الوكالة يمكن إنهائها من مجلس الخبراء في حالة خروج الفقيه عن جادة الصواب[١]، ولكن تخلت الثورة عن جميع المبادئ التي جاءت بها وثيقة في الدستور الإيراني والأنظمة والقوانين الأخرى، ليس لها حظ في الواقع التطبيقي في المجتمع الإيراني، حيث يشهد آية الله البرقعي بأن هذه النظم هي في واد وتصرفات السلطة العملية في وادي آخر متمثل في اعتقال مخالفيها ودخول حرمة البيوت والاعتقال التعسفي وترك المعتقل دون تحقيق، استمر كما هو الحال في عهد الشاه، وقال: إنه كتب إلى الخميني بضرورة إزالة هذه المظالم، التي لا تتوافق ومبادئ الثورة، ولكن الخميني لم يرد عليه[٢]. ويقول: ان رجال الثورة انكبوا حول تطبيق التشيع المغالي، وتصديقهم لما في الأخبار غير الصحيحة، وتعيينهم لرجال غير أهل لذلك في القضاء والأمن لا علم لهم[٣]. وتضيف الكاتبة فاطمة الصمادي في كتابها (التيارات السياسية في إيران) وجود الحركة الخضراء المتمثلة بآراء الكاتب الصحفي المعارض أكبر كنجي، التي يتغلب على توجهاتها الإصلاح الاجتماعي السلمي، ذكرت منهم: كروبي وموسوي الذين يتسألون أين صوتي في الانتخابات[٤].

---

(١) سلطان محمد النعيمي: المصدر السابق: ص ١٢٠ وما بعدها.

(٢) الأستاذ سعيد برزين ترجمة علاء الرضائي (دراسات عالمية التيارات السياسية في إيران) (١٩٨١-١٩٩٧م) ص٧٣-٧٦، ص٨٧-١٠٩، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية أبوظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.

(٣) حسين على هاشم: الحرب المشتركة إيران وإسرائيل حقائق ووثائق، ص٦٥ وما بعدها، الكتاب بمكتبة الملك عبدالعزيز، الرقم ٣٢٧.
ويلفريد بوختا: من يحكم إيران. بنية السلطة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية ص٣١ إلى ص١٠٣، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي، ٢٠٠٣م.
فاطمة الصمادي: التيارات السياسية في إيران، ص١٩٥ وما بعدها، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت ٢٠١٢م.

(٤) رياض نجيب الريس: مصاحف وسيوف إيران من الشاهنشاهية إلى الخاتمية، ص١٧٩، وما بعدها، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

صدام المحافظين بالصحافة:

هناك مقولة مشهورة عن أن الصحافة هي السلطة الرابعة، وهى مرآة السلطة تنظر من خلالها إلى أعمالها، ولكن في كثير من الأنظمة تنظر السلطة إلى الصحافة بعين الشك والريب، وذلك ناتج عن دوافع عدة، ومن خلال هذه السطور نبحث العلاقة بين سلطة المحافظين المتشددين والصحافة في النظام الإيراني، ونبدأ بمحاكمة وسجن وزير الداخلية في عهد الرئيس خاتمي عبدالله نوري، وليس هو الأول الذى حكم عليه، بل بسبب أنه كان جزءًا من النظام، ويشغل منصب وزير الداخلية ورئيس بلدية طهران في العهد الإصلاحي، ومن المشهورين في الأوساط الدينية الإيرانية، ولذلك ظهر في السطح وقضيته كانت مشهورة بشهرته، أما غيره من الصحفيين لم يعرف حتى الآن مصيرهم، وبمجرد أن تم إلقاء القبض عليه من قبل مجموعة من الرجال المسلحين داهمت منزله، وتم اقتياده إلى سجن (إيفين)، ثم عزله من كل الألقاب الدينية، وحكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات بسبب مقال تم نشره في جريدة خرداد، التي كان هو ينشرها، وهو تلميحه بتحدي ولاية الفقيه، وعند إصراره على أنه لا يوجد شخص فوق القانون، حتى لو كان المرشد الأعلى نفسه، وبسبب هذا المقال صمم المحافظون المتشددون على الوقوف في وجه هذه الأفكار، وقطع الطريق أمامها بالسجن والقمع والاغتيالات في أحيان كثيرة، ومصادرة الصحف حتى يخلو لهم الجو والفوز بالانتخابات البرلمانية، وما يعنيه البرلمان بالنسبة لهم من تحجيم للمد الإصلاحي، وفى ذلك ما أصدرته محكمة المطبوعات من حكم بحق صحفي آخر وهو قريب من الرئيس خاتمي، وهو (ماشا الله شمس الواعظين) رئيس جريدة (نشاط) لنشره أفكارًا شبيهة بأفكار عبدالله نوري، وحكمت عليه المحكمة بالسجن لمدة ثلاث سنوات بتهمة الإساءة للإسلام، وهذه الأحكام تعد في رأي كثير من المحللين بمثابة ضربة قاضية للإصلاحيين، وفي الوقت نفسه

اعتبر الحكم استهدافًا للصحف والصحفيين، وقال رئيس المحكمة الدينية في هذا الموضوع: إن أي كاتب مقال يسيء إلى الإمام الخميني يتحمل المسؤولية عن أفعاله. ودافع خامنئي عن محاكمة رجال الدين، واعتبر أن أحكامها قانونية، وأن وجودها ضروري، وقال: إن أي شخص ينحرف عن الخط العام للمسلمين، وخط الإمام الخميني، لا يتمتع بالحماية، ولكن هذه الصحف والصحفيين الذين تم الحكم عليهم هم ضحية آرائهم، وهم كغيرهم من الصحفيين الذين يعملون بمبدأ حرية التعبير، وكشف الحقائق للرأي العام، ومن هذا وقعت صحيفة خرداد وناشرها عبدالله نوري الذى كشف عن ضلوع وزارة الاستخبارات عن ضلوعها في اغتيالات المثقفين، هي الفضيحة التي هزت البلاد، وسببت حرجًا كبيرًا للمحافظين[1]. مما جعل النظام لا يتورع في القمع وكبت الحريات الصحفية والرأي الآخر وقتل المخالفين له، وهذه ردة سياسية في علم السياسة عن الشعارات المطروحة في أول الثورة التي خضع بها الجميع.

المحكمة الخاصة برجال الدين:

نتيجةً لكثرة انتقاد رجال الدين لحكومة الثورة، وتركز الانتقاد على المرشد الأعلى، أُنشئت محكمة خاصة لمحاكمة رجال الدين، لها فروع في عشرة أقاليم، وبلغ عدد العاملين فيها ما يقرب من ٦٠٠٠ منتسب من مختلف التخصصات والاحتياجات، وحصرت النظر في الدعاوى والتهم الموجهة إلى رجال الدين، والمتعلقة خاصة بمخالفاتهم للدولة أو للمرشد الأعلى، أو على خروجهم عن قواعد الشريعة، وقد أعدمت المحكمة أكثر من ٦٠٠ رجل دين، وجردت ٢٠٠٠ آخرين من رتبهم الدينية، ومنعت عليهم القيام بمهامهم الدينية، كما عاقبت ٤٠٠٠ رجل دين آخرين بأحكام أخرى، منها الجلد والغرامة والحبس، ووفقًا

(١) طلال عتريسي: الجمهورية الصعبة إيران في تحولاتها الداخلية وسياستها الإقليمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.

لما جاء عن لجنة الحقوق يقبع أكثر من ٣٠٠٠ فى سجون هذه المحكمة منذ عام ١٩٨٨م، كما أنها حاكمت طلاب المدارس الفنية ومدرسيها والكتاب، وآخرين من الذين تحدوا السلطة الاحتكارية لرجال الدين، وكما أنها صادرت الكتابات المعارضة من رجال الدين، وقد حظرت المئات من الكتب، من بينها كتب لمؤلفين من أعلام، كانوا مؤيدين للنظام السابق، مثل منتظري وأذري القمي وصالحي نجف آبادي، وأغلقت عددًا من المدارس في قم، التي أقيمت بأموال التبرعات، وأيضًا أغلقت الحسابات المصرفية المتعلقة بآية الله العظمى، ومن الجدير بالذكر أن أحكامها نهائية غير قابلة للاستئناف.

خلاصة لتحديد مفاهيم الأحزاب والتيارات السياسية:

من واقع الممارسات السياسية المتعلقة بالحكم في إيران، وحسب ما وردنا من تصنيفات لتلك التيارات نخلص للنتائج التالية:

١- في بداية الثورة وعهد الخميني اتسمت تلك الأحزاب والتيارات في أغلبها إلى تبعية فكر الخميني، لما يمثله من كاريزما، عبَّر عنها بفكرة ولاية الفقيه. أما المخالفون في تلك الحقبة فكان صوتهم ضعيفًا، وعلى استحياء يطرحون فكرة وكالة الفقيه عن الإمام الغائب، حيث إن الوكالة شرعًا موقوتة بزمن بخلاف الولاية، أو يطرحون فكرة تقيد ولاية الفقيه، وعدم إطلاق إرادته.

٢- تعززت قبضة رجال الثورة بالتيار الأصولي المحافظ، الذي يمثل أحزابًا، مثل حزب الجمهورية الإسلامية، ومجتمع مدرسي حوزة قم العلمية، وجمعية مؤثري الثورة الإسلامية، وتجمع المعمرين، وجميعهم يؤمنون بفكرة ولاية الفقيه، والتشكك بنوايا الغرب ومؤامراته، وألا تدخل الدولة في الاقتصاد، ويعتمدون الدين قاعدة سياسية.

٣- كان دور المعارضين لولاية الفقيه ضعيفًا، وإن ادعى بالإصلاح، حيث فشل من الناحية الواقعية في إصلاحاته الفكرية والعملية، بسبب طغيان التيار الأصولي، فما أن ينجح هذا التيار في الانتخابات، ويلقى التشجيع من قبل أفراد الشعب، يتم اكتساحه عمليًّا، كما رأينا في خروج محمد خاتمي من سلطة الحكم المباشر.

٤- من المشاهد كثرة ظهور العديد من الأحزاب أو التيارات السياسية ثم اختفاؤها، وما نتيجة ذلك إلا أنها تنشأ بمناسبة الانتخابات، وعندما تنتهي تلك الانتخابات ينتهي وجودها، وأن تلك التيارات أو الأحزاب تنشأ باسم شخص معين، حيث تنتهي بنهاية، أو أن ظهورها مرتبط بظاهرة اقتصادية مؤقتة، وعمومًا إن هناك ضعفًا قانونيًّا لعدم وجود قانون في إيران، ينظم أمور الأحزاب وإنشائها، وربما كانت تلك التيارات تبنى على تجمعات عنصرية قبائلية أو إقليمية خاصة، وأن الفكر الديني يعد تكوين الأحزاب ظاهرة غربية مستوردة.

٥- إن قطاعًا كبيرًا من الشعب الإيراني لا يستطيع إيصال صوته في الحكم، وذلك بسبب الإجراءات الشكلية والقانونية التي تتخذ عند إجراء الانتخابات، وإن كثيرًا من أعضاء المجالس يأتون عن طريق الاختيار الشخصي، كما أوضحنا سابقًا، ولهذا فإن أصوات الكثير من الطلبة وطبقة العمال والفلاحين والتجار لا تستطيع النفاذ إلى المؤسسة الدينية المبنية على نظرات مذهبية ضيقة، فهامش الحرية والديمقراطية ضيق جدًّا محكومًا من قبل الطبقة الدينية المذهبية الحاكمة. والخلاصة: إن المؤسسة الدينية الموصوفة بالمحافظين أو المتشددين أو المغالين، التي تتخذ من مذهب التشيع الإثنا عشري مسلكًا، هي التي تحكم إيران في الوقت الحاضر في جميع مفاصل

الدولة النظرية والعملية[1]، ولهذا السبب يرى الباحث الأمريكي راي تاكه أن الثورة الإيرانية دولة مختطفة من قبل علماء الدين الأصوليين، وأنها عاشت هذه المدة الطويلة بسبب تصريحاتها النارية ضد أمريكا وإسرائيل، وان أمريكا قد ارتكبت خطأً سياسيًّا، وذلك بمجاراة إيران بالردود نفسها، وتوعدها كذبًا باستخدام القوة، مما تسبب في حشد القوة الداخلية في إيران ضد أمريكا وإسرائيل، في حين أن الحقيقة ترشح بعدم تنفيذ أمريكا لوعودها ضد إيران، ويرى الكاتب أن إيران لو تركت دون مناكفات وتصعيد الرد عليها لسقط نظامها وفقدت التأييد الشعبي الداخلي، كما يرى الكاتب أن حكام إيران الأصوليين يرون أن لا محالة في صدامهم مع أمريكا، حتى وإن استجابت إيران لمطالب أمريكا المتعلقة بالمشروع الإيراني النووي، حيث إنها ستستمر في اختراع أزمات اخري[2].

كما يرى الكاتب أن النظام الدستوري الإيراني يمكن الولي الفقيه من السيطرة على جميع المجالس والهيئات الدستورية، بطريقة مخالفة للنظام الديمقراطي، وأن هذا هو سر احتفاظ الجناح المحافظ المتشدد بالحكم، وفشل الجناح الإصلاحي، على الرغم من تمتعه بتأييد شعبي كبير، فدائمًا ما يحول الولي الفقيه بين الإصلاحيين وتحقيق منهجهم الأقرب نسبيًّا إلى الديمقراطية، ويرى المؤلف أن الحرب على الإرهاب منحت إيران دورًا إقليميًّا لا يستهان به، وهناك دراسة صدرت مؤخرًا عن المعهد الملكي البريطاني للدراسات الدولية: أن حرب أمريكا على الإرهاب أتت بالمنفعة الكبيرة على تقوية دور إيران.

---

(١) د. ضاري سرحان الحمداني: سياسة إيران تجاه دول الجوار، ص١٧، وما بعدها، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٢م.

(٢) راي تاكيه: إيران الخفية الشطرنج السياسي السري بجمهورية ولاية الفقيه، عرض وتعليق: مجدي كامل، ص٢٢، وما بعدها، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، ٢٠٠٧ م.

الاغتيالات السياسية في عهد الثورة الإسلامية:

تعرض رجال الثورة الإسلامية في إيران من الوهلة الأولى إلى الاغتيال السياسي من قبل من خالفهم الرأي من شتى الشرائح والدوافع. وقد ساعد على تلك الأحداث ضعف الأجهزة الأمنية في أول الثورة وعدم اكتساب الخبرة، لتحصنهم من أعدائهم. وهنالك ظاهرة مخالفة، وهي ظهور الاغتيالات السياسية ضد معارضي الثورة الإسلامية، خاصة من خارج إيران، ونذكر تفاصيل كلتا الظاهرتين.

اغتيالات رجال الثورة:

لقد تمت جملة من الاغتيالات السياسية ضد رجال الثورة من كلا الجناحين: المحافظ المتشدد، والجناح الإصلاحي، ونوجز أدناه أسماء من قتلوا:

١- اغتيال رئيس أركان الجيش قرني.
٢- اغتيال آية الله مطهري رئيس المجلس الثوري، وقد كان مطهري من رموز الثورة، رافق الإمام الخميني، وكان شريكًا لآية الله منتظري في مسيرته الطويلة، وشارك في أحداث عام ١٩٦٣م التي على إثرها سجن الخميني، وطرد من البلاد، وألف آية الله مطهري العديد من المؤلفات الاجتماعية والفلسفية، بالإضافة إلى كتابة عن حافظ الشيرازي، وكان من المؤسسين للنظام الجمهوري الإسلامي في إيران.
٣- اغتيال مهدي عراقي وابنه، وكان عراقي قريبًا لسيد حسن إمامي قاتل عبد الحسن هزير، كما كان عضوًا في منظمه فدائي الإسلام، كما حكم عليه بالإعدام، وخفف إلى السجن المؤبد، وأطلق سراحه سنة ١٩٧٦م، وعاد من بعدها ليمارس نشاطه.
٤- اغتيال آية الله قاضي طبطبائي.
٥- اغتيال د. مفتح كان أحد المقربين من الإمام الخميني.

٦- محاولة اغتيال رفسنجاني، عضو مجلس الثورة، ورئيس مجلس الشورى، ورئيس الجمهورية، ولكنه نجا من المحاولة، وأصيبت يده اليمني إصابات بالغة.

٧- التهديد باغتيال شاهبور بختيار.

٨- اغتيال مولوي فيضي محمد حسين بر.

٩- اغتيال علي مازندراني مدير هيئة التعمير في مؤسسة الشهيد، وذلك بطعنة بسكين حاد.

١٠- محاولة اغتيال حجة الإسلام سيد علي خامنئي، أي رئيس الجمهورية ومرشد الثورة قد بات بالفشل.

١١- اغتيال آية الله بهشتي وعدد من الوزراء.

١٢- اغتيال د. حسن آية النائب في مجلس الشورى، وكان آية مؤرخًا له دراية واسعة برجال السياسة في إيران، وتم انتخابه نائبًا عن دائرة نجف آباد وعضوًا بمجلس الخبراء، ثم انتخب نائبًا عن طهران في مجلس الشورى.

١٣- اغتيال محمد علي رجائي رئيس الوزراء، وشكل مع المهندس بازاركن حركة الحرية، وتقلد منصب وزير التربية، ثم تولى رئاسة الوزارة، ومحمد جواد بهنر كان من تلاميذ الخميني، حصل على لسان كلية الإلهيات، ونال الدكتوراه، ثم تولى إدارة التخطيط في التربية والتعليم، وألف مؤلفات عدة، مع د. بهشتي، وكان من أعضاء مجلس الثورة، ومن مؤسسي الحزب الجمهوري.

١٤- اغتيال آية الله قدوسي المدعي العام.

١٥- اغتيال آية الله مدني إمام الجمعة في تبريز، كان من رجال الدين، ومن مؤسسي الحوزة العلمية كمالية، وتم اختياره بمجلس الخبراء عن همدان.

١٦- اغتيال حجة الإسلام سيد عبدالكريم هاشمي نزاد، كان نائبًا في مجلس الخبراء، وسكرتير الحزب الجمهوري الإسلامي في خرسان، له عدد من المؤلفات، منها: (الرد على مشكلات الشباب)، و(أصول العقائد الخمسة).

١٧- اغتيالات عشوائية في المدن الأخرى، واتهمت جماعة الفرقان ومنظمة مجاهدي الشعب بتنفيذ هذه الاغتيالات.

١٨- وفى العام الدامي سقطت طائرة كانت تقل أربعة من قادة الجيش: هم رئيس الأركان فلاحي، والعقيد نامجو وزير الدفاع، والعقيد نم كورى قائد القوات الجوية، ويوسف كلاهدوز نائب رئيس الحرس الثوري.

١٩- اغتيال آية الله دستغيب عندما كان في طريقة إلى المسجد.

٢٠- اغتيال حجة الإسلام بخرديان مدير مؤسسة الشهيد في مرداد.

٢١- اغتيال عبد الحسين مبشر مدير مؤسسة الشهيد في خرم آباد.

٢٢- تم اغتيال آية الله صدوقي في عام ١٩٨٢م، وآية الله أشرف أصفهاني.

٢٣- اغتيال اللواء أويس في باريس، وكان قائد القوات البرية في عهد الشاه.

الاغتيالات التي تمت ضد معارضي الثورة:

إن جهاز الأمن والحرس الثوري اضطرا إلى حماية رجال النظام الإسلامي، بعد أن تعرضوا إلى موجة من الاغتيالات بدأ بمد يده إلى خارج البلاد، لتنفيذ اغتيالات المعارضين للنظام، ونذكر منهم:

١- د. شهبور بختيار رئيس وزراء إيران الأسبق، وهو آخر رئيس وزراء في عهد محمد رضا شاه، وكان من أسرة باختيارية، تلقى تعليمه في باريس، ونال درجة الدكتوراه، وكان أبوه قتل على يد رضا شاه بتهمة الخيانة، وكان شاهبور قد شارك في الحرب العالمية الثانية، بوصفه متطوعًا في الجيش الفرنسي، ثم في المقاومة الوطنية، ثم التحق بحزب إيران،

وكان هذا الحزب يضم الحقوقيين وأساتذة الجامعات، وانتخب عضوًا في مجلس النواب، وقتل معه سروش في باريس.

٢- القائد العسكري أويس وأخوه قتلا في باريس.

٣- شهريار شفيق قتل في باريس.

٤- د. قاسملو قتل في النمسا.

٥- د. كاظم رجوي قتل في جنيف.

٦- د. سيروس إلهي قتل في باريس.

٧- فريدون فرخ زاد قتل في ألمانيا.

٨- بيجين فاضلي قتل في لندن.

٩- علي توكلي وابنه نادر قتلا في لندن.

١٠- العقيد هادي عزيز مرادي قتل في تركيا.

١١- العقيد أحمد حامد قتل في تركيا.

١٢- علي طبطبائي قتل في أمريكا.

١٣- العقيد طيار أكبر محمدي قتل في هامبورج.

١٤- العقيد طيار أحمد طالبي قتل في جنيف.

١٥- العقيد باي أحمد قتل في دولة الإمارات العربية.

١٦- د. صادق شر فكندي واثنان من رفاقه قتلوا في برلين[1].

---

(١) د. أحمد عبدالقادر الشاذلي: الاغتيالات السياسية في إيران، ص١٢، وما بعدها، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م.

خلاصة المراحل التي مرت بها الثورة الإيرانية:

مرت الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م بمراحل عدة، كانت أهمها تتمثل في:

١- بدأت بمظاهرات خاصة بعد وصول الخميني من باريس، وكانت ترفع شعار: لا شرقية، ولا غربية. وشعارات أخرى، منها ما تدل على أنها إسلامية ومعادية لأمريكا.

٢- أقدم الثوار الطلبة بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٧٩م باقتحام السفارة الأمريكية، وحجزوا إحدى وخمسين رهينة داخلها، مطالبين أمريكا بتسليم الشاه، ثم طالبوا برفع الحظر على مبالغ مالية محجوزة لدى أمريكا لصالح إيران. وقد دام الحجز ٤٤٤ يومًا[١].

٣- أقدم الأمريكيون في ٢٤ إبريل ١٩٨٠م بعمل إنزال جوي بقصد تحرير رهائن السفارة، ولكن الإنزال قد فشل بسبب ظروف جوية، وتصادم الهيلوكوبترات المنزلة بفريق الإنقاذ.

٤- اندلعت الحرب العراقية الإيرانية سنة ١٩٨٠م، واتهم الإيرانيون أمريكا بإشعالها لأسقاط الثورة.

٥- في ١٩ يناير، وفي عهد كارتر توسطت الجزائر بتحرير الرهائن، ودفعت أمريكا لإيران أموالها المحجوزة والبالغة ٨ مليار دولار تقريبًا.

٦- وفي عهد بيل كلينتون ورفسنجاني بدأ الطرفان يفكران بالاقتراب، وتخفيض سياسة العداء المعلنة بينهما، واكتفت أمريكا بما سمته سياسة الاحتواء المزدوج لكل من العراق وإيران وليبيا، وفرض عقوبات حظر اقتصادي ودولي عليها، وبسبب سياستها المتعلقة بالأنشطة النووية.

---

(١) ما يلز كوبلا ند: حياة ما يلز كوبلا ند، ص٣٦٣، ترجمة صادق عبد علي الركابي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٧- وفي الفترة الثانية لحكم بيل كلينتون اعتذرت أمريكا في عهد محمد خاتمي بتدخلها بإسقاط محمد مصدق سنة ١٩٥٣م، وحضر الطرفان في مؤتمر حوار الحضارات، وقامت أمريكا برفع حظر جزئي على التجارة مع إيران.

٨- وفي سنة ٢٠٠١م وبعد الاعتداءات في ١١ سبتمبر على أمريكا، بدأت أمريكا بالانتقام من حركة طالبان والقاعدة، واتهامها بأنها هي المتسببة بتلك الاعتداءات، فوجدت إيران فرصتها للإعراب لأمريكا عن قدرتها في المساعدة ضد طالبان من الأفغان، ولكن جورج بوش سنة ٢٠٠٢م استمر في سياسة وضع إيران في محور الشر، ورغبة أمريكا بإزالة النظام الإيراني، ولكن إيران ساعدت أمريكا ضد الأفغان، ودفعت شيعة الهذارة من الأفغان لمساعدات أمريكا، ولكن بوش اعتبر أن أي حوار مع إيران يعد غير مفيد، بل هو ضار[1].

٩- ومنذ سنة ٢٠٠٢م إلى ٢٠٠٨م اتسمت العلاقات بالتوتر وحرص أمريكا على الحظر الاقتصادي، وتتبع أنشطة إيران النووية، ومقاطعة كل من يساعد إيران على تلك الأنشطة، وحث أوروبا على التضييق على إيران مع أن أمريكا بعد احتلالها للعراق وحل الجيش العراقي قامت بتسليم مقدرات العراق إلى إيران، وذلك بالشهادة الواردة بمذكرات بريمر والسفير الأمريكي ببغداد (زلماي خليل زاده)، وبتصريح واضح من الأمير خالد الفيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٠- وبعد مجيء الرئيس أوباما وتوجهه إلى الشعب الإيراني بخطاب مصالحة، فهمت إيران ببدء تغير في السياسة الأمريكية، وفي الوقت نفسه كانت علاقة إيران مع أوروبا هي الأخرى تتسم بالتوتر منذ الثورة،

(١) برنار أوركاد: جغرافية إيران السياسية، ص٣٤٣، جروس برس ناشرون، لبنان، طرابلس، ٢٠١٢م.

حيث كانت الخلافات حول حقوق الإنسان، وقيام إيران باغتيال بعض الشخصيات الإيرانية في أوروبا، ومع ذلك فإن بعض الدول الأوروبية كانت ترغب كالاتحاد السوفيتي أيضًا بفتح حوار والتفاهم مع إيران، ليس فقط ما تعلق بأنشطتها النووية، وانما بكل نقاط الخلاف بينهما، وقد زار أحمدي نجاد أوروبا في هذه الفترة راغبًا في فتح الحوار معها. إن أهم علاقات إيران كانت مع ألمانيا في المسائل المتعلقة بالتكنولوجيا والمعدات والأجهزة، وأما فرنسا فأكثرها كانت متعلقة بالثقافة واللغة والتنقيب عن الآثار، ولكن لا تستطيع أوروبا مخالفة أمريكا في علاقاتها مع إيران. وعادة ما تكون السياسة البريطانية هي المتهمة عند الإيرانيين بفشل مشروعاتهم وإصلاحاتهم الداخلية، وفي سنة ٢٠٠٨م في عهد أوباما طلبت أمريكا من إيران فتح قنصلية لها بطهران، ولكنها جوبهت بالرفض.

١١- منذ سنة ١٩٧١م كانت إيران قد أقامت علاقات دبلوماسية مع الصين والهند، وبعد الثورة ومقاطعة أمريكا وأوروبا لها، اتجهت إيران نحو الصين لإقامة علاقات تجارية وبيعها النفط، خاصة والذي يمثل ٤٥ بالمائة من مبيعاتها للنفط للصين، ساعد على نمو تلك العلاقات وجود بعض البوذيين في إيران، كما أن مسيحي إيران هم غالبا من أصول صينية يعزز ذلك أيضًا ما يسمى بطريق الحرير: الطريق التجاري الذي يربط الامبراطوريتين القديمتين بروابط تجارية، وفي سنة ١٩٨٥م زار الرئيس رفسنجاني الصين، وعقد اتفاقية كان أهم ما فيها نقل تكنولوجيا صناعة الصواريخ البالستية إلى إيران، كما اشترت إيران أنواعًا من الأسلحة والبواخر الصينية، وتولت الصين تطوير بعض حقول النفط والغاز، حيث حلت محل توتال الفرنسية، وتم تبادل الزيارات بين خاتمي والرئيس الصيني وتطوير العلاقات بينهما.

١٢- وفي سنة ٢٠٠٣م زار الرئيس خاتمي الهند معززًا للعلاقات بينهما، التي تلتقي في معاداة باكستان وسياستها في كشمير، وكذلك تلتقي مع سياستها ضد طالبان في أفغانستان، ولهذا أصبحت الهند مستوردًا مهمًّا للنفط الإيراني، ومدت إيران الهند بخط للغاز عبر باكستان.

١٣- ووجدت إيران في أفريقيا أرضًا خصبة ليس فيها موانع أو معوقات، لتمدد سياستها، فبدأت بأفريقيا الغربية، وخاصة في السنغال، واستخدمت التجار الشيعة اللبنانيين في داكار سُلمًا لأغراضها، وركزت الكثير من شركاتها في هذا البلد، لتنطلق منها إلى بقية أفريقيا، وفي عهد عبدو ضيوف وما بين ١٩٨٤م و١٩٨٩م قطعت العلاقات بينهما، بسبب توجهات إيران المذهبية المخالفة لما عليه جمهور السنة في السنغال، وقد طورت إيران مصنعًا لسيارات بيجو في نيجيريا في سان لويس، ومدت علاقاتها بجنوب أفريقيا، حيث تقوم إيران بتزويدها بأربعين بالمائة من حاجتها النفطية، كما كانت تأمل في الحصول على معلومات تخص برنامج البلاد النووي، الذي توقف بعد حكم مانديلا[1].

١٤- حرصت إيران على مد علاقاتها بدول أمريكا اللاتينية، خاصة المعادية لأمريكا: كفنزويلا وكوبا، وقد خدمتا إيران في المحافل والتصويت الدولي، وقد اشترت إيران بعض اليورانيوم المخصب (٢٠٪ من الأرجنتين) لمفاعلها النووي التجريبي في الجامعة، وبعلم من أمريكا، ولكن الهجوم على المركز اليهودي في الأرجنتين الذي اتهمت به إيران قضى على ذلك التقارب.

١٥- يكشف الكاتب شموئيل سيجف عن الصراع الذي حصل في إيران بعد الثورة الخمينية بين جماعة آية الله منتظري وبين جماعة رفسنجاني،

(١) برنار أوركاد: جغرافية إيران السياسية، ص٣٤٣ وما بعدها، جروس برس ناشرون، لبنان، طرابلس، ٢٠١٢م.

وهم هادي ومهدي هاشمي المسؤولان عن تصدير الثورة، قد أبلغ في لبنان صاحب صحيفة الشارع الشيعية (حسن صبرا) أسرار رحلة روبرت ماكفارلين السرية إلى طهران، المتعلقة بإطلاق سراح الرهائن الأمريكان في بيروت عند حزب الله، بغرض إحباط محاولة رفسنجاني والتقرب من أمريكا بهذا الفعل، كما كشف محاولة العميل السوري إياد محمود، الذي قام بإطلاق سراح الرهينة الأمريكية (ديفيد دودج)، وقد كشف المؤلف في كتابه المثلث الإيراني تفاصيل الدور الإسرائيلي، واستخدام تحرير الرهائن الأمريكان، ومقايضتهم بالسلاح، بهدف إضعاف العرب عمومًا والعراق خصوصًا في وقتها، وقد تكشف أهداف السياسة الإسرائيلية والأمريكية طويلة المدى مع إيران، لغرض إعدادها في المستقبل، لضرب القوى العربية خاصة دول الخليج العربي، ومن عاهدهم ضد إيران[1].

مدى نجاح إيران في سياستها الثورية:

بعد استعراضنا لما مضى من تاريخ إيران وعلاقتها بالدول الأخرى، وإيضاح مشروعها السياسي، من الحق أن نطرح السؤال التالي: هل نجحت إيران في مشروعها السياسي؟

١- من قراءة الواقع، فإن إيران تستطيع أن ترفض أي فكرة أو مشروع لأي دولة أخرى، وخاصةً للدول المخالفة لها، ولكن هذه القوة في الرفض، هل في صالح إيران أم تساهم دائمًا في عزلتها.

٢- إن إيران بذلت الكثير من الأموال على دول وجماعات وأحزاب لاستمالتها ومجاراتها في مشروعها السياسي، فهل انتجت هذه

(١) شموئيل سيجف: المثلث الإيراني، ص٢٨٤ ج٢، ترجمة دار الجليل، عمان، ١٩٩٠م.

السياسة ما هو مفيد لإيران، أم أدت إلى بعثرة المال الإيراني، وتجويع شعبها في الداخل، وزيادة تذمره بسبب تدني أحوال المعيشة، وانتشار البطالة، وارتفاع نسبة التضخم، التي تلقي بعبئها على الفرد الإيراني، وخاصة الطبقات الضعيفة وهي الأكثرية، والتي لا يمكن أن تصبر على ذلك مدةً طويلة.

٣- إن رأس الحربة في مشروع إيران هو التوسع ونشر مذهب التشيع الإثنا عشري عن طريق التدخل الخارجي، سواءً عن طريق السلم أو الحرب، كما هو حاصلٌ في العراق والشام ولبنان واليمن.

٤- فهل هذه السياسة ستؤدي إلى نجاح إيران، وقلب الناس بالقوة إلى اعتناق عقيدهم؟ وهل استخدام القوة لتغيير عقيدة الخصم يعد من النجاح؟ إن التاريخ يجيب على ذلك بالفشل، خاصة في المنطقة العربية، فقد استعمل الفاطميون الشيعة الإسماعيلية القوة ما يقرب من ٢٠٠ سنة في حكم المصريين، فهل تحول المصريون واقتنعوا بالتشيع. وفي القرن الرابع الهجري استخدم البويهيون الإيرانيون القوة لإخضاع السنة العراقيين لاعتناق التشيع، فهل نجحوا بذلك؟ كما أن أهل الشام سبق أن تعرضوا في القرن السادس والسابع الهجري لإخضاعهم بالقوة للتشيع، فهل خضعت المنطقة لذلك؟، أم أن قد تنجح في صيد بعض الفئات أو المذاهب الشاذة عن الإسلام، فهل هذا يعد من النجاح؟

٥- يستخدم الإيرانيون لمشروعهم السياسي الاندفاع القومي الفارسي، المستمد ليس من التاريخ الإسلامي الذي يناصبونه العداء، سواء عهد الراشدين أو الأمويين أو العباسيين، فهم يتسترون بالإسلام، ويتسترون بمذهب أهل البيت، الذين يدعون أنهم أئمتهم وشيعتهم، ويتخذون المناسبات المذهبية كعزاء الحسين وما إليها وسيلةً لنشر

مذهبهم، كما يشجعون علماءهم من أصحاب العمائم، الذين يقودون التجمعات والعزاء والمحاضرات، مطلقين الأفكار الواردة في كتب الشيعة من معجزات وخرافات، يضللون فيها العوام والجهلة، يسوقونهم نحو ما يريدون، ودفع الأخماس المالية، فهل هذه السياسة تصلح لنجاح مشروع إيران السياسي؟ الحقيقة أنها تنجح في تحقيق الاضطرابات، وإشعال الفتن، والخلافات في المجتمع العربي والإسلامي، وإشغال الناس في صراعات مذهبية لا فائدة منها، وتحقيق الأغراض الخفية لأعداء أمة العرب والإسلام، وهذا ما يحصل اليوم من قسوة محاربة الإيرانيين وميليشياتهم في الشام، بشكل يخرج عن مبادئ الرحمة الدينية والإنسانية والإسلامية، وهو ما يحصل اليوم في حصار أهل حلب واستعداء الروس للمساعدة في هذا المشروع السيئ، وهل تتعظ إيران بما فعله الصفويون والفاطميون والمغول؟ وماذا كانت نهايتهم في هذه المنطقة؟ سيفرح بعض الإيرانيين وأكثر أعداء أمتنا لهذا النصر المؤقت، ولكن عواقبه التاريخية ستكون مؤلمةً حقًّا. على هذا، فإن الأمر مرتبط بتحرر عقلية الأفراد وتعليمهم فعلًا العلم الصحيح، إن اليوم الذي يصل فيه الفرد العربي أو المسلم إلى النضج الفكري، حتى وإن كان أصله شيعيًّا سيرفض مشروع إيران السياسي، القائم على الطائفية المذهبية ومحاربة السُّنة، لأن في ذلك إضعافًا لأمة الإسلام، وخدمةً للمتربصين من أعدائها، فهل نجحت إيران في هذا المسعى؟ إن رفع إيران مشروعها ومبادئها في مكة أيام الحج، وما تسببه من مشكلات للمسلمين نموذجًا مصغرًا لما عليه مشروعها السياسي ورفضه من أمة الإسلام، فهل يدرك رجال إيران وساستها هذه الحقيقة؟[1].

(١) برنار أوركاد: جغرافية إيران السياسية، ص٣٨٣ وما بعدها، جروس برس ناشرون، لبنان، طرابلس، ٢٠١٢م.

لقد حولت إيران كثيرًا من الأقليات الشيعية في البلاد الإسلامية، أو كونت مجموعات مذهبية تقاتل باسم المذهب، وتوجه عداءها ضد السُّنة، فتحول حزب الله في لبنان إلى مجموعة إرهابية، وكذلك أكثر من خمسين مجموعة في العراق إلى مجموعات سميت بالحشد الشعبي، ترفع الشعارات الطائفية، وتسمم العلاقات في المجتمع الإسلامي بما يضر إيران أولًا وبالبلاد الأخرى، فهل هذا يعد من النجاح السياسي؟ لا شك أنه فشل ذريع، ما زال مرفوضًا من مجموع الأمة الإسلامية، فضلًا عن كثير من عقلاء الشيعة وعلمائهم.

٦- هل مشروع إيران النووي ونجاحها بتخصيب اليورانيوم، وادعاؤها باستخدام الذرة للأغراض السلمية، ومحاولة إيران إقناع القوى الدولية بهذا المشروع، هل يعد ذلك نجاحًا عمليًّا؟ يعتمد هذا على مدى نجاح هذا المشروع بعد انتهائه واستخدامه لصالح إيران والمنطقة عمومًا، أم سيؤدي إلى كوارث لإيران وجيرانها على الخليج العربي، حيث تتخوف تلك الدول من انتشار المخصبات النووية وإضرارها بالبيئة، وإلى أي مدى يمكن الاعتماد على التكنولوجيات الروسية خاصة بعد كارثة شير نوبل، ثم هل صناعة الصواريخ البالستية يعد نجاحًا لإيران؟ الجواب يتعلق بحسن استخدامها، ومن المؤسف أن التقارير تشير إلى أن إيران قد أمدت الحوثيين وعبدالله صالح بتلك الصواريخ، التي أطلقت على المملكة العربية السعودية مرات عدة، ولكن الدفاعات السعودية تقوم بصدها قبل وصولها إلى أهدافها، كما تقوم بضرب منصاتها، فهل هذا عمل يفتخر به أم أنه يعزز فشل العلاقات مع إيران. لقد فشلت إيران في التفاهم مع العالم العربي على الرغم مما تظهره من انتهازية ومراوغة وممارسة التقية، كما

فشلت إيران في تصدير الثورة، وأصبحت المناطق التي صدرت إليها الثورة والتشيع مناطق فاشلة ومضطربة، لم تستفد لا من إيران نفسها، ولا من أي محاولات لانتشالها مما هي فيه، فأصبحت لبنان والشام والعراق واليمن مناطق صراع مستعصية على الحل، يحيطها الفشل من كل جانب، إن إيران تخاف على نظامها، ولذا فإن الحاكمين قد أصيبوا بحساسية كبيرة من الخوف على نظامهم، فهم دائمًا في حالة رفض وتوجس وخيفة، ويستعملون الصراع الخارجي للمحافظة على النظام الداخلي أيضًا، فيستعيدون مواقف التاريخ القديم بأنهم كانوا مظلومين، وفي عداد المحرومين من جهات الاستكبار، ومن هنا لا يمكن لإيران أن تلعب دورًا إقليميًّا مؤثرًا في محيطها الإسلامي، أو العربي على الرغم من تطلعها لذلك.

٧- إن التحدي الذي يواجه إيران اليوم أنها في مفترق الطرق، فإما أن تقدم نفسها كجمهورية إسلامية شيعية غير مضرة بالآخرين، وتعتني بتطوير شعبها في الداخل، على أساس من التسامح ونبذ استخدام القوة، لتحقيق أغراضها السياسية، أو أن تفشل سياستها وخاصة الخارجية في العراق والشام ولبنان واليمن، وعند ذلك ستفقد مصداقيتها أمام شعبها أولًا، وأمام الآخرين، فتنشر الحروب وتوسع دائرة الخلافات في المنطقة، فأي الطريقين ستسلك إيران في المستقبل؟

تصنيف القوى ومراكز الحكم في إيران:

يختلف الدارسون في تحديد مراكز القوة الحاكمة في إيران وتصنيفها، فمنهم من يعتمد تصنيفه حسب النظام والدستور، ومنهم من يعتمد تطبيق الواقع العملي الحاصل في إيران، وقد يمزج بين الأسلوبين، وفيما يلي نستعرض

رأي الكاتب ويلفريد بوختا في كتابه (من يحكم إيران؟ بنية السلطة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، فهو يرى أن هذه المراكز تنقسم إلى مراكز رسمية، ومراكز غير رسمية، فالمراكز الرسمية قسمت اتجاهاتها إلى يمين تقليدي ويمين حداثي، وفى مقابل التقليدي الاتجاه اليساري الإسلامي واليساري الحداثي. وفى الجدول المرفق الشكل (٣) ذكر الكاتب تفاصيل التيارات والأشخاص والصحف الناطقة بأسمائهم وتوجهاتهم الفكرية والعملية، فلا حاجة بنا لشرح ذلك تجنبًا للتكرار، ولكن الكاتب أوضح وجود تيارات غير رسمية، لها علاقة بتوجهات الحكم في إيران، ذكر منها: مؤسسات غير رسمية، اعتبرها الكاتب دولة داخل الدولة: منها مؤسسة الشهيد، ومؤسسة المعوقين والمستضعفين، ومؤسسة الإمام الرضا، ومؤسسة الرسالة، ومؤسسة الدعوة الإسلامية، ومؤسسة الفارابي، ومؤسسة الإسكان، ومؤسسة الرفاه، ومؤسسة الخامس عشر من خرداد. وذكر أن ٥٨ بالمئة من ميزانية الدولة تذهب إلى هذه المؤسسات، ويقوم المرشد الأعلى بالإشراف عليها، وتعيين مديريها، ومن أهم هذه المؤسسات وأغناها مؤسسة الإمام الرضا، التي تدير مشهد الرضا، الذى يزوره ما يقارب ٨ ملايين شيعي سنويًّا، وتملك الكثير من الأوقاف والمباني والأراضي الزراعية الواسعة، وتمتلك العديد من الشركات الصناعية والتجارية، التي بلغت ٥٦ شركة، قدرت ممتلكات هذه المؤسسة ما يقرب من ٢٠ مليار دولار، ويتبعها جامعتان، وكثير من المعاهد الدراسية، ويدير هذه المؤسسة حجة الإسلام عباس واعظ طبسي، ويتبع هذه المؤسسة مصرف مالي خاص بها، ولها عدد من شركات النقل، وخطوط جوية خاصة بها، كما ذكر لابن رئيسها ناصر عباس علاقات مع شركات أوربية متخصصة في نقل التقنية النووية، إضافة إلى جهود هذه المؤسسة في تصدير الثورة.

الشكل (٣)

الفصائل الأيديولوجية في جهاز السلطة

الفصائل الأيديولوجية	اليسار الإسلامي	اليمين الحداثي	اليمين التقليدي
الجماعة (الجماعات) الرئيسة	١-٢-٣	٤	٥-٦
زعيم الجماعة	(١) مهدى كروبي (٢) بهزاد نبوي (٣) عباس عيدي وسعيد حجاريان	غلام حسين كرب اسجى	علي أكبر ناطق نوري ومهدوي كنى - حبيب الله عسكر أولادي وأسد الله باداميجيان
الصحف الناطقة باسمها	١- سلام يان ٢عصرما -٣ مشاركت، خرداد، صبح اموز	إيران، إطلاعات، همشهري	رسلت، كيهان، شما، قدس جمهوري إسلامي
قاعدة القوة	المؤسسات الثورية والحرس الثوري الإسلامي واتحاد الطلبة	التكنوقراطيون في البيروقراطية الحكومية	تجار البازار وميليشيات الباسيك ورجال القضاء والمؤسسات الثورية والأقليات في الأجهزة السرية والحرس الثوري
موقفها إزاء مبدأ ولاية الفقيه	تبعية المبدأ للدستور وسيادة الشعب	تبعية المبدأ للدستور وسيادة الشعب	المبدأ أهم من الدستور ومن سيادة الشعب

توجه الجماعة السياسي الأساسي	إسلامي ثوري اجتماعي	إسلامي ليبرالي وتكنوقراطي	إسلامي محافظ
السياسة الداخلية تعددية حزبية	أيدت مؤخرًا التعددية الحزبية	مؤيد	معارضة بشدة
حرية الرأي	مؤيدة	مؤيدة	معارضة
مجتمع مغلق	عارضت ذلك بشدة مؤخرًا	معارضة	مؤيدة
السياسة الاقتصادية التوجه؟	بين الاشتراكية الإسلامية والرأسمالية المقيدة	الرأسمالية الصناعية	الرأسمالية التجارية البازارين ما قبل الصناعية
سيطرة الدولة	مؤيدة	معارضة	معارضة
الدعم الحكومي	مؤيدة	معارضة	مؤيدة
الاستثمارات الغربية	معارضة	مؤيدة	معارضة
السياسة الخارجية مع الولايات المتحدة	أيدت بشدة مؤخرًا	مؤيدة	معارضة
تصدير الثورة	معارضة عمومًا لكن مع بعض الاستثناءات الفردية	معارضة	غير موحدة

الفصل الثاني

عناصر تكوين الشخصية الإيرانية

إن عناصر القوة والضعف في الشخصية الإيرانية قد تكونت عبر تاريخ طويل، كان من أهمها:

١- الشعور بالانتماء القومي: إن الشخصية الإيرانية ترجع في جذورها إلى العنصر القومي، الذي يوحد انتماءاتها من القبائل الآرية، التي سكنت هضبة إيران، وكونت فيما بعد إمبراطورية فارسية واسعة، تعضدها اللغة الفارسية التي أصبحت عاملًا من عوامل توحيد الأمة في الأدب والشعر والثقافة والفلسفة والتصوف. فالمشاعر القومية التي يعكسها كتاب الشاه نامة للفردوسي تجعل الإيراني في قمة الفخر بانتسابه إلى ملوك الإمبراطورية الأخمينية والساسانية إلى درجة ينضح في هذا الكتاب كراهية العرب، كما أن شعر سعدي الشيرازي والخيام وغيرهم أصبحت مكونات لتعالي الشعور القومي ضد الأمم الأخرى، كما أن الحضارة الإيرانية التي تمثلت بطرق التمدن والعيش من غزل السجاد لإمداد القصور المترفة إلى التعالي بقوة الجسد والسلاح.

٢- الشعور الديني: تكونت في فارس أقدم الديانات من الزرادشتية والمزدكية، التي كتبت تعاليمه في الافستا، استمرت هذه التعاليم منتشرة حتى القرون المتأخرة، ولما اعتنق الإيرانيون الإسلام كان لهم فيه مذاهب دينية وأفكار شتى، تداخلت فيها الفلسفات بالفكر الإسلامي، الذي حمله الفاتحون إلى إيران، فآراء الفارابي وابن سيناء وغيرهم من الفلاسفة أخضعوا الفلسفات القديمة، وحوروها

لإدخالها بالفلسفة الإسلامية تحت تأثير الديانة الفارسية القديمة، ولكن أهم عنصر ديني في الشخصية الإيرانية، هو التشيع المذهبي، الذي اعتنق وشاع عند الحكام الصفويين، فقد قام علماء الشيعة ببناء الشخصية الإيرانية، وطبعها بالطابع الموروث في كتب ومصادر الشيعة القديمة، وأصبح التشيع الإيراني أكثر غلوًّا في الدين وتطورًا، كرد فعل لكراهية العرب ودينهم السني، وكراهيتهم منذ القدم للفاتحين، وهذا العنصر لم يكن سائدًا في إيران قبل الحكم الصفوي، ولكنه اليوم أصبح عاملًا مهمًّا في بناء الشخصية الإيرانية، حينما نقوم بتحليلها السياسي، والرجوع بالجذور الدينية القديمة، التي تشدها للوراء والتعصب وكراهية الآخر.

٣- الفكر اليساري: منذ الثورة البلشفية الشيوعية، انتشر الفكر الشيوعي في إيران في ظل عوامل مختلفة، منها: الغزو الروسي لإيران، واهتمام روسيا بهذه المنطقة، التي توصلها إلى الخليج العربي، فقد نشأ في إيران حزب توده الشيوعي، وأحزاب يسارية أخرى، نادت بالاشتراكية، ولاقت آذانًا صاغية عند عموم فقراء إيران، الذين يكونون الغالبية من الشعب، وإلى حد كبير ارتبط التشيع بالشيوعية، كما حصل في العراق في الستينيات من القرن العشرين، فإن أكثر الشيوعيين كانوا من الشيعة، حيث يبدو أن فكر الفرد الشيعي الديني يتسامح، وربما يلتقي بالفكر الشيوعي في بعض توجهاته على خلاف الفكر السني.

٤- تعدد الأجناس والقوميات: إن العنصر الفارسي في إيران يسكن في الغالب وسط الهضبة الإيرانية، بينما يحيط به من الجهة الغربية الجنوبية الجنس العربي، المكون لبلاد الأحواز، والبالغ حوالي ١١ مليون نسمة، وفي الشمال بلاد الكرد والآذاريين، البالغين حوالي ٤ ملايين نسمة، وفي

الشرق البلوش، البالغين حوالي ٣ ملايين نسمة، وبقية الإيرانيين من الفرس والتركمان، مع أقليات أخرى من ديانات وأجناس مختلفة، وهذا التعدد يجعل في الشخصية الإيرانية فروقًا وانقسامات، في أغلبها تؤدي إلى مؤثرات تسهم في إضعاف الشخصية الإيرانية من الداخل.

٥- الفروقات الاقتصادية: يوجد في المجتمع الإيراني فروقات اقتصادية، سببتها عوامل مختلفة، فأكثرية البلوش والعرب من الفقراء والعمال، وأكثر الأغنياء من العناصر الفارسية والتركمانية، وهم الذين يحركون النشاط الاقتصادي وفي البازار.

٦- الفكر الصوفي: منذ عهد السلاجقة انتشر مذهب التصوف في إيران، وفرض على الشخصية الإيرانية الاعتقاد بالروحانيات والغيبيات والمعجزات، وانتقل هذا الأثر إلى التشيع الإيراني على يد علماء من أمثال السهروردي والملا صدرا والشيرازي، ففي الشخصية الإيرانية: تواضع صوفي، وسلاسة في الانقياد، وطول بال، وعدم تسرع في بلوغ الأهداف البعيدة، وقد بحثنا هذا الموضوع بتوسع في كتابنا (أثر العناصر الأجنبية على الشيعة الإثنا عشرية).

٧- انعزال الشخصية الإيرانية عن العالم الإسلامي: منذ إعلان الدولة الصفوية بأن مذهب الشيعة الإثنا عشرية، هو المذهب الرسمي واضطهاد مذهب السُّنة، هذا الوضع أدخل الإيرانيين في عزلة عن بقية المسلمين، لأن غالبية المجتمع الإسلامي هم من السُّنة، ومن جهة أخرى، فإن العرب ينظرون للإيرانيين منذ القدم بوصفهم موالي، أدنى في المرتبة على الرغم من أن عموم قواعد الإسلام تساوي بين الجميع، وهذا العامل جعل للشخصية الإيرانية حاجزًا، يصعب معه الاختلاط والتفاهم بشكل جيد مع بقية العالم الإسلامي أو العربي.

الفَصْلُ الثَّالِث

القوة العسكرية بعد الثورة

اهتم محمد رضا بهلوي بتكوين جيش إيراني قوي، وتم تسليحه من قِبل أمريكا، واستخدم بضرب حركة أذربيجان وكردستان، وقد قامت أمريكا بتسليحه، فبلغ تعداد جيشه ٢٥٠ ألف جندي، وامتلك ٤٥٠ طائرة عسكرية ومقاتلة، و٥٠٠٠ طيار، وطلبت أمريكا من الشاه تخفيض عدد الجيش إلى ١٢٠ ألفًا، فيما سمي بالثورة البيضاء، وفي صبيحة يوم الثورة أنزل الجيش لفرض منع التجول وفض المظاهرات، ومع القول بأن الجيش لم يستخدم القوى، إلا أنه ذكر أن ٢٧٨١ متظاهرًا قتلوا إبان الثورة، ولم يستطيعوا فرض النظام، مما اضطر الشاه إلى السفر خارج إيران، وبعد الثورة أنشأ المجلس الأعلى للأمن الوطني برئاسة مرشد الثورة، ومن الملاحظ التعدد الكثير للقوى العسكرية الإيرانية على الرغم من كونها تحت قيادة المرشد، ويمكن إجمالها بما يلي:

١- الجيش: كان الجيش الإيراني قبل الثورة يدين للشاه بالولاء، فلما سقط الشاه سقطت معه قوى الجيش، فاضطر رجال الثورة وخاصة في اثناء الحرب العراقية إعادة تنظيم الجيش، وأن يكون ولاؤه لمبادئ الثورة المنصوص عليها في الدستور، وبلغ عدد أفراد الجيش ٣٤٥ ألف جندي، وقد أعيد تسليحه، وحل الحرس الثوري بصفته قوة ضاربة يعتمد عليها.

٢- الحرس الثوري: وهو العمود الفقري للقوة العسكرية والسياسية والاقتصادية الإيرانية، ويقدر الحرس بنحو ٣٠ ألف مقاتل، ويعتمد في قوته على أنواع مختلفة من الصواريخ. وتشمل أنشطته برنامج إيران النووي. كما يشتمل على قوات برية مزودة بالدروع، ومن أهم

مهامه حفظ الحدود الإيرانية والدفاع عنها، خاصة مضيق هرمز، كما يشمل قوات جوية مكونة من طائرات تدريب وطائرات هليكوبتر، ويشتمل على قوات بحرية تقدر بـ ٢٠ ألف مقاتل، وأغلب أنشطته في الخليج العربي وخليج عمان، ولها ٤٠ زورقًا حربيًّا، كما يشتمل على الصناعات الحربية المتعلقة خاصة بالصواريخ البالستية، وهناك فرع للاستخبارات تابع للحرس الثوري، ممثلًا في جميع السفارات. كما يشمل الحرس الثوري قوات القدس المقدرة بـ ١٥ ألف مقاتل من القوات الخاصة، التي تؤدي مهامًّا خارج إيران، كما هو الحال في مهامها في العراق والشام ولبنان وأفغانستان، ومن مهامه تدريب الميليشيات الشيعية ومساعدتها، وما عرف في العراق بالحشد الشعبي. ويشتمل الحرس الثوري على فرع للاستخبارات، ويتكون من ٢٠٠٠ موظف، يعملون خارج إيران ضمن السفارات، أو ضمن أنشطة ثقافية واقتصادية أخرى[١].

٣- قوة الباسيج: وهي قوة أنشئت بقصد فرض الأمن الداخلي، ومنذ ١٩٨١م وضعت هذه القوة تحت قيادة الحرس الثوري، وتقدر بـ ٩٠ ألف رجل من الميليشيا الشعبية، ويمكن أن يزداد إلى ٣٠٠ ألف من الاحتياط والمتقاعدين، ويتوزع أعضاؤها على الأقاليم الإيرانية، ودربوا على مكافحة الشغب.

٤- وزارة الأمن الداخلي والاستخبارات: وهي جزء من قوات الباسيج والأمن والشرطة، وقد أنشئت وزارة الاستخبارات والأمن، وأدمج فيها رجال السافاك من منظومة الأمن والاستخبارات، التي أنشأها الشاه بمساعدة من أمريكا وإسرائيل.

(١) سيد حسين: إيران والعرب، ص٢٥٠، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١م.

٥- وزارة الداخلية: وهي التي تشرف على مهام الشرطة، يقدر عددهم بـ ١٤٠ ألف شرطي، تقوم بمهام حفظ الأمن، وتشتمل على وحدات التدخل السريع، وعلى وحدات المراقبة البحرية، التي تملك ٩٠ زورقًا لحماية السواحل، و٤٠ لحماية الموانى، كما تشمل ٤٠٠ امرأة في هذا الجهاز، وتمتلك خمس فرقاطات بحرية، و٢٨ زورق دوريات، و٨٠ طرادًا يحمل صواريخ، اشترتها من كوريا الشمالية.

٦- أنصار حزب الله: ودورهم غير واضح، والمعلومات قليلة عنهم[١]. وتختلف الدراسات العسكرية في تقييم قوة إيران العسكرية، ومدى تعاون أو تنافر تلك الأجهزة فيما بينها، وقد أشار معهد جاين البريطاني أو مؤسسة الراند كوربوريشن المقربة من البنتاجون إلى أن إيران تشكل خطرًا محدودًا على جيرانها، لأن قدرتها على نشر قوتها التقليدية ضعيفة، كما أن قوتها محدودة في الرد على خصومها[٢]، كل هذه المعلومات مستقاة من الكتب، تلك المعلومات هي المتوافرة عند كتابة هذا البحث، وقد تحتاج إلى تحديث بعد ذلك أشرنا إليها في الهامش، وخلافًا لذلك يرى البعض: أن لإيران قوة تكمن في قدرتها على تجميع القوة المطلوبة، وتطويرها لأغراضها الدفاعية، خاصةً وأنها منخرطة في مشروعات تسليح سرية، تتعلق خاصةً بتصنيع الصواريخ واستخدام الأسلحة الذرية.

وتعتمد إيران على التجنيد الاجباري لمدة ١٨ شهرًا لكل شاب، وقد قامت صناعتها الحربية بتطوير دبابات T٧٢ الروسية، وسمتها: (ذو الفقار)، أنتجت

---

(١) عصام نايل المجالي: تأثير التسلح الإيراني على الأمن الخليجي، ص٧٠ وما بعدها، دار الحامد للنشر. وبرنار أوركاد: جغرافية إيران السياسية، ص١٤٥ وما بعدها، لبنان، طرابلس، ٢٠١٢م. جروس برس ناشرون.

(٢) برنار أوركاد: المصدر السابق، ص١٦٤ وما بعدها.

منها ٢٠٠٠ دبابة، كما تمتلك ٣٠٠٠ مدفعية ثقيلة، كما تمتلك أيضًا ١٢٠ طائرة هيلوكوبتر قتالية، وقد قيل: إن نصفها صالح للتشغيل فقط، وتمتلك إيران الكثير من الطائرات الأمريكية، ولكن أكثرها متعطلة، كما امتلكت طائرات العراق التي لجأت إليها في أثناء الحرب، وهي طائرات فرنسية استخدمت بعض أجزائها لإصلاح البعض الآخر، كما اشترت من روسية مجموعة من طائرات سوخوي، وقد باعت إيران بعد الحرب العراقية الأسلحة الفائضة لديها لدول أفريقية وللبوسنة، ويقوم فيلق القدس بهذه المهمة، وتمتلك إيران صواريخ سيلكوورم من صنع صيني، منصوبة على ساحل الخليج، وبعضها متحرك، وقد سبق للبحرية الأمريكية في الخليج تدمير أكثر السفن الحربية الإيرانية إبان حرب الخليج، أو ما يسمى بحرب ناقلات النفط.

إيران وتصنيع الصواريخ:

منذ سنة ١٩٨٨م وبعد الحرب العراقية سعت إيران إلى تصنيع الصواريخ وتطويرها، خاصة البالستية بعيدة المدي، وهي تعتقد بأنها تكون حاسمة في الصراعات المستقبلية. لقد طورت إيران الصواريخ بمساعدة كوريا الشمالية من صواريخ إسكود السوفيتية، إلى جانب تقنية (نو دونغ) الكورية الشمالية منذ ٢٠٠٣م، أصبحت صواريخها تتخذ مسميات: شهاب ٣، وهذا الصاروخ يعمل بالوقود السائل، مثل صاروخ سكود سي أو غاوري الباكستاني، ويبلغ مداه ١٠٠٠كم، ويحمل رأسًا وزنه طنًّا، كما تسعى إيران إلى امتلاك صاروخ كروز، من بعض الدول، ومن السوق المفتوحة، وقد أعلنت مؤخرًا عن اختبار صاروخ بالستي، قادر على حمل رؤوس عدة، بالإضافة إلى صواريخ تحت مائية فائقة السرعة، وهى تفتخر بذلك في نجاحاتها، دون الاكتراث بالقلق الذي يسببه برنامجها التسليحي، وعن مدى بلوغ أهدافه، وهذه الصواريخ يبلغ مداها دولًا كثيرة في المنطقة خاصة إسرائيل، لكن إيران تنظر إلى تكنولوجيا الصواريخ

بوصفها أقل كلفة من الاعتماد على القوة الجوية المكلفة، وفى حال فرض حظر جوى على طيرانها، وقد أصبحت إيران قوة إقليمية، فرضت نفسها في العراق والشام، مما يكون نقطة تصادم مع الولايات المتحدة ودول الخليج العربي، وهي تزود وكلاءها بالسلاح، لتنفيذ أغراضها السياسية، كما تقوم بنفسها في العراق والشام بالمشاركة في الحرب عن طريق ما تسميه بفيلق القدس، والمستشارين العسكريين إضافة إلى الجماعات المحلية، التي قامت بتدريبها، ما تسمى في العراق بالحشد الشعبي، وفى الشام حزب الله، ومجموعات عراقية وأفغانية من الشيعة والحوثيين في اليمن[١].

(١) شاهرام تشوبين: (طموحات إيران النووية)، ترجمة: بسام شيحا، الدار، ص٨٦ وما بعدها، العربية للعلوم ناشرون، لبنان، بيروت، ٢٠٠٧م.

الفصل الرابع

إيران ومضيق هرمز

تضيق فوهة الخليج العربي ما بين عُمان وإيران (بندر عباس)، بما يشبه عنق الزجاجة، تفصل الخليج العربي عن خليج عُمان والمحيط الهندي، وتشرف الإمارات العربية المتحدة على جزء من ساحله الجنوبي، تبدأ حدوده الشمالية من شبه جزيرة مسندم العمانية إلى اتصالها بجزيرة هنجام الإيرانية، مارًّا بجزيرة قشم حتى الساحل الإيراني في (بندر عباس)، وطول هذه المسافة ٢٨ ميلًا بحريًّا، وعلى حدود ساحل الإمارات يبدأ من رأس دبا إلى دماجه على الساحل الغربي العربي، ويبلغ عرض هذا الخط ٥٢،٥ ميل بحريّ، وتقع أضيق منطقة في هرمز ما بين جزيرة سلامة الكبرى العمانية وجزيرة لأراك الإيرانية ٢٠،٧٥ ميل بحريّ، وعمقه ما بين ٤٠- ٥٠ قامة، ومن الملاحظ أن عمق المياه في الجانب العماني أكثر من الجانب الإيرانية. وتحتوي المنطقة على جزر عدة، فالعمانية منها هي سلامة وبناتها، ويقابلها جزيرة لأراك الإيرانية، وهذا هو ممر السفن في الاتجاهين. أما الجزر التابعة لإيران فهي قشم ولأراك وهرمز موطن مملكة هرمز القديمة. وسواحل الخليج العربي تبلغ في الإمارات العربية المتحدة ٤٢٠ ميلًا، ثم السعودية ٢٩٦ ميلًا بحريًّا، ثم قطر ٢٠٤ أميال بحرية، والكويت ١١٥ ميلًا، والبحرين ٦٨ ميلًا، ثم عُمان ٥١ ميلًا، والعراق ١٠ أميال، ومن الجهة المقابلة تبلغ سواحل إيران على الخليج العربي ٦٣٥ ميلًا بحريًّا، إضافة إلى ساحلها المقابل لخليج عمان، وعلى مدخل الخليج العربي من جهة مضيق هرمز تقع ثلاث جزر إماراتية محتلة من إيران، وهي طنب الكبرى، وطنب الصغرى، وأبو موسى. وجزيرة (أبو موسى) هي الأقرب لساحل الإمارات، حيث

تبعد ٥٠ كيلومترًا، وتبعد عن الساحل الإيراني حوالي ٧٠ كيلومترًا، أما الطنب الكبرى فتبعد ٢٥ كيلومترًا عن الساحل الإيراني، والطنب الصغرى تبعد ٧٢ كيلومترًا عن الساحل العربي، وقد احتلت إيران هذه الجزر سنة ١٩٧١م.

وقديمًا تكونت مملكة هرمز على الساحل الإيراني، ثم اتخذت مركزًا لها في جزيرة قشم، وبعد الحكم الإسلامي امتد نفوذها إلى الساحل العربي، وإلى مدة ٢٠٠ سنة إلى أن احتلها البرتغاليون، فكانت تسيطر على حركة التجارة للموانئ الواقعة في الخليج. وقد وصفها ابن بطوطة حينما زارها سنة ١٣٢٥م إلى سنة ١٣٤٥م، وأن أسواقها مليئة بالبضائع الهندية والتوابل، واستولى عليها البرتغاليون ١٥٠٧-١٦٢٢م، وقد حاول الصفويون احتلال هرمز، ولكنهم لم ينجحوا إلا بمساعدة من بريطانية، وتولى سلطان بن سيف اليعربي طرد البرتغاليين، ثم جاء دور الهولنديين ونفوذهم في الخليج، فحاربوا البريطانيين في بندر عباس، فأضعفوا نفوذهم، وانتهى نفوذ الهولنديين سنة ١٧٦٥م، وحل محلهم النفوذ البريطاني، الذي نافسه النفوذ الفرنسي الراغب في الوصول إلى الهند، فعمدت بريطانيا إلى عقد اتفاقيات مع مشايخ الخليج لإبعاد الفرنسيين عنه، فأسست شركة الهند الشرقية التي تمكنت من السيطرة على التجارة في الخليج، وبعد اكتشاف البترول بدأ صراع بين بريطانيا وأمريكا على منابع النفط، فانسحبت بريطانيا سنة ١٩٧١م، وعند رحيل البريطانيين من هرمز أقدم الشاه على احتلال الجزر الإماراتية الثلاثة المذكورة، فسيطرت إيران على مضيق هرمز، ولكن لأهمية مضيق هرمز في حرية عبور شحنات النفط إلى العالم، التي تمثل ٦٠٪ من الاستهلاك العالمي، بسطت أمريكا نفوذها العام على مياه الخليج، وأصبح لها أساطيل على سواحله، لتؤمن عبور ناقلات النفط[1].

(١) علي ناصر ناصر: مضيق هرمز والصراع الأمريكي الإيراني، ص٣٠ وما بعدها، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٣م.

وتخضع الملاحة في مضيق هرمز إلى الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالمضايق الدولية، ومنها اتفاقية ١٩٨٢م، ويقع على عُمان وإيران مسؤولية تنظيم الملاحة في المضيق، حسب الأنظمة والاتفاقيات الدولية، يتبنيان نظام المرور البري الذي يقضي باستمرار المرور وعدم توقفه، والإعلان عن علم الدولة، حتى وإن كانت غواصة يجب عليها أن تطفو وترفع علمها، في حين أكثر دول الخليج العربية تطالب تبني نظام المرور الحر، غير المقيد حسب النظام الدولي، وهذا النظام يعني عدم مقدرة إيران أو عُمان على التحكم بالمرور لأي عذر كان، وهذا ما تميل إليه أمريكا.

ولمضيق هرمز أهمية كبيرة لدول الخليج، خاصة العراق والكويت والبحرين وقطر والسعودية، أما عُمان والإمارات العربية المتحدة فتملك منافذ بحرية أخرى في أعالي الخليج وبحر عُمان، ولهذا السبب، فإن السعودية قد عمدت إلى أنبوب نفط، يمتد إلى ما بعد مضيق هرمز على شواطئ الإمارات العربية المتحدة، كي لا يتم تحكم المضيق بتصدير نفطها من المنابع الشرقية، ويمثل مضيق هرمز أهمية كبيرة لإيران، لتصدير نفطها من عبادان ومن جزيرة خرج، حيث تقعان شمال المضيق. ويمثل مضيق هرمز أهمية إستراتيجية لأمريكا والغرب، فهو السبيل إلى إمدادهم بالنفط الخام، وقد كشفت أزمة سنة ١٩٧٣م النفطية هذه الأهمية، فعند حرب العرب مع إسرائيل سنة ١٩٧٣م قطع الخليجيون وخاصة السعودية تصدير النفط من الخليج إلى أمريكا وإلى الغرب، وكان ذلك بعزيمة من الملك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعلى الرغم من تهديد أمريكا باحتلال منابع النفط، إلا أن دول الخليج صمدت إلى أن انقشعت الأزمة سنة ١٩٧٤م، ولكن أمريكا وضعت في سياستها ضرورة تدفق نفط الخليج من خلال مضيق هرمز، وتحييد أي قوى تعرقل ذلك خاصة الاتحاد السوفيتي وإيران، وعند احتلال الاتحاد السوفيتي لأفغانستان، فسرت أمريكا ذلك برغبة السوفيات الوصول إلى نفط الخليج، ولذا قررت في عهد كارتر الحرب لإخراج السوفيات من أفغانستان، وبسبب ازدياد نفوذ إيران والعراق على الخليج، قرر كارتر سياسة الاحتواء المزدوج، لضمان

تدفق النفط وعدم تحكمهما على الرغم من تهديدات إيران بإغلاق مضيق هرمز. وربما كانت دوافع أمريكا لاحتلال العراق وإخراجه من الكويت، يعود بشكل أساس إلى إبعاد العراق من أن يكون قوة تهدد بقطع النفط، لأن أمريكا تستورد ١٢٪ من نفط الخليج، وأوروبا ٦١٪، واليابان والصين ٧٪ و٣٩٪ إلى دول أسيا، ولذا تحرص أمريكا على استقرار بلدان الخليج واستقرار أسعار النفط، لأن في ذلك استمرارًا لتدفق الأموال إلى الأسواق الأمريكية والأوروبية وخاصة مبيعات الأسلحة.

كيفية إغلاق مضيق هرمز:

يتمثل في مضيق هرمز خطان بحريان: الخط الداخل إلى الخليج والمتجه شمالاً، وهذا يحاذي الجانب الإيراني، وعرضه ٤،٥ ميل، وفي المقابل خط للسفن الخارجة من الخليج والمتجه جنوبًا، والمحاذي لدولة عمان، وعرضه ١،٥ ميل، وبين الخطين يفصل بينهما ميل واحد، لتفادي الاصطدام، وهذا حسب ترتيب الأمكو المتفق عليه.

والإغلاق قد يتم بوضع الألغام البحرية في الممر، وسبق أن وضعت إيران ألغامًا بحرية في بعض المواضع للسفن العراقية في أثناء الحرب الإيرانية العراقية، ووضع الألغام سبق عمله في سد مضيق الدردنيل في أثناء الحرب الأولى سنة ١٩١٥م، وتسبب ذلك برفع أقساط التأمين، ودفع الولايات المتحدة بإرسال كاسحات الألغام، ويمكن أن يتم إغلاق المضيق عن طريق القوة العسكرية والصاروخية، يساعد إيران في ذلك كثرة الجزر القريبة من المضيق، والتواجد العسكري الدائم فيها، وقد سبق أن هددت إيران بإغلاق المضيق إذا ما هوجمت في الحرب. وتهدد إيران بإغلاق المضيق إذا ما هوجمت مصالحها، في حين ترى دول الخليج العربي أن مضيق هرمز يجب أن يبقى مفتوحًا في جميع الأحوال بوصفه ممرًّا دوليًّا، لا يجوز لإيران ولا لعُمان التحكم فيه. وتخوفًا من

إغلاق المضيق عمدت دول الخليج والعراق إلى إجاد بدائل لتصدير نفطها، ففي شمال العراق خط من كركوك إلى جيهان في تركيا، كما أن هنالك خطًّا لنفط جنوب العراق يتجه من البصرة إلى ينبع مارًّا بالسعودية، وهو خط معطل في الوقت الحاضر، وأما في السعودية فهناك خط يصدر النفط من المنطقة الشرقية إلى ينبع على البحر الأحمر، كما أن هناك مشروع خط للتصدير، يتجه إلى عمان والإمارات، متجاوزًا جنوبًا مضيق هرمز، أما إيران فركزت تصدير نفطها إلى موانئها جنوب المضيق، وكذلك أنشأت خطًّا يتجه إلى تركيا. وهذه البدائل وإن كانت مكلفة إلا أنه يلجأ إليها لتصدير النفط جزئيًّا، ويبقى الكثير من نفط الخليج يصعب تصديره في حال إغلاق المضيق. ومن هنا يمثل مضيق هرمز أهمية كبيرة للتجارة الدولية ولأمريكا على الخصوص، ولهذا فقد عمدت إلى تواجد قواتها العسكرية في كل من الكويت وعُمان وقطر والإمارات، كما يمثل تواجدها في قاعدتها العسكرية في جزيرة جاريسيا في المحيط الهندي، بحيث تمثل أهمية كبيرة للسيطرة على المنطقة[1].

ولكن مضيق هرمز يمثل أهمية كبيرة إلى الهند والصين، من حيث إنه يوفر ٤٠٪ تقريبًا من احتياجاتهم النفطية.

وللأسباب السالفة أمام الدول خيارات عدة لضمان أمن الخليج ومضيق هرمز، وهذه الخيارات تلخص فيما يلي:

١- **خيار الأمن الذاتي**: ويقصد به الاعتماد على دول مجلس التعاون الخليجي، وأنها بذاتها يجب أن تصبح قادرة على حماية الخليج، وحماية مصالحها، من خلال مضيق هرمز، واستبعاد أي قوى أخرى منافسة.

٢- **خيار الأمن القومي العربي**: ويقصد به وضع مسؤولية أمن الخليج ومضيق هرمز أمام الدول العربية جميعها، وإحياء منظومة الدفاع

(١) علي ناصر ناصر: المصدر السابق، ص١١٦ وما بعدها.

العربي المشترك، لتصبح حقيقة فاعلة، تمتد إلى الخليج العربي والمحيط الهندي، وهذا يتطلب وحدة تكامل عسكري وإبعاد النفوذ الأجنبي عن المنطقة.

٣- **خيار الأمن الإقليمي**: ويقصد به اقتصار أمن الخليج والمضيق على جميع الدول المطلة على سواحله، أي من ضمنها إيران، وهذا الخيار يتطلب انسجام السياسة الإيرانية، خاصة مع دول مجلس التعاون.

٤- **الخيار الدولي**: ويقصد به إسناد أمن الخليج إلى الدول التي لها مصلحة في بسط أمنه، وأنها قادرة على التفاهم وحمايته فيما بينها. وهذا الخيار يبدو مستحيلًا، طالما كانت مصالح تلك الدول متعارضة فيما بينها.

ومن الناحية العملية، فإن استقرار الخليج العربي يعتمد على القوة العملية الواقعية على شواطئه، ومدى تعاونها أو تعارض مصالحها، وفي الوقت الحاضر تبدو أمريكا هي الواقع العملي الذي يبسط نفوذه على الخليج، وعلى مضيق هرمز، وقد أثبتت الحرب العراقية الإيرانية هذا الواقع.

الفصل الخامس

احتمالات الحروب مع إيران

كشف توتر العلاقات بين إيران ومخالفيها من الدول، احتمالات الصدام العسكري بينهما، خاصة ما لاح بعد الثورة الإيرانية من تهديدات علنية بين المسؤولين الإيرانيين والأمريكان أو بين الإسرائيليين والإيرانيين، كما تهدد إيران دول الخليج إذا تعرضت لأي هجوم أمريكي أو إسرائيلي. والسؤال المطروح: إلى أي حد تصبح تلك التهديدات واقعة أو قريبة الحدوث؟

إن سلوك إيران في علاقتها مع أمريكا والغرب عمومًا سلوك يثير الخوف في مشروع إيران النووي، والأخطار المتوقعة في المستقبل من هذا المشروع، والذي تتخوف منه إسرائيل كثيرًا، وتعد له عدة الحرب، كما أن سلوك إيران وتدخلاتها في دول الخليج وكل من العراق والشام ولبنان واليمن تثير الدول العربية، ويطرح التساؤل عن كيفية إيقاف إيران عن تلك التدخلات، التي أصبحت في العراق والشام تدخلات عسكرية واضحة.

احتمالات الحرب بين إيران وأمريكا:

ذكر الكاتب كينيث ار.تيمرمان في كتابه العد العكسي للأزمة المواجهة النووية المقبلة مع إيران في تقرير لجنة أحداث ١١ سبتمبر: أن كبير المسؤولين في القاعدة المتواجد بالسودان، حافظ على اتصالاته بمنظمة حزب الله، المصنفة عالميًّا بالإرهابية، والمدعومة من إيران، والتي يقع مقرها الأساس في جنوب لبنان وبيروت، وكان أعضاء القاعدة يتلقون التدريب والنصائح من حزب الله، وقد أشارت المخابرات إلى استمرار الاتصالات بين المسؤولين الأمنيين

الإيرانيين ورجال القاعدة، بعد عودة بن لادن إلى أفغانستان، وقد صرح خلاد بأن إيران بذلت جهودًا حثيثة من أجل تعزيز العلاقات مع القاعدة، بعد هجمات أكتوبر ٢٠٠٠م على المدمرة الحربية الأمريكية (يو اس اس كول)، وقد ذكر خلاد وغيره من الموقوفين بأن إيران سهلت مهمة مرور رجال من القاعدة عبر إيران إلى أفغانستان، وأيضًا عبور بعض أفراد القاعدة الذين سيصبحون المنفذين للهجمات من إيران إلى الكويت، وأيضًا آخرين من إيران إلى البحرين، باختصار بأن هناك دليلًا قاطعًا بأن إيران سهلت عبور أعضاء القاعدة من أفغانستان وإليها قبل ١١ سبتمبر، وأن بعض هؤلاء كانوا من منفذي الهجمات، ولا يمكنني أن نستبعد إمكانية حصول ذلك عن طريق الصدفة المحضة، وما من دليل على أن إيران أو حزب الله كانا على علم بالمخطط الذي أصبح فيما بعد أحداث ١١ سبتمبر. وبعد أحداث ١١ سبتمبر تمنت إيران وحزب الله إخفاء أي دليل سابق على تعاونهما مع الإرهابين السنة، المتصلين بالقاعدة. ونفى مسؤول كبير في حزب الله أي تورط للحزب في أحداث ١١ سبتمبر[١]، ويؤكد الكاتبان هاني نسيرة ومحمد الشافعي في كتابهما (رجال القاعدة في إيران) العلاقة الوثيقة بين رجال القاعدة وإيران، حيث سلكت القاعدة مسلك الجماعات الإيرانية، وحزب الله في قيامهم في العديد من التفجيرات ضد المصالح الأمريكية، في كل من لبنان والعراق والأرجنتين، وذكرا الوقائع والدلائل التالية على تلك العلاقة:

١- تشير مجموعة وثائق ابوت اباد التي استولت عليها القوة الأمريكية في مكان مقتلها لبن لادن، والتي تدور حول مراسلات بين بن لادن وأعضاء من القاعدة، يقول لهم فيها: إن إيران على الرغم من تشيعها فهي لم تخرج من ملة الإسلام، كما هو في رأيه خروج حكومات العرب من ملة الإسلام إلى الكفر، المؤدي إلى استباحتهم، كما يؤكد بن لادن فيها

(١) كينث ار.تميرمان: (العد العكسي للأزمة المواجهة النووية المقبلة مع إيران)، ص٤٢٩ وما بعدها، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ٢٠٠٦م.

بوجوب مهادنة إيران، وعدم المساس بها، لأنها المكان الآمن للقاعدة، ومرور الأشخاص والأموال عبرها، وأنها أوت كثيرًا من أعضاء القاعدة الفارين من أفغانستان، وفيهم ٢٤ فردًا: نساء ورجالًا من أسرة بن لادن.

٢- كما يبدو أن أهداف القاعدة وأهداف إيران تلتقيان خاصة في معادة أمريكا ومعاداة أكثر الحكومات العربية، وأنه ربما كان يتوقع قيام أمريكا بمحاربة إيران.

٣- لقد فهم رجال الحكم في إيران منهج القاعدة القريب لأهدافهم، ولذا لم تقم إيران بمهاجمة القاعدة، كما أن القاعدة ودولة الخلافة الإسلامية في الشام والعراق لم تهاجما إيران[١].

٤- حكمت محكمة نيويورك على إيران بتعويض أمريكا ١٠ مليارات دولار ونصف، بصفتها تعويضات لضحايا ١١ سبتمبر، بسبب اتهامها لبعض المشاركين من القاعدة في أحداث سبتمبر، بأن أعضاء من الحكومة الإيرانية قد سهلوا لهؤلاء الأعضاء من القاعدة المرور والتنقل وعدم ختم جوازاتهم عند خروجهم الحدود، كما أثبتت المحكمة التقاء عماد مغنية المسؤول في حزب الله لبعض المنفذين لأحداث ١١ سبتمبر، كما أثبت أيضًا التقاء مغنية في السودان عام ١٩٩٣م ببعض تلك العناصر من القاعدة، وأن إيران قد هيأت لهم مكانًا في خرسان للتدريب على الأعمال الحربية.

٥- تكشف وثيقة التحقيق في أحداث سبتمبر وجود خيوط لعلاقة بين بعض منفذين من القاعدة، وخاصة خالد الشيخ، ورمزي ابن شيبة،

---

(١) هاني نسيرة، ومحمد الشافعي: كتاب الشرق الأوسط (رجال القاعدة في إيران)، ص١٥ وما بعدها، كتاب الشرق الأوسط.

وجمال الفضل السوداني، المدير المالي لبن لادن، علاقتهم بعماد مغنية، وبعناصر في إيران، وأن إيران ربما كانت على علم بأن القاعدة كانت تحضر لأمر ضد أمريكا.

٦- تتهم إيران بتسهيل دخول وخروج أكثر من ثماني مئة عضو من القاعدة عبر ما سمي بخط الجرذان، حيث اُتهم محسن رضائي وهو من رجال حكومة إيران بالأشراف على تلك الأنشطة، وان ابن شيبة وهو أحد منفذي عمليات ١١ سبتمبر بدخوله إلى إيران.

٧- والذي يبدو لنا عدم وجود دليل مباشر على مشاركة إيران في أحداث ١١ سبتمبر، وكل ما ذكر من أدلة تدور حول تسهيلات بإقامة أو مرور رجال القاعدة من إيران إلى غيرها، وقد استعرض صاحب الكتاب المذكور أسماءً كثيرة من رجال القاعدة، وذكر أن بعضًا منهم قد أقام بعض الوقت في إيران، أو مر بها في معرض أنشطته، والملاحظ في التحقيقات السالفة محاولة شمول ليس فقط رجال القاعدة، وانما جميع من يعدون رؤساء للحركات الإسلامية، وهذا الاتجاه اتضحت صورته في الخلاف القائم اليوم فيمن يعدو من الحركات الإرهابية خاصة في الشام، حيث تتجه أمريكا وروسيا وإسرائيل بتوسيع دائرة الاتهام بالإرهاب والتطرف لأكثر الحركات الإسلامية والمقاتلين للنظام السوري اليوم، ومما لا شك فيه أن هذا التوجه ينطوي على أهداف سياسية لكل من الأطراف المتنازعة[1].

بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م بدت إيران متفقة مع أمريكا في محاربة الإرهاب، وفي سياستها في أفغانستان، ومع ذلك كانت أمريكا تضغط على إيران بوصفها محورًا للشر، وتحاصرها اقتصاديًّا بسبب ملفها النووي، كما تختلف

(١) هاني نسيرة، ومحمد الشافعي: (رجال القاعدة في إيران)، المصدر السابق، ص٣٩ وما بعدها.

إيران مع أمريكا في شأن علاقة إسرائيل بالفلسطينيين، وكذلك علاقتها بحزب الله اللبناني، الذي اعتبرته أمريكا حزبًا إرهابيًّا.

وقد أيدت أمريكا في عهد بوش سنة ٢٠٠٢م التظاهرات الطلابية في طهران، المطالبة بإسقاط حكومة الثورة، وعند احتلال أمريكا للعراق سنة ٢٠٠٣م خافت إيران من أن يمتد الاحتلال إليها والحرب عليها، بوصفها في نظر أمريكا محورًا للشر، ولهذا عمدت إيران إلى تسهيل احتلال أمريكا للعراق، والتدخل لدى شيعة العراق بعدم مقاومة المحتلين، اتضح ذلك من سلوك فتوى المرجع السيستاني، وكذلك من تصرفات الميليشيات العراقية المدعومة من إيران، كما عمدت إيران إلى التوقيع على البروتوكول المتعلق بتفتيش مراكزها النووية، كل ذلك لتفادي الحرب والصدام مع أمريكا، ذهب سيمور هيرش الكاتب والمحقق الصحفي، الذى يكتب بانتظام في دورية النيويورك بأن أمريكا كانت تخطط للحرب على إيران منذ ٢٠٠٣ في عهد جورج دبليو بوش، وقد دعا علنا وبوضوح إلى تغير النظام في إيران. تقول التقارير: إن ديك تشيني نائب الرئيس أعد خطة في عام ٢٠٠٥م للحرب على إيران، تشمل استخدام الأسلحة النووية، كانت الخطة تقضي بنشر ٢٠٠ قاصفة إستراتيجية ضد ١٠ آلاف هدف، قدر فيها قتل ٢ مليون شخص في وقت قصير[١]، ضغطت أمريكا على إيران لإيقاف تخصيب اليورانيوم على الرغم من تعهدات إيران بأنها لا تسعى لامتلاك القنبلة النووية، وأن برنامجها برنامج مدني فقط. وقد انتهت الخلافات المتعلقة بتخصيب اليورانيوم إلى عقد اتفاقية بين أمريكا وإيران سنة ٢٠١٦م، شاركت فيها الدول الأوروبية الخمس، تقيد هذه الاتفاقية إيران بتخصيب اليورانيوم بنسبة ضئيلة، لا تسمح لها باستخدامها لأغراض عسكرية، وقيدت إيران بالتفتيش على جميع

(١) إلهه روستامى: (تأثير إيران ونفوذها في المنطقة)، ترجمة: د. فاطمة نصر، إيران، ص٢٨٩ وما بعدها.

منشأتها النووية، ويبدو أيضًا أن أمريكا قد أطلقت يد إيران السياسية في كل من العراق والشام، وأن تلتقي معها في محاربة الإرهاب، الذي يفسره كل طرف بما هو في صالحه، وتبدو أمريكا مرحبةً بمشاركة إيران في حربها المستعرة الآن في غرب العراق، وفي كل من الرمادي وديالي والانبار والفلوجة والموصل، وجميعها مناطق سنية، يسعى شيعة العراق وإيران لطردهم منها وإحلال الشيعة محلهم. وعلى ضوء ذلك تبدو نذر الحرب بين إيران وأمريكا بعيدة في الوقت الحاضر. وقد نجحت روسيا وبمساعدة من إيران التدخل في سوريا، وأقامت قواعد عسكرية لتحقيق حلمها في الوصول للمياه الدافئة في سواحل البحر الأبيض المتوسط، وقد فهمت روسيا وإيران أن أمريكا فيما يبدو قد سحبت نفوذها من هذه المنطقة[1]. يقول راي تاكيه: إن المستشار الأسبق لشؤون الأمن القومي الأمريكي (زبغنيوبر ينسكي) قد حذر لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الأمريكي من تكرار محاولات تلفيق تقارير مخابرات، بوصفها أدلة لتبرير ضرب إيران، كما حدث في الورطة الأمريكية في العراق على حد قوله، ويقول: إن الولايات المتحدة تدرك أن إيران تقوم بتسليح جماعات مختلفة داخل العراق، وتدرك أن إيران كانت المستفيد الأول مما حدث في العراق، وهو ما زاد نفوذها خارج العراق. وكما يرى الكاتب أن إيران تحاول احتواء النفوذ الأمريكي في المنطقة بخطين متوازيين، أولًا: مواجهات تكتيكية محدودة الأمد، ومحدودة المساحة داخل العراق. كما يقول تاكيه: يصعب الاستبعاد التام لسيناريو الحرب بالوكالة عن طريق إسرائيل، وذلك للأخطار التي تنطوي على ذلك، حسب المعطيات السياسية في واشنطن أو في منطقة الخليج، وحجم التهديدات التي تتعرض لها المصالح القومية الأمريكية في الخليج أو في إسرائيل نفسها، إذا أقدمت بالقيام بالحرب بالوكالة. شن حرب

(١) شاهرام تشوبين: (طموحات إيران النووية)، ترجمة: بسام شيحا، ص١٩٣، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، بيروت، ٢٠٠٧م.

أمريكية من شأنه أن يفتح الباب للمواجهة، يمتد أثره من باكستان إلى لبنان، مرورًا بمنطقة الخليج العربي ضد الولايات المتحدة[١].

نسبة للظروف الإقليمية في المنطقة المتهيئة لكل ما هو جديد، التي ساعدت فيها عوامل كثيرة، منها ثورات الربيع العربي، والسياسة الدولية، والتنظيمات المسلحة، وما أدراك ما القاعدة وداعش وخرسان. نسلط الضوء على هذه التنظيمات، وكيفية نشأتها، وما هي الظروف التي أوجدتها وما هي الجهات التي تقف خلفها، ومن المستفيد من النتائج التي تحدثها هذه التنظيمات، يقول أسعد العزَوني في كتابه (خرسان الطريق إلى إيران): إن الثلاثية الإرهابية المجرمة بعيدة كل البعد عن الإسلام، وهي يهودية الطابع، وإن كانت تظهر على قادتها السمات الإسلامية من إطلاق اللحية، ويرتدون الزي الإسلامي، ويعتلون المنابر، ويلقون خطب الجمعة، ويكثرون من الحديث عن الإسلام، فهذا مظهر ديني لا بد منه، لإيجاده الدور المرسوم لهم بنجاح، ويرجع جذور هذه التنظيمات إلى مشروع الشرق الأوسط الكبير، الذي اهتدى إليه اليهود والأمريكان، وصاغه إليهم الصهيوني الحاقد د. بيرنارد لويس ورسم مخطط لمنطقة الشرق الأوسط بشقيه: العربي والإسلامي، ويقضي هذا المشروع كما هو معروف للقاصي والداني بتقسيم الدول العربية والإسلامية إلى كانتونات صغيرة، وتكون جميع الكانتونات مربوطة بالكيان الصهيوني في تل أبيب، حسب قوله، وكذلك تأسيس جامعة بديلة للجامعة العربية، اسمها جامعة الشرق الأوسط، تحتل فيها مستعمرة إسرائيل موقع المؤسس والمرجعية الرئيسة، وفى تلك الظروف انفجر الصراع الأمريكي السوفيتي، وفى خضم هذا الصراع تولدت القاعدة وهي جماعات كانت تقاتل باسم الإسلام بقيادة السعودي المرفه أسامة بن لادن على حسب قول الكاتب، وسمت نفسها القاعدة، وكانت القاعدة طريقًا قذرًا لتصريف

(١) راي تاكيه: (إيران الخفية الشطرنج السياسي)، المصدر السابق، ص٣٨.

طاقات الشباب العربي والمسلم، والأهم من ذلك أن الإسلام السياسي الذي تحالف مع الامبريالية الأمريكية نجح في تفريغ محيط فلسطين العربي، ناهيك عن الثروات العربية الهائلة التي صرفت في أفغانستان، دعمًا لأمريكا من أجل هزيمة السوفييت، وكما يرى الكاتب أنه لكي تسهل عملية الدخول في الحرب دبر اليهود واليمين الأمريكي مسرحية هزيلة، وهي ضرب برجي التجارة والبنتاجون في أحداث ١١ سبتمبر، والمسرحية السيئة الإخراج وهي عملية محاصرة الرئيس بوش في الجو، وكان الهدف من هذه الجريمة الإرهابية مزدوجًا، حيث أراد اليهود زج أمريكا في الحرب في الشرق الأوسط، وذلك بسبب ضغطها عليهما من أجل الوصول لحل للقضية الفلسطينية، كما أراد اليمين الأمريكي، الذي شاركهم التنفيذ والتخطيط، أراد تقسيم الولايات المتحدة حتي يتخلص من ولايات الجنوب الفقيرة، ويضيف الكاتب آن الأوان لفتح الصفحة الجديدة من المؤامرة، وهي فك التحالف مع الإسلام السياسي، وتصنيفه بوصفه عدوًّا بتنفيذ الجريمة من أجل تنفيذ الهدف الصهيوني التالي، وهو تأليب الغرب المسيحي وفي مقدمته أمريكا على الإسلام لتعميق الشرخ بين الغرب والمسلمين، وتأكيدًا لنظرية صدام الحضارات، التي ابتكرها هننغتون، وفي الوقت الحاضر يسعى أعضاء من مجلس النواب والشيوخ لاستصدار قانون، يسمي قانون المواجهة مع الإجراءات الإيرانية، بهدف فرض مزيد من العقوبات ضد إيران، يعد مشروع القانون الجديد الحرس الثوري الإيراني وفيلق القدس مؤسسة إرهابية، وهناك تخوف من أن تعمد إيران إلى الرد واعتبار بعض الجيش الأمريكي في كل من العراق وسوريا جيش إرهابي.

احتمالات الحرب مع دول الخليج:

سبق أن بحثنا العلاقات بين دول الخليج وإيران خاصةً بعد الثورة الإيرانية، وأنها اتسمت بما تسميه إيران بتصدير الثورة إلى دول الخليج والدول

العربية، وأوضحنا تفاصيل تدخلات إيران في سياسة تلك الدول، وقد اتسمت العلاقات بين التوتر والانفراج عمومًا في عهد محمد خاتمي، ومن الواضح أن إيران قد سعت إلى مد تعاونها الاقتصادي بقصد الاستفادة والهروب من مقاطعة أمريكا لها. وقد سعت أيضًا إلى استخدام شيعة دول الخليج لتحقيق أغراضها السياسية، وهو أمرٌ ترفضه دول الخليج. وتتنافس إيران مع المملكة العربية السعودية على زعامة العالم الإسلامي، وتسعى إلى استخدام موسم الحج في كل سنة، لرفع شعاراتها السياسية، ومطالبة المملكة بإشراكها في تنظيم موسم الحج. وفي خضم توتر العلاقات بين الطرفين قام متظاهرون في كل من طهران ومشهد بمهاجمة البعثات الدبلوماسية السياسية، مما أدى بالسعودية إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران، وتبعتها بعض دول مجلس التعاون، كما استمرت إيران في احتلال الجزر الإماراتية الثلاثة، كما يمثل مشروع إيران النووي وخاصة ما يتعلق منه ببناء محطات نووية على الساحل الإيراني، المقابل لدول الخليج، كل ذلك إضافة إلى التدخل العسكري الإيراني في كل من العراق والشام ولبنان واليمن.

جميع هذه الصراعات تفرض التساؤل: متى تأتي نقطة الصِّدام بين دول مجلس التعاون وبين إيران؟ تبدو إيران غير مهتمة بما تفكر به دول الخليج، طالما أنها قد أرست علاقتها مع أمريكا والغرب باتفاقيتها حول مشروعها النووي، كما أن أمريكا لم تعد مهتمة كثيرًا بالمنطقة، ولا ترغب بإحداث مواجهة عسكرية مع إيران، وتطلب أمريكا من دول الخليج أن تتفاهم مع إيران مباشرة، وأن تحل مشكلاتها دون أي تدخل من أمريكا[١]. ومع تعاظم تسليح إيران خاصة بالقوة الصاروخية بدت إيران أكثر اندفاعًا في سياستها ضد دول مجلس التعاون وخاصة السعودية، فقد أقدمت سياستها على إضعاف دول الخليج، وذلك بإسقاط قوة

(١) د. فاضل طلال العامري: المصدر السابق، ص٣٩ وما بعدها.

العراق وتدخلها فيه، وكذلك بتأييد نظام الأسد في سوريا وجلبها وتعاونها مع روسيا لإنقاذ حكومة الأسد من ثورة الشعب السوري، وهذه السياسة الإيرانية تعمد إلى إضعاف المملكة العربية السعودية خاصة في سلبها القوة العربية المحيطة بها، كما هو الشأن في سياستها في اليمن، ومد الحوثيين بالأسلحة، الأمر الذي لم تجد السعودية أمامها غير مجابهة هذه السياسة في اليمن بالقوة، عن طريق عاصفة الحزم، وتجميع تحالف في حرب اليمن، كما تحاول المملكة في السعي لتأييد موقفها من قبل مصر وتركيا، كي تقف ضد النفوذ الإيراني المتعاظم في المنطقة. والحقيقة أن هاتين الدولتين كانتا على مر التاريخ نقطة التوازن والصراع ضد النفوذ الإيراني منذ القدم، أشرنا إلى تفاصيله فيما سبق من استعراض العلاقات بين إيران والدولة العثمانية، وبين إيران وكل من التتار ودولة المماليك بمصر، التي أوقفت زحف التتار، ثم الصليبين والإيرانيين في المنطقة، في وقت كانت فيه الجزيرة العربية صحراء لا أمل للغزاة فيها، ولكنها اليوم أصبحت مطمعًا لكثير من القوى، ومنها روسيا التي بدأت تدير الحرب ضد الثوار السوريين بتحالفها مع إيران والمليشيات الشيعية العراقية واللبنانية، فإلى أي حد يصل الانسجام بين روسيا وإيران من جهة، وتركيا من جهة أخرى، حيث يبدو أن المستقبل يحيطها بكثير من الغموض، بعد تداخل مصالح كثيرة للدول المنغمسة في هذا الصراع، وقد سعت المملكة العربية السعودية إلى تكوين تحالف عربي وإسلامي واسع من كثير من الدول، التي شاركت في مناورات عسكرية واسعة في الشمال، لفرض رؤيتها واستعدادها، إذا ما قامت قوى الشر بأي حرب.

احتمالات الحرب بين إيران وإسرائيل:

سبق أن استعرضنا العلاقات اليهودية مع إيران، ثم جهود الحركة الصهيونية في إيران حتى قيام إسرائيل، وأوضحنا كيف أن إسرائيل ساعدت إيران في عهد الشاه في الأوجه الزراعية والاقتصادية، كما أوضحنا علاقة

الطرفين في أثناء الحرب العراقية الإيرانية، وأن إسرائيل كانت تمد إيران بالأسلحة والعتاد، وتبادلها إيران بالنفط، هذا من الناحية العملية، أما من ناحية التصريحات من الجانبين، فكلاهما يرفع وتيرة التهديد بالحرب، حتى بات كثير من المراقبين على قناعة بأن الحرب بين الطرفين أمر وشيك الوقوع. وسبق أن أوضحنا رأي تريتا بارسي الذي أصبح أستاذًا في جامعة جون هوبكنز، ومديرًا للمركز القومي للعلاقات الأمريكية الإيرانية، في كذب (الأسطورة الزائفة) بوجود التنافس بين إسرائيل وإيران، والذي كشف العلاقات السرية بين حكومة الثورة الإيرانية، وتعاون إسرائيل معها بأشكال ملتوية ومخادعة، حتى للسياسة الأمريكية[1]، وتبين أن سياسة الثورة الإيرانية المعلنة في التصريحات النارية ضد إسرائيل إنما هي غطاء يستر وراءه العلاقات السرية الحميمة، وتعاون الطرفين على إخضاع أفغانستان والعراق. ويخالف بعض المراقبين السياسيين هذه الحقيقة، ويرون أن إسرائيل تنظر بعين الجد والقلق إلى برنامج إيران النووي، وأن إيران تسعى إلى صناعة القنبلة الذرية، وأنها قد تصبح يومًا من الأيام مهددةً لإسرائيل، وما على إسرائيل إلا الوقوف أمام إيران، والحيلولة بينها وبين التوصل لهذا التهديد، وهذا يعني ضرورة تبني ضربة عسكرية استباقية، تجهض سير إيران نحو هذا الهدف.

تتبنى إسرائيل سياسة الضربات الوقائية والاستباقية، لأي تهديد محتمل، كما فعلت في حرب ١٩٦٧م، وفي ضرب المفاعل العراقي سنة ١٩٨١م قبل أن يرى النور، كما تتبنى السياسة الإسرائيلية مفهوم التفوق للردع. ويمكن أن نتساءل إلى أي حد تكون إسرائيل قلقة من مشروع إيران النووي، خاصة بعد أن حيدت إسرائيل قوى الجوار حولها بالمعاهدات أو بالحرب. ولهذا فقد سعت إسرائيل

(١) د. فاضل طلال العامري: الطريق إلى الحرب، ص٣٥ وما بعدها، هلا للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١م.

وحلفائها إلى تقييد وعزل إيران عن إتمام مشروعها النووي، وغاية ما يسمح لإيران ألا يحصل منها ما يهدد أمن إسرائيل. فمن المحتمل القول بأن إسرائيل سوف لن تعمد إلى ضرب إيران، إلا حينما تتحقق لإيران القوة النووية المجابهة لإسرائيل، وعلى هذا الأساس، فمن المستبعد في الظروف الحالية حصول أي مواجهة عسكرية بين إيران وإسرائيل. واتجهت إسرائيل إلى تكوين منظومة صاروخية منتشرة في عدة مناطق، وظيفتها تدمير أي هجوم صاروخي ضدها، بعدما أخذت الدرس من صواريخ العراق، التي ضربت إسرائيل في أثناء حرب ١٩٧٣م، ويرى بعض المراقبين أن في هذه المنظومة ردعًا لإيران، إذا ما قامت بأي هجوم صاروخي نووي، مع كونه بعيدًا في الوقت الحاضر. وقد كُشف مؤخرًا قيام إسرائيل بتزويد غواصاتها في الخليج بصواريخ قادرة على تحطيم منشآت إيران النووية. وترى إسرائيل أن من مصلحتها قيام دول الخليج العربي بأي جهود عسكرية تقوم بتحييد القوة الصاروخية الإيرانية، كبث منظومة باتريوت، التي تتصدى للصواريخ وهي في الجو. وعلى هذا الأساس احتمالات الحرب في المستقبل تتعلق باستكمال إيران لمشروعها النووي، وحصولها على القنبلة النووية المهددة، وفي هذه الحالة فسيكون العالم أمام خيارين: إما أن تقبل أمريكا إيران شريكًا لها في رسم السياسة في الشرق الأوسط، وفرض إرادة إيران على كل من إسرائيل والعرب، وإما أن يحصل خيار الحرب بين الطرفين، فإسرائيل لا تستطيع وحدها محاربة إيران دون مشاركة من أمريكا، وهذا يعني إذا ما رضيت أمريكا بإدخال إيران كشريك في رسم سياسة الشرق الأوسط، فهذا يعني أيضًا موافقة إسرائيل هي الأخرى أن تصبح شريكة لإيران في هذا الغرض. وإذا ما حصلت ضربة عسكرية ضد إيران، فستكون دول الخليج المتضرر الأكبر مما سينالها من تدمير مباشر على بعض سواحلها، إضافة إلى الضرر المتعلق بتوقف تصدير النفط من هذه المنطقة الحيوية. ولهذا فإن دول الخليج لا تشجع ضرب إيران، ولا تسعى إلى ذلك، وليس أمامها في الوقت الحاضر من خيار

إلا القبول بحصول توازن للرعب النووي، المتمثل بتواجد النفوذ الأمريكي في الخليج، ولا تثق دول الخليج بأن أمريكا وإسرائيل قادرتان على استيعاب الآثار المدمرة بعد القيام بضرب إيران. ومن هنا يبدو أن الخيار الأفضل هو السعي إلى تغيير السلطة المتعصبة من الداخل، ومشاركة الإيرانيين أنفسهم بإنقاذ بلادهم من دمار واسع، لا يعرف أثره في المستقبل. ويبدو أن خيارات المستقبل ليس بيد دول الخليج العربي، وإنما ستكون بيد أمريكا وإسرائيل، وعندها ستكون المنطقة في خيارين أحلاهما مرٌّ، فإن تُركت إيران لحالها سعت إلى التوسع، والتدخل في المنطقة شيئًا فشيئًا، وإن ضُربت إيران عسكريًّا بواسطة إسرائيل وأمريكا، فإن الفوضى ستعم المنطقة، ويصعب السيطرة على الآثار التي ستحدث بعد ذلك[1]، ومن هنا يتبين أن أفضل السبل هو انهيار الحكومة الإيرانية من الداخل، وتجنيب الشعب الإيراني أيضًا كوارث لا تحمد عقبها.

(١) د. فاضل طلال العامري: الطريق إلى الحرب، ص١٣١ وما بعدها، هلا للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١م.

الفَصْلُ السَّادِسُ

تدخلات إيران في البلاد العربية وتصدير الثورة

اتسمت سياسة وزارة خارجية الثورة الإيرانية بمراحل عدة، مرت بها، وكل مرحلة لها سماتها من حيث أسلوب التدخلات الإيرانية ووسائلها، التي تتراوح بين سياسة التيار الديني المتشدد والمحافظ، وبين التيار الإصلاحي المسالم، وعمومًا فقد عانت سياسة وزارة الخارجية من تناقضات عدة، سببها تشابك التيارات الحاكمة، وتصادمها داخل الحكومة الإيرانية، فمثلًا حينما أفتى المرجع الديني بتكفير الكاتب البريطاني سلمان رشدي عن كتابه (آيات شيطانية)، أظهرت فتوى أخرى بعد وفاة الخميني، بالتراجع عن تلك الفتوى، ومثل ذلك ما ارتبط بالعلاقة مع دول الخليج وخاصة السعودية في عهد محمد خاتمي وزيارته إلى المملكة العربية السعودية، من مظاهر السلم والصادقة عمومًا، ودفع إيران مبالغ طائلة على أساليب الدعاية والإعلان ونشر المذهب، ويتبعها كثير من القنوات التلفزيونية، أو أنها تمد تلك القنوات بالرعاية والمال من أجل خدمة أغراضها في نشر أفكارها المذهبية، ومن تلك القنوات: قناة المنار اللبنانية، وهي قناة حزب الله اللبناني، الذي تدعمه إيران، إضافة إلى قنوات الأنوار الأولى، والأنوار الثانية، والمعارف -فورتين- وقناة المهدي، وقناة فدك، والفرات، وبلادي، وكربلاء، والثقلين، والغدير، والأوحد، والعهد، والكوثر، والمسار، والسلام، والمسار الأولى، والكوت، والعلم، ومجموعة العراقية، والفرقان، وطه، والسلام، وبريس تي في، والاتجاه، وهدهد للأطفال، وقناة الأفلام، وهادي للأطفال، وقناة الولاية، وقناة المصطفى، والإمام الرضا، والصراط الفضائية،

والنعيم الفضائية، وغيرها من القنوات، وبهذا تلتقي هذه الأدوات الإعلامية مع التوجهات الخارجية في الجانب الثقافي أو مشروع تصدير الثورة، وأيضًا تدخلات إيران الظاهرة، التي لا تخفيها في الأجهزة الرسمية للدولة، مثل مؤسسة الرئاسة، والوزارات، والمؤسسات الحكومية العراقية. ونذكر من هذه الأمثلة على تدخلات إيران في الانتخابات البرلمانية (الجمعية الوطنية) في ٢٠٠٥م، التي فازت بها أغلبية شيعية، المتمثلة في المجلس الأعلى الذي يقوده عبدالعزيز الحكيم، ويدعمه المرجع الشيعي الأعلى في العراق آية الله السيستاني، قد فاز ١٤٠ مقعد، وكذلك فازت القائمة العراقية التي يقودها رئيس الوزراء الشيعي إياد علاوي ٤٠ مقعدًا، كما فازت قائمة النخب والكوادر الوطنية المستقلة، التي يدعمها التيار الصدري ٣ مقاعد، وكذلك فازت منظمة العمل الإسلامي في العراق بمقعدين، ليبلغ عدد المقاعد التي فازت بها القوى الشيعية ١٨٥ مقعدًا من إجمال عدد المقاعد البالغ ٢٧٠ مقعدًا، لتتنافس بقية التيارات الأخرى فيها، وكان من مهام تلك الجمعية تشكيل حكومة مؤقتة، وصياغة دستور دائم للبلاد، وحسب النظام البرلماني أن الذي يفوز بأغلبية المقاعد، يستطيع السيطرة في الحكومة، ومن هنا كان تشكيل الحكومة لصالح القوة الشيعية، التي ذهبت أغلب الوزارات السيادية إليها، بالإضافة إلى صياغة دستور مفصل حسب الطلب والرغبة الإيرانية، وصار أمر الحكم في قبضة رجال الشيعة، الذين عاش أغلبهم في إيران، بل وإن كثيرًا منهم إيراني الجنسية، ومن أهم هذه الشخصيات التي رسمت اسمها على اللوحة العراقية النازفة، نذكر منهم:

١- هادي فرحان العامري، رئيس لجنة الأمن والدفاع.

٢- محمد حسين صالح الحسيني، كان يعمل في فيلق بدر في إدارة التخطيط والمشروعات، ولا يزال قياديًّا فيه.

٣- عبدالكريم عبد الصاحب محمد، يعمل في قوات الحرس الثوري، منذ تاريخ ١٩٨٣م.

٤- داغر جاسم كاظم، عضو في قوات الحرس الثوري برتبة عميد، وهو متخرج من كلية القادة والأركان، التابعة للحرس الثوري في طهران.

٥- حسن راضي كاظم الساري، أمين عام حركة حزب الله العراقي.

٦- محمد راج علوان المرزوق، هرب إلى إيران عام ١٩٨٦م، بعد أن كان في الجيش العراقي قائدًا في أثناء الحرب العراقية الإيرانية، والتحق بقوات الحرس الثوري الإيراني.

٧- قاسم عطية الجبوري، وهو ضابط في الحرس الثوري الإيراني.

والقائمة تطول بالأسماء بالإضافة إلى العلماء الدينيين، أمثال (آية الله السيستاني)، الذى ولد بخرسان عام ١٩٣٠م، ثم التحق بالنجف منذ العام ١٩٥١م، حتى أصبح خليفة لأستاذه أبي القاسم الخوئي عام ١٩٩٢م، وهو يحمل الجنسية الإيرانية، وغيرهم كثير في مؤسسات الدولة العراقية[١]، فقد مرت السياسة الخارجية الإيرانية بمراحل عدة لكل مرحلة سماتها، ويمكن إيجازها فيما يلى:

المرحلة الأولى: هي المرحلة التي بسط فيها الاتجاه الليبرالي الإصلاحي، الذي اعتمد فيها على سياسة حسن الجوار مع الدول والحكومات الأخرى (١٩٧٩-١٩٨٠م).

المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي وصفت بالراديكالية المتشددة، والتي اعتمد فيها التيار الراديكالي على أسلوب التعامل مع الشعوب دون الحكومات، وهي فترة الحرب العراقية الإيرانية في عام (١٩٨٠-١٩٨٨م)، وعلى مدى هاتين المرحلتين اللتين امتدتا من (١٩٧٩-١٩٨٨م) انضمت إلى الدبلوماسية أربع مجموعات ثورية للعمل الدبلوماسي، وهي كما يلي:

---

(١) الفنجة هاشم داود: المصدر السابق، ص١٢٥-١٥٧.

١- مجموعة الإمام الخميني، وهم الذين قاموا بالاستيلاء على مقر السفارة الأمريكية عام ١٩٧٩م، وقاموا باعتقال الرهائن، وكان معظم هؤلاء من طلاب الجامعة، منهم: حسين شيخ الإسلام، نائب وزير الخارجية السابق. وحسين ملاءك، سفير إيران الأسبق في سويسرا. ومهدى مصطفوي، سفير إيران الأسبق في ألمانيا.

٢- أنصار منظمة مجاهدي الثورة الإسلامية، التي كان على رأسها المهندس بهزاد نبوي، وزير الصناعة الأسبق، وضمت أغلب المتشددين، مثل: مير محمود موسوي، شقيق المهندس حسين موسوي رئيس الوزراء ووزير الخارجية الأسبق. ومحمود واعظي، مساعد وزير الخارجية للشؤون الأوربية والأمريكية. وحسين موسيان، الذي عمل سفيرًا بألمانيا.

٣- مجموعة أبناء الفقهاء وكبار التجار، وكان من بينهم: علي محمد بشارتي، وزير الداخلية الأسبق، وعمل وكيلًا لوزارة الخارجية. وحجة الإسلام هادي خسرو شاهي، عمل سفيرًا في الفاتكان. ومحمد كاظم خوانساري، عمل مشرفًا على دائرة شمال أفريقيا والشرق الأوسط. ومحمد هاشمي رفسنجاني، شقيق علي أكبر رفسنجاني، الذي عمل رئيسًا لمكتب لبنان وفلسطين والأردن. ود. كمال خرزاي، وزير الخارجية في تلك الحقبة، وعمل مندوب إيران لدى الأمم المتحدة.

٤- مجموعة الحراس الثوريين والمنتسبين إلى الأجهزة الأمنية، الذين تم عزل الكثير منهم من الخارجية، وبقي البعض منهم، مثل: علي قمي، قنصل إيران الأسبق في جدة. ورسول قصاب، قنصل إيران الأسبق في فرانكفورت. ومحمد حسين فروغي، القائم بالأعمال الأسبق في الكويت. وعباس زماني، قائد الجيش حرس الثورة.

المرحلة الثالثة: وهى مرحلة التوجه المعتدل (١٩٨٨-١٩٩٧م)، وتطبيع السلوك الخارجي، وتزايد تحسين علاقات إيران مع العالم الخارجي، التي كانت فيها علاقتها: إما مقطوعة أو انخفض فيه التمثيل الدبلوماسي، وعمل رفسنجاني إلى خفض مستوى العنف بالخارج، وعملت الخارجية إلى تأمين مصالح البلاد الخارجية، ودعم التعاون الإقليمي، الذى تمثل في إحياء منظمة إكوا للتعاون الاقتصادي، والزيارات التي قام بها رفسنجاني إلى دول عدة، مثل: كينيا والسودان وتنزانيا وأوغندا وجنوب أفريقيا، أو لدول آسيا الوسطى، مثل: طاجيكستان. وأبدت الخارجية الحوار مع دول الاتحاد الأوربي، وقد شاركت الخارجية في المؤتمرات الدولية، وسجلت حضورًا فاعلًا، وضمت بين صفوفها عناصر من اليمين والوسط إلى جانب المتشددين، وكذلك من حولوا انتماءاتهم من التشدد إلى الاعتدال، مثل: محمود واعظي، ومحمد علي هادي نجفي، وأحمد موسويان. وقد سعت إيران خلال تلك التغيرات إلى تحقيق عدد من الأهداف والمصالح، لتأكيد مكانتها على الساحتين الدولية والإقليمية، منها:

أ- تأكيد دورها في المنطقة العربية والخليج العربي، ودعمه.

ب- كسر العزلة الدولية التي فرضت عليها.

ج- الانفتاح على الغرب، وفتح أسواق جديدة لمنتجاتها.

د- الحصول على المساعدات المالية والاقتصادية.

هـ- دعم القوة العسكرية الإيرانية.

و- إثبات دورها الإقليمي بالمشاركة في تسوية المشكلات المتعلقة بها.

المرحلة الرابعة: ما بعد ١٩٩٧م، اتسمت هذه المرحلة بتولي التيار المتشدد المحافظ، الذي قام بسعي حثيث إلى تصدير الثورة والتدخل في العراق والشام

ولبنان واليمن، والانتقال من التدخل السلمي إلى التدخل بالقوة العسكرية[١]، وقد شهد شاهد من أهلها، وهو الكاتب عباس خامه يار في كتابه: (إيران والإخوان المسلمين) قائلًا: «... وأنا عندما أرى انتفاضة الشيعة الإيرانيين، وزحفهم البطيء، ذا النفس الطويل إلى منطقة الخليج والبقاع المقدسة، من حقي أن أضع هذه التحركات في إطارها التاريخي إلى أجواء انتفاضتهم القديمة، وسعيهم الدؤوب إلى إقامة امبراطورية فارسية شيعية، تعيد مجد كورش وقمبيز ودارا على أنقاض مجد سعد بن أبي وقاص، والمقداد، والمثنى بن حارثة، صناديد الفتح الإسلامي لبلاد الفرس، وعندئذ يحق لي أن أتخوف على مستقبل بلادي، لأنني أعرف جيدًا، كم يحن الشيعة إلى استرداد مصر إلى حظيرة التشيع، وأنا عندما أرى طائفة (البهرة) تنفق عشرات الملايين من الدولارات على مقصورة الحسين والسيدة زينب وتجديد مسجد الحاكم بأمر الله، يكون من حقي أن أشعر بالقلق، لأنني أعرف أن البهرة لم ينفقوا هذه الملايين لله، وليس من السذاجة أن ينفقوها لتجديد مسجد لا يصلون فيه. ويربط الكاتب بين الثورة الإسلامية والثورات الشيعية السابقة، محذرًا المسلمين من هذا الخطر، قائلًا: «أينما نظرت في أي صفحة من صفحات التاريخ الإسلامي، فسوف تقف أمام عنوان ثابت اسمه: الانتفاضات الشيعية». تجد ذلك في حركة محمد ذي النفس الذكية بالمدينة المنورة عام ١٤٥هـ، وحركة إخوته الثلاثة: إبراهيم بالبصرة، ويحيى في بلاد الديلم، وإدريس الذي فر إلى المغرب، ونجح في إقامة دولة الأدارسة (١٧٢)، وحركة الحسين بن علي بالمدينة (١٦٩)، وحركة محمد بن إبراهيم والي السرايا بالكوفة (٢٠٢)، وحركة إبراهيم بن موسى الكاظم باليمن

(١) د. بيزن ايزدي: (مدخل إلى السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية)، ص١٢ وما بعدها، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م، عباس خامه يار: (إيران والإخوان المسلمين)، تعريب: عبدالأمير الساعدي، ص٢٠٦ وما بعدها، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.

(٢٠٠)، وحركة عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالله باليمن (٢٠٧)، وحركة محمد بن القاسم ابن عمرو بن علي بن زين العابدين في خراسان (٢١٩)، وحركات متوالية بصفة منتظمة، وبعدها ينذر «وأقول لكم في ختام هذا الحديث ما قلته في صدره: انتبهوا أيها المسلمون إلى ما يدبر لكم في الخفاء، إن التحركات الشيعية تسير وفق مخطط دقيق، يهدف إلى إثارة الفوضى والقلاقل في منطقة الخليج والجزيرة، على أمل أن تسقط في براثن الإمام ....».

تدخلات إيران في اليمن:

إن تدخلات إيران في اليمن أمر قديم منذ عصر ما قبل الإسلام، حيث كان تتجاذبه القوة الساسانية الفارسية، والقوة الرومانية، ممثلة بالحبشة، واستخدم الساسانيون اليهود في اليمن لتثبيت مركزهم وكعيون لهم ضد الدولة الرومانية، كما استخدمت الحبشة الديانة النصرانية للوقوف ضد الفرس واليهود، خاصة في صراع نجران.

إيران والحوثيون:

إن الحوثيين على مذهب الشيعة الزيدية الجارودية، وهو مذهب قديم اختلف مع الزيدية في تأثيم أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حيث ترى الجارودية أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحق بالخلافة منهم، فكانت الجارودية تسب الخلفاء الثلاثة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، على خلاف الزيدية الذين يرون صحة الخلافة، وتقدم الفاضل على المفضول، وبعد مجيئ الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م مدت تدخلاتها في اليمن، فوجدت هذه الثغرة المذهبية التي يلتقي فيها مذهب الشيعة الإثنا عشرية مع الحوثيين، وقد استضافت عبدالملك الحوثي لتدريسه في قم، وبعد رجوعه إلى اليمن وبتأييد من إيران، قام بترتيب الحوثيين وجمعهم، ودفع نفوذهم السياسي داخل اليمن، ثم ضد المملكة العربية السعودية. فقد شهد محمد العوفي أمام

تليفزيون السعودية بأن إيران عن طريق القاعدة تتدخل في الحوثيين محرضةً لهم ضد السعودية. وإيران اليوم تمد الحوثيين بالأسلحة عن طريق التهريب في البحر لاستدامة الحرب مع السعودية، خدمةً للمصالح الإيرانية.

ويرجع النشاط الحوثي الحديث إلى سنة ١٩٨٢م، حيث بدأ صلاح أحمد فليته الذي أسس اتحاد الشباب، وكان محمد بدر الدين الحوثي يدرس هؤلاء الشباب مبادئ الثورة الإيرانية، وفي سنة ١٩٨٨م تجدد نشاط الحوثيين بعناصر من الحكم الإمامي اليمني، والذين كانوا قد التجئوا إلى السعودية بعد ثورة السلال سنة ١٩٩٦م، وكان من أبرزهم مجد الدين المؤيدي، وبدر الدين الحوثي، وفي سنة ١٩٩٠م حين تأسيس حكومة الجمهورية اليمنية، وانتشار حرية تأسيس الأحزاب السياسية، قام شيعة اليمن بتأسيس الأحزاب التالية:

حزب الثورة الإسلامية، حزب الله، حزب الحق، اتحاد القوى الشعبية اليمنية.

وتفرغ حسين بدر الدين الحوثي لتربية الشباب الحوثيين متلقيًا الدعم من إيران أو من قصر الرئاسة. وكان حسين الحوثي يمثل المؤتمر الشعبي العام الحاكم ما بين سنة ١٩٩٣م إلى ١٩٩٧م. ونقل جهوده إلى شباب منطقة حيدان دون ترخيص سماها بالحوزة.

وجمع علماء الحوثيين وحزب الحق، حيث تركزت جهودهم في صعدة. وامتد نشاط الحوثيين إلى مناطق أخرى، أنشؤوا فيها مدارس عدة، وحوزات قاموا فيها بتدريب الشباب على السلاح، بدعوى محاربة إسرائيل، ولكنهم مع الأسف تبنوا نشر أفكار الشيعة الإثنا عشرية، متأثرين بالإيرانيين، وما درسه بعضهم في قم، وقاد الشباب إلى مظاهرات ضد أمريكا حين غزوها للعراق، فقامت الحكومة بإغلاق حوزاتهم وأنشطتهم، فتحولوا إلى حركة سرية عسكرية، خزنوا أسلحتهم في جبال مران، فواجه الحوثيين بعصيان مسلح مدة ثلاثة أشهر،

انتهى بهزيمتهم، وكتابة تعهدات عليهم سنة ٢٠٠٤م، وقد نقل أن الحوثي حسين يتبنى فكرة التمهيد لظهور المهدي المنتظر، كما هو عند الشيعة الإمامية، حيث يلتقي مع التوجهات الإيرانية في الاستيلاء على الحرمين الشريفين ومهاجمة السعودية [١] وقد أثبتت الوقائع قيام الإيرانيين بتدريب الحوثيين وإمدادهم بالسلاح والخبراء. وسعى الإيرانيون إلى تحريض الحوثيين واليمن الجنوبي على الانفصال، كما حرضوا على المطالبة ببعض أجزاء من جنوب السعودية كجيزان وغيرها لضمها إلى اليمن. وقد أثبتت الوقائع قيام إيران بتهريب الأسلحة إلى الحوثيين عن طريق عملائها في كل من جيبوتي وأريتريا. وقد أنهكت ثورات الحوثيين الستة اليمن وإعاقة التنمية والأموال التي بذلتها دول الخليج في إصلاح اليمن، ولما ضاقت المملكة العربية السعودية ذرعًا بتدخلات إيران في اليمن، وتبين أن إيران مستمرة في نهجها التوسعي، لتحقيق حلم الإمبراطورية القديم. قامت السعودية بضرب قوة الحوثيين وجيش عبدالله صالح المتحالف معهم، وتلوح الآن بوادر انتصار التحالف ضدهم[٢].

وقد فضح العوفي وهو من القاعدة في اليمن دور إيران، وتدخلها في مد القاعدة والحوثيين بالمال والسلاح[٣]، وقد أورد كينث ار تيمرمان في كتابه: (العد العكسي للأزمة المواجهة النووية مع إيران) وثيقة إيرانية تقول: «وقد أشار المرشد الأعلى للثورة أنه في اجتماعنا المقبل علينا أن نقوم بتحليل المشكلات الأيديولوجية واللوجستية، التي تعترض بلوغ أهدافنا وتحسين خططنا خصوصًا مع مقاتلي القاعدة وحزب الله...»، كما أورد الكاتب أن عماد مغنية كان هو حلقة بين النظام الإيراني والقاعدة[٤].

---

(١) السيد أبوداود: (تصاعد النفوذ الإيراني في العالم العربي)، ص١٦٧، العبيكان، الرياض، ٢٠١٤م.

(٢) السيد أبوداود: تصاعد النفوذ الإيراني في العالم العربي، ص١٦٤ وما بعدها، العبيكان، الرياض، ٢٠١٤م.

(٣) جميل الذيابي: إيران ورقصة السرطان، ص١٧٥ وما بعدها، مكتبة العبيكان، ط٢، الرياض، ٢٠١١م.

(٤) كنيث آر. تيمرمان: العد العكسي للأزمة المواجهة النووية مع إيران، ص٣٧٠.

تدخلات إيران في البحرين:

سبق أن أشرنا إلى احتلال إيران للبحرين في عهود مختلفة، منها في العهد الصفوي، وفي سنة ١٩٢٧م قدمت إيران طلبًا لعصبة الأمم المتحدة تطالب بضم البحرين، بدعوى أنها أراضي إيرانية، وقد تحفظت إيران سنة ١٩٤٥م ضد الولايات المتحدة مدعية بأحقيتها بنفط البحرين، وفي سنة ١٩٨٠م قبضت الحكومة البحرينية على مجموعة حاولت عمل انقلاب مدعومًا من إيران، وفي سنة ١٩٩٠م وجهت حكومة البحرين اتهامًا لإيران بأنها تقوم بتدريب وتمويل الشيعة البحرينيين بقصد الاستيلاء على الحكم، وفي سنة ١٩٩٦م كشفت البحرين عن تنظيم بين الشيعة باسم حزب الله البحريني مع وجود الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين، مما أدى إلى سحب البحرين سفيرها من طهران، واستمر شيعة البحرين في مظاهرات، يقودها النفوذ الإيراني، مطالبة بمزيد من النفوذ السياسي للشيعية لحكم البحرين، وأدت المواجهات المتكررة بين الحكومة والمعارضين الشيعة إلى مقتل وجرح البعض من الطرفين في مناسبات عدة، كان لإيران فيها الدور التحريضي، وقد طالبت المعارضة بإنشاء ملكية دستورية، تتحدد فيها صلاحيات الملك بالدستور، الذي يجب أن يوافقوا عليه، ثم طالبوا بعد ذلك بإلغاء الملكية وإنشاء جمهورية إسلامية بحرينية، ولوضوح التدخل الإيراني بادرت قوات مجلس التعاون الخليجي لإجهاض هذه الحركة، وحركة المعارضة هذه اتخذت لها صفة طائفية، حيث كان قادتها من الشيعة العرب، أو من شيعة ذوي أصول إيرانية، وقد اتخذت إيران أسلوب التدخل المذهبي الهادئ، ليس فقط في البحرين، وإنما في جميع مناطق تصدير الثورة، ومن الإنصاف أن نذكر أن كثيرًا من الشيعة وخاصة العرب لا يقبلون سياسة النفوذ الإيراني، ويعلنون ولاءهم لأوطانهم، وسيأتي يوم يرتفع فيه صوت هؤلاء، لأنه هو الحق، كما سيأتي اليوم الذي تتحد فيه دول مجلس التعاون الخليجي، فتصبح دولة واحدة ونموذجًا لوحدة العرب، هذا هو الحل الأمثل، ليس فقط ضد النفوذ الإيراني، وإنما ضد

جميع الأطماع الأجنبية[١] منذ سنة ١٩٢٧م وإيران تكرر مطالبتها بالسيادة في البحرين، وكان الدافع لذلك هو اكتشاف النفط في البحرين، وقيام إيران بإعطاء امتياز للتنقيب واستغلال النفط للشركة البريطانية، وقالوا: إن هذا الامتياز يمتد إلى البحرين بوصفها أراضي إيرانية، وطالبوا بريطانيا باستغلال نفط البحرين، ودفع المستحقات التي تقرها المعاهدة، وأيد حزب توده في وقتها هذا التوجه، لكن بريطانيا في مناسبات عدة لم تقر أي حق لإيران في البحرين، وبوجود معاهدات تربط شيوخ البحرين مع بريطانيا، لا علاقة لإيران بها، وفى سنة ١٩٥١م، وعند قرار مصدق بتأميم النفط كررت إيران بأن التأميم يشمل الأراضي البحرينية، والحقيقة أن البحرين بقيت ضمن بلاد العرب منذ القدم، والملاحظ أن شيعة البحرين يستدعون قوة إيران حينما يحتاجون إلى ذلك، كما أن سنة البحرين كانوا يستدعون الدولة العثمانية أو القوة السنية في الجزيرة منذ قيام الدولة السعودية الأولى لمناصرة البحرين، والملاحظ منذ القدم أن القبائل العربية قد سكنت البحرين وما حولها من إمارة الزبارة والكويت، وعبروا إلى الجهة الشرقية، وسيطروا على الأحواز على التفصيل الذي قد ذكرناه في هذا الكتاب، ولا يعد الغزو لأهل البلاد مبررًا للسيادة عليها، فقد غزا الهولنديون البحرين مدة طويلة، ولم تتغير سيادة أهلها العرب عليها[٢].

تدخل إيران في الكويت:

يقدر عدد شيعة الكويت ما يقارب نسبة ٢٠ إلى ٣٠٪ من السكان، حسب تقرير الحريات الدينية الصادر سنة ٢٠٠٦م من الخارجية الأمريكية، وفي تقارير أخرى أقل من هذه النسبة، ويتكون شيعة الكويت: نصفهم من العجم

(١) محمد عبدالحليم أبوجاد: ردع إيران، ص٦٧ و٩٧ وما بعدها، الأجواد للنشر والتوزيع، الدوحة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.

(٢) د. عبدالله محمد الغريب: وجاء دور المجوس، ص٢٩٧، ط٥، ١٩٨٧م.

الإيرانيين، والآخرون من أصول عراقية، من البصرة وما حولها، ومن الأحساء والبحرين، وقد قامت الكويت مع الأسف بتجنيس عدد كبير من الإيرانيين في الخمسينيات، فكانوا يفضلون على أهل السنة من الزبير وغيرها. ويتركز شيعة الكويت في مناطق الرميثية والشرق والدسمة ودسمان وبنيد القار والقادسية والجابرية وحولي، وأقلية في الجهراء، وتعترف حكومة الكويت بقضاء مستقل للشيعة في الأحوال الشخصية، وبهيئة أوقاف شيعية، مرتبطة بوزارة الأوقاف، كما يعمدون في عقد عزاء الحسين في حسينياتهم، خاصة في الرميثية. أما الانتماء السياسي لشيعة الكويت، ففيهم اليساريون التقدميون، وهم إلى جانب الحكومة، وفيهم إسلاميون يميلون إلى ولاية الفقيه وإيران، وإسلاميون من أتباع الشيخ الشيرازي، الذي كان مقيمًا في الكويت[1] وكان أصل الأتباع من الشيخية أتباع الشيخ أحمد الأحسائي، الذي انتشر مذهبه في العراق، مخالفًا بذلك ما يسمون بالأصوليين، وفي سنة ١٩٢١م امتنع شيعة الكويت عن المشاركة في معركة الجهراء، مدعين للمقيم البريطاني بأنهم ليسوا كويتيين بل إيرانيين، وفي سنة ١٩٣٨م طالب الشيعة بتمثيلهم في المجلس التشريعي، وفي المجلس البلدي، وشكوا بذلك إلى المقيم البريطاني طالبين التجنس بالجنسية البريطانية إذا لم يستجب لهم، وفي الكويت مدرسة إيرانية، يتم من خلالها انتشار التشيع حسب الأهواء الإيرانية، ومنذ الستينيات بدأ الشيعة في تكوين أنشطة اجتماعية وثقافية، امتدت فيما بعد إلى النشاط السياسي، كان منها جمعية الثقافة الاجتماعية، وجماعة الشيرازي المؤسس الروحي لمنظمة العمل الإسلامي في العراق، والذي طرد إلى الكويت، وقد ضعفت هذه الجماعة بسبب هجوم المرجع الديني في العراق الخوئي[2] على الشيرازي، وأنه غير مؤهل دينيًّا، وشارك

(١) مجيد خدوري: البحرين وإيران، ص٢٥ وما بعدها، وعد، البحرين، ٢٠١٤م.

(٢) جميل الذيابي: إيران ورقصة السرطان، ص١١٥، مكتبة العبيكان، ط٢، الرياض، ٢٠٠١م. السيد أبوداود: تصاعد النفوذ الإيراني في العالم العربي، ص٢٠٢-٢١٦، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١٤م.

الشيعة بعدد قليل في تمثيلهم في مجلس الأمة، فكانوا في البداية تابعين لصوت الحكومة، ولكن انقلبوا عليها بعد الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م، ما عدا بعض تجار الشيعة الموالين للحكومة، وبعد الثورة الإيرانية بدأ شيعة الكويت عمومًا بنشاط سياسي اتجه بعضه إلى أعمال إرهابية، تمثلت في محاولة اغتيال شيخ الكويت الشيخ جابر سنة ١٩٨٥م، وما أعقبها من تفجيرات إرهابية، كشفت الحكومة عن تلك التحركات، فتبين لها التدخل الإيراني في تدريب بعض شيعة الكويت على السلاح، وإمداد بعضهم بقصد تحقيق أغراض إيران في الكويت، ولم يكن جميع شيعة الكويت راضون عن ذلك، كما كشفت (طلائع تغيير النظام للجمهورية الكويتية)، (وصوت الشعب الكويتي الحر)، (ومنظمة الجهاد الإسلامي)، (وقوات المنظمة الثورية للرسول محمد في الكويت)، ويرى البعض أن هذه مسميات وهمية من ورائها حزب الله الكويتي، فأنشأ المركز الإعلامي الإسلامي الذي أصدر مجلة النصر في إيران، حيث أغلقت في عهد رفسنجاني، ولكنها أصدرت في بيروت ولندن، وكشفت مجلة الوطن العربي قيام حزب الله الكويتي بتقديم الدعم لشيعة البحرين، وتحركاتهم ضد الدولة، كما أشارت أيضًا لدعم حزب الله اللبناني للغرض نفسه، وتم كشف دورهم في أعمال التخريب، التي حدثت في موسم الحج سنة ١٩٨٩م، ويطالب شيعة الكويت بمطالب واسعة، تفوق حدود تمثيلهم النسبي، ورغبتهم في تحويل الكويت إلى دولة شيعية على غرار إيران، وفصل الكويت عن محيطها العربي، معارضين فكرة استكمال الوحدة السياسية بين دول مجلس التعاون، مستقوين بالنفوذ الإيراني على المنطقة في الوقت الحاضر، والمؤيد من القوى الغربية، بقصد تفتيت قوة العرب والمسلمين، ووضعهم في حروب تسحق رجالهم وسلاحهم فيما بينهم، وتدفعهم إلى تقسيم بلادهم إلى دول طائفية صغيرة، يسهل قيادتها، والتغلب عليها، وكبت نموها المستقبلي، الذي يتوجس منه الغرب وإسرائيل خيفة النهوض وتحقيق الوحدة[1].

(١) محمد عبدالحليم أبوجاد: المصدر السابق، ص١٧٤ وما بعدها. جميل الذيابي: إيران ورقصة السرطان، ص٧٠ وما بعدها، مكتبة العبيكان، ط٢، الرياض ٢٠١١م.

تدخلات إيران في العراق:

تدخل الدولة الفارسية في العراق قديم، فقد استولى الفرس على العراق في عهد الملك كورش وبمساعدة من اليهود، فقام كورش برد الجميل لليهود، بأن أرجعهم من السبي البابلي إلى فلسطين، وساعدهم في إعادة بناء الهيكل، وقبل الإسلام كان الفرس الساسانيون يحكمون العراق مباشرةً، واتخذوا المدائن (سلمان باك) عاصمةً لهم، وفي العهد الصفوي تجدد احتلال الإيرانيين للعراق مرات عدة، تقوم فيها الدولة العثمانية بطردهم. وفي العصر الحديث، فإن تدخلات إيران في العراق مستمرة، توظف فيها مذهب الشيعة الإثنا عشرية بوصفها حاميةً لهذا المذهب وللعتبات المقدسة. وآخر تدخلاتها كانت بعد الحرب الأمريكية ضد نظام صدام حسين، فقد ساعدت إيران ومراجعها الدينية الشيعية على احتلال أمريكا للعراق، ثم قامت أمريكا أخيرًا بتسليم العراق لإيران، ووضع العراقيين تحت النفوذ الإيراني وسيادة مذهب الشيعة الإثنا عشرية، وتطهير المناطق السنية من أهلها وحل محلهم الشيعة[1]، قام المرجع الديني السيستاني بتسهيل الغزو الأمريكي للعراق، وذلك بإصدار فتوى يطلب فيها عدم التعرض للمحتلين الأمريكان أو مقاومتهم، وهذا يوضح كيف أن مقاومة الجيش العراقي للمحتلين في البداية من جنوب العراق وسفوان، استمرت المقاومة الشرسة ضد الأمريكان ولأيام عدة، ولكنها أصبحت سهلة بعد تلك الفتوى، وتقدمهم من الجنوب إلى بغداد، ولو أن جميع شيعة العراق وقفوا وقفة رجل واحد ضد الاحتلال، لتغيرت نتائج الحرب، ومع ذلك فقد كشفت الأخبار عن عدد كبير من القتلى الأمريكيين، فقد كان بعض الشيعة يقاومون مع السنة هذا المحتل، ولهول ما لاقاه الأمريكان من صمود العراقيين، ودفاعهم عن بلدهم، قرر الأمريكان

(١) سيد حسين: المصدر السابق، ص٢٩١. د. عبدالله محمد الغريب: وجاء دور المجوس، ص٢٦٤، ط٥، ١٩٨٧م.

اليوم في سياستهم ألا يخوض جيشهم حربا على الأرض، وقد ذكر أن الشيعة الإيرانيين كانوا يحذرون الأمريكان والأستراليين مما أعده الجيش العراقي في مقاومة الاحتلال، من ذلك ما أوردته مجلة الأسترالي من تنبيه الأستراليين في شط العرب: أن ثلاثة من الزوارق العراقية محملة بالمتفجرات متجة إليهم[١]، كما ذكر بأن إيران قد ساعدت الأمريكان على ضرب مجموعة أنصار الإسلام (السلفية) شمال العراق، وقامت بإرجاع الهاربين منهم من داخل إيران إلى الحدود العراقية، كما قامت إسرائيل بمساعدة من أمريكا بمد إيران بالأسلحة الأمريكية في أثناء الحرب العراقية الإيرانية، وما عرف بإيران جيت فضحتها طائرات نقل الأسلحة من إسرائيل إلى إيران، التي أصيب بعضها بعطل، أدى إلى سقوطها وفضح ما فيها، كما تدخلت مجموعات إيرانية عراقية، فشاركت الأمريكان في احتلال العراق، منها منظمة بدر وغيرها، وقدر عددها بأربعة آلاف من الحرس الثوري وفيلق القدس، انتشروا أيضًا في مهام مختلفة في العراق، وتمارس إيران نفوذها، وتنظيم عملياتها وتحركاتها عن طريق سفارتها في بغداد وقنصلياتها في كل من البصرة وأربيل وكربلاء والسليمانية، وهذه تضم عددًا لا يستهان به من العناصر، كما تجدر الإشارة إلى أن سياسة صناعة القرارات تجاه العراق، ليس هي مسؤولية جهاز المخابرات وحده، بل هي مهمة مجموعة مؤسسات في الدولة الإيرانية، تحت إشراف المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني، أهمها وزارة الاستخبارات، والأمن، ومكتب المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي، والحكومة (مجلس تشخيص مصلحة النظام)، وفيلق القدس، والحرس الثوري الإسلامي، والمؤسسة الدينية (الحوزة بقم)، كما أعلنت المنظمة الإيرانية للدفاع عن القيم الإسلامية في ٢٠٠٤م عن وجود أكثر من ١٥ ألف إيراني، تطوعوا لتنفيذ عمليات انتحارية في النجف وكربلاء العراقيتين،

(١) السيد أبوداود: تصاعد النفوذ الإيراني في العالم العربي، ص١٣٠ وما بعدها، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١٤م.

وقد أفتى مؤخرًا المرجع الديني السيستاني بوجوب الجهاد ضد أعداء الأمة، فتكون العديد من المجموعات تحت مسميات ورايات مختلفة: عصائب جيش الحق، وجيش المختار، وكلها تأتمر بأوامر الولي الفقيه، فعم شررها بمحاربة أهل السنة، وإخلاء مدنهم، وإحلال محلهم أقوام من الشيعة[١]. وأصبح العراق مجموعة مليشيات تحت مسميات مختلفة من فرق وأحزاب ومنظمات، تديرها إيران وتسلحها، وأسند إليها مهام تصفيات جسدية لمخالفيهم من أساتذة الجامعات وقادة الجيش وطيارين. حتى تم هروب الكثير من السنة أو تهجيرهم إلى كردستان. وتحول التدخل الإيراني في العراق من تدخل عسكري وإداري إلى تدخل في مظاهر المجتمع العراقي في اللبس والطعام والثقافة، وانتشار الكتب المذهبية، وتعميم التحدث والكتابة باللغة الفارسية، والتبادل بالعملة الإيرانية، وتنظيم الإيرانيين لسياحة العراقيين في إيران، وزيارة مشهد وقم، وتدخلها في مناهج الكتب الدراسية. وربطت إيران بعض خطوط الكهرباء والغاز بينها وبين العراق، وسمحت بانفلات تهريب النفط العراقي، وبيعه في إيران، أو لصالح المليشيات الشيعية المرتبطة بها.

وقد تعدت التدخلات الإيرانية إلى جوانب الاقتصاد والثقافة، حيث توجد في العراق ما لا يقل عن ٣٠٠ شركة بين كبيرة ومتوسطة وصغيرة، تعمل في مجالات مختلفة، بالإضافة إلى الجانب الظاهر منها، لها أهداف مذهبية أخرى، ولها ارتباط مباشر بالسفارة الإيرانية، وقنصلياتها المنتشرة داخل العراق، ومن هذه الشركات والمنظمات، نذكر منها الآتي:

١- مؤسسة دار القرآن: هي مؤسسة متخصصة في المجال الثقافي، تنشط في وسط وجنوب العراق وفي بغداد، وهي تابعة مباشرة الى لفيلق القدس.

---

(١) الفنجة هاشم داود: العامل المذهبي ودوره في توجيه السياسة الخارجية الإيرانية تجاه العراق، ص١٥٠ وما بعدها، عمان، وسط البلاد، ٢٠١٧م.

٢- مؤسسة الإمام الهادي: يديرها قيادي في قوة القدس وفي فيلق بدر.

٣- شركة الوسام: تابعة لحزب الله العراقي، رئيسها إيراني الأصل، يعمل لصالح قوة القدس، وهو مسؤول في حكومة المالكي في منصب وزير دولة.

٤- مؤسسة المدينة المنورة: مقرها في البصرة، ورئيسها له ارتباط بفيلق القدس.

٥- مؤسسة الخطيب للثقافة الإسلامية: متخصصة في العمل الثقافي الإسلامي والإنساني، رئيسها إيراني الأصل، مقرها في محافظة ديالي.

٦- مؤسسة الإمام للإغاثة، تابعة لمكتب المرشد الأعلى علي خامنئي، ويتوزع نشاطها على دول عدة، إضافة إلى العراق: لبنان، سوريا، أذربيجان، طاجكستان، أفغانستان، فلسطين.

٧- مؤسسة الإمام الصادق: مقرها بغداد، وتعمل في مجال بيع الكتب الدينية، ويشرف عليها عنصران من قوة القدس.

٨- مؤسسة بالان: مقرها في منطقة بغداد الكاظمية، وتعمل في تأمين المال لقوات القدس وفيلق بدر وميليشيات المهدي في العراق.

٩- مؤسسة الكوثر: يرأسها العميد في الحرس الثوري الإيراني، لديها مكاتب في بغداد والبصرة وكربلاء وبابل، وتعمل أيضًا على توفير السلاح والعتاد لفيلق بدر والمجلس الأعلى وحزب الله، وغيرها من التنظيمات الشيعية.

١٠- مؤسسة الشهيد: مقرها الجنادرية، مسؤولها عضو قوة القدس، والقيادي في فيلق بدر أبو مسعود، ومهمتها دفع رواتب المنتسبين لفيلق بدر، والمجلس الأعلى.

وهناك شركات ومؤسسات كثيرة تعمل بأنشطة مختلفة في العراق، وكلها تتبع للنظام الإيراني، وتعمل بتنسيق تام مع الأجهزة الأخرى، والهدف واحد هو اختراق العراق مذهبيًّا تحت مسميات عدة، ولعل الأمر الأخطر على الإطلاق هو دعوة أحمد الجلبي رئيس المؤتمر الوطني العراقي، وهو حزب شيعي يؤمن

بولاية الفقيه، إلى إقامة حكم ذاتي في جنوب العراق خاص بالشيعة، يتألف من المحافظات الثلاثة، وهي البصرة والناصرية وميسان، التي تمثل أغلب إنتاج العراق من النفط، ويلتقي الجلبي في هذه الفكرة مع العديد من صناع القرار الأمريكي، الذين كان همهم الأول هو إضعاف هذا البلد، الذي كاد أن يصبح القوة التي تشكل تهديدًا للمصالح الأمريكية في المنطقة، وهذا الاتجاه يتزعمه المستشار السابق بوزارة الدفاع الأمريكي ريتشارد بيل، ومسؤولون مدنيون في وزارة الدفاع، وأعضاء في الكونغرس من الحزبين الجمهوري والديمقراطي، الذين يسعون إلى تفكيك العراق إلى كيانات ثلاثة: الكيان الشيعي في الجنوب، والكيان السني في الوسط وبغداد، والكيان الكردي في الشمال[١].

تدخلات إيران في لبنان:

استبشر كثير من العرب والمسلمين بإزالة شاه إيران شرطي الخليج، ولكن خاب ظنهم بسياسة تصدير الثورة، فقد حاولت إيران تطويع حركة أمل الشيعية لمقاصدها، ولم تفعل شيئًا لإنقاذ موسى الصدر رئيس الحركة، الذى جاء من إيران، جاء في عام ١٩٥٩م، وكان له أقارب في لبنان، حيث حل نفوذه في مدينة صور، واتفق مع الشيخ حسين فضل الله عام ١٩٧٨م على إنشاء جمعية المبرة الخيرية، ثم تعاونا في إنشاء المجلس الشيعي الأعلى سنة ١٩٦٩م، كما أنشأ سنة ١٩٧٤م حركة المحرومين، وطالب بإصلاح النظام اللبناني، وفى سنة ١٩٧٥م تكون من حركة المحرومين جناح عسكري، عرف بحركة أمل للمقاومة، اختلفت إيران مع حركة أمل في علاقتها مع الفلسطينيين، ولذا فقد فكرت في إنشاء حزب الله اللبناني سنة ١٩٨٣م، بإرسالها الرجال من الحرس الثوري، لتدريب عناصر من الحزب لمجابهة إسرائيل، بعد أن اجتاحت إسرائيل مرتين: مرة سنة

(١) الغنجة هاشم داود، المصدر السابق، ص١٧٠.

١٩٧٨م، والأخرى عام١٩٨٢م[١]، ثم تأسست قناة المنار الفضائية بجهود سوريا ولبنانية، وبتمويل من إيران، وتحت ستار مقاومة إسرائيل نجحت في تقوية حزب الله وشيعة لبنان عمومًا، وتحويلهم إلى قوة مسلحة استخدمتها إيران لمصالحها في لبنان وسوريا والعراق.

وبعد الحرب اللبنانية تم في اتفاق الطائف نزع سلاح جميع الميليشيات اللبنانية، ما عدا حزب الله على اعتبار أنه ليس مليشيًّا، وإنما هو مقاومة مشروعة ضد إسرائيل، وبموافقة من أمريكا دخلت سوريا إلى لبنان، فأطبق الطرفان سوريا وحزب الله اللبناني على السياسة اللبنانية، كل ذلك بمباركة من إيران وأمريكا، وبعد التضحيات التي قدمتها الجبهة الشعبية للقيادة العامة في جنوب لبنان ضد إسرائيل.

قامت إسرائيل بالانسحاب المفاجئ للجميع من جنوب لبنان، وملأ حزب الله هذا الفراغ مدعيًا انتصاره على إسرائيل، وفي سنة ٢٠٠٥م أرغمت أمريكا سوريا بسحب قواتها من لبنان، ولكنها لم تسحب سلاح حزب الله، فاستمر يناوش إسرائيل على الحدود، مطالبًا بمزارع شبعا، ولكن في سنة ٢٠٠٦م قامت إسرائيل برد موجع ضد الحزب، وضد لبنان عمومًا، استمر قصفها حوالي شهر، وبموافقة من أمريكا.

وقد قام شيعة حركة أمل بمحاصرة وقتال الفلسطينيين في لبنان ثلاث سنوات، وقد رفضت إيران وكذلك حزب الله التدخل لفك الحصار عنهم، بعد تعرضهم لمجزرة صبرا وشاتيلا، حيث قاموا بتسهيل دخول الإسرائيليين إلى هذه المخيمات الفلسطينية، وعمل المقتلة المشهورة، التي سهل لها أيضًا بعض المسيحيين من مجموعة إيلي حبيقة، فكيف يتحد بعض الشيعة وبعض المسيحيين

(١) إلهه روستامى- يوفى: تأثير إيران ونفوذها في المنطقة، ترجمة: د. فاطمة نصر، ص١٤٣ وما بعدها، إيران، ٢٠١٠م.

ويهود إسرائيل ويتمالؤون على قتل الفلسطينيين العزل في مخيماتهم، وقد أيد حزب الله اللبناني احتلال أمريكا للعراق، وأرسل رجاله لتدريب المليشيات العراقية الشيعية، لمقاومة السنة ومساعدة الأهداف الإيرانية في العراق، ولا يخفي حزب الله ولاءه لإيران، فهو يرى أنها المرجع الديني له، والممول المالي إضافة إلى التأييد والمساندة بين الطرفين، حتى أصبح هذا الحزب أقوى من الدولة يتميز عنها بعلمه وبمؤسساته المخابراتية والدعائية، ويرفع صور المراجع الإيرانية في جميع مؤسساته، ويقر باتباع الولي الفقيه. ثم تدخل حزب الله في حرب سوريا، لمساعدة بشار الأسد ضد الثوار السوريين، كما أرسل أيضًا رجاله إلى العراق، لمساعدة المليشيات الشيعية العراقية ضد السنة، مما دفع كثيرًا من شيعة لبنان خاصة الاعتراض على حزب الله، ومفارقته وانشقاقه عن العرب، من أمثال الشيخ علي الأمين وغيره، حيث لن تدوم له القوى الإيرانية[1].

تدخلات إيران في السعودية:

تعد إيران والسعودية من أهم الدول المطلة على الخليج العربي، وذلك بسبب كونهما منتجتين للنفط، وكونهما يشكوان معًا من تدخلات الدول الخارجية، وأطماعها، فلكل منهما مصلحة في إبعاد التدخل الخارجي. غير أن الدولتين تتقاطعان في سياستهما المتعلقة بتطبيق الإسلام، فالسعودية من جهة ترى أنها وريثة المفهوم الإسلامي النبوي، كما طبقه صحابة رسول الله ﷺ، وكما جاء في القرآن والسنة.

في حين ترى إيران أن من أهدافها التوسع، وتصدير الثورة بغزو فكري مستند على نشر التشيع الإثنا عشري في نفسٍ قومي لاسترجاع الإمبراطورية الفارسية القديمة، مستغلةً المذهب الشيعي والأقليات الشيعية داخل السعودية في

(١) د. عبدالله محمد الغريب: وجاء دور المجوس، ص٤٠٩، ط٥، ١٩٨٧م.

كل من الأحساء والقطيف والعوامية والمدينة المنورة (النخاولة)، ولذلك أثارت المشكلات والشغب في موسم الحج، مما تسبب في قتل وتزاحم لا مبرر له، سوى أن إيران تطالب برفع شعاراتها المذهبية في أثناء تأدية الحجاج المناسك المقدسة، وذلك مما أدى إلى قتل ٤٠٠ حاج في موسم ١٩٨٧م، مما دفع السعودية إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران في عام ١٩٨٨م، وبعد حرب الخليج الثانية ووفاة الخميني ومجيئ حكومة إصلاحية في إيران، حدث تقارب بين الطرفين، وخاصة إبعاد نقاط الاصطدام السياسي بينهما (تصدير الثورة)، وتوج ذلك التفاهم بعقد الاتفاقية الأمنية بينهما سنة ٢٠٠١م، وعلى الرغم من حدوث انفجار في الخبر، اُتُّهم فيه شيعة السعودية، إلا أن السعودية لم تصعد هذا الحادث، واستقبلت رفسنجاني بكثير من الود والاحترام، وعلى الرغم من أنه صلى الجمعة في الحرم المكي، وسمع مهاجمة الإمام الشيخ الحديثي للشيعة، مما دفعه إلى عدم الصلاة وراء الإمام معتذرًا. وقد قامت المملكة بعزل إمام الحرم، ترضيةً للتيار الإيراني الإصلاحي، الذي كان مهادنًا في سياسته في ذاك الوقت.

وأصبح الطرفان أمام السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط خاصة: إما أن يقتربان أكثر، وإما أن يفترقان، بسبب تدخل العوامل الخارجية، التي كانت أمريكا تحدثها في المنطقة، خاصة غزوها للعراق. فقد وجدت إيران الفرصة مواتية لإسقاط نظام صدام حسين، والانتقام مما أحدثه العراق في حرب الثمان سنوات، فقامت إيران بتسهيل ضرب أمريكا لطالبان في أفغانستان، وتشجيعها الشيعة الأفغان المحاذين لحدودها مع أفغانستان الحرب ضد طالبان، فقد كان الهذارة من شيعة أفغانستان يساعدون الاحتلال الأمريكي لأفغانستان ومقاتلة طالبان.

ويبدو أن إيران كانت مرحبةً بإسقاط صدام حسين، فقد قام المرجع الديني في النجف السيستاني، وهو من أصل فارسي بإصدار فتوى، يطلب من الشيعة عدم مقاتلة الأمريكان المحتلين، وقد فاخر بعض الساسة الإيرانيين بما

قامت به إيران، من تسهيلات في كل من أفغانستان والعراق. ورافق الاحتلال الأمريكي للعراق غزوًا إيرانيًّا، دخلت مجموعات من الميليشيات الشيعية المرتبطة بالحرس الثوري وبفيلق القدس، كما فصلنا ذلك في تدخل إيران في العراق. واتضح فيما بعد: أن النفوذ الإيراني في العراق والشام يهدد السعودية وأمنها، فقد ظهرت بوادر من قيام إيران بتدريس وتدريب بعض شيعة السعودية وإمدادهم بالسلاح، ولا يستبعد أيضًا أن إيران قامت بتحريك خلايا القاعدة التي عبرت من أفغانستان إلى إيران، وكذلك خروج بعض رجال القاعدة من سجون العراق، وتشجيعهم على القيام بأعمال تخريبية في السعودية[1]. فقد كشف عادل اللباد قبل ثلاثين سنة، وهو من شباب شيعة العوامية: أنه نتيجة كثرة سماعه في الحسينيات من تحريض على الدولة والشيعة معًا، فقد قرر يومها هو وصاحب له توزيع منشورات تحريضية في العوامية ضد الدولة، ثم محاولته السفر إلى إيران بجواز مزور عن طريق سوريا، ولكن قبض عليه في الحدود، ثم حاول مرةً أخرى السفر عن طريق الكويت أيضًا بجواز مزور، فنجح وسافر إلى دمشق، ومنها إلى طهران، يريد طلب العلم والدراسة في قم، ولكنهم قالوا له: يجب إعدادكم كطلائع للثورة البحرينية، ووصف مراحل التدريب الشاق إلى أن انتهى بالتدريب على السلاح والمتفجرات، مع جملة من شباب السعودية والبحرين، وبعد هذه المرحلة ألحق بالدراسة في قم، تحت المرجع الديني الشيخ هادي المدرسي، وقد وصف كيف أن الإيرانيين يكرهون العرب حتى من الشيعة العرب، وعند مجيئ رفسنجاني قال: أخذنا إلى الهند، وأسكنا في عمارة، بدأت تنقطع عنا المعونات شيئًا فشيئًا، مما اضطرنا إلى طلب المال من أهلنا، الذين كنا نلتقي بهم في دمشق، وقد تبين فيما بعد أنها كانت صفقة سياسية، كان من بينها العفو عن الشيعة، وتزويدهم بجوازات سفر، ورجوعهم إلى السعودية، فرجع

(١) محمد عبدالحليم أبوجاد: ردع إيران، ص١٥٣ وما بعدها، الدوحة للنشر والتوزيع، والأجواد للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.

هو وحسن الصفار فيما يبدو، وآخرون منهم: توفيق السيف، وجعفر الشايب، وصادق الجبران، وعيسى المزيل. ورفض حمزة الحسن ومجموعته الرجوع، وهذا اعتراف صريح نشر في كتاب عادل اللباد، يوضح تفاصيل تدخل إيران الصريح في السعودية[١]، ومثل ذلك ما حدث في مناسبات عدة في موسم الحج، حيث تستغل جموع الحجيج للشحن الطائفي والسياسي، الذي قد يصل إلى عمل تفجيرات، كما نشرت ذلك الصحف السعودية. كما ذكر كنيث ار.تيمرمان في كتابه: (العد العكسي للأزمة المواجهة النووية المقبلة مع إيران): إن قضية أبراج الخبر التي قامت وزارة العدل بفتحها في حزيران ٢٠٠١م تؤكد بوضوح تورط حرس الثورة ووزارة الأمن والمخابرات الإيرانية في التخطيط للهجوم، الذى أوقع ١٩ قتيلًا في الظهران بالمملكة العربية السعودية في يونيو ١٩٩٦م، وتمويله، كما أورد الكاتب نفسه وثيقة اتهام حكم صادر من محكمة الولايات المتحدة الفيديرالية محكمة شرقي فيرجينيا قسم إليكساندرا بالتآمر ضد قتل مواطنين أمريكيين، ومنذ الثمانينيات حتى صدور هذا الاتهام أن حزب الله هي التسمية التي يتم إطلاقها على عدد من المنظمات المتعلقة بالإرهاب والنشطة في المملكة العربية السعودية ولبنان والكويت والبحرين، ولقد قامت إيران بدعم هذه المنظمات والتأثير عليها وتحريضها بمهاجمة مواطنين أمريكيين وممتلكات تابعة لأمريكا، وبما أن حزب الله السعودي منظمة خارجة عن القانون، فقد تلقت عناصره تدريبًا بشكل مكثف في لبنان وسوريا وإيران، وكان أحمد المغسل الذي يلقب بأبي عمران يرأس الجناح العسكري لهذا الحزب[٢]. ومن المفارقات العجيبة أن الغرب لم يصف تدخلات إيران السالفة الذكر، وما تقوم به أجهزتها الخفية بالإرهاب، ولم تتهمها به، ولن تسعى إلى تجفيف منابعها المالية، ولا

(١) د. عبدالله محمد الغريب: وجاء دور المجوس، ص٢٩٧، ط٥، ١٩٨٧م.

(٢) كينيث آر.تيمرمان: العد العكسي للأزمة المواجهة النووية المقبلة مع إيران، ص٤٠٦، دار العلم للملايين، لبنان، ٢٠٠٦م.

دوافعها الفكرية، المنبعثة أصلًا من الشحن الطائفي من قبل المتطرفين الشيعة، والمستغلين من قبل حكومة إيران، بل أكثر من ذلك، يبدو أن الغرب قد وجد في التطرف الشيعي واندفاعه الطائفي وسيلة رخيصة للمجابهة، ولتحقيق أهدافه في مواجهة أهل السنة عمومًا، وتشجيعه نشر التشيع والمساعدة على ذلك في عموم بلاد أهل السنة، فمن مطالب الغرب وأمريكا إعطاء الحرية للشيعة، لنشر مذهبهم وبناء الحسينيات، وإشاعة التصادم الطائفي بين الفريقين، هو الهدف الغربي المطلوب، ونتساءل عن مستقبل العلاقات الإيرانية السعودية، المحكومة اليوم بالعناصر التي سبق أن ذكرنا تطوراتها بين الطرفين، والمتعلقة خاصة باحتلال العراق، وتدخل إيران وروسيا في الحرب ضد الشعب السوري، وتدخل حزب الله اللبناني، والأوضاع القائمة في حرب اليمن، وتصدير إيران السلاح للحوثيين، وجميع ما بحثناه من عناصر التباعد والالتقاء، المتعلقة بموسم الحج، وسياسة البلدين في إنتاج النفط، كل هذه العناصر دفعت الكاتب إحسان محمد هادي في كتابه (العلاقات الإيرانية السعودية) إلى استشراف خمسة سيناريوهات من المحتمل حصول أحدها في المستقبل، وهي:

- **أولًا: السيناريو الأول:** الذي ينص على تغير هيكل السلطة مع وجود عناصر نظام حزب البعث في الساحة السورية، وإجراء انتخابات شفافة يكون حزب البعث مشاركًا فيها، مما يسمح لأنصار هذا الحزب اختيار ممثليهم في السلطة، الذين هم بالأساس موجودون فيها، بذلك يتم اختيار ممثلي الشعب بالانتخابات من دون إبعاد واجتثاث لأي حزب أو مكون طائفي أو اثني، بذلك يحصل تقارب بين مكونات الشعب، ونبذ العنف، والاتجاه نحو التوحد، إلا أنه بعد تطور الأحداث واستمرارها في سوريا، يبقى هذا السيناريو من غير الممكن أو أبعد الاحتمالات.

- **ثانيًا: السيناريو الثاني:** هو حل نظام الأسد كاملًا، وإبداله بنظام جديد عن طريق الانتخابات، كما حصل في تونس ومصر، فإذا لم يسلم الرئيس

السلطة إلى نائبه أو وزير الدفاع، كما حصل في مصر، فإنه قد يحتمل حدوث الفوضى الشاملة في البلاد، وانهيار مؤسسات الدولة، بما فيها القوات المسلحة، التي انحازت لصالح نظام الأسد، ولا تجد الحكومة المرتقبة فرصة لإصلاح الحال، وتصعب مهمتها في السيطرة، ومن المحتمل قيام نظام إسلامي متطرف، يحل محل النظام الحالي، فهو احتمال وارد وخطر قائم، واحتمال أن تستيقظ الطائفية، لتكون هي المدخل للانشقاقات في المجتمع السوري، وتكون الانقسامات الطائفية كبيرة بين السنة والطائفة العلوية، ومن المحتمل انزلاق سوريا في حرب أهلية، تؤدي إلى تدمير الإمكانيات والطاقات المادية والعسكرية لسوريا، ويكون بذلك أوصد الباب أمام إيران وحلفائها الآخرين في الجوار السوري من حزب الله وحماس والجهاد الإسلامي، وتكون قد خسرت قوة المقاومة حليفها الإستراتيجي سوريا، كما من المتوقع أن تكون سوريا قاعدة للتنظيمات المتطرفة الإرهابية. إن احتمال وصول الإسلاميين إلى السلطة بأغلبية تمكنهم من قيادة الدولة، كما حدث في تونس ومصر يمكن أن يلعبوا دورًا رئيسًا بعد استقرار الأوضاع في إدارة البلاد، وإيجاد سياسة خارجية جديدة لسوريا، عن طريق بناء علاقات مع الدول الكبرى، وتأكيد التزامهم باتفاقيات السلام الموقعة، مع الكيان الإسرائيلي بالإشارة إلى كامب ديفيد بهذا الإعلان، سوف يوثقون علاقاتهم مع الغرب، والدول التي تدور في الفلك الغربي.

- **ثالثًا: السيناريو الثالث:** هو السيناريو اليمني، الذى وضعت بصمتها فيه المبادرة الخليجية بزعامة المملكة العربية السعودية المدعومة دوليًّا، وهي الآلية التي أثبتت نجاحها باقتدار في إيجاد تسوية دبلوماسية هادئة للأزمة اليمنية، التي من بين قراراتها تنازل رئيس الجمهورية علي عبدالله صالح مع بقاء النظام، وتقديم ضمانات للرئيس بعدم ملاحقاته القانونية والسياسية، ويتولى

نائبه السلطة لمرحلة انتقالية زمنية، مدتها عامان، حتى إجراء انتخابات ودستور جديد للبلاد، وبذلك تكون انتهت الأزمة في اليمن، وتوقفت المظاهرات الاحتجاجية، ولعبت المملكة العربية السعودية دورًا إيجابيًّا وفعالًا لحل الأزمة في اليمن، وحد صفوف المعارضة اليمنية، وهي المعارضة العسكرية، متمثلة في قوات اللواء علي محسن والمعارضة القبلية، متمثلة بقبائل حاشد وبكيل، وعلى رأسها الشيخ صادق الأحمر، والجماعات الإسلامية عنهم الشيخ عبدالمجيد الزنداني، ولكن جاء الحل على حساب الثورة وشبابها الطامح إلى التغير الحقيقي، وإقامة الديمقراطية التي تخشاها الجارة الكبرى لليمن السعودية، وأعلن الرئيس الأمريكي أوباما تأييده، لا اعتماد الحل اليمني في سوريا، فكان هذا التصريح خلال قمة مجموعة الثمانية في كامب ديفيد، وأكد على ضرورة رحيل الأسد عن السلطة سلميًّا والشروع في العملية الديمقراطية.

- **رابعًا: السيناريو الرابع:** وهو التدخل العسكري الخارجي، كما حدث في ليبيا لصالح الثوار ضد النظام، بحجة إقامة منطقة آمنة عازلة، وهو ما أيدته بعض الدول تأييدًا غير مباشر، وهو ما ترفضه إيران بشدة، إن إبعاد الأسد عن السلطة بمثابة هدف إستراتيجي للمملكة العربية السعودية، ويظهر هذا الهدف بطريقة غير مباشرة للرؤية التي يطرحها الإعلام السعودي، وأن غياب وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل عن الاجتماع، الذي عقدته الدول الأربع: مصر وتركيا وإيران والسعودية، على مستوى الوزراء الخارجية من أجل إيجاد حل للأزمة السورية، ونلاحظ ذلك من تصريح داؤود أوغلو في الاجتماع الذي عقد في مصر مع نظيره المصري والإيراني لإيجاد صيغة حل للأزمة السورية، حيث أكد زيادة التشاور مع السعودية، لأنها لاعب مهم في المنطقة، ويجب تدخلها من أجل حل مستقبل للأزمة السورية.

- **خامسًا: السيناريو الخامس:** وهو سيناريو تقسيم المنطقة إلى دويلات صغيرة، عرقية واثنية وطائفية، متناحرة فيما بينها، حتى يسهل تفكيك

الدول التي لها وزن إقليمي في المنطقة، وشل قدراتها الاقتصادية والبشرية، وتشتيت وحدتها، واعتمادها على الدول الغربية في احتياجاتها، وهذه العملية غير مستثنى منها أحد، والهدف واضح ولا يخفى على أحد، وهو مشروع الشرق الأوسط الكبير، وسيادة ثقافة الاستهلاك، وتسيد دولة الكيان الصهيوني، وتصبح ضمن القوى الإقليمية بل الأولى.

وإن هذا المخطط يتم تنفيذه في سوريا الآن بزرع الفتنة الطائفية بين العلويين والأغلبية السنية في سوريا، ولا يظهر في الأفق القريب أي بوادر حل للأزمة في سوريا إلا التقسيم، ولذلك يتوقع أن تنقسم سوريا إلى مناطق طائفية، وهي علوية في منطقة الساحل، وكردية في الشمال، وسنية ودرزية في الوسط، وهو المخطط نفسه الذي حصل في العراق، وبعد عام ٢٠٠٣م واحتلال العراق من قبل أمريكا بدأت أمريكا ومن ورائها الصهيونية العالمية في تقسيم الوطن العربي، وبدأ هو الآخر يستجيب وبسرعة، وظهرت دويلات متمايزة عرقيًّا وطائفيًّا ودينيًّا، لأن اتفاقية سايكس - بيكو عام ١٩١٦م التي رسمت خريطة العالم العربي، لم تكتفِ، ولهذا أرادت تقسيم الدول العربية على هذا الأساس، لأنها لم تجد أي ممانعة، بل وجدت سهولة في تنفيذ ما خططت له، وأصبحت الآن طامعة أكثر من ذي قبل. وتعد التحصينات الأخيرة في سوريا حول جبال العلويين الشرقية والسهول الممتدة حولها في حمص وحماة جنوبًا إلى إدلب شمالًا، لتشكيل حدود الدولة العلوية المرتقبة، وتكريسًا للتقسيم الطائفي والعرقي. يدور في الآونة الأخيرة الحديث عن طريق جديدة للضغط على إلزام النظام الحاكم في سوريا، بعد فشل مجلس الأمن من إصدار قرار أممي، حيث اصطدم مشروع القرار بالفيتو الروسي والصيني، من هنا جاء الحديث عن طريق فكرة مشروع استخدام التدخل الإنساني في إيجاد ملاذ (منطقة عازلة) بإنشاء منطقة للحظر الجوي الجزئي، مدعومة من التحالف العسكري، كما حدث في العراق في

شماله وجنوبه عام ١٩٩١م، من دون صدور قرار من مجلس الأمن يشرع ذلك، ومن أجل توفير الأمان للاجئين المحتملين، جراء الهجوم عليهم من قبل قوات النظام، وأن فرض منطقة آمنة داخل سوريا سيشكل ذلك ضربة نفسية كبيرة للنظام ومؤيديه، وسيحصل المتمردون على دعم خارجي كبير من جهة أخرى[١].

عوامل الالتقاء والافتراق بين السعودية وإيران:

تظل المملكة العربية السعودية وإيران على الرغم مما يعتريهم من عقبات ومشكلات هم المركز الإسلامي والديني لكل المسلمين في العالم، تمثل السعودية والكعبة الشريفة القبلة الأولى المسلمين عمومًا والسنة خصوصًا، كما تمثل إيران مركزًا دينيًّا مهمًّا بالنسبة للشيعة عمومًا، بالإضافة إلى الموقع الجغرافي بالنسبة للبلدين، وما يمثله من أهمية كبيرة للمصالح العالمية، ولهذا كان البحث في عوامل الالتقاء وتقويتها لدعم أواصر التعاون بين البلدين، وعناصر الافتراق حتى نضعفها من أجل التقارب لمصلحة الأمة الإسلامية، التي عانت بسبب هذه الفرقة المفروضة عليها، ومن هذه العوامل ما يلي:

١- موسم الحج:

منذ سنة ١٩٢١م كان الحجاج الإيرانيون يمارسون حجهم عمومًا كبقية المسلمين، ما عدا بعض المخالفات التي تصدر من بعض أفرادهم المتعصبين للمذهب، وكان أهل مكة يرحبون بهم لكونهم مصدر رزق، وفي سنة ١٩٢٦م هاجمت قوات الإخوان في مكة الشيعة في أثناء احتفالهم بذكرى عاشوراء، وهو ما جعل إيران تصدر إدانة شديدة اللهجة لذلك في ذلك الوقت، وفي سنة ١٩٤٩م أصدر الرئيس الديني لبعثة الحج الإيرانية (آية الله كاشاني) فتوى دينية

(١) حسان محمد هادي: (العلاقات الإيرانية - السعودية بعد عام ٢٠٠٣م) ص١٢٧ وما بعدها، مكتبة البصائر، لبنان، ٢٠١٣م.

مفادها: أن السلطات السعودية قد حددت بشكل خاطئ موعد وقوف الحجيج بعرفات، وأشار إلى أن الحجاج الإيرانيين لن يبرحوا عرفات بعد انتهاء ذلك اليوم، حسب متقضى التعاليم المذهبية، وعندما علم الملك عبدالعزيز بهذا الأمر أرسل ثلاثة من أقرب معاونيه لمناقشة رئيس البعثة الإيرانية في فتواه، وإقناعه بمغادرة صعيد عرفات مع جموع الحجاج المسلمين هو وأتباعه في الوقت المحدد، وكانت رسالة الملك تحمل في طياتها تهديدًا مبطنًا في حالة عدم الاستجابة لرغبة الملك في المغادرة في هدوء، وانتهت الأزمة بإقناع رئيس بعثة الحج الإيرانية من قبل المبعوثين من الملك دون إثارة شغب أو ضوضاء، وغادر الإيرانيون عرفات مع مجموع الحجاج، وأيضًا في عام ١٩٦٢م حاول الحجاج الإيرانيون في زيارة المدينة المنورة لقبر الرسول ﷺ رمي القاذورات على قبره ﷺ، ولكن اتضح أن المقصود هو قبر أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ونتج عن هذا الحادث وقوع مشاجرة بين هؤلاء الإيرانيين وعدد من أهالي المدينة المنورة والمسلمين الآخرين، ولم يقع ضحايا في هذا الحادث، غير أن عددًا من الحجاج الإيرانيين وأهالي المدينة المنورة أصيبوا بجروح، ونقلوا إلى المستشفى حيث كانت جروح بعضهم خطيرة، ولكن على الرغم من تلك الأحداث وتأثيراتها تشير إلى رغبة الحجاج الإيرانيين في إثارة الفتنة الطائفية، لكنها كانت ذات سمة طبيعية بين السعودية وإيران في فترة ما بعد الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م، بل وكانت الأزمات اللاحقة للتاريخ السابق أكثر خطورة من سابقتها، كونها لا تأتي من حافز طائفي فحسب، وإنما من تحريض القيادة الإيرانية لأغراض سياسية تهدف إلى تقويض سلطة وسيادة السعودية على الأماكن المقدسة، وتشكيل عوامل ضغط سياسية على القيادة السعودية، لإرغامها على اتباع سياسات إقليمية ودولية، تصب في مصلحة النظام الإيراني، ومن الملاحظ أن أعداد الحجاج الإيرانيين إلى مكة قبل الثورة وبعدها هو الازدياد المتضاعف، وتزداد بنسب تصاعدية مع إشعال فتيل الخطاب الإسلامي الثوري والشغب ضد السعودية والعراق، لا سيما في

أثناء مدة الحرب العراقية الإيرانية في منتصف السبعينيات، كان عدد الحجاج لا يتجاوز ٥٨ ألف حاج، بينما كان عدد الحجاج في عام ١٩٨٤م يتجاوز ١٥٥ ألف حاج في إشارة واضحة إلى تأثير الثورة الإيرانية في فكر وسلوك الشعب الإيراني، ولم يكن الدافع الإيماني هو وراء تلك الزيادة، بل إنما يرجع ذلك لرغبة الحكومة الإيرانية لإرسال أكبر عدد من الحجاج إلى الأماكن المقدسة في كل عام لإثارة الشغب، وتشكيل ضغوط على المملكة العربية السعودية في ذلك، ومنذ عام ١٩٨٨م كانت قضية الحج من أهم العقبات التي أدت إلى تأخر العلاقات بين إيران والمملكة العربية السعودية، إذ تعددت المحاولات الإيرانية لاستغلال موسم الحج لنشر الأفكار الثورية والتعبير عنها، وذلك بغرض إحراج السعودية بإحداث الاضطرابات في الحج، مما يؤثر إعلاميًّا في قدر المملكة على إدارة الحج، وحماية بيت الله الحرام فقد دعا آية الله الخميني إلى وضع المدينتين الإسلاميتين مكة المكرمة والمدينة المنورة تحت سيادة إسلامية مشتركة. كما طالب رئيس وزرائه عام ١٩٨٤م بإرسال قوات من كافة الدول الإسلامية إلى مكة والمدينة، ولكن هاشمي رفسنجاني رئيس مجلس الشورى آنذاك سخف هذا التصريح، وفي هذا الصدد نظمت الحكومة الإيرانية في يناير ١٩٨٨م مؤتمرًا عقد في لندن، للدعوة لنزع السيادة السعودية عن المدينتين المقدستين، ونظرًا للاحتجاج على التدخل في الشؤون الداخلية للمملكة العربية السعودية عدل الناطقون الرسميون الإيرانيون من أسلوبهم، فأصدر حجة الإسلام حسن روحاني نائب رئيس مجلس الشورى تصريحًا في ٣١ مايو ١٩٩٤ بعد موسم الحج دعا فيه الدول الإسلامية بإدارة موسم الحج، وأضاف أن إيران مستعدة لإرسال متطوعين إلى مكة المكرمة لإدارة موسم الحج، وجدت الحكومة السعودية في تصريحات القادة الإيرانيين تهديدًا لسيادتها ووحدتها، وتهدف إلى زعزعة الصورة الإيمانية للمملكة السعودية التي اكتسبتها في العالم الإسلامي، ولكن نقول لهم: «هيهات، إن للبيت ربًّا يحميه».

وأمرت إيران حجاجها في مرات عديدة بالقيام بمظاهرات، ورفع الشعارات المؤيدة للثورة، وإعلان البراءة والسقوط لأمريكا والصهيونية والأنظمة العربية. تكررت تظاهرات الحجاج الإيرانيين في مكة منذ الثمانينيات، وكانت الأولى في عام ١٩٨١م، وازدادت حدة التظاهرات تنظيمًا وعنفًا في السنوات التالية، وكانت هتافاتها ضد السعودية، التي تحاشت الصدام معها، وتجنبت استفزازها، قامت السلطات الأمنية في السعودية بحد لذلك، بعث الملك خالد بن عبدالعزيز رحمه الله برقية إلى الخميني بتاريخ ١٠/١٠/١٩٨١م، يقول فيها: إن هذه التظاهرات السياسية تتنافى مع مكانة الشعب الإيراني، وطلب منه أن يقتصر نشاط الحجاج على أداء مناسكهم فقط، وناشد القائمين عليها مراعاة ظروف موسم الحج، والابتعاد بالشعارات الدينية عن الصراعات السياسية، وكان رد الخميني على برقية العاهل السعودي: حضرة الملك خالد بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية، لقد تلقينا رسالتكم: «.... إن ما ذكرته سفارة الجمهورية الإسلامية هو الصحيح، فأنا أرى أن جميع مشكلات ومصائب المسلمين وحكومات الأقطار الإسلامية هي اختلافهم، والنفاق الموجود بينهم، وأن الأقطار الإسلامية بسكانها الذين يبلغون المليار نسمة، هي تملك ثروات كبيرة تحت الأرض، وعلى نحو خاص بحار النفط التي تشكل الشريان الأصلي للقوى العظمى. وقد حباها الله بأحكام القرآن الكريم، والتعليمات العبادية والسياسية للنبي الكريم صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، التي تحث المسلمين على الاعتصام بحبل الله...»، وكان رد إيران دائمًا هو: أن موسم الحج هو موسم سياحي إعلامي، يجب أن يناقش فيه المسلمون أمورهم ومشكلاتهم، وقد حدثت في موسم الحج عام ١٩٨٧م تظاهرات بعد نداء قام به آية الله الخميني للحجاج الإيرانيين، بتنظيم مظاهرة ضد الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة، وكان تفسيره لذلك عزم إيران لتوسيع مواجهتها مع العراق، لتشمل منطقة الخليج كلها، وأسفرت تلك المظاهرات عن مصرع ٤٠٢ شخص، حسب ما ذكرت مصادر سعودية، وكذلك

أدى ذلك الحدث إلى قيام مظاهرات في إيران أدت إلى اقتحام السفارة السعودية في طهران، والتعدي على مسؤوليها، وكذلك رد الشارع السعودي بمظاهرة، لكن السلطات السعودية حالت دون وصول المتظاهرين إلى السفارة الإيرانية أو الاعتداء عليها، وفي العام نفسه عقد الأمير نايف رحمة الله عليه وزير الداخلية وقتها، مؤتمرًا صحفيًّا عالميًّا في جدة، أعلن فيه رفض السعودية لتلك الأحداث، التي تثيرها إيران في موسم الحج، وأكد أن السلطات السعودية سوف تتخذ كل ما في وسعها على الرد على أي اعتداء ما، يخل بأمنها، أو أي تعطيل لموسم الحج. من جهة أخرى أدان مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية، الذي انعقد في العاصمة الأردنية في مارس ١٩٨٨م أعمال التخريب والشغب، التي قام بها الحجاج الإيرانيون في مكة المكرمة، خلال موسم حج ١٩٨٧م، وأكد المؤتمر على حق السعودية في اتخاذ ما تراه مناسبًا من إجراءات، ووافق المؤتمر على أن كل دولة إسلامية ترسل سنويًّا ألف حاج من كل مليون نسمة من سكانها، وأدى هذا القرار إلى خفض عدد الحجاج الإيرانيين من ١٥٠ ألف حاج إلى ٤٥ ألف حاج، لكن رفضت إيران هذا القرار والإصرار على إرسال كامل حصتها السنوية السابقة ورفضت السعودية ذلك، مما أدى إلى قطع العلاقة الدبلوماسية بين البلدين، على إثره قاطعت إيران الحج لمدة ثلاث سنوات، حتى بداية عودة العلاقات في عام ١٩٩٠م[1]، وعلى الرغم من كل هذه التجاوزات العديدة التي كان يقوم بها الحجاج الإيرانيون في موسم الحج، وعدم التزامهم بالقوانين التي تتخذها السلطات في المملكة العربية على موسم الحج، وعلى أرواح الحجاج، فإننا نجد أن المملكة العربية السعودية قد التزمت بسياسة الصبر والنفس الطويل من حكومة إيران بقيادة الخميني، وذلك حرصًا منها على وحدة الصف الإسلامي، ولا يوجد دليل أكثر من تورط إيران في هذه الأحداث، وبالأخص عندما ضبطت

(١) عطاء الله زايد الزايد: (العلاقات السياسية السعودية الإيرانية، وأثرها على الأمن الإقليمي لمنطقة الخليج العربي ١٩٨٠-٢٠٠٣م) ص١٤٠ وما بعدها، الأكاديميون للنشر، عمان، الأردن، ٢٠١٥م.

السلطات كميات من المتفجرات داخل حقائب الحجاج الإيرانيين، كان يمكن أن يتم استخدامها في داخل الحرم، لولا يقظة الجهات الأمنية، وتؤدي إلى ما لا يحمد عقباه لو فجرت هذه في أماكن مزدحمة من المشاعر المقدسة، وقد عرضت حكومة المملكة تفاصيل ضبط هذه المتفجرات في وسائل الإعلام المختلفة، وبلغ وزن هذه المتفجرات خمسين كيلوجرامًا.

بيان وزارة الداخلية عن أحداث الحرم في ٦ من ذي الحجة ١٤٠٧هـ الموافق ١٩٨٧م:

أولًا: قامت تجمعات من الحجاج الإيرانيين بتشكيل مظاهرة احتجاجية، أشاعت الفوضى والاضطراب بين حجاج بيت الله الحرام، وأغلقت كل المنافذ والطرقات، وتسببت في شلل الحركة المرورية، وحالت دون تمكين الحجاج والمواطنين ساعات طويلة من الانطلاق إلى مصالحهم وشؤونهم، كما أفسدت على الطائفين والقائمين عبادتهم في المسجد الحرام.

ثانيًا: عندما فشلت كل المساعي من المواطنين والحجاج الآخرين المحتجزين عن الحركة بسبب المظاهرة الغوغائية في إيجاد حل حاولوا التدخل عن طريق التفاهم السلمي مع مقدمة المظاهرة، وألحوا لهم في إرجائهم بإفساح الطريق أمام النساء والأطفال المحتجزين في سياراتهم، إلا أن الإيرانيين أصروا على مواصلة المظاهرة، ووسط الهتافات توجه المتظاهرون إلى بيت الله الحرام، وأخذوا يدفعون المواطنين بالقوة والعنف إذا حاولوا الحيلولة دون استمرار المظاهرة، وهنا حاول رجال الأمن الذين كانوا يقفون على جوانب طريق المظاهرة منع المواطنين وبقية الحجاج من الاصطدام بالإيرانيين المتظاهرين، حرصًا على سلامتهم، ودرءًا للشرور، وما كان من المتظاهرين إلا أن استخدموا ضد رجال الأمن ما كانوا يحملونه في أيديهم وبين ملابسهم من العصي والحجارة، وعندها صدرت الأوامر لسلطات الأمن المختصة بالتصدي للمظاهرة فورًا وفضها، وإعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي.

ثالثًا: على إثر هذه الأوامر تراجع المتظاهرون في اندفاع فوضوي إلى الخلف، حيث تساقط العشرات من النساء اللاتي كن وسط المظاهرة تحت أقدام المتظاهرين، كما تساقط عشرات الرجال الطاعنين في السن، والذين زج بهم قسرًا في هذه الأعمال الإجرامية، وما هي إلا لحظات حتي اختلط رجال الأمن والمواطنون بالمتظاهرين، الذين أخذوا في حرق السيارات والدراجات وتحطيم عربات رجال الأمن والمواطنين، ومحاولة تحطيم بعض البنايات وإشعال النار فيها، لولا أن حال دون ذلك رجال الدفاع المدني، وتمكنت قوات الأمن من تطويق الحادث وفض المتظاهرين وفتح الطرقات أمام حجاج بيت الله والموطنين.

رابعًا: أثبتت التقارير الأمنية والوثائق المسجلة صورة وصوتًا: أنه لا يوجد أحد من قوات الأمن أو الموطنين يطلق طلقة واحدة على أي حاج إيراني، بل إن الذي ثبت فعلًا هو أن عددًا من رجال الأمن والمواطنين أصيبوا بطعنات في أمعائهم وصدورهم بواسطة سكاكين كان يخبئها الإيرانيون تحت ملابسهم.

خامسًا: بلغ عدد الوفيات نتيجة لهذه الأعمال الإيرانية الإجرامية مع شديد الأسف أربع مئة واثنان شخص على النحو التالي:

- ٨٥ من رجال الأمن والموطنين السعوديين.
- ٤٢ من بقية الحجاج الآخرين الذين تصدوا للمظاهرة من مختلف الجنسيات.
- ٢٧٥من الحجاج الإيرانيين المتظاهرين معظمهم من النساء، كما بلغ مجموع المصابين بإصابات مختلفة طبقًا لإحصائية المستشفيات وبين وزارة الداخلية (٦٤٩) جريحًا، منهم ١٤٥ من السعوديين (رجال أمن ومواطنين)، ومن حجاج بيت الله ٢٠١، ومن الإيرانيين ٣٠٣، أما الخسائر في الآليات، فهي كالتالي:

إحراق ثلاث سيارات وثلاث دراجات، تابعة لقوات الأمن، وتحطيم العشرات من سيارات والمواطنين والحجاج، وعلى الرغم من كل ما حدث خفت حدة التنافس بين الدولتين، نتيجة لاتخاذ السعودية مبادرات بين الحين والآخر، لإثبات حسن النوايا تجاه إيران، وفي ذلك أعرب العاهل السعودي الملك فهد بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أمله مشاركة إيران مشاركة كاملة في أعمال المؤتمر لوزراء أعلام الدول الإسلامية، الذي عقد بجدة من عام ١٩٨٨م وأيضًا كانت المملكة تحاول دائمًا منذ عام ١٩٨٥م جذب طهران لإقامة حوار دبلوماسي على مستوى وزراء الخارجية، قدمت المملكة من أجل تحسن علاقاتها مع إيران، وضبط سياستها الخارجية الرشيدة تجاه تلك الدولة المسماة: إسلامية. من أجل الحفاظ على وحدة الصف الإسلامي، والحفاظ على حسن الجوار، وعدم زعزعة الأمن في الإقليم، هل تستطيع إيران ضبط سياستها تجاه دول الجوار، والكف عن التدخل في شئونهم الداخلية، هذا ما سيجيب عليه التاريخ، وما يثبته الحاضر القريب[1].

٢- تصدير الثورة:

هذا الكلمة منذ بداية الثورة كانت حمالة أوجه، لها حساسية ومصدر إزعاج لكل الدول التي تقع في محيط الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بل تعدتها إلى دول خارج القارة، وتسببت في مشكلات داخلية لكثير من الدول، التي كانت لإيران تعامل معها، أو لها فيها جالية، مما سببت في كثير من الأحيان قطع تلك الدول علاقتها مع إيران، أو تقليص تعاملها في إطار ضيق، حسب ما تقتضي الضرورة القصوى، ومن بين هذه الدول المملكة العربية السعودية، ولها نصيب الأسد في هذا الجانب، ويرجع ذلك إلى وجود عدد كبير من الشيعة في المنطقة

(١) د. عصام السيد عبدالحميد: (العلاقات السعودية الإيرانية ١٩٨٢-١٩٩٧م)، ص٤٢ وما بعدها، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٦م.

الشرقية والمدينة المنورة والقطيف والأحساء، ويقدر عدد الشيعة في المملكة حسب الإحصاءات القديمة المذكورة في الدراسة المقدمة من معهد الدراسات والبحوث العربية بـ ٣٠٠ ألف، ويشكل الشيعة ٣٣٪ من سكان المنطقة الشرقية، ويشكل العاملون منهم في استخراج البترول ٣٥٪ من إجمالي العاملين، حيث تقع حقول البترول ومناطق إنتاجه بالقرب من مناطق سكنهم، وقد اهتمت حكومة المملكة العربية السعودية بالآثار التي تركتها الثورة الإيرانية على الشيعة السعوديين عبر الخليج العربي، وأخذت تتحسب لذلك في جميع الأمور في عام ١٩٧٩-١٩٨٠م، وقد أعلن وزير الداخلية آنذاك أن الولاء يجب أن يكون للوطن لا للطائفة، وقد فند الوزير مزاعم إيران الخاصة بسوء معاملة الشيعة، ويقول الوزير: إن الخدمات المقدمة في المنطقة الشرقية هي نفس الخدمات المقدمة في الرياض العاصمة وبقية أجزاء المملكة، ويقول في ذلك: إن الجميع يلقون الاهتمام من المملكة بغض النظر عن الطائفة، كما يشهد تاريخهم بكثرة الاحتجاجات وانتفاضهم على تدني أوضاعهم الاجتماعية، كما هو الحال في الأعوام ١٩٢٥، ١٩٤٤ ، ١٩٤٩ ، ١٩٥٣م، ويشير ذلك بوضوح تدخل إيران في هذا الشأن، ومقولة الخميني في هذا الصدد حاضرة في الأذهان عندما ناشد الخميني شيعة الخليج داعيًا إياهم للإطاحة بنظمهم بقوله: (يا أبناء علي انهضوا ضد أبناء يزيد)، وتولت إيران تمويل التنظيمات في السعودية، مثل منظمة الثورة الإسلامية- الجزيرة، بل أتاح لبعضها ممارسة نشاطها من داخل إيران، حسب ما جاء في العلاقات العربية الإيرانية المقدمة من معهد البحوث الإسلامية ١٩٩٣م ص ٣٨٥ وما بعدها[١].

٣- النفط:

كانت منظمة أوبك هي المنظومة التي بداخلها تتبلور كل التفاعلات العربية- الإيرانية من خلال النهج الفعلي في أسواق النفط الدولية بين العرب

(١) د. محمد محمد زهرة: (العلاقات العربية الإيرانية)، معهد الدراسات والبحوث العربية، القاهرة، ١٩٩٣م.

وإيران، وقبل انتصار الثورة كان هناك توافق في السياسة النفطية بين إيران ودول الخليج، لكن في الوقت نفسه يوجد خلاف بين إيران، التي كانت من ضمن حمائم الأوبك وبين صقور الأوبك من بلدان الأوبك العربية، وخاصة ليبيا والعراق والجزائر يوجد خلاف في السياسة النفطية، إلى حد ما، ومع انتصار الثورة اختلف موقف إيران من المنظمة، واختلفت سياستها النفطية، وتبدل موقعها، وأصبحت من الصقور المتشددين في سياسة رفع أسعار النفط، حتى لو أدى ذلك إلى تخفيض دول المنظمة إلى حجم إنتاجها، هذا ما أدى إلى تباين في الموقف بينها وبين دول الخليج، على الرغم من توافقها في هذا الرأي مع الدول العربية المتشددة، مثل ليبيا والعراق والجزائر، إلا أن نشوب الحرب العراقية الإيرانية واندفاع الدولتين في تدمير منشآت بعضهم النفطية من حقول ومعامل تكرير، انعكس في تباين في المواقف داخل المنظمة، وكانت هناك قضايا مثار للخلاف بين إيران والدول العربية القادرة على زيادة إنتاجها وحصتها من النفط، وهي بالتحديد المملكة العربية السعودية والإمارات العربية والكويت، وهذا الخلاف مستمر لفترات طويلة، وأصبحت إيران تنافس في هذه القضية، وتزيد من حصتها كلما تمكنت من ذلك، وبعد حرب الخليج في التسعينيات وتوقف صادرات النفط العراقية والكويتية، سنحت الفرصة لكل دول الأوبك من زيادة إنتاجها من أجل تعويض الناشئ من توقف الصادرات العراقية والكويتية، لكن بعد انتهاء الحرب وانخفاض أسعار النفط عالميًّا بدأت دول المنظمة في ضبط إنتاجها، لوقف تدهور الأسعار، وفي تلك الأثناء أكمل الكويت إطفاء حرائق آباره النفطية، بدأ الصراع من جديد بين إيران والدول العربية، حول توزيع الحصص وتخفيضها، لإتاحة الفرصة للحصة الكويتية اتجهت أنظار إيران إلى المملكة العربية السعودية العدو التاريخي، لكي تتحمل النصيب الأكبر على الرغم من أنها أصبحت تمثل ثاني أكبر دولة للنفط مصدرة بعد غياب العراق، وكل ما انخفضت أسعار النفط ترى إيران أن تخفض أوبك من إنتاجها، وهذا كان دائمًا محل خلاف بينها والسعودية،

التي ترى العكس من ذلك، بل يجب أن تزيد أوبك من إنتاجها، ولا تغالي، وذلك بسبب ركوض الاقتصاديات العالمية في غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان التي تم ضربها في تسعينيات القرن المنصرم.

٤- قضايا الجزر الثلاث:

تمثل الجزر الثلاث إحدى العوامل المهمة في تاريخ المنطقة، وينبع هذا الاهتمام من موقعها في قلب الخليج العربي، وقربها من مضيق هرمز، الذى عبره تنقل جميع صادرت المنطقة، أو أغلبها، وظلت إيران تنظر إلى الخليج باعتباره بحيرة إيرانية، لما يشكله من أهمية إستراتيجية بالغة بالنسبة لها، فهو المنفذ الوحيد لها، كما أن سواحله العربية لها أهميتها الاقتصادية، وأيضًا افتقار تلك السواحل إلى القوة العاملة أتاح لإيران شغل هذا الفارق، بتهجير فائض العمالة فضلًا عن إيجاد سوق للبضائع الإيرانية، لكن مع قوة هذه الدوافع التي تحرك السياسة الإيرانية في السيطرة على الخليج، إلا أن المملكة العربية السعودية تصدت لهذه الدوافع، وبرزت في السطح بصفتها مدافعًا عن سواحل الخليج، وهو امتداد لسواحل السعودية والجزر، ولأن ثلاثتهم تمثل نقاطًا لمراقبة سواحل العراق والسعودية وإيران، ومن هنا تنبع الأهمية وأغلب سكان هذه الجزر هم من العرب يشتغلون بالتجارة وصيد الأسماك. وهذه الجزر الثلاث تخضع لحكم عشيرة عربية من القواسم، وذلك بشكل مستمر ومتواتر منذ منتصف القرن الثامن عشر، وحتى عام ١٩٧١م، وعلى الرغم من أن بريطانيا منذ سيطرتها على المنطقة، قد استأثرت بتأمينها، إلا أنها في الوقت ذاته عهدت إليها بتصريف شئونها الداخلية، وكانت إمارة الشارقة لها السيادة على (أبو موسى)، كما كان لرأس الخيمة السيادة على الطنبين الكبرى والصغرى[١].

(١) د. نيفين عبدالمنعم مسعد: (العلاقات العربية الإيرانية)، ص٣٨٨، معهد البحوث والدراسات العربية، المصدر السابق.

وكان الشاه مصممًا بشدة على احتلال الجزر، لدرجة أنه أعلن رسميًّا أن إيران سوف تستخدم كل الوسائل المتاحة، بما في ذلك استخدام القوة من أجل تحقيق ذلك الهدف، وكان الشاه محمد رضا قد صرح لصحيفة الفي جارو الفرنسية: أن هذه الجزر العربية بالأصل إيرانية، وأن القوات البريطانية احتلتها من إيران في فترة ضعفها. أما الآن فإني أمتلك قوة بحرية وجوية ضاربة، تمكنني من احتلال هذه الجزر، متحديًا قوة بريطانيا في المنطقة والسياسة الإيرانية الراهنة تجاه الجزر، لا تختلف عن سياسة الشاه كثيرًا، وما تكرار آية الله خامنئي وهاشمي رفسنجاني وغيرهم من الزعماء أنهم لن يتخلوا عن الجزر أو يقبلوا حلًّا وسطًا بشأنها، وتجدر الإشارة إلى أن معظم الإيرانيين يؤيدون الوضع الراهن في الجزر الثلاث، ولهذا فإن الجمهورية الرسمية والشعبية غير قادرة على التخلي عن الجزر، وتهدف إيران إلى التحكم بأمن الجزر ومياهها الإقليمية، وقد أصدرت في هذا الصدد بيانًا من المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني، جاء فيه أن جزيرة (أبو موسى) جزء من مسئولية إيران، كما قامت إيران أخيرًا بتعيين حاكم إداري لجزيرة (أبو موسى)، وذلك كخطوة مقدمة لتثبيت السيادة الإيرانية الكاملة على جزيرة (أبو موسى)، التي جعلتها تتبع إقليم خوزستان، وفرض سياسة الأمر الواقع، ولكن المملكة العربية السعودية بما تمثله من أهمية في الخليج ينبع من كونها من أكبر دول المنطقة، من حيث المساحة الجغرافية، والحدود المشتركة مع معظم البلدان العربية، هذا الوضع تطلب من السعودية وضع الخطوط العريضة لسياستها لتتلاءم مع هذه الظروف، وبما يخدم المنطقة عمومًا، وهذا يحقق لها الدور الإقليمي في المنطقة، ويتضح أن أزمة الجزر الثلاث المتنازع عليها بين إيران ودولة الإمارات العربية المتحدة قد أدت إلى فتور العلاقات السياسية بين إيران والدول العربية، وفي تصريح لصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، ووزير الدفاع والطيران، والمفتش العام، السابق رحمه الله، قال: نحن

نشارك إيران الرغبة في حسن العلاقات معها، وكما تريد مع دول الخليج، لكننا نرى أن هناك حقوقًا لدول عربية مع إيران، لها بعض المواقع كالإمارات العربية المتحدة، يجب أن تعود هذه الحقوق لدولة الإمارات أو على الأقل تذهب للتحكيم حتى يأخذ كل واحد حقه كاملًا، كما عبر مجلس التعاون الخليجي في اجتماعات المجلس الوزاري في دورته الثانية والستين عن أسفه الشديد لاستمرار الجمهورية الإيرانية في الامتناع عن دولة الإمارات العربية المتحدة وعن المنظمات والهيئات والتجمعات الإقليمية والدولية الأخرى، الداعية إلى حل النزاع حلًّا سلميًّا، كما عبر المجلس عن استنكاره للإجراءات الإيرانية المتتالية في الجزر التابعة لدولة الإمارات العربية، واستمرار قلقه من عواقب إمعان الحكومة الإيرانية في اتباع سياسة فرض الأمر الواقع بالقوة في الجزر، لما يمثل من انتهاك لسيادة دولة الإمارات العربية المتحدة، وتعديًا على حقوقها في الجزر، ويعرض أمن المنطقة واستقرارها للخطر، ويتنافى مع مبادئ وقواعد القانون الدولي، وميثاق الأمم المتحدة، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومبادئ حسن الجوار، واحترام سيادة أراضي دول المنطقة، ووحدتها. ومن الوضح أن مشكلة الجزر من أهم وأخطر المشكلات، التي يتعرض لها أمن الخليج في الوقت الراهن، ويتحتم على دول الجوار إيران ودول الخليج حلها عن طريق المفاوضات السلمية، حيث تم في الآونة الأخيرة تشكيل لجنة ثلاثية من المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان ودولة الإمارات العربية، تحت مظلة مجلس التعاون لبحث الخلاف القائم حول الجزر، لكن الذي لا تريده إيران حل الخلاف تحت مظلة مجلس التعاون، وهي ترغب في الحل منفردة مع دولة الإمارات العربية المتحدة.

مستقبل العلاقة بين إيران والسعودية:

تسبب تفكك الاتحاد السوفيتي، ثم بعد ذلك دخول العراق للكويت، وما نتج عنه من آثار والحرب العراقية الإيرانية تسبب كل ذلك في حصول

تقارب بين إيران والمملكة العربية السعودية، خاصة كما ذكرنا في عهد خاتمي وتوقيع الاتفاقية الأمنية بين الطرفين، لكن انتقال السلطة في إيران إلى الجناح المحافظ والمتشدد، وتبني إيران لمشروعها المتعلق بالهلال الشيعي، وهو المشروع الذى اعترف به رئيس جمهورية إيران الأسبق: الحسن بن صدر. في مقابله له مع قناة الجزيرة القطرية في برنامج زيارة خاصة، الذي يقدمه سامي كليب في حلقة بعنوان الثورة الإيرانية وأمريكا والعرب بتاريخ ١٧/١/٢٠٠٠م، كما تحدث بعد ذلك محمد باقر ذو القدر نائب رئيس الحرس الثوري الإيراني عام ٢٠٠٥م عن هلال شيعي أو محمور شيعي يضم كل من طهران وبغداد ودمشق وبيروت. يجري العمل على تقويته، وجعله حزامًا لمواجهة المشروعات الأخرى في المنطقة[١]، وتمددها وتدخلاتها في مواجهة العراق والشام ولبنان واليمن عكر اليوم الأجواء بين الطرفين، وانتهت إلى القطيعة الدبلوماسية على الرغم من أنه من مصلحة الطرفين التفاهم في الحدود التي تؤمن مصالحهما، وتبعد تدخلات الدول الأخرى بينهما، فإذا ما انتهت تدخلات إيران في الدول الأربعة المذكورة، وكفت إيران عن إحداث المشكلات في موسم الحج، أو تشجيعها للأقليات الشيعية في دول الخليج على إثارة الشغب، وتهديد الأمن الداخلي لبلدانها، فإن مستقبل التفاهم والتعاون مع إيران هو ما يجب أن يسود في رأي الحكماء، فما هي آفاق هذا التعاون في المستقبل، وهل حصول ذلك مستحيل، وفى رأينا أن أحداث التوتر جميعها، التي ذكرت في هذا الكتاب يجب أن تكون أعمالًا استثنائية، لها أسبابها الظرفية، ويمكن استعراض مقومات وركائز نجاح العلاقات الودية وبنائها في المستقبل على ما يلى:

---

(١) الغنجة هاشم داود: (العامل المذهبي ودوره في توجيه السياسة الخارجية الإيرانية تجاه العراق ٢٠٠٣-٢٠١٣م)، ص١١٥، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، وسط البلد، مجمع الفحيص التجاري، ٢٠١٧م.

١- إن مجموع الشعب الإيراني محب لسلام، ويملك ميراثًا عميقًا من الحس الإنساني، الذي يدفع إلى الاستقامة والخلق القويم في التعاون مع الآخر، وهذا أمر مشهود لمن تعامل خاصة في التجارة مع الإيرانيين عمومًا.

٢- إن البلدين يتخذان الإسلام دينًا والقرآن الكريم شريعة، وهذا مقدار مهم في أول الطريق، ولكن يعكره إصرار الجناح الديني المغالي في مذهب الشيعة، فإذا ما ضبط سلوك هذا الجناح، فان مستقبل العلاقات سيكون مشرقًا، وفى رأيي أن التشيع في إيران على الرغم من قدمه، فإنه فكر طارئ على الإيرانيين، فقد كان عمومهم وغالبيتهم على مذهب السنة، وكان الشيعة فيهم يمثلون القلة في قم وكاشان ومشهد، هذا من جهة أخرى، فقد استغل بعض الإيرانيين هذا المذهب، لتنفيذ أغراضهم السياسية، فوجدوا بذلك بعض النجاح، وقد حققت أن أصل التشيع هو سياسي، نقله بعض العرب إلى إيران بعد الفتح الإسلامي، ولم يكن منشأ التشيع إيرانيًّا. صحيح أن بعض الإيرانيين قد ألبسوا التشيع عندهم ثوب المجوسية، ونقلوا إليه كثيرًا من الأفكار اليهودية والنصرانية، وبعضا من الفلسفة اليونانية، وقد عالجت هذا الموضوع في كتابي (جذور التشيع)، وفى كتابي (أثر العناصر الأجنبية على بعض الشيعة الإثنا عشرية)، وعندي ليس من المستبعد في المستقبل البعيد تخلي الإيرانيين عن هذا المذهب، أو على الأقل تخليهم عن الأفكار المغالية في المذهب، ويصبح شأنهم شأن الشيعة العرب على الأقل.

٣- أن أسوأ سيناريو معد للشرق الأوسط ما تنبأت به كبيرة المراسلين الصحفيين في البيت الأبيض هيلين توماس، التي عاصرت عهد الرئيس نيكسون وما بعده من رؤساء، حيث نشرت لها بعض الصحف الأمريكية بعد وفاتها ما مفاده: «الدول العربية ستزول بالكامل أو بعضها، وتغيير حدود جغرافية لبعض الدول، وأن وجود الإرهاب صناعة أمريكية وإسرائيلية

وبوادر حرب عالمية ثالثة، وقد أيد بعض هذه التنبؤات مارك جيف المتحدث باسم الحكومة الإسرائيلية، بأن المنطقة على صفيح ساخن، مما دفع المخرج الأمريكي مايكل مور في إعداد فلم تسجيلي مرعب بذلك...»، فلو حصل ذلك، ولن يحصل إن شاء الله، فهل ستكون إيران بمنأى عن مصير العرب؟ أو هل تشارك إيران برمي العرب في هذا الأتون؟ واليوم نشاهد بوادر زحف لأحزاب اليمين المتطرف إلى سدة الحكم في كل من أمريكا والدول الأوروبية، وهذا نذير لبداية تصادم الحضارات ودخول منطقة الشرق الأوسط في معركة استعمار جديد له سمات وأهداف مختلفة.

٤- استخدمت أمريكا تهمة الإرهاب الاسلامي وتوسيعه بشكل مبالغ فيه في العديد من الدول والجماعات، ومنها السعودية وإيران، فكانت الدولتان بعد أحداث ١١ سبتمبر في موضع رفض التهمة عنهما، بل مشاركتهما في الحرب ضد الإرهاب، غير أن احتلال أمريكا للعراق أحدث تغييرًا في مصلحة إيران، وإضعاف الموقف العربي عمومًا، فكانت السعودية تحاول إبعاد النفوذ الإيراني عن كل من العراق وسوريا ولبنان واليمن، وقد بقيت هذه نقطة التوتر بين الطرفين، ولا بد من ذلك من نهاية تتحدد فيها العلاقة بين الطرفين في مستقبل الأيام، فإلى أي مدى تسيطر إيران على مقدرات العراق، وتسكت عنها القوى الفاعلة خاصة الأمريكية، وعلى أي مدى يقبل العراقيون هذا النفوذ الإيراني، ومثل ذلك ما سيؤول إليه الأمر في سوريا، فهل ستكون سوريا موضع قدم لروسيا في المستقبل، وإلى أي حد ستقبل إيران بهذا النفوذ، كما أن إلى أي مدى ستتدخل أمريكا في استغلال الأوضاع والتناقضات السياسية بين كل من تركيا والأكراد وإيران ونظام الأسد القائم اليوم، وما هو مستقبل العرب في علاقتهم بسوريا بعد كل هذا المخاض، الذى شرد أهلها كلاجئين في الجوار للرجوع لأوطانهم. إن الغموض يكتنف التنبؤ

بما ستؤول عليه الحال في المستقبل، وهل ستحرق قدم إيران في العراق وسوريا، أم سيسمح لها بمزيد من التمدد؟ وهل تتمكن إيران من التفاهم مع السعودية في مستقبل هذه المنطقة؟ التي شأنها في الأصل شأنًا عربيًّا.

٥- إن بناء علاقات طبيعية في المستقبل بين الطرفين أمر ممكن إذا ركز على التعايش والتقارب فيما بينهما، لتحقيق مصالحهما التجارية خاصة الآن هي المجال الواسع والقابل للنجاح، والذي يجر معه فيما بعد ما يتعثر من أمور. إن التفاهم بين البلدين في السياسة النفطية من حيث الإنتاج وتحديد الأسعار مجال متاح للتعاون.

٦- يجب على الطرفين محاولة التفاهم وتقريب وجهات النظر، حول الخلافات فيما بينهما، فإيران تتعامل مع دول الخليج منفردة، وترفض التعامل معها بصفتها وحدة سياسية، لتتفاهم معها حول الخلاف في الجزر الثلاث العائدة إلى الإمارات، كما تطالب إيران دول الخليج إبعاد النفوذ الأجنبي، وخاصة تحالفاتها مع أمريكا أو بريطانيا، كما يجب على إيران عدم التفرد في مسلكها في الحج، وان تسلك مسلك بقية المسلمين، لأن هذا مطلب ليس سعوديًّا، انما هو مطلب جميع الدول الإسلامية. والحقيقة أن التواجد الأمريكي في الخليج وجودًا وعدمًا مرهونًا بالنسبة إلى دول الخليج باطمئنانها عليها من قبل إيران، وهو ما تهدد به علانية في الكثير من المناسبات، وقد عرضت دولة الإمارات العربية المتحدة إحالة النزاع حول الجزر الثلاث طرفًا محايدًا، لكن إيران أصرت على الرفض.

٧- إن أمريكا والغرب يخافا من تنامي قوة العرب والإسلام في الشرق الأوسط، ولذا فهما يعملان على إعاقة هذا الهدف أو تفتيته عن طريقين: الأول دعوة محاربة التطرف الإسلامي الذى يتخذ عندهم معاني غير محددة، يسهل توسيع نطاقها على كل خصم من الدول أو الجماعات. والثاني استخدام

إيران، والسماح لها بالتمدد، وتقوم بمواجهة العرب والمسلمين عمومًا، لتتولى هذا الدور في الشرق الأوسط تحقيقًا على إبعاد إيران خاصة عن فكرة التحالف مع السعودية خاصة ودول الخليج والعرب عمومًا، وهذا ما نشاهده اليوم على الخارطة السياسية، فأمريكا والغرب عمومًا يخشون من حصول تحالف إستراتيجي، من شأنه إبعاد النفوذ الأمريكي والغربي عن الخليج والشرق الأوسط، وقد وجدت إيران بقيتها فسارعت إلى إحلال قوتها محل أمريكا في العراق والشام، وهي تحاول سلوك هذا النهج مع الدول العربية عمومًا ودول الخليج العربي خصوصًا لبلوغ هدفها، لذا يجب على السعودية أن تنظر في المستقبل القريب على إقامة تحالف بينها وبين كل من تركيا وباكستان وأفغانستان، حيث إن الدول الثلاث تمثل نقطة توازن وردع في صالح السعودية ضد إيران، وقد حصل ذلك في مناسبات عدة في تاريخ المنطقة.

٨- لقد حلت أمريكا محل النفوذ الغربي في الخليج وفى الشرق الأوسط عمومًا، وسببت سياستها المنحازة إلى إسرائيل والانتكاسات التي حصلت للعرب خاصة في حروبهم مع الإسرائيليين إلى غيظ وكراهية، كان أحد مظاهرها الهجوم على مقتل الجنود الأمريكيين، والهجوم على السفارتين الأمريكيتين في تنزانيا وكينيا ولوكربي والخبر في السعودية وميناء اليمن المدمرة الأمريكية كول، وأحداث ١١ سبتمبر، التي بلورت المبدأ الأمريكي القائل: من ليس معنا فهو ضدنا. فنادت أمريكا بتغير خارطة الشرق الأوسط، ومحاربة الإرهاب، ودفعت بعض الدول والجماعات إلى الاقتتال فيما بينها، ليقوموا بالعمل القذر، لتحقيق أهداف أمريكا اليوم. أمريكا في مفترق الطرق: إما أن تكمل مشروعها في الشرق الأوسط، وإما الدخول في عزلة لتتجنب الآثار المترتبة على أعمالها السالفة، إن مستقبل العلاقات

بين إيران والسعودية بشكل كبير بهذا العامل، الذى لا يزال مسيطرًا على السياسة في الخليج والشرق الأوسط، وتراخيها عن التدخل الروسي في المنطقة لاستخدامه بوصفه عاملًا سلبيًّا في تحقيق الأهداف الأمريكية، وقد خدعت إيران في تحالفها مع الروس في الشام، وسيأتي الوقت الذي تتكشف فيه الحقيقة لافتراق الطرفين في أهدافهما[١].

٩- ومما يقلق الجميع سعي إيران لامتلاك التقنية النووية، فقد أدركت بعد الحرب العراقية أن: السلاح النووي والتهديد به سيكون فعالًا، خاصة أمام حيرة إيران في إيقاف صواريخ إسكود العراقية، وقد نجحت إيران في تخصيب اليورانيوم، وبناء محطة نووية للكهرباء في بوشهر على الخليج العربي. إن إيران تدعي أنها تسعى في تسخير القوة النووية للخدمات المدنية، والحقيقة من الصعوبة في المستقبل أن تبقى إيران واقفة حول هذا الهدف، وأن سعيها سيقربها حتمًا لتصنيع القنبلة النووية، متى شاءت ذلك أو عند الحاجة الماسة إليها. وهذا مما يقلق ليس السعودية فقط، إنما جميع الدول المعنية، وسيدفع ذلك إلى سباق تسلح في المنطقة، لتحقيق قاعدة الردع، ويبدو للمتتبع للأحداث أن إيران ما هي إلا معول هدم في يد الدول الغربية، لتنفيذ سياسة ومشروع الشرق الأوسط الكبير، الذي رسم بعناية واهتمام للمنطقة، ويتم تطبيقه حسب المعطيات والمتغيرات الإقليمية والدولية.

وقد وجه الكاتب محمد النقيب في كتابه (مشروع الشرق الأوسط الكبير) نقدًا لهذا المشروع الشرق أوسطي الكبير، إذ يقول:

١- إن مشروع الشرق الأوسط الكبير القديم المتجدد، ليس في مفهومه ما هو غائب عنا، بل هو حلقات متتابعة يتم تنفيذها بزمن حسب المعطيات على الأرض، بدأت من زمن الغزو الأوربي للشرق الأوسط وصولًا إلى

(١) عطا الله زايد الزايد: المصدر السابق، ص١٧٢ وما بعدها.

احتلال العراق، والبقية في الطريق، والهدف واحد وهو الوصول هذه المنطقة الغنية بخيراتها وثقافتها ودينها الصالح لكل زمان ومكان، إذا استطاع أصحاب المشروع من التمكن من ثروات هذه المنطقة جغرافيتها، يسهل عليهم التحكم بالسياسة الدولية، ولكن على حساب الوطن العربي.

٢- إن مشروع الشرق الوسط الكبير هو مشروع قائم على المصالح والأهداف الأمريكية الصهيونية، وأن ما يطرحه المشروع ما هي إلا حيل تخفي ما وراءها من الأهداف ما عادت خافية على أحد.

٣- إن من أهم أهداف هذا المشروع إلقاء الهوية العربية والقومية العربية، ومن ثم إلقاء كل ما له علاقة بالأمة العربية، وطمس هويتها، وتكثر في عبارته كلمة دول الشرق الأوسط وشعوب الشرق الأوسط، والغاية واضحة هي إلغاء الانتماء إلى الشعب العربي وحكوماته ومؤسساته في المجتمع المدني، حيث يعلم المشرع لهذا المشروع أن القومية والعروبة هم أساس للأمة العربية وحضارتها على مر القرون، وأن الحضارة العربية أسهمت على مر التاريخ بقسط وافر في رفد الحضارة الإنسانية بكل القيم النبيلة، التي أفادت البشرية، وأن معينها لم ينضب ومستمر، لبناء القدر المشرق الذي تسود فيه قيم الحرية والعدالة وكل ما هو مفيد للبشرية في عالم يجد كل مجتهد حظه، وتكمن خطورة هذه القيم في تعارضها مع المشروع الأمريكي الصهيوني، الذي عنوانه السلب والنهب، ولذلك يتعارض مع المشروع العربي، الذي يرى فيها الغرب تحجيم هذا الانتماء العربي، وإلغاء حركة القومية العربية في صنع حضارتها العربية، التي هي جزء من الحضارة الإنسانية، ولكن القومية العربية هي عنوان وجود، ومن المستحيل محو الوجود، الذى أوجده الله،

وجذوره ممتدة على كل الحقب التاريخية، حتي يومنا هذا وإلى يوم القيامة بإذن الله.

٤- إن خطورة مشروع الشرق الأوسط الكبير هو محاربة الدين الإسلامي، وطمس هذه الهوية الإسلامية، التي هي عنوان وسمة هذه الأمة العربية المنتمية: عقيدةً وثقافةً وحضارة للإسلام، ونسي المنظر الأمريكي أن الإسلام هو من الديانات السماوية الثلاث، التي أنزلها الله على عباده.

٥- أطلق المشرع الأمريكي فرية الإرهاب على العروبة والإسلام من أجل خدمة أغراضه، حيث يعلم في قرارة نفسه من صَنَعَ الإرهاب، وأن أصحاب المشروع البغيض هم من أوجد الإرهاب، حتى يسهل لهم تقسيم المنطقة، وهو ما نراه اليوم، حيث استخدمت هذه العبارة بطريقة فضفاضة وحمالة أوجه.

٦- إن الأهداف الإستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير معروفة، وما عادت خافية على أحد، متمثلة في الآتي: أن تقسيم الوطن العربي من جديد، وجعله كانتونات صغيرة: اثنية وعرقية وطائفية، وإلقاء دور الدول الكبرى فيه كمصر والسعودية والعراق وسوريا، حتى لا تلعب أي دور مؤثر في قيادة الأمة، وحركة القومية العربية، حيث يربط هذا المشروع جميع هذه الدويلات المنشأة حديثًا بإسرائيل، بعد أن تصبح القطب الإقليمي الرئيس في المنطقة، وذلك عن طريق كسر طوق المقاطعة العربية لإسرائيل: اقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا، ومن ثم ومن خلال الدعم المقدم إليها من أمريكا والقوة الغربية، تصبح لها مكونات الدولة الإقليمية المحورية في المنطقة، لما لديها من قوة عسكرية وقوة مالية وتجارية، وقوة تقنية، إضافة لأذرعها الأخطبوطية المتصلة لكل صناع القرار في العالم، مستفيدة من كل الدعم الممكن، وتصبح هي

القوة المسيطرة في المنطقة وبعدها، تحاول تفرض نفسها على الجميع من طمس للهوية العربية والإسلامية حتى يسهل لها التحكم في المنطقة.

٧- يصوغ المشرع لمشروع الشرق الأوسط الكبير الحجج والبراهين، حتى يجد مبررًا لتدخله السافر، يجعل من المنطقة العربية خاصةً والشرق الأوسط بشكل عام مرتعًا للتخلف والفوضى، ولهذا يدعي أنه جاء لتوفير الأمن والاستقرار والسلام والتنمية، لأن توفر الفوضى والحرب يؤثر في حضاراته وأمنه، مع العلم أن سبب الأوضاع المتردية في المنطقة سببه أمريكا وإسرائيل.

٨- إن مشروع الشرق الأوسط الكبير يغض الطرف عما تمارسه إسرائيل من إرهاب الدولة، وإلصاق التهم بالجانب الضعيف، وهم الفلسطينيون، وما تمارسه إسرائيل يعد دفاعًا عن النفس. أم أن قتال الشعب الفلسطيني عن أرضه يعد إرهابًا هو تزوير الحقائق والأشياء.

٩- بدأ مشروع الشرق الأوسط الكبير الحرب بفلسطين، ومن ثم العراق وسوريا، والبقية تأتي في الطريق، يجبرنا المشرع الدخول في الحرب على الرغم عن أنفنا، أو الاستسلام لما يفرضه علينا والقبول بالواقع.

١٠- يحمل المشروع لافتة بداخلها كل العبارات المستهلكة، مثل عدم وجود الحرية والمعرفة وحقوق المرأة إلى الوضع العربي نفسه، مستندًا على تقارير الكتاب العرب المكلفين من الأمم المتحدة، حول التنمية البشرية لعامي ٢٠٠٢- ٢٠٠٣م متناسية أن سبب نقص هذه الحقوق هي أمريكا أولًا، والصهيونية وإسرائيل ثانيًا، والاستعمار الغربي ثالثًا، يريد أن يعالج الموضوع الذي هو تسبب فيه على حساب المنطقة، دون الرجوع إلى الأسباب.

١١- إن مشروع الشرق الأوسط الكبير يتحرك تحت مظلة السعي نحو التطور والتنمية والحداثة للعرب، ولكن في ظل وجود الهيمنة الصهيونية والأمريكية وغيرها، وهذا خلاف تمامًا لما تسعى إليه، إذ لا يمكن تحقق التطور والحداثة والتنمية على أرضية الاستعمار أو الاستغلال أو الهيمنة الخارجية، وهل يعقل أن يقوم المعتدي بخدمة المعتدى عليه؟! وأن يقوم الناهب بمساعدة المنهوب؟! إن الغاية الحقيقية من السعي لبناء حضارة عربية، كما تدعي أنما هو مجرد تغطية لأعمالها وأعمال إسرائيل في المنطقة، وإخفاء اليد المضرجة بدماء الأبرياء، والغاية هي وضع القناع على وجه أمريكا الكالح، لكي تظهر حامية للحريات والديمقراطية وللأمن والسلام والاستقرار في العالم.

١٢- يعتبر صناع القرار في أمريكا وخاصة الذين صاغوا هذا المشروع بأن المقاومة العربية أو الإسلامية، إنما سببها هو الفقر والجهل والجوع، وعندما تقوم أمريكا بمحاربة هذه الآفات إنما تبعد المقاومين عن حمل السلاح في وجه الأطماع الأمريكية والجيش الإسرائيلي المحتل للأرضي العربية وغيرها من البلدان، بينما الحقيقة هي أن المقاومة هي ردة فعل طبيعي لشيء اسمه الاحتلال والظلم.

١٣- إن مشروع الشرق الأوسط الكبير يتعامل مع المجتمعات، ولا يخاطب الحكومات إلا إذا كانت تخدم مصلحته في تفكيك المجتمع، وهذا يعني عدم اعتراف صاحب المشروع بمشروعية الحكومات العربية في منطقة الشرق الأوسط، وهذا اعتداء على سيادة الدول والحكومات، واعتداء على حق الشعوب في تقرير مصيرها وسلطتها.

١٤- إن مشروع الشرق الأوسط يدعم دولة الكيان الصهيوني، بوصفه لها بأنها دوحة الحرية الوحيدة في الشرق الأوسط. هل ما نشاهده من

أعمال بربرية ووحشية يرتقي بها في مصاف الدول الديمقراطية؟! كلا، إن الوحشية والهمجية والعنهجية وإرهاب الدولة الذي تمارسه إسرائيل لا يمت إلى الديمقراطية في شيء.

١٥- تسعي أمريكا من خلال مشروع الشرق الأوسط الكبير إلى السيطرة على الجغرافيا الجيوسياسية والإستراتيجية، لما تمثله هذه الجغرافيا من ثروات طبيعية حباها الله بها، وتمثل هذه المنطقة التقاء القارات الثلاث والممر الاجباري برًّا وبحرًا للتجارة العالمية عبر العالم، ويمثل النفط الهدف الأول في قائمة الثروات، حيث ترغب أمريكا في السيطرة على حقول النفط، حتى تفرض نفوذها بأوروبا الموحدة واليابان والصين والهند على وجه الخصوص.

١٦- إن مشروع الشرق الأوسط الكبير من مهامه الأساسية إحلال ثقافة الاستهلاك في المنطقة، بجعلها تعتمد على الآخر وإنشاء ثقافات وحضارات بديلة للحضارة العربية الإسلامية، وهي المستهدف الأول.

١٧- إن مشروع الشرق الأوسط الكبير من أهدافه إنشاء دويلات اثنية وعرقية وطائفية صغيرة، يسهل التحكم فيها، وتقسيم البلاد التي تمثل مراكز القوة العربية: العراق سوريا، والبقية تأتي بغية إضعافها، حتى لا تلعب دورًا في محيطها الإقليمي. الجميع بمنظمة التجارة العالمية، ولكي تصبح إسرائيل دولة ليست غريبة عن النسيج العام، بعد زوال القوميات والوطنيات والثقافات، وهكذا تزيل أمريكا عن المنطقة كل مكوناتها الثقافية والحضارية، وتزيل عنها الهوية، كل ذلك من أجل إسرائيل.

١٨- إن أبرز ما جاء به مشروع الشرق الأوسط الكبير من عناوين يمكن تلخيصها في ثلاث قضايا:

هي: ١- الحرية. ٢- المعرفة. ٣- حقوق المرأة. كما جاء بثلاث حلول لها، هي عن طريق الإصلاح، عبر تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح، وهم الذين وئدوا الديمقراطية في مهدها: حكومة حماس والإخوان المصريين في العهد القريب خير شاهد، وبناء مجتمع المعرفة، وتوسيع الفرص الاقتصادية، وحرية المرأة ودورها التنموي. وهذه القضايا جميعها يمكن معالجتها داخليًّا، لكن أمريكا ما وضعت هذه القضايا إلا كي تجد لها فرصة تحشر فيها نفسها في هذه المجتمعات[١].

تدخل إيران في سوريا:

وقفت سوريا الأسد مؤيدة لإيران في حربها على العراق، فأمدت إيران بالمال والمعلومات، وبدأت إيران في نشر مذهب التشيع الإثنا عشري في سوريا منذ سنة ١٩٨٥م عن طريق بعثاتها الدبلوماسية، ونشر المراكز الدينية، وما يسمى بالمستشارية الإيرانية، وفي المدارس عن طريق مراجع دينية تقوم بعمل صلات دراسية، ورحلات علمية بين البلدين، تركزت حول ضريح السيدة زينب بدمشق، ثم انتشرت في حمص وحماة واللاذقية وحلب، وفي سنة ١٩٠٦م عقدت حكومة الأسد مع إيران تحالفًا إستراتيجيًّا، عزز مزيدًا من النفوذ الإيراني في سوريا وانتقاله إلى لبنان، ولوضوح هذه الظاهرة وانتشارها، وحصول رد فعل تجاهها قامت بعض الجهات بدراسة علمية لها، منها الدراسة التي قام بها مجموعة من الأستاذة السوريين المتخصصين في مجالات عدة: اجتماعية واقتصادية، موَلتها حركة العدالة والبناء، ونشرتها في لندن تحت اسم عملية التشيع في سوريا من عام ١٩٨٥- ٢٠٠٦م دراسة اجتماعية- إحصائية خلصت إلى النتائج التالية:

---

(١) موفق محمد النقيب: (مشروع الشرق الأوسط الكبير لعبة الأمركة المتصهينة)، ص١٨٨وما بعدها، دار الرئي، دمشق، سوريا، ٢٠٠٨م.

١- تشيع أكثر من ٦٠ ألف شخص من مختلف البيئات، منهم ٢٪ من السنة، و٧٠٠٠ شخص من الشيعة الإسماعيلية، والباقي من المذهب العلوي، ولم يتشيع أحد من المسيحيين أو من الدروز.

٢- إن المتشيعين من السنة كانت نسبة منهم من أسر شيعية قديمة، وآخرين تشيعوا لأسباب أو دوافع الزواج.

٣- وفي تقرير آخر للمعهد الدولي للدراسات السورية، الصادر سنة ٢٠٠٩م، يذكر أن السنة المتشيعين ما بين سنة ١٩٩٩م إلى ٢٠٠٧م بلغ ١٥٩٣٠ شخصًا، معظمهم في (الرقة - ودير الزور - والحسكة).

وعمومًا، فإن النفوذ الإيراني قد طغى على الوسط الاجتماعي، فأصبح شيوخ الدين الإيرانيون يقودون الاحتفالات في جميع المناسبات الشيعية، ويسبوا صحابة رسول الله ﷺ في الحسينيات والمساجد، في حين يمنع علماء السنة من تدريس القرآن في المساجد إلا بتصريح خاص. ولما قامت الثورة السورية ضد الأسد في مارس سنة ٢٠١١م أفتى مرجع إيران علي خامنئي بأن هذه الثورة من صنع إسرائيل والعالم الغربي، وقد أرسلت إيران خبراءها ومستشاريها وجنودًا من فيلق القدس لمساعدة الأسد ضد الثوار، كما حرضت العراقيين من المليشيات الشيعية على الدخول إلى سوريا، وكذلك أفرادًا من حزب الله اللبناني، لتستمر آلة القتل وسفك الدماء، كل ذلك بدوافع طائفية توسعية، جانبت الوقوف مع المظلومين، وستكون نقطة سوداء في تاريخ التشيع الحديث، ولهذا بادر كثير من شيعة لبنان والعراق إلى الاعتراض على هذه الحرب، التي لا هدف لها غير التخريب وقتل الأبرياء[1].

---

(١) السيد أبوداود: تصاعد النفوذ الإيراني في العالم العربي، ص٢٣٣ وما بعدها، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١٤م، ود. عبدالله محمد الغريب: وجاء دور المجوس، ص٤٠١، ط٥، ١٩٨٧م.

تدخلات إيران في الإمارات العربية المتحدة والجزر الثلاث:

لإيران علاقات قديمة مع شيوخ تلك الجزر، اتسمت بالعداء والمصالحة على تلك الجزر، التي أضحت فيما بعد بؤرة نزاع، لها جزور تاريخية، ومن هذه الجزر الثلاث التي تقع على مضيق هرمز الذي يصل بين خليج عمان والخليج العربي أن الأهمية الإستراتيجية لهذه الجزر ينبع من إشرافها على حركة المرور في منطقة الخليج العربي، الذي يمر عبره ٨٦٪ من نفط الشرق الأوسط عبر شواطئ الجزر الثلاث، حسب دراسة لخبراء الاقتصاد والسياسة في مركز الدراسات الإستراتيجية الدولية في جامعة جورج تاون الأمريكية، وهذه النسبة حسب الدراسة تشكل نصف الطاقة، التي يعتمد عليها العالم في صناعته واقتصاده وحياته اليومية، وهذه الجزر هي:

١. **جزيرة أبو موسى**، تقع على بعد ٩٤ ميلًا من مدخل الخليج العربي عند مضيق هرمز، وتبعد حوالي ٧٠ كم عن الساحل الإيراني، وتبعد عن الساحل العماني ٤٨ كم، قبالة إمارة الشارقة، ويبلغ طولها حوالي ٥ كيلومترات، وعرضها ٢-٣ كم.

٢. **جزيرة طنب الكبرى**، تقع على بعد ٥٩ كم جنوب غرب جزيرة قشم، وعلى بعد ٧٨ كم شمال غرب جزيرة الحمراء، وتقع شمال شرق جزيرة (أبو موسى)، وتبعد عنها ٥٠ كم، وتبعد عن إمارة الشارقة ١٠٠ كم، وهي تقابل إمارة رأس الخيمة، ويكون شكلها دائريًّا، ويبلغ طول قطرها ما يقرب من ٣ ونصف كم، ومساحتها حوالي ٩ كم مربع، أما طولها فهو ١٢ كم، وارتفاعها ٦١٥ قدمًا عن مستوى سطح البحر، وموقعها متحكم في الخليج العربي، وفى السيطرة على مدخل المحيط الهندي إلى الخليج العربي.

٣. **جزيرة طنب الصغرى**، تبعد ٩٠ كم عن الساحل العربي، و١٣ كم عن طنب الكبرى، وهي على شكل مثلث، طوله ٢ كم وعرضه واحد كم، وفى سنة ١٩٧١م قامت إيران باحتلال هذه الجزر المهمة من الناحية الإستراتيجية في الوقت الذي كانت فيه جزيرة (أبو موسى) تحت سيادة إمارة الشارقة. أما جزيرتا طنب الكبرى وطنب الصغرى فكانتا تحت سيادة إمارة رأس الخيمة. ومن المهم أن بريطانيا قبل انسحابها من الخليج عام (١٩٦٨-١٩٧١م) توصلت إلى اتفاق مع إيران حول مطالبها الإقليمية في الخليج العربي، ترتب عليه تخلي إيران عن مطالبتها بالبحرين، والاعتراف بها دولة مستقلة، واعتراف إيران بدولة الإمارات العربية المتحدة، وسيطرت إيران على جزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى، وتوصلت إيران إلى تفاهم مع إمارة الشارقة حول السيادة المشتركة على جزيرة (أبو موسى)، وهذا تمت التسوية على الجزر، كما صرح بذلك المفاوض البريطاني حينذاك وليام لوس، ويمكن أن ترجع جذور المشكلة إلى القرن التاسع عشر، عندما احتلت إيران جزيرة لنجة ١٨٨٧م بدأت مطالبتها بجزيرة (أبو موسى)، ولكن رفض بريطانيا وقتها بأن الجزر عربية، يملكها شيوخ العرب، الذين يرتبطون بمعاهدات خاصة مع بريطانيا، وهم تحت الحماية البريطانية، وهى مسؤولة عن شؤونهم الخارجية، وهناك دافع إستراتيجي يكمن من وراء احتلال إيران لهذه الجزر، وهو يمكنها من السيطرة التامة على هرمز، والتحكم في الخليج العربي، ومن المهم أن دولة الإمارات العربية تملك من الحجج القانونية والتاريخية، التي تثبت ملكيتها لهذه الجزر، منها:

١- سكان تلك الجزر، هم من العرب، تجمعهم مع سكان الإمارات الأصول العشائرية والقبلية والروابط العائلية واللغة والعادات.

٢- يؤكد السجل تبعية الجزر الثلاث لإمارتي رأس الخيمة والشارقة.
٣- كانتا إمارة رأس الخيمة والشارقة تمارسان السيادة الفعلية على هذه الجزر، المتنازع عليها لمدة تزيد عن قرنين كاملين[١].

وفى التاريخ الحديث يرى رياض نجيب الدور العربي البطولي القومي، الذى لعبه حاكم إمارة الشارقة الشيخ خالد بن محمد القاسمي، الذى تعدى الحلم من انتقال الشارقة من قرية صغيرة في عام ١٩٦٥م إلى مدينة كبيرة واسعة اقتصاديًّا ونفطيًّا، بل تعدى حلمه هذا كله، حتى انتقل إلى هم الوحدة. كانت فكرة الوحدة هي همه الأول، وأن المستقبل في الاتحاد بنسبة للإمارات من الأطماع المحدقة بها من الإيرانيين، وهو المظلة الوحيدة التي تؤمن سلام الخليج، وكانت بينه وبين إيران مشكلات، لكن كلما طالبت إيران بجزيرة (أبو موسى) التابعة له تجعله يتعلق بالوحدة وبمستقبل الاتحاد، وهو ضامن لأمن المنطقة. لكن الشيخ خالد نسي تاريخ قبيلته القواسم أو تناسى، وكان يعلم بأن ابن عمه الحاكم السابق الشيخ صقر بن سلطان القاسمي يتآمر عليه، لكن الذي لم يتوقعه هو أن يصل هذا التآمر درجة الجنون، حتى يضع له قنبلة في مجلسه، وينجو من الحادث ١٩٧٠م، ونسي أن التاريخ يمكن أن يعيد نفسه، لكنه ظن أن الزمن كفيل بأن يغير طباع قبيلته وسلوكها، لكن خاب ظنه، وتم قتله في محاولة انقلابية لاحقة في عام ١٩٧٢م، وبعد موته تحركت الفكرة الاتحادية، وبدأت تتحقق أول معالمها بإعلان دولة الإمارات العربية المتحدة، من (أبو ظبي) ودبي والشارقة وعجمان وأم القيوين، وظلت رأس الخيمة خارجة عنها، هكذا قال صاحب الكتاب قبل موته. كان الشيخ خالد يرجو أن يفهم حكام الإمارات أن بقاءهم مرهون بتوحدهم، وأن استقرارهم مربوط باتحادهم، وكان هناك عداء بينه وبين حاكم دبي الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، وهو عداء تاريخي

(١) د. الضاري سرحان الحمداني، ص١٤٨ وما بعدها، المصدر السابق.

وعصري، تاريخيًّا نتيجة الحروب التي بين القواسم وآل مكتوم في أواخر القرن التاسع عشر، وعصريًّا للتنافس التجاري والتنموي. وفى المكالمة الهاتفية الأخيرة بينهما كان يستنجد بالشيخ راشد آل مكتوم على الرغم من العداء الذي كان بين الشيخين، إلا أن أواصر الدم جعلت الشيخ خالد بن صقر يطلب من الشيخ سعيد آل مكتوم النصرة والنجدة، وكان ابن الشيخ راشد هو الذي قمع الانقلابين، وتم اعتقال المتآمرين، وقُتِلَ الشيخ خالد، وقدم مهجته ثمنًا للاتحاد فيما بعد، وهو ثمن غالي، ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر، والتاريخ وحده هو الحكم المنصف والخصم الظالم، وأيامه طويلة، وذاكرة الناس ضعيفة، ثم خلفه إخوة الشيخ سلطان بن محمد القاسم.

لكن من أهم الأحداث بعد وفاة الشيخ خالد بن محمد القاسم هو انضمام إمارة رأس الخيمة التي كانت رافضة من قبل بزعامة الشيخ صقر بن محمد القاسم، ولكن بعد وفاته الشيخ خالد على ما يبدو استشعر الشيخ صقر الخطر وجنح إلى رأي الأقلية، وانضم إلى حظيرته من غير شرط، ولكن المهم في الأمر حسب رأي الكاتب رياض نجيب الريس كاتب كتاب مصاحف وسيوف إيران: أن هناك صفقة تمت بين الشيخ صقر حاكم رأس الخيمة، ونظام الشاه باعه بموجبها جزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى بمبلغ لم يتعد الثلاثة ملايين إسترليني، وكان ما يؤكد ذلك هو معلومات المراقبين: أن إيران أهدت الشيخ صقر عددًا كبيرًا من السيارات الأمريكية واليابانية، وقامت إيران بفتح فرع لبنك صادرات إيران، وفتح عدد من الإيرانيين متاجر لهم في رأس الخيمة، ولكن الشيخ صقر نفى هذا الأمر بعد ما استوضحته الكويت في ذلك. وفى تلك الأثناء عجزت الشركة شل هايدوروكاربونز عن اكتشاف النفط بكميات تجارية، ومطالبة حكومة عمان الانقلابية الجديدة برئاسة قابوس بن سعيد، الذى بدأ بحركة التغيير الكبيرة في بلاده، بإعادة حدودها مع إمارة رأس الخيمة أمام

كل هذه العوامل لم تجد رأس الخيمة إلا علاقتها الخاصة بالمملكة العربية السعودية في الاعتماد عليها. هذه العلاقة القائمة تاريخيًّا على الرابطة الدينية المتمثلة في المذهب السلفي، الذى يربط السعوديين والقواسم وإمارة الشارقة ورأس الخيمة، التي شكلت تحالفًا غير مباشر، وحلفًا دينيًا غير معلن، انضمت إليه قطر السلفية المذهب في فترة ما اثناء المفاوضات الاتحادية في الستينيات وقدمت السعودية خدمات جليلة لهذه الامارة متمثلة بشارع اسفلت على طول الساحل وتسليح قوة دفاع رأس الخيمة وبناء مدرسة ومستشفى وتمويل عدد من المشروعات الصغيرة ومن خلال النظرة التاريخية قد يكون لسعودية دور كبير في الامن الخليجي على دول الخليج والمنطقة العربية عمومًا لما تمثله من أهمية إستراتيجية واقتصادية ولما يتمتع به حكام المملكة العربية من حنكه وسياسة النفس الطويل اتجها القضايا العربية والإقليمية في المنطقة ولهم تاريخ رائد في هذا الشأن[١].

تدخلات إيران في بقية الدول العربية:

حاولت إيران في كل من الأردن ومصر والسودان والجزائر والمغرب ودول أخرى إسلامية، ولهم في هذا أساليب عدة حسب ظروف كل بلد، وهذه الأساليب تنحصر فيما يلي:

- **أولًا:** يتجه نشاطهم نحو الأقلية الشيعية الموجودة في البلد، وإحياء مذهبها الشيعي حتى وإن كان قديمًا، ففي الأردن اتجهوا إلى قبيلة حرب والشرارة وبرجاوي وبيضون وسعد ديباجة وفردوس وجمعة والبزة، وفي الجزائر إلى الأمازيغ من البربر.

(١) رياض نجيب الريس: (مصاحف وسيوف إيران من الشاهنشاهية إلى الخاتمية)، ص٣٥١ وما بعدها، المكتبة البريطانية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

- **ثانيًا:** يتجهون أيضًا إلى الجمعيات الإسلامية في البلاد التي تقترب من أفكارهم خاصة الجمعيات الصوفية بدعوة التقاء التصوف والتشيع بتمجيد آل البيت، كما حصل ذلك في السودان خاصة ومصر.
- **ثالثًا:** نشر الكتب الشيعية والمجلات والنشرات وإنشاء المكتبات وإمدادها بالمال والكتب وإقامة معارض للكتاب.
- **رابعًا:** إرسال المعلمين والوعاظ واستغلال فكرة السياحة وزيارة قبور الأولياء، لنشر مذهبهم في تلك المناطق.
- **خامسًا:** استقدام طلبة العلم الديني خاصة من تلك البلاد وتدريسهم مذهب التشيع في قم وغيرها، وإعدادهم لتنفيذ أغراضهم السياسية والمذهبية.
- **سادسًا:** إنشاء مراكز ثقافية وحسينيات ومدارس حسب ما يتيسر لهم وتنشط بعثاتهم الدبلوماسية في تنفيذ تلك الأغراض. مما تضطر بعض الدول لقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران، كما حصل في المغرب سنة ٢٠٠٩م والسودان في العام ٢٠١٦م.
- **سابعًا:** تستغل إيران أيضًا الطلبة الشيعة الذين يدرسون في الخارج خاصة في أوروبا وأمريكا والشيعة منهم على تجنيدهم لنشر التشيع في بلادهم بعد رجوعهم من دراستهم فقد كشفت المخابرات المغربية سنة ٢٠٠٤م جهود الإيرانيين في تجنيد طلبة مغاربة لنشر التشيع في المغرب. (السيد أبوداود: تصاعد النفوذ الإيراني في العالم العربي - ص٢٩١-٢٩٢).
- **ثامنًا:** استخدمت إيران بعض الشيعة العرب من العراق ولبنان في نشر التشيع خاصة عن طريق المدارس التي يدرسون فيها.

ونسأل: هل نجحت إيران في تصدير ثورتها عن طريق تلك التدخلات؟ والجواب: بعد هذه السنين أدخلت إيران نفسها في عزلة وعداء مع العالم الخارجي، وبسبب تصدير الثورة على شكل يتمثل بنشر مذهب الشيعة الإثنا عشرية، فإن ذلك لم يكن مرحبًا به في الأوساط السنية، فجميع بلاد العالم الاسلامي من السنة قد رفضت سياسة إيران واستخدامها مذهبها الديني الشيعي، ويمكن القول تلك السياسة كان مرحبًا بها جزئيًّا الأقليات الشيعية في البلاد السنية، فمن الواضح ان أكثرية هؤلاء الشيعة وجدوا أنفسهم في تناقض بين المذهب والمصلحة، وقد فضلوا مصالحهم على الانسياق إلى ما ترغب إيران به، ومع ذلك فقد كانت هذه السياسة مصدر توتر بين إيران وبلاد السنة من المسلمين، كما عملت هذه السياسة في العراق خاصة على تمزيق العراق بين سنة العراق وشيعتهم، وهذا في الأخير يعد فشلًا للسياسة الإيرانية، التي تحالفت مع القوى المعادية، وشاركت في تمزيق العراق وتقسيمه إلى فئات متخاصمة، بل إن عدوى التخاصم شملت شيعة العراق أنفسهم حيث انكشف لأكثرهم أن إيران تستخدم مذهب التشيع لأغراضها السياسية والاقتصادية، ولم تسهم في رفع المستوى الاقتصادي للعراق، بل ظل مدمرًا بعد الحرب، وساهمت إيران في استغلال واغتصاب ثرواته النفطية. والحال تبدو أسوأ في سوريا، حيث تتدخل إيران مباشرةً في قتال مجموع السوريين، وتساهم في تهجيرهم وخراب بلادهم منتصرة إلى قلة من العلويين الشيعة، فوضع هذا حاله لا يمكن أن يؤدي إلا إلى فشل ذريع في سياسة إيران الخارجية، وقل الحال كذلك في لبنان، حيث قامت بجر الشيعة اللبنانيين من حزب الله إلى مقاتلة إخوانهم العرب، مما جعلت العقلاء في حيرة في كيفية الخروج من هذه المأساة، التي طال حلها، وسببت للعالم العربي والإسلامي أضرارًا فادحةً، سيكون لها الأثر البالغ في مستقبل العلاقات العربية الإيرانية، فلم تسهم إيران في إطفاء الحرائق المذهبية المشتعلة، بل ساهمت في توسيع انتشارها وتعضيد مشعليها بالمال والسلاح، كما هو الحال في

اليمن أيضًا، وعمومًا فإن سياسة التدخلات وتصدير الثورة التي كان يراد منها نشر الإسلام وانتشال المستضعفين من السقوط تحت الأقوياء كما تدعي إيران، كل ذلك عمليًّا يبدو فاشلًا فشلًا ذريعًا، تسببت إيران أيضًا حينما أدركت فشلها استدعاء القوى الأجنبية في المنطقة خاصة روسيا[١].

تطرف إيران في سياستها الخارجية:

تحت شعار الاستقلال والإسلام والحرية ومناصرة المحرومين والضعفاء رفعت إيران بعد الثورة شعارات وقامت بأعمال في علاقاتها الخارجية في شكل متطرف، ويخرج عن قواعد الأعراف الدولية، وينص الدستور الإيراني على أن مرشد الثورة هو الذي يرسم السياسة الخارجية، ويكمن رصد تلك المظاهر بما يلي:

١. الخطابات والتصريحات المعادية خاصة من قبل المحافظين كوصف أمريكا وإسرائيل بالشيطان الأكبر، وادعائها مناصرة القضية الفلسطينية.

٢. حجز الرهائن الأمريكيين في السفارة الأمريكية بطهران مدة طويلة، وجعل هذا العمل موضوعًا للمساومة والابتزاز.

٣. إصدار فتوى بمشروعية قتل الكاتب البريطاني سلمان رشدي على ما كتبه في كتابه (آيات شيطانية)، وأن يدفع لقاتله مبلغًا كبيرًا، واستغلال هذا الموضوع لاستدرار مناصرة العالم الإسلامي لإيران، وأنها تدافع عن رسول الله ﷺ. والدليل على استخدام هذا الموضوع بشكل سياسي قامت إيران مؤخرًا بنسخ وإبطال هذه الفتوى إرضاءً للأوروبيين وبحسب مصلحتها.

---

(١) جميل الذيابي: إيران ورقصة السرطان، ص٨٦ وما بعدها - مكتبة العبيكان، ط ٢، الرياض، ٢٠١١م.

٤. تناوب على الحكم المحافظون والإصلاحيون وكان العالم ينتظر من الإصلاحيين الانفراج في العلاقات مع إيران وتوقفها عن التدخل في شئون الغير، ولكن إيران استخدمت رفسنجاني ومحمد خاتمي بوصفهم إصلاحيين، واستمرت بدهاء في سياستها الخارجية، ومشروعها النووي في وقت صدقها العالم، أنها قد غيرت سياستها المحافظة.

٥. تتبنى إيران السياسة المعادية عادة إلى السنة خاصة في البلاد العربية، وتدعي بأنها لا تخاصم السنة جميعهم، وإنما خصومتها مع الإرهابيين، محاولة منها في الاصطفاف مع أمريكا والغرب في تلك التوجهات، ويبدو أن هذا هو سر تراخي السياسة الأمريكية والأوروبية تجاه إيران، وتمددها في العراق والشام ولبنان واليمن والبلاد الأخرى. كما أن إسرائيل تشجع على إثارة الخلافات السنية الشيعية، وإعادة تقسيم البلاد، ليسهل على إسرائيل التحكم في المنطقة وبما يتفق أيضًا مع توجهات المسيحية المتصهينة.

٦. حاولت إيران بناء علاقات مع دول عدم الانحياز للاستفادة منها في التصويت في الأمم المتحدة، ولإظهار أنها دولة غير منحازة، وأنها كما تدعي لا تتدخل في شؤون الغير.

٧. تهدد إيران من أي عدوان عليها سيجابه بإغلاق مضيق هرمز، حيث تتضرر الدول التي تشتري النفط والغاز الإيراني، وكذلك تتضرر الدول الواقعة على الخليج العربي، وقد بنت إيران سياستها الخارجية في ظل ظروف البيع لنفطها وغازها، حيث يعد مصدرًا مهمًّا لاقتصادها، وقد نظمت شبكة من المكاتب الاقتصادية لبيع نفطها وغازها تحت مسميات مختلفة، هروبًا من الحصار المفروض عليها، وقد أضحت الهند والصين من أوائل الدول التي تشتري نفط إيران.

٨. لإيران تمثيل دبلوماسي واسع في ٩٩ بلدًا، تنشط سفاراتها في تمثيل وتطبيق سياسة إيران، وخاصة ما تعلق منها بنشر التشيع المذهبي، والاتصال بالجماعات الشيعية في تلك البلاد، وتأييد أنشطتها وإمدادها بما تحتاج إليه من دعاية ومعلومات وكتب ونشر وإنشاء المساجد والحسينيات الشيعية. إضافةً إلى مهام السفارات المتعلقة بالاقتصاد والثقافة، واتهمت إيران بأنها تأوي في بعض سفاراتها من ينفذون الاغتيالات لأشخاص معادين لإيران كما في برلين وسويسرا وباريس وفيينا.

الفصل السابع

علاقة إيران بما حولها

تبني إيران سياستها على محاور ومبادئ مختلفة فهي مع إسرائيل ترفع الإسلام كقوة مناصرة للفلسطينيين تستقي منه مبادئها في معاداة إسرائيل، وأما علاقتها مع دول الجوار وما تعلق منها بالحدود، فهي تبني سياستها على المبادئ القومية، وأما ما عادا ذلك من دول أخرى، فعلى المصالح الاقتصادية فتؤدي البرجماتية الإيرانية دورًا كبيرًا في تلك العلاقات.

يبلغ عدد جيران إيران خمس عشرة دولة، مجموع حدودها ٨٧٣١ كيلومترًا، ومنها ٢٧٠٠ حدود بحرية، وأغلب هذه الحدود كانت بها منازعات مع جيرانها، فقد كانت الإمبراطورية الفارسية تشمل كثيرًا من الأراضي التركية والروسية والهندية، ولكنها تقلصت إلى أن استقرت نسبيًّا في العصر الصفوي، حيث أرغمت إيران على التنازل للدولة العثمانية على الأراضي الواسعة في الشمال، وكذا تنازلت إيران لروسيا في الشرق عن بعض المناطق التي كانت تسمى بالجمهوريات السوفيتية، وكذلك الحال في حدودها مع الهند والباكستان وأفغانستان، واستمر نزاعها مع العراق على شط العرب وأجزاء من الخليج، فكانت في خلاف مع الإمارات العربية والسعودية والبحرين، ويمكن القول بأن خلافات إيران مع جيرانها تعد من أوائل دول العالم في عدم استقرار حدودها، ويرجع السبب بذلك إلى إحاطة إيران بدول من قوميات مختلفة عنها، إضافةً إلى تضارب المصالح وظهور النفط. لذلك تخطت إيران وسائل الإعلام العالمية، وخاصة ما يبث في العديد من الفضائيات، فقد عمدت الحكومة إلى منع صحون

التلفزة اللاقطة سنة ٢٠٠٦م، واستحدثت إدارة في الحرس الثوري لتدمير هذه الصحون ومحاسبة أصحابها، ويكمن تلخيص تلك العلاقات كما يلي:

١- علاقتها بتركيا:

تبلغ حدود تركيا مع إيران ٤٨٤ كيلومترًا، وتعد تركيا ملاذًا للإيرانيين الهاربين من بلادهم لشتى الأسباب، كما أن العديد من الإيرانيين يقضون إجازاتهم في تركيا، وربما لربط علاقات تجارية معها، وفي عهد الشاه رضا بهلوي تحسنت العلاقات مع تركيا، وقد كان الشاه يرغب بنقل تجربة أتاتورك إلى إيران وتحديثها، وقد حاولت أمريكا في الخمسينيات من إنشاء حلف يضم إيران وتركيا والعراق ليقف ضد الاتحاد السوفيتي وتسليح تلك البلاد، وفي عهد الثورة الإسلامية تطورت العلاقات التجارية، فقد قفزت التبادلات التجارية في عهد محمد خاتمي من مليار إلى ٦ مليارات دولار، فقد اتسمت العلاقة بينهم بالمصالح التجارية، فإيران تمد تركيا بالغاز وبعض النفط، وتستقبل من تركيا بعض البضائع والصناعات التركية.

وإيران لا تعجبها سياسة تركيا في ميلها إلى أمريكا وإسرائيل. ومن أهم الأعمال التجارية بين البلدين أسند لشركة تركية إدارة مطار طهران، ولكن إيران لها مواقف مغايرة تخالف تركيا في سياستها مع أمريكا وإسرائيل وسوريا وحزب العمال الكردستاني وأرمينيا، ونقل الغاز إلى أوروبا، كما يعد خط الغاز من أذربيجان إلى تركيا مصدر قلق لإيران، لأنه قام مقام خط الغاز من إيران جنوب إيران إلى تركيا، والذي توقف بموجب الحصار، ويشكل التوجه الإسلامي التركي بقيادة حزب العدالة والتنمية الإسلامي مصدر منافسة ضد التشيع، الذي تروج له إيران، وعلى العموم فإن تركيا منذ القدم تمثل حائط صد ضد الطموحات الإيرانية في المنطقة. وعلى الرغم من وجود مصالح اقتصادية بين تركيا وإيران إلا أن هناك عقبات كأداء تواجه الدولتين التي يمكن حصرها في ثلاثة نقاط

أساسية، وهي: الخلاف المذهبي بين الطرفين والعدد الكبير من المهاجرين الإيرانيين الذين يعيشون في تركيا، وكذلك وجود عدد كبير من الاتراك عرقيًّا الناطقين بالتركية في إيران اختلاف وجهات النظر بين الطرفين بخصوص سوريا، حيث تصر تركيا على إدانة تهجير السوريين من بلادهم وضربهم بالطائرات والبراميل المتفجرة وتهجيرهم إلى تركيا، حيث تتحمل أعباء اللجوء ومشكلات اللاجئين، وما يجره من مشكلات لأمنها، وتميل تركيا بسياستها إلى دول الخليج، رافضة تدخلات إيران في البلاد العربية عمومًا، كما لا تتفق تركيا مع إيران على ما يجري في العراق من تهجير أهل السنة من أماكنهم، وتكوين إيران الحشود العسكرية لتنفيذ أغراضها بالعراق وسوريا ولبنان.

٢- علاقتها مع العراق:

الوجود الشيعي في العراق تعده إيران مصدر قوة ونفوذ لسياستها، ولكن كونهم من قومية مختلفة عن قوميتها الفارسية تظل إيران تنظر إلى العراق بريبة وخوف من تغير توجهات العراق ضد إيران، ولهذا فهي تحكم اليوم السيطرة على العراق من جميع الجوانب الاقتصادية والسياسية، ومن الملاحظ أن قلة من شيعة العراق يؤيدون إيران، والبقية غلبوا على أمرهم نتيجة الحرب العراقية الإيرانية، وما أفرزته من نتائج فيما بعد، ويبدو أن موضوع شط العرب من أهم نقاط الخلاف الحدودية بين البلدين، كما أن أعمق نقاط الخلاف هو موضوع تصدير الثورة وتدخل إيران في العتبات المقدسة عند الشيعة في كل من النجف وكربلاء وعملية نقل الموتى الشيعة الإيرانيين ودفنهم في النجف.

بعد دخول أمريكا للعراق سنة ٢٠٠٣م واحتلالها له ساعدت إيران المحتلين في إسقاط الدولة العراقية، وباشرت إيران في التمدد لملء الفراغ، الذي تركته أمريكا بعد انسحابها من العراق، وجدت إيران الساحة خالية من المنافسين، فكونت العديد من القوى والمليشيات الشعبية، ذات التوجهات المذهبية الشيعية،

لتنفيذ أغراضها داخل العراق، فكان أن كونت إيران أكثر من خمسين مجموعة مدربة عسكريًّا أكثرها يقاد من قِبل الحرس الثوري الإيراني، وقامت هذه المليشيات بتهجير المخالفين السنة أو اغتيالهم، فأفرغت جنوب ووسط العراق عمومًا من القوى السنية، وانحصر خلافها مع السنة في غرب العراق خاصة وشماله. وكما ذكرت الأكاديمية العراقية زينب: (أمل الشعب بعد سقوط صدام حسين في إعادة الإعمار والديمقراطية، بيد أن العراق الآن أصبح (سفرة) مفتوحة، يدخل إليها الجميع لتحقيق مصالحهم، لا مصالح الشعب العراقي. غدت العراق ميدانًا للمعارك بين إيران وأمريكا، تتنافس كل منهما على تمويل المجموعات المختلفة، وتنفق الأموال على الأسلحة التي يقتلون بها بعضهم، حتى إن الشيعة يقتلون الشيعة، ويقتل أهل السنة الآن بالأسلوب نفسه الذي يقتل به الشيعة السنة، ويقتل به السنة الشيعة)، وشعر شيعة العراق بأن إيران خذلتهم، وأصبح نفط العراق نهبًا للمليشيات، وتردت الخدمات العامة من مياه وكهرباء وشؤون صحية، في الوقت الذى كان يأمل فيه شيعة العراق خاصة أن تنهض بلادهم، وتتحسن أحوالهم بعد الحرب، بل إنهم يخشون الآن أن تزج إيران بالعراقيين في الحرب المستعرة في سوريا، كما زجت حزب الله في لبنان وبعض أنصارها من أفغان وغيرهم، وفى عامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٦م كانت أعمال العنف الطائفية والمذهبية، تقوم بها جماعات من غير العراقيين بشكل أساس، مثل تلك المجموعة التي كان يقودها أبو مصعب الزرقاوي الأردني المرتبط بالقاعدة، التي شنت هجمات بشعة ووحشية ضد مختلف الجماعات، لكن غالبيتها موجهة ضد الشيعة، ومنذ وقتئذ تعاظمت الصراعات الطائفية، وامتدت إلى خارج بغداد، يقوم بالهجمات الإسلاميون السنة، والبعثيون، والاسلاميون الشيعة، يعتقد كثير من العراقيين أن الدولة العميلة للولايات المتحدة التي يهيمن عليها الشيعة، وتدعمها إيران هي المسؤولة عن هذا الصراع العنيف، وتتحمل تبعيات كل التردي الحاصل في البلاد، ويوجد حوالي ٢ مليون مسلح ينتمون إلى تنظيمات نشطة

بالعراق، وهؤلاء مزيج من قوات الاحتلال والمرتزقة الأجانب المتعاقد معهم، والقوات العراقية التي يدعمها الاحتلال والمليشيات العراقية السرية، التي تتحكم فيها الولايات المتحدة، ومجموعات الخطف الخاصة، وقوات المقاومة التابعة لأحزاب مختلفة، ولكن إثر كل هذا تختلف دقة المعلومات عن عدد الضحايا في العراق، تقول هيفاء زنجاتا: إن عدد القتلى العراقيين منذ ٢٠٠٣م بلغ مليون عراقي، ووفقًا لتقارير الهلال الأحمر العراقي أن حوالي ٢ مليون هجروا داخليًّا، أو اقتلعوا، وأغلبهم من النساء والأطفال، و ٢مليون التجأوا إلى الخارج[١].

يبلغ طول شط العرب ٢٠٠ كيلومتر وعرضه ٢٠٠ متر تقريبًا، وفي بعض المناطق أكثر من ذلك، ومن الناحية الجنوبية للشط تقع مدينة المحمرة، مركز الإمارة العربية الخاصة بالكعبيين، وجنوبها أسست مدينة عبادان ذات الإنتاج العالي من النفط سنة ١٩٠٨م، وكان ذلك بتنسيق بين بريطانيا والدولة العثمانية، أنشأت فيها أول مصفاة للنفط في عبادان، وكان مجرى النهر يمثل نقطة خلاف بين البلدين، ولم يحسم هذا الموضوع في اتفاقية الجزائر سنة ١٩٧٥م. كان العراق في حربه مع إيران يتوق أن تقوم الأحواز بوصفها منطقة عربية بالوقوف معه، ولكن مشاعرهم المذهبية نحو الشيعة غلبت على توجهاتهم. وفيما يبدو أن سياسة أمريكا والغرب تقضي للقضاء على كل من القوة العسكرية للعراق وللإيران معًا، حيث أمدت كلًّا من الطرفين بالأسلحة لإدامة الحرب ٨ سنوات، عملت بعدئذ على إيقافها حينما أمست المصالح الأمريكية الأوروبية في نقل النفط من الخليج بحاجة إلى إيقافها. وأصبح العراق اليوم سوقًا إيرانية ونهبًا لتدخلات الميلشيات الشيعية التي قامت بتطهير المناطق السُّنية مبتدئة بالبصرة والزبير، وانتهاءً اليوم في مناطق العراق الوسطى من ديالي والانبار، ويمثل موقع الخليج العربي

(١) إلهه روستا مي، ترجمة د. فاطمة نصر: تأثير إيران ونفوذها في المنطقة، ص١٩٥ وما بعدها، إيران، zed book.

أهمية عالمية، حيث أصبح ممرًّا لناقلات النفط، حيث تتم عبره عمليات نقل حوالي ١٧ مليون برميل يوميًّا مما جعل مضيق هرمز منطقة حيوية تهدد إيران دائمًا بإغلاقها حين الحرب، ما سهل التواجد الأجنبي الأمريكي في قواعد له في المنطقة في كل من البحرين وقطر والإمارات (تواجد فرنسي)، ولهذا يعد الخليج العربي منطقة صراع عالمية لجميع القوى التي لها مصالح في المنطقة.

٣- علاقة إيران بالسعودية:

على الرغم من التقارب بين المملكة العربية السعودية وإيران ما بعد الثورة في الملامح العامة من حيث دستور البلدين، إذ يمثل كل من النظامين نموذجًا إسلاميًّا معينًا للدولة الإسلامية، ويتمسك كل منهما بالقيم الإسلامية العامة، وتمثل الشريعة الإسلامية القانون الأساس للدولة، ولرجال الدين في كل منهما دور بارز في توجيه المجتمع وتنظيمه، في المملكة العربية السعودية هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تقوم بهذا الدور بتحديد المعايير السلوكية للمجتمع ومدى التزام المجتمع بأوامر الشريعة الإسلامية وحرفية نصوصها. أما في الجمهورية الإيرانية فإن هيئة رجال الدين تتحكم في جميع مفاصل الدولة، ويسيطرون على كل مؤسسات الدولة بشكل كامل، وأن الخميني هو الحاكم الأعلى والفقيه، ملم بجميع الأحكام الإسلامية، عالم بالأحكام والقوانين، والحكام الحقيقيون هم الفقهاء، والسلاطين مجرد عمال لهم، فالحكم كله بيد الفقيه، يعني الإمام الغائب، وهكذا استقر وضع الفقهاء بوصفهم مؤسسة دينية، ظل دورها يتنامى إلى الحد الذي صدقه، بل ورسخ في أذهان وعقائد كل الإيرانيين الشيعة، اعتقادًا منهم بولاية الفقيه على كل أمور الحياة الدنيوية والأخروية، وهكذا سيطر الفكر الخميني الشيعي على عقول[1] الناس في إيران بصفته

(١) د. عصام السيد عبدالحميد: (العلاقات بين السعودية وإيران ١٩٨٢-١٩٩٧م)، ص٤٢ وما بعدها، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

الإمام الغائب، وهو الفقيه الذي تجب ولايته وطاعته، بوصفه ركنًا من أركان الإسلام، حسب المذهب الشيعي، وقد أدخل الخميني بلاده بثورته المزعومة إيران في مشكلات وحروب مع جيرانه بتصدير فكره الشيعي، وبهذا حكم على ثورته بالفشل، عندما حاول فرض التشيع على أهل السنة داخل إيران نفسها، حيث يعيش قرابة عشرين مليون مسلم من أهل السنة يشكلون نسبة كبيرة من سكان البلاد، وينتمون إلى أصول عربية وكردية وتركمانية وبلوشية، وهذا ما فصلنا عنه في مواضعه ومع ذلك حرص البلدان: السعودية وإيران على التقارب، إلا أن عوامل التوتر بينهم كانت حاضرة في كل المحافل، بسبب إصرار إيران الدائم من تصدير المد الشيعي، الذي تحاول جاهدة إلى إيصاله إلى جيرانها، وهو ما يعرف بتصدير الثورة، وكذلك موقف البلدين من جزر الإمارات العربية في الخليج، وبشكل أخص في البحرين، ومع ذلك أن الأمور لم تصل إلى مرحلة التأزم وقتها، إذ اكتفت إيران بالاحتجاج على الاتفاقيات التي كانت تعقدها بريطانيا مع السعودية مثلًا، على إثر توقيع معاهدة جدة بين بريطانيا والملك عبدالعزيز بن سعود في عام ١٩٢٧م، أعلنت الحكومة الإيرانية احتجاجها على ما جاء في نص المادة السادسة من المعاهدة، التي كانت تقضي بامتناع ابن سعود عن التدخل في شئون إمارات الخليج، وذلك نابع من ارتباطها ببريطانيا بمعاهدات خاصة، وذلك ما اعتبرته إيران إنكارًا لحقوقها في المنطقة، ومع ذلك لم يمنع من إقامة السعودية علاقات دبلوماسية مع إيران في سنة ١٩٢٨م، وفي هذا كانت هنالك دوفع تحرك السياسة الإيرانية في السيطرة على الخليج، إلا أن بروز المملكة العربية السعودية في عام ١٩٣٢م بصفتها قوة لها وزنها، هو واحد من العوامل المهمة التي حدت من الأطماع الإيرانية في المنطقة، خاصة وان المملكة العربية السعودية لها حدود طويلة على سواحل الخليج، في المنطقة الشرقية في الأحساء، ولها ثقلها المادي والمعنوي على الإمارات العربية في الخليج، وهذه

الأسباب مجتمعة جعلت الشاه يخطب ودها، فالعلاقات بين البلدين قديمة[١]، وقد تم تبادل زيارات بين الملك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ وشاه إيران سنة ١٩٦٦م، وفي سنة ١٩٦٨م ثار خلاف بين الطرفين حول ملكية جزيرتين في الخليج، هما جزيرة فارسي والعربية، فتم حل الخلاف بينهم بإلحاق جزيرة فارسي بإيران، والعربية بالسعودية، واتسمت العلاقات بين البلدين في عهد الشاه بنوع من الاستقرار، عدا اختلاف الطرفين على أسعار النفط، حيث كانت إيران تطالب برفع الأسعار. وبعد الثورة الإيرانية كانت العلاقات السعودية الأمريكية وطبيعة النظام الحاكم السعودي هدفين للهجوم المذهبي لإيران. وفي الجانب الآخر ترى السعودية في إيران ثورية طرح عنيف، تهدد الخليج عامة، ولأن كل البلدين يعلن تطبيقه للإسلام من وجهة نظره، فلقد أصبحت الدولتان في خطين متضادين، وكان سعي الخميني إلى استخدام الدين بوصفه مسارًا لسياسته الخارجية تجاه دول الخليج بصفة عامة والمملكة العربية السعودية بصفة خاصة، أحد أبرز العوامل في توتر العلاقات بين إيران ودول المنطقة، حيث تعد الكاتبة بنفشه كي نوش أن العلاقات الدولية وخاصة مع أمريكا هي المحدد المؤثر في العلاقة بين السعودية وإيران، مع أن العناصر الأخرى هي عناصر ثانوية، وأن للعقيدة الدينية المذهبية لكل منهما أثر في تلك، وترى الكاتبة أن تلك العلاقة تتأثر أيضًا بالخلافات السياسية الداخلية في كل من النظامين.

العلاقات بين البلدين تأخذ ظاهرة المد والجزر، تكاد تصل مرحلة يكاد المتتبع للعلاقة بين الطرفين يجزم بأن لا عودة لمرحلة الهدوء، لذا كانت العلاقات تتوتر شيئًا فشيئًا بدءًا من سياسة إيران المطالبة بتدويل الحج والعمرة، كما أنها زادت أعداد الحجاج، فأصبح وجودهم في كل موسم من مواسم الحج يشكل

---

(١) د. جمال زكريا قاسم: (العلاقات العربية الإيرانية)، ص١٣٤ وما بعدها، معهد البحوث والدراسات العربية، إنترناشونال، القاهرة، ١٩٩٣م.

مشكلة لما تختلقه البعثة الإيرانية من شعارات وطلبات، تخرج عن مفهوم الحج، وكثيرًا ما تؤدي هذه إلى صدامات في الحج، وكلها ذات دوافع مذهبية الشيعية، وتتعدى هذه الاحتجاجات البعثة الإيرانية إلى جموع الحجاج من بيت الله، وتلحق ضررًا بالغًا بالحجاج.

وهذا كما حصل سنة ١٩٨٧م من صدام أدى إلى وفاء أكثر من ٤٠٠ حاج، تم بعدها قطع العلاقات الدبلوماسية، ولم ترجع إلا سنة ١٩٩١م، حيث زار الرياض وزير الخارجية ولايتي، وفي صيف ١٩٩٤م أرسل هاشمي رفسنجاني نجله مهدي هاشمي رفسنجاني سرًّا، والسفير الإيراني في ألمانيا حسين موسويان، للاجتماع مع الأمير عبدالله في منتجعه بالدار البيضاء، مما أسفر هذا اللقاء إلى دعوة موسويان إلى الدار البيضاء مرة أخرى، ليرى ما يمكن عمله بهذا الشأن، ليحددان إن كان هناك ما يبرر إجراء المزيد من المحادثات، وبعدها تمت دعوته إلى جدة، حيث التقى الأمير عبدالله في اجتماعات أربعة متتالية، حيث دار فيها الحديث مباشرةً، ومن دون مجاملة تحدث كل طرف عن مخاوفه من الطرف الآخر، وشدد الأمير عبدالله على الرياض وطهران أن تدركا أن بغداد هي جزء من اطلاع المثلث الذي يجمعهم، وأن التطورات التي تجري فيه يجب أن تكون متوازنة بالنسبة للبلدان الثلاث، لتعمل معًا بصورة حسنة، كما أبدى الأمير عبدالله قلقه من تدخل إيران في المحافظة الشرقية، وأبدى موسويان كذلك قلقًا مماثلًا من تدخل السعودية في محافظة سيستان وبلوشستان الشرقية، التي يسودها السنة، وفي ختام المحادثات اتفق الطرفان على خطوة لبناء الثقة، حصل فيها رجال الأعمال الإيرانيين والسعوديين على الإذن بالإقامة وأذونًا أخرى تسمح لهم بالاشتراك في الاستثمار، وتسجيل الشركات، كل في بلد الآخر، وهو امتياز فريد من نوعه، لأول مرة تمنحه المملكة لإيران، وفي نهاية المباحثات تقرر أن يلتقي وزير الخارجية السعودي والإيراني مرتين في السنة، ويلتقي المسؤولون

الآخرون مرة واحدة في السنة على الأقل، وأن البلدين لا بد لهما من تشكيل لجنة أمنية مشتركة، وعقد موسويان اجتماعًا مع وزير الداخلية الأمير نايف، الذي أبدى موافقته على ١٦ قضية من التي ناقشها الأمير عبدالله في محادثاته مع المبعوث الإيراني، وبعدها عرضت على رفسنجاني ووافق على كل البنود التي جاءت في المحادثات بين الجانبين، وكذلك أكد الملك مصادقته على الاتفاقيات التي عقدها عبدالله، ويتفهم أهمية المحافظة على توازن القوة بين السعودية وإيران، وفى حديث لموسويان يرجع الفضل إلى هذا التفاهم على حرص الأمير عبدالله الشديد على إصلاح العلاقات بين البلدين، وقدم هدية للوفد هي قطعة من أعلى كسوة الكعبة، كما أدى الأمير عبدالله فريضة الحج مع هاشمي، وزار المسجد النبوي ومقبرة البقيع في المدينة المنورة، بصفتهما ضيفي ولي العهد[1].

كذلك عاد التوتر بينهما بسبب اتهام عناصر شيعية مدفوعة من إيران لمهاجمة مجمع الخبر الأمريكي، ولكن حضور الملك عبدالله سنة ١٩٩٧م للمؤتمر الإسلامي في طهران مهد لزيارة رفسنجاني إلى الرياض، حيث وقع الطرفان على الاتفاقية الأمنية والاقتصادية بينهما، وفي عام ١٩٩٩م زار محمد خاتمي السعودية، واستمرت إيران في نهجه المكشوف في التدخل في شؤون السعودية عن طريق الأقليات الشيعية، الموجودة في القطيف والعوامية والأحساء والمدينة المنورة، وقيامها بتدريب بعض شباب تلك المناطق في خارج السعودية، وتشجيعهم على مجابهة رجال الأمن، ورفع مطالب تعجيزية تخص الطائفة والمذهب، ولكن السعودية راغبة دائمًا في احتواء إيران ومهادنتها، حيث تم سنة ٢٠٠٩م استضافة أحمدي نجاد في المؤتمر السنوي الخاص بدول مجلس التعاون. ولكن يتكرر التوتر بين الطرفين بأسباب النفط: كميته وإنتاجه وأسعاره، كما تكرر الخلاف بعد محاولة إيران اغتيال السفير عادل الجبير سفير المملكة العربية

(١) بنفشه كي نوش: (العلاقات السعودية الإيرانية منذ بداية القرن العشرين حتى اليوم)، ص٢١٦ و٢١٧، بيروت، لبنان، دار الساقي، ٢٠١٧م.

السعودية في الولايات المتحدة عام ٢٠١١م، مما جعل الولايات المتحدة تتضامن معها في تلك الحادثة، وكذلك يتكرر الخلاف داخل منظمة المؤتمر الإسلامي، بسبب رغبة إيران فرض نفسها سياسيًّا ومذهبيًّا على أعضاء المؤتمر، كما يمثل تدخل إيران في العراق وفي سوريا وفي لبنان وفي اليمن نقاط خلاف ونزاع مستمر بين البلدين، وقد تأزمت العلاقة بين الطرفين في أواخر سنة ٢٠١٦م بسبب مهاجمة الغوغاء المدفوعين من الجهات الأمنية في طهران السفارة السعودية، وكذلك مهاجمة القنصلية السعودية بمشهد بشكل لا يتفق والأعراف الدولية مبررين ذلك بإعدام رجل الدين الشيعي النمر، الذى كان يحرض شيعة السعودية بالخروج على السلطة، ما دفع السعودية بقطع علاقتها الدبلوماسية بطهران، مما تسبب كذلك بتوقف حج الإيرانيين في موسم تلك السنة، وتحاول إيران بعد مجيء الرئيس الأمريكي الجديد ترامب إلى محاولة إعادة العلاقات الدبلوماسية مع السعودية، والطلب إلى الكويت وعمان في وساطتهما بذلك، ولكن السعودية تصر على وضع حد في التدخل الإيراني في شؤون المنطقة العربية خاصة، وقد سبق للسعودية أن حاولت أن تثني إيران عن برنامجها النووي، الذي يسبب أيضًا أزمة وتوترًا بين الطرفين، وبعد أن فقدت السعودية أملها في ثني إيران، فكرت هي وبعض أعضاء مجلس التعاون الخليجي في البدإ في إقامة مشروع نووي، لغرض توليد الطاقة الكهربائية، ومن الواضح أن السعودية ودول الخليج لا يرغبان بضرب المنشآت النووية الإيرانية، لا من قبل أمريكا ولا من إسرائيل، ليس فقط لما يسببه من أثر كارثي على المنطقة، بل يجب تجنيب الشعب الإيراني الجار المسلم أي ضرر ينتج عن هذا الحدث، وبذلك لإيران حق الإسلام وحق الجوار على المملكة. وترى الكاتبة بنفشه كي نوش بأن الربيع العربي الذى هبت رياحه في عام ٢٠١١م خير مثال على وضوح حجم الانقسام الذي عليه السعودية وإيران، وما يتبعه من عدم استقرار في المنطقة بالنسبة للمملكة، التي شقت طريقها في فرق العرب منذ بدايتها، لم يكن الربيع العربي يمثل بالنسبة

لها أي دور في الإصلاح ورأت فيه وسيلة خطرة، ستقسم العالم العربي، ويمنح إيران الفرصة لتوسيع تدخلها، كما تؤكد الكاتبة أن إيران ترى أن الربيع العربي قد جاء مشابهًا بدرجة ما إلى ثورتها، وأن الظروف الإقليمية قد نضجت لبناء الشرق الأوسط الإسلامي الجديد، وسيكون فيه لاعبون جدد غير اللاعبين التقليديين: أمريكا وحلفائها العرب، وتقصد (السعودية). وترى الكاتبة أن إيران تتوقع الفوضى والأحداث التي حدثت في البحرين، سوف تعم كل منطقة الخليج العربي، وإذا تجاهلت تلك الدول قاطنيها من الشيعة، وبناءً على ذلك فإن الأسباب التي تمنح أمريكا بقاءها في الخليج قد تزول، بدءًا بالبحرين، حيث الأسطول الخامس الأمريكي، يتبعها بذلك انهيار القواعد العسكرية والعمليات الاستخباراتية الأمريكية في المنطقة، وسيضعف الاستخدام الأمريكي لممر الخليج الفارسي المائي، وسيتلاشى الوصول الأمريكي إلى أجواء المنطقة، هذه الأحداث الافتراضية تتخيل الكاتبة أن إيران ستكون وحدها الباقية في المنطقة، وستضطر الولايات المتحدة وحلفاؤها الاقليميون شراء النفوذ في الشرق الأوسط الجديد، وبينما إيران لن يكون عليها إلا التزامها بمبادئها الثورية المناوئة لأمريكا، هذه المبادئ ستحدد مصير المنطقة، كما ترى الكاتبة أن التاريخ الطويل للبلدين، التي تجاوزت قرنًا من الزمان يمكن أن يستشف منه أن الخصومة المريرة لم تكن يومًا طبيعة أو غاية بين البلدين، وبما أن العلاقة بين السعودية وإيران تدور دائمًا في محور السياسات الأمريكية في المنطقة، وان هدف أمريكا هو توازن القوة بين الرياض وطهران، بغض النظر عن طبيعة الحكومة أو البنية السياسية في كل منهما، مهما كان الوصول إلى ذلك الهدف صعبًا، ومهما كانت علاقة أمريكا بإيران معقدة، ومهما كان نزوع الرياض من الحاجة مشاركة إيران، فإن قوى التوازن الذاتي الراسخة للجهات الفاعلة في المنطقة، هي ضمانات أكثر أمانًا لحفظ الأمن على المدى البعيد من السياسات أو الخطط الأمريكية قصيرة العمر والنظرة.

وكما ترى الكاتبة أن التدخلات الأجنبية كثيرًا ومرارًا ما تفاقم عدم توازن القوة في الشرق الأوسط، الذي يمزق المنطقة بعنف غير مبرر، وبما أن الخليج العربي ينتج نصف الإنتاج العالمي، ويحتوي على أكبر احتياطي للطاقة العالمية الثابتة، ومعظم هذه الصادرات تذهب إلى دول آسيا والمحيط الهادي، والطلب المتزايد على الطاقة من الصين والهند يؤكد الحاجة إلى بناء علاقات متوازنة بين الرياض وطهران، لضمان أمان الطرق البحرية ومراكز الطاقة في شبه الجزيرة العربية، وباب المندب، والهضبة الإيرانية، ومضيق هرمز، إن هناك أفقًا واسعًا ومتاحًا يتجاوز القيود، التي تفرضها الولايات المتحدة الأمريكية على علاقتهما الدائمة، إذا استمر هذا التوازن المعتدل للعلاقة بين الرياض وطهران، من خلال الطاقة وتاريخهما المشترك بصفتهما بلدين متجاورين مسلمين، ينبغي أن يكون أساسًا لاستعادة السلام في الشرق الأوسط مع العلم أن أمريكا لم تكن القوة الإقليمية الوحيدة، فهناك جهات فاعلة متعددة فيه، منها الدويلات الناشئة، والمنظمات، والجماعات الإرهابية، التي لها قوة على تغيير مسار الأحداث في المنطقة، وهو ما يفسر نفور واشنطن من عقد تحالف أمني دفاعي قوي مع دول الخليج العربية، على الرغم من كثرة مبيعاتها من الأسلحة الواردة إلى المنطقة.

وتضيف أن في معظم مراحل التاريخ المشترك بين السعودية وإيران كانت المملكة تبدي تسامحًا متميزًا تجاه القادة الإيرانيين، بينما كانت إيران تتعامل مع المملكة بحذر واحتراس، وحتى يومنا هذا، وأدى تدخل السياسة الخارجية بمصالح النخبة التقليدية في السعودية وإيران إلى اتجاه البلدين إلى تجنب المواجهة المباشرة، إن كان لهما الخيار في ذلك، ونرى أن الكاتبة في آرائها السابقة، قد استبعدت استخدام إيران لدوافع الشيعة الطائفية، ولم تقترح وسيلة للحد من الاستقطاب الطائفي، الذي أشعلته إيران في المنطقة.

٤- علاقة إيران بالإمارات:

تضم دولة الإمارات العربية المتحدة سبع إمارات اتحدت سنة ١٩٧٠م، وازدهرت هذه الإمارات بسبب واردات النفط، فأصبحت قبلة للباحثين عن العمل وأصحاب رؤوس الأموال، ولهذا كان الإيرانيون قبل هذا التاريخ يعدون الإمارات من الأسواق الرئيسة لهم، وبلغ عدد الإيرانيين القاطنين في الإمارات سنة ٢٠٠٦م ٥٠٠ ألف منهم ٤٠٠ ألف في دبي، وبلغ عدد الشركات الإيرانية ٧ آلاف، معظم هذه الشركات تعمل في المجال العقاري، وترتبط الإمارات بإيران بحوالي خمس عشرة رحلة جوية يوميًّا، وتصدر إيران إلى الإمارات الحاصلات الزراعية، وتستورد من أسواقها أدوات التقنية والمكائن والصناعات الأوروبية، فقد بلغت وارداتها سنة ٢٠٠٨م ما يقرب من ٩ مليارات دولار، وقد عبر بعض المراقبين بأن الإمارات أصبحت العاصمة الاقتصادية لإيران، إن أهم نقطة خلاف بين البلدين، تنحصر حول ملكية الجزر الثلاث: الطنب الكبرى والصغرى وأبو موسى، فقد كانت منذ القديم مصدرًا للصيادين من الإمارات، وخاصة من الشارقة ورأس الخيمة، ولكن الجيش الإيراني في عهد الشاه احتلها سنة ١٩٧١م، وبعد مجيء الثورة الإيرانية تصر إيران على ملكيتها على الرغم من طلب الإمارات للتحكيم الدولي، ولكن ترفض ذلك.

٥- علاقة إيران بالكويت:

نالت الكويت استقلالها من بريطانيا سنة ١٩٦١م، وبعد ظهور النفط في الكويت وتطورها العمراني أصبحت قبلة للإيرانيين، وخاصة للعمالة الذين اكتسبوا الجنسية الكويتية وبأعداد كبيرة، وقد اتسمت العلاقات عمومًا مع إيران بالهدوء والتفاهم، ويمثل سوق الكويت قوة اقتصادية للبضاعة الإيرانية.

ولكن يوجد خلاف بين الطرفين على ملكية بئر النفط المسمى أراش الدرة النفطي داخل الخليج، كما أن كثرة السكان الشيعة في الكويت من أصول عربية

أو إيرانية، يكونون نقطة توتر، تعمد إيران في بعض الحالات إلى استغلالها، وقد وصل بهم الأمر إلى أن قام بعض الشيعة بتهديد موكب أمير الكويت جابر وضربه بالرصاص.

٦- علاقة إيران بالبحرين:

فقد كانت البحرين منذ القديم مركزًا لتجارة اللؤلؤ، وقد ظهر فيها نفط وغاز قليل، ساعد في تطويرها، ونظرًا لكثرة السكان الشيعة ظلت مطلبًا لإيران، تطالب بها كلما توترت العلاقات، وما تخلصت البحرين من هذا التهديد إلا بعد إنشاء جسر بينها وبين السعودية، ووقوف الجيش السعودي حاميًا لها من أي تهديد من قبل إيران، ولا تخفي إيران إعدادها لجيش من الشيعة العرب، الذين دربتهم عسكريًّا لاحتلال البحرين، ومن الشخصيات التي لها دور بارز في هذا الأمر حجة الإسلام محمد هادي المدرسي، الذي كان ممثلًا للإمام الخميني في البحرين، وأبعد عنها عام ١٩٧٩م فى أغسطس بعد أن تناقلت وكالات الأنباء خبر تكوين الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين، وتحدثت الصحف الألمانية والأمريكية بوجه أخص عن عمليات الإعداد في إيران لزرع القلاقل في الخليج، تمهيدًا لتثويره، وكان السيد هادي المدرسي هو الشخص الذي أشارت إليه أصابع الاتهام، بأنه قائد التنظيم الثوري، المُعد لقلب الخليج رأسًا على عقب، وكانت أسرته مقيمة في الكويت، أبعدته السلطات بعد ظروف القلق التي سادت المنطقة في بداية الثورة، والتي كانت متعلقة بتصريحات المسؤولين في تصدير الثورة إلى الخارج، وفي سنة ١٩٧٠م تم استفتاء شعبي، فيما إذا كانوا يرغبون بالاستقلال أو الانضمام إلى أي دولة أخرى، فكانت النتيجة طلب الأكثرية الشيعية والسنية معًا. الاستقلال بدولة اعترفت إيران فيما بعد بوجودها، وتنتقد إيران البحرين بالسماح للأسطول الخامس الأمريكي، باتخاذها مركزًا كما تطالب إيران وعن طريق الشيعة بين الفينة والأخرى بإصلاحات اقتصادية وسياسية، لبت حكومة البحرين سنة ١٩٩٠م تلك المطالب المتعلقة بالإصلاح الاقتصادي وظروف العمل.

وكشفت أجهزة الأمن أن إيران كانت وراء الأحداث التي تهدف إلى قلب نظام الحكم في البحرين عن طريق المظاهرات، التي قادها مجموعة من المخربين لزعزعة الأمن والاستقرار، مما حدا بدول مجلس التعاون الخليجي بقيادة المملكة العربية السعودية، للتحرك في صد العنف الذي تعرضت له البحرين، وتمثل في احتجاجات قامت بها المعارضة البحرينية، التي تطالب بعودة الدستور والبرلمان اللذين أوقفا في عام ١٩٧٥م، وانتقلت الأحداث من الخطب على المنابر إلى أحداث عنف متفرقة في أنحاء البلاد، وقامت الحكومة بإجراءات قمعية ضد المعارضة الشيعية، وتعهدت السعودية التي تمثل الثقل السني في المنطقة بعدم السماح بالتآمر على البحرين، واعتبرت أن محاولات تغيير الأمر الواقع في البحرين غير ممكن، ولا يسمح به خاصة وأن ما يحدث فيها له تأثير على كل دول المنطقة، وفى هذا الصدد قال الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله: إن البحرين والمملكة أخوان، ودول الخليج كلها، بل الدول العربية المجاورة وغير المجاورة جسد واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له العضو الآخر بالسهر والحمى[1].

٧- علاقة إيران بقطر:

فإن سكانها غالبيتهم من أصول عربية، وقد أيدت قطر العراق في حربه مع إيران، وتعتب إيران على قطر السماح لأمريكا باستغلال قاعدة العديد العسكرية، ولا تخفي قطر مخاوفها من محطة بوشهر النووية، وكذا للمحطات التي تنوي إيران إقامتها على الخليج، لما قد يتأتى من أضرار بيئية تضر بالمنطقة.

٨- علاقة إيران بدولة عمان:

فعلى الرغم من أنها عضو في مجلس دول الخليج، إلا أنها اتبعت سياسة البعد عن التصادم مع إيران، وكثيرًا ما كانت مواقفها خارج محيطها أو بالأحرى

---

(١) د.عصام السيد عبدالحميد: (العلاقات السعودية الإيرانية ١٩٨٢-١٩٩٧م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

تغرد خارج سربها، على الرغم أن لعمان علاقات قديمة مع إيران، وأنها كانت تملك في القرن التاسع عشر أقوى أسطول بين الدول المطلة على الخليج، وقد هزمت قديمًا الأسطول الإيراني، ويبدو أن غالبية السكان على مذهب الإباضية، وقلة من الشيعة الإثنا عشرية، لهما أثر في عدم انسجام عُمان بشكل كامل مع بقية دول المجلس، فقد عارضت فكرة الانتقال من التعاون إلى التكامل الاقتصادي والسياسي بين دول المجلس، التي طرحتها السعودية، كما أنها تتحفظ على توحيد العملة الخليجية، وفي حرب اليمن الدائرة الآن يبدو موقف عمان محيرًا لدول المجلس. وتبلغ حدود عمان البحرية مع إيران ١٢٥ ميلًا، تم تحديدها في عام ١٩٧٤م، وقد ساعدت إيران عسكريًّا حكومة عُمان على ضرب المتمردين في ظفار سنة ١٩٧٣م. وقد بقيت القوات الإيرانية في ظفار حتى سنة ١٩٧٩م.

٩- علاقة إيران بروسيا:

عند زوال الأسرة القاجارية سنة ١٨٧٨م تأسست كتيبة من القفقازيين الإيرانيين، يقودها ضباط روس، إلا أن التدخلات الروسية والإنكليزية المتنافسة أدت إلى اضطرابات أثرت على إيران، وهكذا في ثورة تبريز عام ١٩٠٨م ظهرت قوات قيصرية روسية في أذربيجان الإيرانية، ولما بدأت أحداث عام ١٩١٧م أخلت القوة الروسية إيران، وحلت محلها قوات الإمبراطور، وقد أيقظ التدخل البريطاني في باكو وأشخاباد، وهي عاصمة أذربيجان وتركمانستان السوفيتية عام ١٩١٨م، والدعم الذي قدمته الحامية البريطانية في مشهد في شمال شرق إيران للثوار المسلمين في آسيا الوسطى (الباسماتشي) أوائل العشرينيات أيقظ الاهتمام السوفيتي للقضايا الإيرانية. ولكي تبعد التمرد عن أراضيها قررت موسكو أن تساند بدورها ثورة أخرى كانت هي ثورة الجنكليس على شواطئ بحر الخراز في مقاطعة غيلان، علمًا بأن البلاشفة لم يشعروا بأي عطف أو تجاوب مع سكان الجبال القساة، الذين كان يقودهم شاب متدين اسمه

(ميرزا كوجيك)، وكانت هذه الثورة ضد البريطانيين مما منح السوفييت فرصة في إيران، فأوفدت أسطولًا وعددًا من الثوار بقيادة (حيدر امو اغلو)، وهو من أذربيجان وشيوعي متحمس، وكان معروفًا بأنشطته الثورية في الأواسط الإيرانية، وفى ٧ حزيران أعلنت جمهورية (غيلان الاشتراكية السوفيتية) وكان على رأس أكبر الوظائف حكامًا روسًا أبعدوا بسرعة أنصار كوجيك المتحمسين للوحدة الإسلامية. وفى ٢٠ حزيران ١٩٢٠م عقد الحزب الشيوعي الإيراني مؤتمرًا في رشت عاصمة غيلان، وكانت المساعدات بالرجال والسلاح تدعم الحزب الثوري الإذربيجاني من قبل الجيش الأحمر، وعندما كانت الجيوش السوفيتية تزحف على طهران سنة ١٩٢١م كان قائد الفرقة القفقاسية الإيرانية رضا خان استولى على الحكم، وعندها تم توقيع اتفاقية يترك فيها لروسيا السوفيتية البند الرابع إمكانية التدخل في شمال إيران، في حالة قيام أي دولة أخرى بالتدخل المسلح على أراضي إيران، وكذلك يحق للاتحاد السوفيتي إذا حصل أي تهديد على حدوده أو الدول الحليفة له إذا لم تتمكن إيران من منع هذا التهديد أو صده بالتدخل، وفى ١٩٢٧م توثقت هذه المعاهدة بشروط تضمن سيادة إيران وحيادها وتعاونها مع الاتحاد السوفيتي اقتصاديًّا، وخلال هذه الفترة تخلى الاتحاد السوفيتي عن رفاق الدرب في غيلان وأذربيجان، وعن بعض الماركسيين الإيرانيين لرضائه عن البند الرابع من المعاهدة، وعمل الاتحاد السوفيتي على مراقبة تطبيق هذه المعاهدة بدقة، وحدا من نفوذ أسرة بهلوي حتى تتجاوز أفكارها المعادية لشيوعية حدود إيران الشمالية، وفى عام ١٩٤١م أدخلت إنجلترا والاتحاد السوفيتي جيوشهما في آن واحد إلى إيران، والسبب هو تعاطف العاهل الإيراني مع النازيين آنذاك، لكن قام الاتحاد السوفيتي بهذا العمل بهدف تأمين الدفاع عن نفسه، وعملًا بأحكام البند الرابع من المعاهدة السوفيتية الإيرانية عام ١٩٢١م فاحتل السوفييت الجزء الشمالي من البلاد والإنجليز الجزء الجنوبي الغربي، وأبعد رضا شاه، وأجبره على التنازل عن العرش، وخلفه ابنه محمد

رضا، ومنذ عام ١٩٤١م بدأ النفوذ السوفيتي يظهر في الساحة الإيرانية، وذلك بإنشاء حزب شيوعي إيراني جديد وتأسيسه، وهو حزب (توده)، الذى يقوده ويديره مسؤولون لهم ولاء وميول سوفيتية، وفي أسرع وقت بدأ حزب توده في ترتيب نفسه بدعم كبير من الاتحاد السوفيتي، بغرض توسيع النفوذ السوفيتي في إيران، ثم بدأ تأسيس نقابات مركزية عمالية، وأرسل عددًا من الموالين له إلى مصافي عبادان في صيف ١٩٤٣م ما مكنه من تنفيذ رغبات الزعيم ساتلين، وهو الحصول على امتيازات نفطية، وهو الهدف البريطاني نفسه، ولذلك كان النفوذ المزدوج وبروز الطموح الاقتصادي المتمثل في البترول بشكل ظاهر، عندما وصل وفد سوفيتي إلى طهران ١٩٤٤م بقيادة (كفتار زاده)، وهى من جورجيا طلبت من الحكومة امتيازات للبحث، واستثمار البترول في المحافظات الشمالية الخمس، ولما رفضت الحكومة الإيرانية هذا الطلب نظم حزب توده مظاهرات في جميع أنحاء إيران للاستجابة للمطالب السوفيتية، ولفرض قبول فوري لها، وكانت القوات السوفيتية تحمي المظاهرات، وعندما فشلت نتائج هذا المظاهرات لجأت موسكو إلى الضغط بالعمل على تقوية المطالب الاستقلالية في الشمال، كما أعلن ستالين أن القوات السوفيتية ستبقى أطول مدة في إيران، كما أن حزب توده كان له مطالب بحكم ذاتي في أذربيجان، مما دفع الاتحاد السوفيتي في دعمه، وأصبحت هناك قوة مزودة بالأسلحة الثقيلة، وانتشرت في أوائل عام ١٩٤٦م بمواجهة المحافظات الجنوبية، وقد قامت هذه القوات بمناورات عسكرية مشتركة مع القوات السوفيتية، للعمل على منع القوات الإيرانية من العودة إلى الشمال، لكن ظهور أحمد قوام السلطنة عمل على تخفيف حدة المواجهة مع الاتحاد السوفيتي، وفى الوقت نفسه قاد حملة دبلوماسية في الأمم المتحدة ضد الاتحاد السوفيتي، ومنح السوفييت كذلك امتيازات بترولية مهمة، ولهذا تنازل الاتحاد السوفيتي عن فكرة الاحتفاظ بمركز قوة له في الشمال، وبعدها انسحبت القوات السوفيتية كلها عن إيران، ومن ثم قام الشاه وقوام السلطنة إلى تنظيم

استعادة السلطة، التي لم يتمكن حزب توده من المحافظة عليها، وفى أواخر عام ١٩٤٦م تمكنت القوات الإيرانية من إجبار الجمهوريات المستقلة من الاستسلام والخضوع للسلطة المركزية، ومن ثم ضعف حزب توده نتيجة الانشقاقات، التي حدثت في صفوفه، واقتصر نشاطه على بعض الأعمال الإرهابية، منها محاولة قتل الشاه ١٩٤٩م إلا أن وصول مصدق إلى السلطة في عام ١٩٥١-١٩٥٣م أتاح لحزب توده فرصة العمل من جديد، وبعد سقوط مصدق وعودة الشاه عمل جهاز السافاك على تصفية الحزب، وكذلك أكد الشاه أن بلاده لن تسمح بإقامة قواعد للصواريخ، أو أن تكون قاعدة انطلاق لعدوان ضد السوفييت، ومن هذا المنطلق أمن الشاه موقفه من الاتحاد السوفيتي، ومن ثم غض الاتحاد السوفيتي النظر عن سياسة الشاه، ولم ينتقد الشاه بشكل مباشر حتى إنه غادر إيران في ١٩٧٩م، ومن ثم فإن الاتحاد السوفيتي وضع نفسه موضع المحامي والمدافع عن الثورة الإيرانية الجديدة، مديرًا ظهره لأقواله بتأييد النظام الإمبراطوري، وقد أعادت موسكو إلى الأذهان التحذير الذي أطلقه ليونيد بري جنيف في عام ١٩٧٨م بأن كل تدخل في شؤون إيران يعد ماسًّا بأمن الاتحاد السوفيتي، ويتضح من هذا العرض التاريخي أنه يمكن تلخيص الاهتمام التقليدي للاتحاد السوفيتي في إيران على النحو التالي:

١- قبل كل شيء أن الاتحاد السوفيتي ضحى بالتوسع العقائدي مقابل التعاون مع سلطة يمينية، وذلك للمحافظة على إنجازات الاتفاقية الموقعة في عام ١٩٢١م.

٢- السياسة المتبعة حيال الجمهورية الإيرانية الإسلامية هو موقف الشك، وعدم الثقة حيال نظام ديني معاد للشيوعية، يشكل مركزًا لعدم الاستقرار.

ومنها رفض النظام الإيراني التوجهه إلى جنيف عام ١٩٨٢م للاشتراك في المفاوضات التي اقترحتها موسكو بين الباكستان وإيران وجمهورية أفغانستان

الديمقراطية الجديدة. ولم يرد النظام الإيراني على الملاحظات السوفيتية، إذ كان الاتحاد السوفيتي يرى أن حرب الخليج تخدم المصالح الإمبريالية، خصوصًا أن الحكومة السوفيتية صوتت في عام ١٩٨٢م على القرار الذى صدر من مجلس الأمن بوضع حد لحرب الخليج وإيقاف القتال. والاتحاد السوفيتي يؤمن بالمزايا التي يجنيها من الموقف المعادي لأمريكا، وهو الموقف الذى يقفه آية الله الخميني، ويهدف من ذلك إلى إبعاد الوجود الأمريكي، والمساعدة الفنية التي يقدمها جهاز المخابرات السوفيتي للجيش الإيراني، وخاصة المخابرات الإيرانية، ويضاف إلى ذلك أن موسكو رفضت زيادة التهور في موقف الأقليات، التي تمارس عليها موسكو سيطرة ونفوذ كالأكراد والأذربيجانيين، وبنسبة أقل العرب التركمان والبلوش، ولكن الاتحاد السوفيتي كسب العلاقات مع إيران والموقف المتوازن يترجم على الأرض بسياسة سوفيتية، على الرغم من التطورات التي حدثت في الحرب العراقية الإيرانية إلى أن الاتحاد السوفيتي يثابر على تقديم دعمه إلى العراق، وبشكل غير مباشر إلى إيران، إذ إنه يؤمن مرور ٣٠- ٥٠ بالمئة من مستوردات إيران القادمة من أوروبا واليابان وكوريا الشمالية والصين، عبر نهر الفولغا وبحر الخزر والخط الحديدي عبر سيبيريا، وهذا الاهتمام مفاده تأمين المصالح التجارية والاستثمار، وتحجيم الخطر الذى يأتي من جهة الحدود بينهما، وتثبيت بعض نفوذها في المنطقة[1]، وقد وجدت روسيا بتراخي أمريكا عن قبضتها في الشرق الأوسط وما يدور في سوريا فرصة للاتفاق مع إيران ونظام الأسد على التدخل في سوريا، وإقامة قواعد عسكرية في قرسوس، وإنقاذ نظام الأسد الذي شارف على السقوط بسبب ثورة السوريين على النظام، والآن تحاول روسيا لعب الدور المحايد بين الثوار ونظام الأسد بالاتفاق مع تركيا، وبخلاف كبير مع إيران، حيث وصول رئيس جديد للولايات المتحدة، فإنه من

(١) زهير ماردينى: (الثورة الإيرانية بين الواقع والأسطورة)، ص١٤٥ وما بعدها، دار اقرأ، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.

المحتمل اتفاق أمريكا وروسيا معًا على القضاء على جميع الحركات الإسلامية في كل من سوريا والعراق، وربما حتى على الجماعات الشيعية لوضع ترتيب جديد في المنطقة بعد تحقيق أهدافهم من الفوضى الخلاقة.

فقد كانت إيران قد تعرضت عدة مرات للاحتلال من الجيش الروسي، وفي عهد الثورة الإيرانية أقامت إيران علاقات جيدة مع روسيا، والحصول منها على بعض التقنيات في أثناء الحرب العراقية. وقد تم إنشاء خط حديدي من جولفا إلى تبريز منذ سنة ١٩١٦م، ويمر هذا الخط بكل من أنزالي وقزوين وطهران، ثم عشق أباد قاشان، وفي عهد الشاه أقامت أمريكا على الحدود الروسية الإيرانية منصات تصنت وتجسس على الاتحاد السوفيتي، ولكن بعد الثورة توقفت هذه الأنشطة، واتجهت إيران نحو تطوير علاقتها مع روسيا، خاصة الاتفاق معها على إنشاء محطات نووية لتوليد الكهرباء على الخليج، وقد انتهت من بناء إحداها في بوشهر، وكانت روسيا قد ساعدت إيران في إنشاء مصنع للحديد في أصفهان، وتبدو العلاقات اليوم بين روسيا وإيران أنها علاقة شراكة وتنسيق معًا في الحرب المشتعلة نيرانها في الشام. وأما توجهات إيران ضد أذربيجان تأتي أيضًا إرضاءً لروسيا، وتمد روسيا إيران بالأسلحة التي تعوضها عن السلاح الأمريكي، وليس هناك ما يقلق روسيا من توجهات إيران المذهبية نحو التشيع، ما زالت شريكة لها في أغراضها السياسية، ومساعدتها في الوصول إلى مياه الخليج، وإلى مياه البحر الأبيض المتوسط في طرسوس واللاذقية، وفي سنة ٢٠٠١م عند زيارة محمد خاتمي لموسكو اتفقت إيران مع روسيا على مناهضة الحركات الإسلامية (السنية) في دول الاتحاد السوفيتي السابق، التي انفصلت مؤخرًا، وهذا يدل على نوع من الانتهازية السياسية لدى إيران، وأنها لا تخفي دوافعها المذهبية وتسويقها للروس، وفي زيارة بوتين سنة ٢٠٠٧م تعهد فيها بإمداد إيران بالوقود النووي لمحطاتها وخاصة بوشهر، كما تعهد بحماية

إيران من أي هجوم خارجي، واستعداده ببيعها صواريخ س ٣٠٠ الجوية بعيدة المدى لحماية المواقع النووية.

١٠- علاقة إيران بالجمهوريات الإسلامية التابعة للاتحاد السوفيتي:

تمثل تركمانستان وكازاخستان وأذربيجان جزءًا من الإمبراطورية الفارسية القديمة حتي القرن التاسع عشر، حيث التحقت بالاتحاد السوفيتي، ولكن بعد تفكك الاتحاد السوفيتي استقلت هذه الجمهوريات، و لها حدود طويلة مع إيران ٢٠٧٠ كيلومترًا، ولذلك كانت تمثل أهمية في الجوار الإيراني، فكانت هذه الجمهوريات محل صراع بين النفوذ الإيراني والتركي، فروابطها مع إيران قديمة ومتداخلة من حيث اللغة والعلوم والآثار، وأما من جهة تركيا فإن أكثر سكان هذه الجمهوريات من العنصر التركي، الذي يتحدث اللغة التركية، كما أن أكثر ولاءاتهم المذهبية تتجه نحو السُّنة ما عدا أذربيجان، حيث أغلبية سكانها من الشيعة، على الرغم من سيادة اللغة التركية بينهم، وقد أنشأت الجمهورية الإسلامية الإيرانية مع تلك الجمهوريات روابط اقتصادية، خاصة ما تعلق منها بالنفط والغاز، وبعد استقلال جمهورية أذربيجان سنة ١٩٤٦م حصل بينها وبين جارتها إيران نزاع حول بحر قزوين، وعلى منابع النفط والغاز، وعلى الكافيار المستخرج من هذا البحر، وعندما تخلت روسيا في الصراع الحاصل في الإقليم بين أذربيجان وأرمنيا، وقامت بإلحاق كارا باخ بأذربيجان حصل نزوح الآذاريين إلى إيران والأرمينيين إلى أرمينيا، ولكن مرة أخرى في سنة ١٩٩٢م. قامت أرمينيا بانتزاع كارا باخ من جمهورية أذربيجان، وقامت إيران بتأييد أرمينيا، وبموافقة وبتأييد من روسيا، وذلك من أجل التقارب بينها وبين روسيا، وأيدت احتلال أرمينيا لإقليم كارا باخ الأذربيجاني، مما أحدث توتر في العلاقات بين إيران وأذربيجان على الرغم من كون غالبية الشعب الآذاري هم من الشيعة الإثنا عشرية، ولكنهم يتحدثون اللغة التركية مما سهل لتركيا إقامة

علاقات طيبة معهم، وهي تؤيدهم على انتزاع كارا باخ من أرمينيا، ولا يزال هذا الموضوع محل نزاع بين الطرفين، ولإيران علاقات اقتصادية كبيرة مع أرمينيا وخط للغاز، وهناك علاقات أسرية بين مسيحي إيران وأرمينيا. ويبدو أن إيران غير راغبه في الوقت الحاضر على إغضاب موسكو، كما حاولت إيران التقارب مع تركمانستان، وتحسين علاقتها معها، وذلك على حساب أوزباكستان المتنافرة معها، وقصدت بهذه السياسة التفاهم والتقارب مع الدول المطلة على بحر قزوين، لتسهيل استغلال ثرواته النفطية والسمكية. وترتبط إيران مع تركمانستان بروابط اقتصادية، أهمها خط الغاز القادم من تركمانستان إلى إيران، ويسكن في إيران حوالي مليون تركماني سني، لهم علاقات مع تركمانستان، وسكة الحديد من مشهد إلى الحدود الروسية ترتبط إيران بعلاقات تجارية مع تلك الجمهوريات، التي عملت على تخفيف الحصار الأمريكي على إيران، حيث نشطت التبادلات التجارية وبتأييد من روسيا.

إن بحر قزوين بحر مغلق، لا يتصل ببحار العالم، وهو أقل مستوى من سطح البحر بـ ٢٨ مترًا، وتقع عليه دول عدة، هي إيران كازخستان وروسيا وتركمانستان وأذربيجان، ومياه هذا البحر قليلة الملوحة، وذلك لكثرة الأنهار التي تصب فيه، ومنذ ١٩٢١م كان بين هذه الدول اتفاقيات على استغلال بحر قزوين، ولكن بين هذه الدول خلافات على سواحل وحدود هذا البحر، وتوجد بين إيران وكازاخستان علاقات جيدة على الرغم من عدم وجود حدود بينهما، ويرجع ذلك بسبب الروابط القديمة من حيث اللغة والأصل. شاركت إيران في إنشاء منظمة بحر قزوين التي تم إنشاؤها في ١٩٩٢م للدول المطلة على هذا البحر، وقد جاءت أهداف المنظمة منصبة في حماية وتنظيم واستغلال موارد البحر، جاءت على النحو التالي: تطوير التعاون بين دول البحر، لتنظيم استكشاف واستغلال وحفظ، وإدارة الموارد والثروات الكامنة في البحر، وتنظيم شؤون الملاحة فيه،

وكان هدف إيران الخفي لمشاركتها في هذا المشروع، هو قطع الطريق على تمدد نفوذ تركيا في جمهوريات آسيا الوسطي الإسلامية، أي كانت هناك رغبة إيرانية روسية في تقليص ومحاصرة النفوذ التركي في هذه الجمهوريات، وكذلك لتمتين علاقتها مع روسيا، وكسب تأييدها في القضايا الإقليمية والدولية[١].

١١- علاقة إيران بباكستان:

العلاقة بين إيران وباكستان تتميز بضعف العلاقات، سواء كانت اقتصادية أو أمنية أو ثقافية، السبب هو أن الفكر السني الباكستاني يمثل حائط صد منيع للعلاقة مع إيران، وكذلك تعززه القوة العسكرية والنووية الكبيرة لباكستان، ولذا فإن تدخلات إيران في باكستان ليس مباشرة، وإنما تكون غير مباشرة عن طريق الشيعة من الباكستانيين، وتشجيع إيران لهم للوقوف ضد الفكر السني السائد، وقد نجح شيعة باكستان في نسبة تمثيلهم في البرمان الباكستاني، ما أضعف الحكومة السنية على اتخاذ قرارات لها أهمية في السياسة ضد إيران، ويمثل تهريب المخدرات مشكلة حدودية بينهما. فتمتد حدودها مع إيران ٩٧٢ كيلومترًا في أراضي قاحلة، تسكنها في الغالب القبائل البلوشية، وفي أثناء الحكم البريطاني لباكستان مدت سكة حديد من مدينة كويتا إلى زهدان في إيران، وكانت بريطانيا تسعى في توحيد سياسة إيران وباكستان ضد السوفييت، ولكن إيران لا تطمئن إلى باكستان لتوجهاتها السنية المخالفة لإيران الشيعية. وتتعامل إيران بحذر مع باكستان على الرغم مما يحصل للشيعة الباكستانيين من مشكلات في كراتشي خاصة، ولكن الثورة الإيرانية حاولت تقوية العناصر الشيعية الباكستانية، ودفعهم ليصبحوا كتلة واحدة في الانتخابات الباكستانية، لتمثيلهم وإظهار قوتهم في البرلمان الباكستاني، وعندما ضعفت علاقة أمريكا بباكستان بسبب نظام طالبان الذي تؤيده باكستان، وجدت إيران نفسها متحالفة

(١) د. ضاري سرحان الحمداني، المصدر السابق، ص١١٩ وما بعدها.

مع أمريكا (الشيطان الأكبر) في هذا التوجه الجديد، على الرغم من أن إيران حاولت الاستفادة من خبرة باكستان النووية عن طريق استضافة المهندس النووي السيد عبدالقدير خان، كما اشترت إيران كثيرًا من قطع الغيار لطائراتها الأمريكية من باكستان في أثناء الحظر الأمريكي، واستمر خط الحديد بين كرمان وزاهدان يخدم علاقة الطرفين، ومع ذلك فقد اتجهت إيران إلى تقوية علاقتها مع الهند وبيعها النفط، وتستورد من الهند بعض التقنيات والكهربائيات، ويمثل الشيعة الهنود ثاني أكبر تجمع شيعي أهمية كبيرة لإيران، فقد توقفت إيران عن مساعدة كشمير الباكستانية ضد الهند، وفي الهند قديمًا وخاصة في القرن السادس عشر ممالك شيعية: كمملكة أوذه، وانتشار اللغة الفارسية، ووجود تاج محل يمثل إرثًا بين الهند وإيران. وتشكل مشكلة كشمير نقطة تجاذب سياسي، فمرة تؤيد إيران الهند في بعض مواقفها في كشمير، ولكن بعض تقارب الهند مع إسرائيل في تبادل المعلومات حول الطاقة الذرية مالت إيران نحو باكستان في تأييدها بالمطالبة في استفتاء الشعب الكشميري بأي الدولتين يرغب في الانضمام، وهذا ما ترفضه الهند، كما رحبت إيران في وصول باكستان إلى إنتاج القنبلة الذرية، وحاولت الاستفادة من المعلومات المتعلقة بالإنتاج الذري من المهندس الباكستاني عبدالقدير خان[1].

١٢- علاقة إيران بأفغانستان:

بقيت أفغانستان متأخرة في مجال التنمية، بسبب عدم وجود المصادر الاقتصادية فيها، وأراضيها القاحلة، ولذا فإن كثيرًا من الأفغان يعملون في إيران بوصفها يدًا عاملة في الزراعة والبناء، ولم تحاول إيران بناء علاقات تجارية أو اقتصادية مع أفغانستان، ولكن كان همها الأول أن تكون الحدود هادئة، لأن الحدود بين البلدين فيها مشكلات التهريب، والتداخل القبلي،

(١) د. ضاري سرحان الحمداني، المصدر السابق، ص١١٩ وما بعدها.

وبعد زوال النظام الملكي في أفغانستان واحتلال روسيا لأفغانستان، كان موقف إيران سلبيًّا عندما اشتعلت الحرب الأفغانية ضد الروس، وبمساعدة من أمريكا وباكستان ودول أخرى أجبرت الروس على الانسحاب، فاستولت حركة طالبان الأفغانية والباكستانية على الحكم في أفغانستان، والاستيلاء على كابول، وفي هذا الظرف أيدت إيران قومية الطاجيك في حربها ضد طالبان، كما أن الأفغان من قبيلة الهذارة الشيعية، كانت في صفوف إيران، كما أيدت أمريكا جيش الشمال الطاجيكي بقيادة أحمد شاه مسعود ضد طالبان، المؤيدة في ذاك الوقت من نظام القاعدة، وبعد هزيمة طالبان والقاعدة معًا اضطر كثير من الأفغان ومن رجال القاعدة الهروب أو الالتجاء إلى إيران، فأصبحوا صفقة تاجرت بهم إيران في علاقتها مع أمريكا، وتعترف حكومة الثورة الإيرانية بمساعدة أمريكا في الإطاحة بنظام طالبان، وإقامة جيش أفغاني موالي لأمريكا، ولكن تظل أفغانستان مصدر قلق دائم لحكومة الثورة الإيرانية، باعتبار غالبيتهم من السنة المخالفين للتوجهات المذهبية الإيرانية، وكانوا قد هاجموا مرقد الإمام الرضا في مشهد، وحاولت إيران إقامة بعض الإصلاحات في هرات مركز قبيلة الهذارة من الأفغان، وتمثل مشكلة تهريب المخدرات من أفغانستان إلى إيران مرورًا بتركيا والعراق مشكلة دولية، سببت الكثير من القتلى على الحدود، وتمثل مضبوطات المخدرات من أفغانستان ٨٠ بالمئة من مجموع المضبوطات العالمية. وعند استيلاء طالبان على الحكم في كابول توترت العلاقات بين الطرفين، مما جعل إيران تتهم حركة طالبان بأنها حركة غير إسلامية بسبب فكرها الأيدلوجي، ما جعل إيران تقدم الدعم السياسي والعسكري للمناوئين لطالبان، وخاصة الشيعة منهم (حزب الوحدة)، وفى عام ١٩٩٨ استطاعت طالبان أن تستولي على جميع الأراضي الأفغانية، وعاصمتها كابول مما أجبر خصومها على التراجع إلى المناطق الشمالية من أفغانستان، حيث تمركزوا في مدينة مزار شريف، وبعد أن استولت طالبان على مزار الشريف تمت تصفية ١١ دبلوماسيًّا

وصحفيًّا من القنصلية الإيرانية، مما أشعل الأزمة من جديد بين طهران وكابول، وبدأت إيران في أواخر آب/ أغسطس ١٩٩٨م بنشر قواتها في الحدود مع أفغانستان، وأعلنت إيران تعبئة عامة للقوات المسلحة في سبتمبر ١٩٩٨م، وحشدت إيران ما يقرب من ٢٠٠ ألف جندي، وعين خامنئي في تشرين الأول/ أكتوبر علي شهبازي قائدًا أعلى للقوات المسلحة، وكان هذا المنصب مستحدثًا، أملته ضرورة الحرب المحتملة، وهى فرصة وجدها النظام لإعادة مكانة القوات المسلحة، التي بناها الشاه عقائديًّا، لذا أصبح تطويرها ودعمها ضرورة وربطها بالنظام مسألة مهمة، لم تكن القوات المسلحة الإيرانية هي في المرتبة الأولى، كما كانت قوات الحرس الثوري الإسلامي، الذى كانت وظيفتها الأساسية هي حماية النظام من الأعداء في الداخل. على الرغم من الأجواء العدائية لطالبان في الرأي العام، التي أشعلها اليمين التقليدي في إيران، إلا أن الحرب لم تنشب بينهم لحكمة خاتمي ورفسنجاني، التي رأى فيها رفسنجاني وهو كان رئيس مصلحة تشخيص النظام، سوف يجعل التدخل في أفغانستان إيران ضعيفة في مواجهة المؤامرات، التي تحيكها أمريكا لإضعاف إيران، ما جعل إيران تنحي منحًا دبلوماسيًّا بالاتجاه إلى المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية، بوصفهما الدولتين اللتين اعترفتا بنظام طالبان بجانب باكستان، ولدورهما في منظمة المؤتمر الإسلامي، ونجحت جهود الدولتان ومبعوث الأمم المتحدة الأخضر الإبراهيمي في ذلك. ومن جانبها أصدرت طالبان إشارات توفيقية عدة، مثل إطلاق سراح السجناء الإيرانيين، وفى تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٨م. انخفضت حدة التوتر بين الجانبين، فسياسة إيران تحاول دائمًا تفادي الدخول في حرب مع الأفغان، وتحاول تفادي أي أسباب من شأنها إشعال الخلاف، ولعل إيران في سياستها هذه قد اتعظت من التاريخ، الذي دائمًا ميزان النصر في الحرب يميل إلى أفغانستان، وأيضًا تخشى العواقب التي ألحقت بالقوات السوفيتية في حربهم مع الأفغان، كما تريد إيران عدم الانشغال في الشمال لتتفرغ لتصدير ثورتها

شرقًا وخاصة في دول الخليج، وهذا ما تهيأ لها اليوم في السيطرة على العراق والشام، إن على دول الخليج أن تفهم أن هذه الخاصرة هي الضعيفة في السياسة الإيرانية، وقد تكرر غزو الأفغان على إيران في اخر العصر الصفوي مرات عدة كما أشرنا[1].

١٣ - علاقة إيران بالعالم الإسلامي:

تقدم إيران نفسها وشعبها على أساس أنها الدولة الإسلامية، كما ينص دستورها على ذلك، وبعد الثورة مدت إيران علاقتها إلى الدول الإسلامية، وإلى المنظمات الإسلامية بمنح ومساعدات مالية، ولكن هذا التوجه ما لبث أن اصطدم برفض العالم الإسلامي وشعبه السني لمبادئ التشيع، التي تقدمها إيران بطريقة ناعمة، خاصة خلال بعض الأقليات المتوافقة لتوجهاتها، وتوضح تصرفات إيران كل سنة في موسم الحج قيامها بإثارة المشكلات ورفع شعارات خاصة بسياستها، متخذة من مناسبة الحج الدعاية لمشروعها الشيعي، وقد رفضت الدول الإسلامية وشعوبها السنية تلك التوجهات المخالفة لسلوك الأمة. وقد حاولت إيران من خلال رؤيتها لولاية الفقيه أن تقدم للعالم الإسلامي بأن مرشدها هو المرجع الوحيد للأمة الإسلامية، وهذا التوجه رفضته كل الدول الإسلامية، بل إن كثيرًا من الشيعة وخاصة في العراق ولبنان لهم مراجع دينية مختلفة، يؤدون لها أخماسهم المالية، ومن هنا نفهم أن إيران قد فشلت في تقديم نفسها بوصفها زعيمًا للعالم الإسلامي، ولم يبق لها إلا الادعاء بمناهضة إسرائيل إعلاميًّا، لكن خلف الكواليس كانت علاقتها بالكيان على ما يرام، وأيضًا كانت في وقت تتقارب سياستها العملية مع أمريكا ضد الشعوب الإسلامية والعربية، والالتقاء في مفهوم محاربة الإرهاب، واتخاذ ذلك ذريعة لمحاربة السنة، كما هو حاصل اليوم في غرب العراق، وفي مشاركتها العسكرية هي وميلشياتها الشيعية، التي كونتها

(١) د. ضاري سرحان الحمداني، المصدر السابق، ص١٨٢ وما بعدها.

من عناصر شيعية مختلفة، اتفقت اليوم على تفريغ السكان السنة من مناطق ديالي والأنبار والفلوجة والموصل، وإحلال الشيعة محلهم، ساعدها اختلاط بعض الجماعات السنية المتعصبة في بعض تلك المناطق.

وقد نجحت إيران عن طريق حزب الله اللبناني في تعطيل الحياة السياسية اللبنانية من خلال البرلمان، ومن خلال انتخاب رئيس الجمهورية، ونجحت في تقسيم المجتمع اللبناني وإضعافه على حساب الشيعة من حزب الله، ولا يزال هذا السيناريو تطبقه إيران في كل من العراق وسوريا، مما تسبب بأضرار بالغة للعراقيين والسوريين واللبنانيين، حيث تدهورت الحالة الاقتصادية والاجتماعية، وأصبحوا غير قادرين على إمداد مجتمعهم، حتى بالخدمات الضرورية من كهرباء وماء ونظافة البيئة، فضلًا عن تسببها بتشريد آلاف اللاجئين الهاربين من جحيم الحرب، خاصة في سوريا، وحيث تتحمل دول الخليج العبء الأكبر لتلك النتائج.

كما لا توجد علاقات بين إيران وأندونيسيا، خلافًا لعلاقتها مع ماليزيا، حيث تقام علاقات تجارية وثيقة، واستفادت إيران من نقل بعض معدات تخصيب اليورانيوم، كأجهزة الطرد المركزي، ويدرس كثير من الطلاب الإيرانيين في الجامعات الماليزية[1].

لقد حاولت إيران الاستفادة من بعض الدول الإسلامية، وذلك من خلال عضويتها في منظمة التعاون الإسلامي (eco)، التي أُسِّست في عام ١٩٦٤م، والتي كانت تضم إيران وتركيا وباكستان، ومن بعد تجمد نشاطها حتى عام ١٩٨٥م، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي انضمت إليها دول، مثل أذربيجان وتركمانستان وأوزبكستان وكازاخستان وطاجكستان وأفغانستان وقرغيزيا، ومن أهداف هذه المنظمة:

---

(١) ويلفريد بوختا: من يحكم إيران؟ ص١٨٥-١٨٦ وما قبلها، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة.

١- تطوير التبادل التجاري بما يضمن حرية التجارة بين الدول الأعضاء.

٢- التعاون المشترك بين الغرف التجارية في الدول الأعضاء.

٣- القيام بمشروعات مشتركة في مجالات تحسين شبكة النقل والمواصلات.

٤- خفض الرسوم البريدية بين الدول الأعضاء.

٥- تشجيع حركة السياحة وتنقلات الأشخاص بين الدول الأعضاء.

٦- تطوير التعاون في مجالات التربية والعلوم والزراعة والصناعة، وإقامة بنوك مشتركة، لتشجيع وتمويل الاستثمارات بين الدول الأعضاء.

ومن خلال ما تقدم تطمح إيران من خلال منظمة التعاون الاقتصادية لتحقيق أهداف اقتصادية وثقافية، وكذلك إلى زيادة فاعليتها وحركتها في محيطها الإقليمي، وذلك للإفلات من العزلة الاقتصادية، التي فرضتها عليها الولايات المتحدة الأمريكية[1]، لم تعبأ بريطانيا وروسيا بما يجري في المناطق الشمالية على الحدود مع إيران، خاصة ما تعلق منها بالدول القائمة على بحر قزوين، ولكن بريطانيا قامت بصد محاولات روسيا في الوصول إلى مياه الخليج العربي منذ مطلع القرن التاسع عشر، فقد حاولت روسيا إيجاد موطئ قدم لها على السواحل الإيرانية أو العربية في الخليج، ولكنها أفلحت في الوقت الحاضر في الوصول إلى المياه الدافئة في البحر الأبيض المتوسط، وذلك بمساعدة من إيران ونظام الأسد والموقف السلبي لكل من أمريكا وإسرائيل. انظر إلى ما كتبه د. مصطفى عقيل الخطيب (التنافس البريطاني الروسي في إيران والخليج ١٨٨٠-١٩٠٧م) سلسلة دراسات عن الشرق الأوسط، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، مصر ١٩٩٠م.

(١) د. ضاري سرحان الحمداني: (سياسة إيران تجاه دول الجوار)، ص١١٥ وما بعدها، المصدر السابق.

١٤- علاقة إيران بسوريا:

انحازت إيران عسكريًّا إلى نظام الأسد في سوريا، فقدمت المساعدات العسكرية والمالية، واليوم أيضًا أمدت النظام برجالها من فيلق القدس وحزب الله والحرس الثوري، وأصبحت سياسة إيران مثار خلاف شديد، مع كل من دول الخليج وتركيا ودول إسلامية أخرى، ويقدر عدد المقاتلين الإيرانيين في سوريا بـ ٢٠٠٠ مقاتل، قتل منهم حوالي ٣٠٠، وتقول الكاتبة بنفشه كي نوش: إن إيران تشتبه في أن الرياض توصلت إلى تفاهم مع روسيا في رحيل الأسد، وتدعي الكاتبة أن إيران قد طلبت من الأسد الرحيل هو وعائلته، ليوجه الأحداث من الخارج، لكن الأسد رفض ذلك المقترح.

١٥- علاقة إيران بلبنان:

قامت إيران بتجميع شيعة لبنان، وإنشاء حزب الله بوصفه حزبًا مقاتلًا في البداية ضد إسرائيل، ثم استخدمت هذا الحزب في تنفيذ أغراضها السياسية في الخليج، ثم في القتال في سوريا للدفاع عن نظام الأسد، وقد سببت شللًا في النظام السياسي اللبناني، نتيجة مشاركة حزب الله في المجلس النيابي، وفي أعضاء الوزارة، وقد جاء في البيان التأسيسي لحزب الله، الذي جاء بعنوان: من نحن في ١٦ فيفري ١٩٨٥م، عرف الحزب عن نفسه، فقال: «.... إننا أبناء أمة حزب الله، التي نصر الله طليعتها في إيران، وأسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزية في العالم .... نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة عادلة، تتمثل بالولي الفقيه الجامع للشرائط، وتتجسد حاضرًا بالإمام المسدد آية الله العظمى روح الله الموسوي الخميني، دام ظله، مفجر ثورة المسلمين، وباعث نهضتهم المجيدة ....»[1] وعندما هاجمت إسرائيل حزب الله في عام ٢٠٠٦م حاولت السعودية التفاهم مع إيران من جهة، وسوريا من جهة أخرى إلى وقف إطلاق

(١) الفنجة هاشم داود، المصدر السابق، ص١١٩.

النار، وبمساعدة من قطر، ومن ثم إصلاح الأوضاع السياسية في لبنان، وبذلت السعودية في هذا السبيل أموالًا كثيرة، ولكن لم ينجح العرب في نزع سلاح حزب الله، وحصر السلاح في يد الجيش اللبناني، مما أدى بعد ذلك إلى تدهور العلاقة بين السعودية وسوريا الأسد.

١٦- علاقة إيران مع الدول الأوربية:

حاولت إيران إيجاد سياسة جيدة مع الدول الأوروبية، على الرغم من اشتراك تلك الدول مع أمريكا في حصار إيران اقتصاديًّا، ولكنها حاولت إقامة بعض التفاهمات خاصة مع ألمانيا وفرنسا، حيث تنازلت إيران عن كثير من مطالب هاتين الدولتين، لإرضائهما وإرضاء الأوربيين عمومًا بدق إسفين الخلاف ضد سياسة أمريكا، خاصة ما تعلق منها بملف إيران النووي، وبمرور الوقت بدأت أوروبا أكثر قناعة من أمريكا، بأن إيران تسعى للحصول على القوة النووية للأغراض المدنية، وقد عرضت إيران عليهم صلاحية التفتيش على منشأتها النووية، وأنها لا تسعى لصناعة القنبلة النووية، ويبدو أن بعض الشركات النووية قد قامت سرًّا بتصدير النفط الإيراني، وبالتعاملات المالية خارج وسائل التداولات الدولية البنكية، كل ذلك قد مهد فيما بعد لإقناع أمريكا نفسها بعقد الاتفاق النووي مع إيران، والتسليم لها بوصفها قوة إقليمية لها مصالح متعددة في الخليج وغيره، وهذا فيما يبدو السر في سكوت أمريكا عن تمدد إيران في كل من العراق وسوريا ولبنان، وكذا تدخلات إيران في حرب اليمن، التي أصبحت لها مواقف محيرة لدول الخليج، وخاصة المملكة العربية السعودية، التي لم ترى بدًّا من تكوين تحالف إسلامي للوقوف أمام هذه السياسة، التي تهدد مستقبل المنطقة[١].

---

(١) تييري كوفيل: إيران الثورة الخفية؛ ص٤٣٢، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨م، وجميل الذيابي: إيران ورقصة السرطان، ص٨٢ وما بعدها، مكتبة العبيكان، ط٢، الرياض، ٢٠٠١م

١٧- علاقة إيران بفلسطين:

أما علاقة إيران بالفلسطينيين وحماس، فمن المعروف كان للإسلاميين الفلسطينيين دور مهم في الثورة المعادية للاستعمار، التي اندلعت ما بين ١٩٣٦-١٩٣٩م، وبعدها تشكلت أفرع من جماعة الإخوان المسلمين في القدس عام ١٩٤٦م، وفيما بعد في غزة ويافا وحيفا واللد والرملة وفي أثناء حرب ١٩٤٨م قاتل أعضاء من الجماعة الإسرائيليين بدعم من متطوعي الإخوان من الأردن وسوريا في الضفة الغربية، التي كانت تحت سيطرة النظام الهاشمي الأردني تبنى الإسلاميون المقاومة السلمية، أما في قطاع غزة فكان للإخوان المسلمين الفلسطينيين روابط وثيقة مع نظرائهم المصريين، وفى منتصف الخمسينيات كانوا قوة سياسية بعد عام ١٩٦٧م، عندما كانت منظمة التحرير في نضال مسلح ضد الاستعمار، تركزت أنشطة الإخوان في توفير الرعاية الاجتماعية في المخيمات، وفى عام ١٩٨٧م تأسست حركة المقاومة الإسلامية حماس في أثناء الانتفاضة الفلسطينية الأولى (١٩٨٧-١٩٩٣م) بقيادة المقعد الشيخ أحمد ياسين، الذى اغتالته إسرائيل بعد خروجه من المسجد من صلاة الفجر، وكان قد زار إيران في ١٩٩٨م وبعض دول الخليج، وذلك بعد خروجه من السجن الإسرائيلي وفى عام ١٩٨٩م أعلنت إسرائيل: أن حماسًا تنظيمًا غير قانوني، وتدعم إيران في إعلامها منظمة حماس، ولكن مساعداتها تذهب إلى منظمة الجهاد الإسلامي، وتشير الكاتبة إلهه روستا مي إلى أنه كان هناك تفاهم بين حزب الله ومنظمة حماس فيما يتعلق بإسرائيل، ولكن حماس لم ترض عن تصرفات الحكومة السورية، لهذا نقلت مكاتبها من دمشق، وكما لا تتفق حماس مع منظمة التحرير على إعلان حل الدولتين التي وقعته منظمة التحرير في الجزائر.

الفصل الثامن

الأقليات في إيران

تحتوي إيران على أقليات مختلفة من حيث الديانة أو العرق أو المذاهب الإسلامية، فإذا كانت إيران تصنف رسميًّا في دستورها: أنها دولة شيعية إثنا عشرية، فإن فيها من السنة ما بين ١٠٪-١٥٪، كما أن فيها من العرب ما نسبته حوالي ٢٠٪ أغلبهم اليوم من الشيعة، وقد كانوا قديمًا من السنة، كما أن فيها الأكراد يمثلون ما بين ٧٪-١٠٪، وفيها أقليات أخرى من المجوس الزرادشتيين والنصارى واليهود، كما كان فيها قبائل من البدو الرحل، بلغ عددهم حسب إحصاء ١٩٩٧م مليونًا ونصف مليون نسمة، وكانت نسبتهم في القرن التاسع عشر ٤٠٪ من السكان، وأهم هذه القبائل البدوية هي: البختياريين والقشقاي والخمسي والمصطافي في أقليم زاغروس، ومن قوة البدو السياسية استيلاؤهم على حكم طهران سنة ١٨٥٧م - ١٩١٧م بقيادة حاج علي قولي خان سارادرا أسعد الثاني، وقد أعدم بالرصاص سنة ١٩٨٢م في فيروز آباد.

عرب الأحواز:

ويسمونها عربستان أي بلاد العرب أو خوزستان أي بلاد القلاع، وتمتد طولًا من جنوب الخليج العربي إلى الشمال حوالي ٣٨٠ كيلومترًا، طولًا بمحاذاة العراق، وعرضًا بحوالي ٢٢٠ كيلومترًا، وهي بلاد غنية بالزراعة والنفط، ولها أهمية كبيرة على شط العرب والخليج العربي، وقد سكنتها القبائل العربية منذ القديم قبل الفتح الإسلامي، وهي قبائل بكر بن وائل وبني حنظلة المدعون ببني العم من تميم، الذين يرجع نسبهم إلى مرة بن مالك بن حنظلة، وكذلك

قبيلة ربيعة بن كعب بن عامر بن صعصعة، ولكن أولئك العرب لم يلاقوا من الساسانيين إلا المذابح والقتل، ولذا فقد رحبوا بالمسلمين الفاتحين في سنة ١٨هـ، حين دعا والي عمر بن الخطاب على البصرة عتبة بن غزوان عرب الأهواز إلى مساعدته في الحرب ضد القائد الساساني الهرمزان واستطاع بمساعدتهم هزيمة القائد الساساني، وفى سنة ١٩هـ تقدم الجيش الإسلامي نحو السوس بعد أن فتح تستر وحاصرها، ومنها انضم عرب الأهواز إلى الجيش الإسلامي، وفى سنة ٢١هـ قاد القائد العربي نعمان بن مقرن المزني البصريين، الذين كانوا يقطنون الأهواز على امتداد الكرخة، وهزموا الجيش الإيراني في نهاوند، حيث كانت تابعة الخلافة في بغداد، ثم تحولت إلى العثمانيين، وقد أنشأت فيها إمارات عدة مستقلة، بسبب الضعف الذي اعترى مركز الدولة، قد نشرت الدولة الصفوية مذهب التشيع بينهم، كما فعلت في بقية الأقاليم، وكانت الأحواز تابعة إداريًّا إلى ولاية البصرة إلى أن جاء الغزو المغولي، حيث قامت فيها إمارات عدة، وتسبب خضوع الأحواز في العصر الحديث للحكم الإيراني في عزل جزئي عن محيطها العربي، ومما فاقم ذلك محاربة الدولة الإيرانية للغة الثقافة واللغة العربية، وأدخلت إيران عاملًا ساعدها في عزل الأحواز عن محيطها العربي، وهو نشر التشيع، بل قصرهم على اعتناق هذا المذهب، واعتماد إيران سياسة تهجير العنصر العربي في أقاصي إيران، وزرع بدلهم العنصر الإيراني، وبطول المدة حصل فيما يبدو تغيرات في الثقافة والسلوك الاجتماعي في هذه المنطقة، وأصبحت قضية الهوية الأحوازية على المحك، على الرغم من مرجعيتها إلى الإسلام والعروبة معًا، وخضوعها كغيرها من المجتمعات إلى رياح التغيير الغربية، المؤثرة على المجتمع الإيراني كافة، وفى كتاب (نحن والتجديد: الثقافة الأحوازية بين سلطة التراث وسلطة الدولة الإيرانية) لمؤلفه محمود عبدالله تفسير أوضح حيرة المثقفين الأحوازيين العرب، وتفكيرهم بموضوع الانتماء والهوية، وهذا واضح أيضًا في حيرة الكاتب في تحديد إمارة المشعشعين، وهل

هي دولة كاملة أم ناقصة؟ وهل تعد دولة وطنية أم دولة قبلية أم أنها مجرد مشيخة لقبلية عربية[١].

١- إمارة المشعشعين: (١٤٣٦م-١٧٢٤م):

اعترف الصفويون والعثمانيون باستقلالها، وسميت بأسماء أخرى:

١- إمارة آل المشعشع: نسبة إلى السيد محمد بن فلاح مؤسس هذه الإمارة، الذي كان يلقب بالمشعشع هو السيد محمد ابن السيد فلاح بن هبة الله، من أولاد عبدالله بن الإمام موسى بن جعفر، ويدعي أنه من النسب العلوي، ولذا فقد ادعى أنه المهدي المنتظر بعد اعتكافه وخلوته في مسجده بالكوفة، وسمي بالمشعشع بسبب ما يدعي من معجزات وتخاريف للعامة، ونسب لابن فلاح أقوال الغلاة في الإمام علي، وأن له صفة الألوهية[٢]. سافر في السابعة عشر من عمره من واسط إلى الحلة بأمر والده، لدراسة العلوم الدينية في مدرسة الشيخ أحمد بن فهد الحلي، الذي ولد في الحلة سنة ٧٥٦هـ، وبعد وفاه والده تزوج الشيخ من أمه، وتزوج هو من بنت الشيخ أحمد، وبلغ السيد محمد درجة في العلم حتى كان يلقي الدروس في غياب شيخه، لقد وضع السيد محمد بن فلاح الأسس الأولى لحركته من خلال رؤيته الخاصة للألوهية والإمامة، واستطاع يؤسس حكم آل مشعشع المستقل في مدة وجيزة، حيث رغب الناس في الانضمام إلى حركته، وذلك بسبب دراسته لكتاب العلوم الغريبة، التي كان لها الأثر البالغ على العوام، مثل: إن السيف لا يخترق أجسادهم. والنار لا تحرقهم إذا

(١) محمود عبدالله (نحن والتجديد: الثقافة الأحوازية بين سلطة التراث وسلطة استعمار الدولة الإيرانية)، ص١٣٩، دار دجلة، الأردن، ٢٠١٦م.

(٢) انظر كتابنا: (أثر العناصر الأجنبية في فكر بعض الشيعة الإثنا عشرية)، ص٣٤٦، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١٧م.

رددوا أذكارًا معينة، كانت السبب في رواج أمره، ولعل السبب الأكبر حالة الظلم، التي أفشاها التيموريون وحالة التذمر والاستياء العام منهم، مما جعل الناس يلتفون حوله، ووجد المشعشعون (الشيعة) في تعاليمه ما يريح عقولهم، وقد خاطب السيد محمد بن فلاح حجج الكثير من أتباعه بتعاليمه الغريبة، ومما مكنه من الإطاحة بمراكز القوة السياسية في خوزستان وجنوب العراق، حتى نجحوا أخيرًا في إقامة حكم مستقل، كما أسس السيد محمد بن فلاح فرقة خاصة من غلاة الشيعة، يسمون بطلائع المهدي، ومن ثم استولى المولى على السلطة من أبيه بعد سنوات من تأسيس الدولة المشعشعية من عام (٨٥٨-٨٦١هـ)، وكان القائد بلا منازع من المقاتلين الأقوياء، وأشاع بين الناس أن روح الإمام قد حلت به، وقد استغل ذلك للهجوم على العراق والعتبات المقدسة، ونهبها والقيام بأعمال وحشية بالاعتداء على النجف، وقتل سكانها، وحرق مشهد الإمام علي رضي الله عنه، وهاجم طرق الحجاج على النجف، وسلب جميع ما كان معهم ونهبهم، وواصل هجومه حتى وصل إلى بغداد سنة ٨٦٠هـ، وأفشى فيها القتل والنهب، وسبا النساء، وأحرق الغلات وأتلفها، ثم مكث في بعقوبة والمدائن، فقتل سادتها وأكابر أهل المدائن، وأسر البعض، واستولى على بهبهان وأطراف شيراز، حتى قيض الله له رجلًا من القلعة، فاحتال عليه وقتله سنة٨٦١هـ، وفي آخر عهد المشعشعين هجمت عليها الدولة الصفوية مع اتفاقهم في المذهب الشيعي.

أ- آل فلاح نسبة إلى فلاح بن محمد.

ب- إمارة الموالي يعني السادة، وأول من لقب بهذا اللقب هو السيد بن محمد، ومن ثم استعمل اسمًا لإمارتهم، ثم نشأت امارة

بوشهر، التي حكمها آل مذكور في ميناء ريك إلى عام ١٧٦٩م، حيث احتلتها القوات الإيرانية، وطردت العرب منها، ثم حكمت الأحواز الإمارة الكعبية.

٢- الإمارة الكعبية (١٧٢٤-١٩٢٥م).

والكعبية هي قبيلة عربية كبيرة، تتوزع في كل من العراق والسعودية والإمارات العربية المتحدة وسوريا والأردن وإيران، وكانت في جنوب الأحواز، وسميت بإمارة البو ناصر، وأول من أسسها هو الشيخ ناصر بن محمد الكعبي، حيث سميت باسمه، وكان أبرز من تولى الإمارة منهم الشيخ سلمان بن سلطان الكعبي، وفى عام ١١٦٠هـ نقل الشيخ سلمان مركز إمارته إلى مدينة الفلاحية، التي كان مقرها مدينة القبان، وقد حكم الشيخ خزعل الكعبي من سنة (١٨٩٧-١٩٢٥م)، ولد الشيخ خزعل عام ١٨٦٢م، وهو كعبي عامري، أمه نورة بنت طلال شيخ قبيلة الباويا، التي تنحدر من ربيعة، تزوجها أبوه الحاج جابر بن مردوا زواجًا سياسيًّا، ليكسب بها قبيلة أبيها المنشقة عليه، نشأ في المحمرة، وتعلم على أيدي بعض شيوخ من النجف، وهو شيعي المذهب لكنه منفتح على الجميع، يتقبل الرأي الآخر، وكان غنيًّا كريمًا حكيمًا، ومن الأوائل الذين التحقوا بالنادي الماسوني، واختير رئيسًا فخريًّا للنادي الماسوني المصري، وقد حرص ولاة البصرة دائمًا إلى كسب وده، وذلك لما كان يتمتع به من نفوذ بسبب العدد الكبير من قبيلة المحيسن المتواجدة على امتداد شواطئ شط العرب الغربية، وكان يستعين بالسيد طالب النقيب على بسط نفوذه على ولاية البصرة، وكان له أملاك واسعة في البصرة واتباع، ولذلك كان يستعين بالسيد طالب النقيب في حماية مصالحه، وكان يغمره بالإنفاق، وكان يصرف له راتبًا شهريًّا، قدر بحوالي ٥٠ ليرة عثمانية ذهبًا، وتطور هذا التعامل بين الرجلين، حتى أصبح فيما بعد نواة للتفكير بالاتحاد القومي العربي في تلك المنطقة، التي شهدت حراكًا

بين كل من المحمرة والبصرة والكويت، واجتماعات في ذلك الخصوص، ومن أهم ما تمخضت عنه هذه الحركة في تلك المنطقة العربية، هو اجتماع مؤتمر الفيلية، الذى عقد في آذار عام ١٩١٣م بين زعماء شمال الخليج العربي الثلاثة: خزعل ومبارك وطالب النقيب، للتخطيط لمستقبل السياسة العربية في المنطقة، بعد ان تردت العلاقات العربية التركية وأنذرت بانفجار، وقرر المؤتمرون الاتفاق والتحالف من أجل العمل، وتنسيق سياستهم، ويعد هذا العمل هو أول عمل من أجل التجمع على أساس لا مركزي، ولو قدر لهذا العمل أن يرى النور، لأصبحت في الخليج العربي إمارة عربية من أغنى الدول في المنطقة، ولم يخسر العرب بعدها عربستان، ولا ضعفت دولهم بهذا الهوان، وقد عم خبر هذا الاتحاد كل القوميين العرب في بغداد واستنبول وسوريا ومصر، ونشرت الصحافة العثمانية هذه الاجتماعات، واعتبرتها إضعافًا لنفوذ الدولة العثمانية في المنطقة.

وقد خاضت إمارة الكعبين حروبًا شرسة مع القاجاريين، ومنذ ظهور هذه الإمارات العربية ونشأتها في الأحواز كانت على غير وئام فيما بينها وبين فينة وأخرى، تقوم الحروب المحلية بينهم، وقد تعرض الكعبيون في عهد الشيخ سلمان الكعبي إلى غزو من قبل جيش كريم خان الزند من شيراز، وذلك بتحريض من الوالي العثماني عمر باشا في عام ١٧٦٥م (١١٧٩هـ)، وما تبعه من قيام كريم خان الزند بتدمير سد السابلة، وهو أبشع ما قام به كريم خان، شل الحياة في مدينة القبان والدورق، فعم فيهما الخراب، وبعد أن عجم عود الكعبيين أغرى الوالي العثماني البريطانيين في مهاجمة مركزهم في الفلاحية، فجاء أسطولهم من الهند، وحاصروا قلعتي الفلاحية، لكن الكعبيين قاموا بدور بطولي، باغتوا فيه القوة المهاجمة من الجيش البريطاني، والاستيلاء على مدافعهم وأسلحتهم، ثم قام الكعبيون بإحراق سفن البريطانيين المهاجمة في الخليج، مما اضطرهم إلى الانسحاب، وكان ذلك في عام ١٧٦٦م (١١٨٠هـ) في عهد الشيخ سلمان،

الذى كان يجيد حرب البحر، بالتنقل هو وأصحابه من عدة جزر في الخليج، وفى أواخر إمارة الكعبيين دب الخلاف بين الأسر الحاكمة الكعبية، كما تكونت في لنجة إمارة القواسم، التي سيطرت على تلك البلاد، وخاضت حروبًا شرسة ضد المحتلين والبرتغال والهولنديين، وكان مذهب القواسم هو المذهب السني السلفي، ونجحوا في الهجوم على حاكم عُمان الأباضي، إلا أن الفرس تمكنوا من السيطرة عليها، بمساعدة الإنجليز عام ١٨٩٨م (١٣١٦هـ)، وطردوا كثيرًا من العرب منها، بقيادة حاكمها يوسف بن السيد جعفر، فازدهرت الأحواز بسبب نهر كأرون وخصوبته الزراعية، وكذلك ازدهار التجارة البحرية، وبسبب عداء الكعبيين لبريطانيا، التي كانت تتطلع لبسط نفوذها على النفط، فأبرمت بريطانية اتفاقًا مع شاه إيران على إسقاط هذه الإمارة، وضمها إلى إيران، فاعتقل الشيخ خزعل من قبل الشاه، وحبس في إحدى الدور في طهران إلى أن توفي، وأيضًا تأسست إمارة البو كاسب العربية الكعبية، نتيجة لانقسام الكعبيين فيما بينهم إلى ثلاث أسر حاكمة، هم النصار والدريس والبو كساب. وكان من نتيجة هذا الانقسام ظهور قبيلة البو كساب، وهم فخذ من الكعبيين، التي أسست إمارة المحمرة، التي كان وجودها يشكل ضرورة اقتضتها السيطرة على مدخل نهر كأرون، الشريان الرئيس لحياة الإمارة الاقتصادية، وكان الحاج مرداو هو رئيس الأسرة الكاسبية والحاج يوسف هو الابن الأكبر لمرداو الذى خلفه في رئاسة القبيلة، وعلى يده تم ازدهار المحمرة عام ١٨١٢م، التي شيدت على أنقاض مدينة بيان التاريخية. وقد هاجم الإمارة هذه كل من شاه القاجار، ثم البريطانيين، ولكنها أثبتت قوة وثباتًا نادرين، وكان ذلك في سنة ١٢٧٣هـ، وذلك بقيادة الحاج جابر الذي امتد حكمه ٥٤ سنة، وخلفة ابنه مزعل، وامتدا حكمه ١٧ سنة، هاجم خلالها حكم المشعشعين في المحمرة، ثم قتل واتهم أبناء عمه المحسن بقتله[١].

(١) عبد النبي القيم: (عرب إيران) إيران وتاريخ عرب الأهواز، ترجمة: كاظم الجابري، ص١٤٩ وما بعدها، هلا لنشر والتوزيع، الجيزة، القاهرة، ٢٠١٣م.

ولم تتحد هذه الإمارات العربية فيما بينها على الرغم من تقاربها الزماني والمكاني، وكانت على خلاف دائم، وقد رأى الإنجليز من مصلحتهم عقد اتفاقات مع شيوخ تلك الإمارات، لتسهيل مصالحهم ضد الدولة العثمانية، فاستجاب لخديعتهم الشيخ خزعل الكعبي، ولكنهم فيما بعد انقلبوا عليه، باتفاقهم مع شاه إيران في استغلال نفط عبادان، فدبروا له خدعة تم فيها القبض عليه من قبل الجيش الإيراني في أثناء حفل في رمضان مقام في يخت الشيخ، وأخذ إلى طهران حيث سجن حتى وفاته، كما ذكرنا من قبل[1]. وقد طالب العراق وقتها بمدينة المحمرة وما حولها بصفتها ضمن حدوده، وظلت هذه نقطة خلاف بين البلدين، واستمر العراق يطالب بالأحواز ضمن حدوده، وقد احتل المحمرة سنة ١٩٨٢م، وقد عمدت إيران منذ احتلاله لتلك المنطقة إلى تغيير الأسماء العربية المتعلقة بالمدن والساحات والشوارع، كما عمدت إلى تهجير العرب وإحلال الإيرانيين محلهم، وإلى إخماد حركاتهم السياسية، والقضاء على أي نشاط عربي في الأحواز، فمدينة المحمرة أصبح اسمها خور مشهر، واليوم يبلغ عدد سكان الأحواز ما يقرب من ١١ مليون نسمة، أغلبهم يعملون في الزراعة، وأهم المدن:

هي الأحواز، ويلفظها الإيرانيون بالأهواز، وتقع على ضفتي نهر كأرون. ومدينة المحمرة (خرمشهر)، وتقع على شط العرب، عند مصب نهر كأرون. ومدينة عبادان على شط العرب، نسبة إلى القائد العربي عباد بن الحسين. ومدينة الحويزة (دشت مشيان)، وتقع على نهر الكرخة. ومدينة تستر (شوشتر). ومدينة السوس (الشوش). ومدينة قنطرة القلعة (ديزفول). مدينة الدورق (شادكان). ومدينة مسجد سليمان النفطية. ومدينة الخفاجية (سنوسنكرد). ومدينة البسيتين. ومدينة الصالحية (اند يمشك). ومدينة

(١) سامح عبود: (الأقليات الدينية والعرقية والمذهبية في إيران)، ص١٧ وما بعدها، المحروسة، القاهرة، ٢٠١٤م.

الحميدية (فرح أباد)[١]. لكن عرب الأحواز يبدون مقاومة هذه الأمور مجتمعة، وتعدى هذا الأمر إلى ظهور حركات مسلحة ومقاومة، تطالب بانفصال الإقليم عن إيران، ومن هذه الحركات المسلحة: الجبهة العربية لتحرير الأحواز، والجبهة الديمقراطية الشعبية للشعب العربي في الأحواز، اللتان تطالبان بحق تقرير المصير للأهوازيين العرب. تتهم السلطات الإيرانية بطمس هويتهم العربية، بل طالبت الجبهة في مواقعها الإلكترونية إلى عدم اعترافها بشرعية النظام الإيراني، وكما تستنكر جرائم النظام الإيراني ضدها، مثل إحياء ذكرى الأربعاء الأسود بتاريخ ٢٩ مايو ١٩٧٩م، حيث تقول: إن الحكومة الإيرانية ارتكبت مجزرة بحق الأحوازيين لمطالبتهم بحقوقهم الشرعية، ويستنكرون قيام الحكومة بتهجير مجموعات من الفرس والآذاريين إلى إقليم الأحواز.

القبائل العربية في الأحواز:

سكنت في الأحواز منذ القديم، كما أشرنا قبائل عربية عدة منها:

١- قبيلة تميم، وتتكون من الأفخاذ التالية:

١) عشيرة المصالحة، وهي بدورها تنقسم إلى العشائر التالية:
أ- السلايط. ب- الشريفات. ج- بنو نهشل.

٢) عشيرة البو طعمة، وتنقسم إلى عدة أفخاذ وبيوت، منهم الرؤساء.

٣) البو حمد.

٤) الشهابات.

٥) البو حسان.

٦) البو فيصل.

---

(١) السيد أبوداود: تصاعد النفوذ الإيراني في العالم العربي، ص ٣٠١-٣١٠، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ٢٠١٤م.

٧) العوينات.

٨) الحمد.

٩) البراجعة. ويقطنون الضفة اليسرى لنهر كأرون.

١٠) البو بصيري.

١١) الغزلي.

١٢) الغزيوي.

١٣) السليمان.

١٤) الإمارة.

١٥) آل صباح.

١٦) العيياشة.

١٧) بيت كنعان.

١٨) قبيلة ربيعة بن كعب بن عامر بن صعصعة، وقد سكن الكعبيون قرية الفلاحية والدورق وما حولها من قرى، وقد سبق أن فصلنا الإمارات التي ظهرت في هذه المنطقة.

الأكراد:

يوجد الأكراد في كل من إيران والعراق وسوريا وتركيا، وأصلهم من قبائل الميديين والكردوخيين من الجنس الآري الهندو- أوروبي، وهم قبائل عدة، منهم اللور والبختياريين، استوطنت كردستان منذ القرن العاشر قبل الميلادي، ويوجد قلة من الأكراد في أرمينيا وأذربيجان ولبنان، هاجروا من نهر الفولغا وشمال بحر قزوين، ويشكل الأكراد ٧٪ من مجموع الإيرانيين (٦,٢ مليون نسمة)، ويعيش أكثرهم في أذربيجان الغربية ومحافظة كردستان ومحافظة كر منشاة وإيلام وهمدان ولورستان وباختياري.

أُسِّست في كردستان إمارات عدة إلى أن جاء الملك القاجاري ناصر الدين شاه، فضمها إلى إيران سنة ١٨٦٧م، وقبله حاول الشاه طهماسب الصفوي سنة ١٥٧٦م تدمير تلك الإمارات وإخضاعها، وفي سنة ١٦٠٩م وقعت معركة دمدم بقيادة الأمير لبذيرين وبين الصفويين بقيادة حاتم بيك، حيث كان المير الكردي يحاول استقلال المنطقة عن الصفويين والعثمانيين، وقام الأمير الكردي بترميم قلعة دمدم وتطويرها، مما أخاف الصفويين، وشعروا بالخطر على نفوذهم، ما جعلهم يحاصرون القلعة، وينتهي الحصار بهزيمة الأكراد. ويقع حوالي ٤٦٪ من الأكراد في تركيا و٣٪ في إيران و١٨٪ في العراق و٥٪ في أرمينيا وسوريا من مجموع الأكراد. واللغة الكردية هي لغة هندو أوروبية، مشتقة من الفارسية والتركية والعربية، وتحتوي على لهجات عدة، وحسب معاهدة الديران التي انكسر فيها الجيش الصفوي في عهد الشاه إسماعيل، ضمت أجزاء كبيرة من كردستان إلى تركيا، كما أن معاهدة سايكس بيكو التي قسمت الإمبراطورية ألحقت قسمًا من كردستان بالعراق وقسمًا آخر بسوريا، وقد ظل الأكراد يتوقون إلى توحيد كردستان في ظل دولة واحدة مستقلة عن إيران وتركيا والعراق وسوريا. وينشط الحزب الديمقراطي الكردستاني في إيران لتحقيق هذا الهدف[1]. وقد ثار أكراد إيران في الأربعينيات، وأسسوا جمهورية مهاباد سنة ١٩٤٦م، لكن قضى عليها الشاه محمد بهلوي، على الرغم من مناصرة الأكراد البرزانيين القادمين إليها من العراق، وفي الستينيات ثار الأكراد عن طريق حرب عصابات، فقضى عليهم الجيش الإيراني. وفي العصر الحديث قام الأكراد بعدة انتفاضات في ١٩٢١م، وأخرى في سنة ١٩٣١ و١٩٤١م بقيادة رحمة رشيد، فكان الجيش الإيراني يضربهم دون رحمة، ولا يسمح بقيام كيان كردي، ولا باستعمال اللغة الكردية

(١) سامح عبود: الأقليات الدينية والعرقية والمذهبية في إيران، ص٧٨، مركز المحروسة، القاهرة، ٢٠١٤م، سعيد خديده علو: العلاقات العراقية الإيرانية وأثرها على القضية الكردية، ص١٤١وما بعدها، دار دجلة، الأردن، عمان، ٢٠٠٧م. برنار أور كاد: جغرافية إيران السياسية، ص٣٧، لبنان، طرابلس، (جروس برس ناشرون).

في المدارس، كما لا يتمتع الأكراد بأي نوع من الحرية، سواء كان ذلك بارتداء زيهم القزمي أو أي ممارسة نشاط آخر، فكانت السياسة الإيرانية تعتمد على دمج الهوية الكردية بالإيرانية، كما هو الحال في الأحواز. وبعد الثورة الإيرانية قدم الأكراد مطالبهم القومية للخميني، لكن الخميني رفضها، فثار الأكراد في إبريل سنة ١٩٧٩م، فضربهم الحرس الثوري، وأخمد حركتهم، كما ضربهم مرة أخرى سنة ١٩٨٣م.

وأهم الأحزاب عندهم هو الحزب الديمقراطي الكردستاني، وتوجهاته يسارية نحو روسيا، ويشتكى الأكراد عمومًا من الضغط على حريتهم، حتى الدينية باعتبارهم من السنة، ويتأثر أكراد إيران بالأحوال السائدة لدى أكراد العراق، حيث حاز الأكراد العراقيون على حكم ذاتي واستعمال لغتهم في المدارس والجامعات، وتكوين جيش (البشمرجة) وفضائيات ناطقة باسمهم، كل ذلك يولد ضغطًا سياسيًّا على الحكومة الإيرانية، ويدفعها للتعاون مع تركيا للسيطرة على الأكراد[1]. هناك أثر سياسي تركته بعض الثورات من أجل الاستقلال، كما حصل في مدينة جيلان، حيث شكل الشيخ ميرزا كوجك خان جنكلي (١٨٧٨-١٩٢٠م) أول حركة تحريرية مسلحة في شمال إيران، سميت (لجنة الاتحاد الإسلامي) متأثرة بأفكار جمال الدين الأفغاني.

ويقدر عدد مقاتلي الحزب الكردستاني الإيراني بحوالي ٥٠٠٠ مقاتل، وله عدد من المكاتب الفرعية في أغلب المدن الكبرى في أوروبا وأسس له مقرًّا في المنفى في شمال العراق، ويحظى هذا الحزب بتأييد المنظمة الدولية الاشتراكية، وقتلت الاستخبارات الإيرانية زعيمه عبدالرحمن قاسملو في فينا عام ١٩٨٩م، كما قتلت خليفته صادق شرفكندي في عملية تفجير في برلين ١٩٩٢م.

---

(١) انظر: (المنهاج والنظام الداخلي للحزب الديمقراطي الكردستاني (إيران) أقره الكونفرانس الثالث للحزب)، ٣٢٩/٩٥٥، ١٩٧١م. مني أحمد سلطان: (تاريخ الأكراد في إيران)، ص٥٩ وما بعدها، دار الأحمدي للنشر، القاهرة، عام ٢٠٠٨م.

البلوش:

تنقسم بلاد البلوش إلى ثلاثة أقسام:

البلوش الإيرانيون، ويبلغ عددهم مليون نسمة تقريبًا. وبلوش باكستان، ويقدر عددهم ثلاثة ملايين نسمة، وخاض بلوش باكستان حرب مقاومة ضد السلطة الباكستانية منذ تأسيس دولة باكستان عام ١٩٤٧م، الحرب الأشد ضراوة، قام بها ذوالفقار علي بوتو (والد بنازير بوتو)، التي حكمت باكستان فترتين من بعده ١٩٧٣-١٩٧٧م، بتأليب من شاه إيران خوفًا من أن تنتقل عدوى الحركة الوطنية البلوشية من بلوش باكستان إلى بلوش إيران، وأسفرت تلك الحرب عن ٣٣٠٠ قتيل حسب إحصائية السلطة. أما جبهة تحرير بلوتشستان تؤكد أن عدد القتلى بلغ ٦٠٠٠ قتيل وجريح، ولم يستطع بوتو أن ينقب عن النفط في مناطق البلوش، ولا حتى من تصدير الثورة إلى بلوش إيران، حتى تم إعدامه من قبل قادة الجيش، وينظر البلوش إلى وطنهم بحكم موقعه الإستراتيجي النادر على استخدامه بوصفه مادة ضغط على كل من باكستان وإيران، على الرغم من جدبه، وبذلك هم يرون أن ظلمنا قد وقع عليهما من باكستان وإيران من التنمية الاقتصادية عبر سنين طويلة، بالإضافة إلى حملات القمع لأي مطالبة بالحقوق، ودفع الفقر المدقع أكثر من ٣٠٠ ألف بلوشي إلى الهجرة إلى الخليج للبحث عن فرص عمل، إن قبائل البلوش تجيد مهنة القتال، ذلك ما مكنهم من الدخول في الجيش الخليجي، ومما ساعدهم أكثر أنهم مسلمون سنة، وقيل: إنهم من أصول عربية. وعارض البلوش الثورة الإسلامية، وقيل: إن حكم الشاه غض الطرف عن نشاطهم الوحيد في المنطقة، وهو التهريب، هو خط مزدوج بين أفغانستان وباكستان إلى إيران ودول الخليج، وهو النشاط الاقتصادي الوحيد في تلك المنطقة القاحلة الجرداء، هم يهربون الأفيون والمخدرات والسلاح إلى إيران ودول الخليج، ويهربون الذهب والساعات والراديوهات والأدوات الإلكترونية

والكماليات من الخليج إلى إيران، وذكر كاتب كتاب (مصاحف وسيوف إيران): أن عناصر من نظام الشاه كانوا شركاء مع زعماء البلوش في عمليات التهريب، ولكن هناك سبب أخطر من العامل الاقتصادي، يمثل تهديدًا بالنسبة لهم، هو سحق الهوية البلوشية السنية من قبل الثورة الشيعية في إيران، هو رفض الثورة بتعليم اللغة البلوشية في المدارس، على الرغم من محاولات الشاه تفريس بلوتشستان ظل البلوش لا يتقنون الفارسية، ويتكلمون لغتهم الخاصة، وهي مزيج من العربية والأوردو والفارسية، الأمر الذي شكل حاجزًا في تعاملهم مع الدولة، وظلت مطالبهم متواضعة بنسبة إلى القوميات الأخرى.

عند بداية الثورة قام أحد زعمائهم المرموقين مولاي عبدالعزيز ملا زادة لمقابلة آية الله خميني في قم، كان همه الأول (الهوية البلوشية)، يقول: إن البلوش يؤيدون الثورة الإسلامية ما دامت الثورة تحترم شعائرهم الدينية والثقافية، ولا تحاول أن تفرض عليهم مذهب الأغلبية وما دامت حقوقهم القومية مصونة، ولكن كانت المطالب الأخرى غير الرسمية حاضرة في البرنامج، ولكن جواب الحكومة في ذلك الوقت هو النظر في الأمر والمماطلة والتسويف خلال الثمانينيات، اتسع نفوذ الطبقة المتعلمة في الأوساط القبلية البلوشية، التي تعيش في مجتمع بدوي يعتمد على التنقل، وفى وسط هذا المجتمع كانت الدعوة إلى حركة الاستقلال البلوشية تأخذ حيزها، وكان الجيشين الإيراني والباكستاني يقمعون أي تجمع أو تنظيم بلوشي ظهر، خوفًا من أن يصبح مقاومة ضد الحكم في كل من الدولتين، وبسبب هذ القمع هرب عدد كبير من العائلات البلوشية إلى أفغانستان. منذ أيام محمد داوود إلى نظام طالبان درس عدد كبير من البلوش في الاتحاد السوفيتي، الذين سهل لهم الاتحاد السوفيتي وقتها فرصة الدراسة، وعادوا إلى بلدانهم ثوريين، لكن على الرغم من كل الظروف والتململ الحاصل لم يستطع السوفييت والقومية البلوشية في إقامة دولة لهم في إيران،

يسيطر الاتحاد السوفيتي على مقدراتها، ويتوصل إلى الطموح التاريخي له في فتح طريق بري من حدوده إلى المياه الدافئة في الخليج العربي والمحيط الهندي. والبلوش في أفغانستان يقدر عددهم بنصف مليون نسمة، وبلادهم عبارة عن صحاري شاسعة، تتخللها الجبال والقلاع ،فهي ضعيفة الموارد، وبلوش إيران خاصة في مكران وما حولها كان لهم علاقة بالعرب، الذين استوطنوا هذه المنطقة من الأزد وتميم، ويتحدثون اللغة البلوشية، التي لم تلقَ عناية علمية، وأكثريتهم من الشافعية والأحناف السنة، وفى هذا إشارة مهمة يجب أن ينتبه إليها العرب، وهي أن البلوش قبائل عربية، تمتد إلى أزمان تاريخية موغلة في القدم، لذلك هم أمام أمرين أحلاهما مر، وهو إما موقف قومي ملزم للعرب واحتضانهم بصفتهم من بني جلدتهم وديانتهم، وإما أن تحتضنهم مذاهب فكرية: كالإرهاب الدولي، فبدلًا من أن تقوم دولة عربية واضحة المعالم، تقوم دولة إسلامية تأخذ من أفغانستان نموذجًا لها، وبذلك يكونوا قد أضاعوا فرصة تاريخية منحهم إياها التاريخ، وهم كذلك أعني العرب، فكم فرصة حانت لهم وضيعوها، ولم يعتبروا من التاريخ ودروسه، وبعدها يندبون التاريخ وحظهم العاثر على ما أهدروا من فرص أضاعوها، ويتواجد كثير من البلوش في عُمان والبحرين والكويت والسعودية.

ويرى كثير من الباحثين أن أصل البلوش من قبائل عربية سامية، استوطنت المنطقة بعد الفتح الإسلامي، ولهذا السبب تجد البلوش يميلون لمناصرة العرب، وأما لغتهم فهي خليط من اللغة الهندية والفارسية والعربية، ولا تسمح إيران لهذه اللغة أن تستعمل في المدارس أو في المصالح المحلية، وقد نشأ في هذا الإقليم حركات انفصالية، أكثرها كانت يسارية التوجه. وفي الفترة الأخيرة انتشر الفكر السلفي بين البلوش خاصة من بلوش باكستان، الذين يتمتعون بحرية كبيرة في ممارساتهم الدينية واللغوية، باعتبار أكثريتهم من الأحناف،

شأنهم شأن غالبية الباكستانيين. وقد تكونت في بلوتشستان الإيرانية حركة جند الله بقيادة عبدالمالك ريغي السجين في إيران، وقد ظهر في إقليم البلوش الغاز الطبيعي، الذي تنقله الدولة من سيريك إلى كيش.

وقد تحولت حركة جند الله إلى حركة عسكرية تطالب بحرية البلوش السياسية والدينية، وتعارض النفوذ الإيراني، الذي اعتقل زعماءها، وحكم عليهم بالإعدام. ويرى البلوش أنهم شعب واحد، سواء في إيران أو باكستان أو في أفغانستان، ولكن بريطانيا هي التي قسمتهم، بقصد إضعاف نفوذهم، وإيجاد مشكلات مستمرة مع الجوار، وقد استهدفت الحركة المسلحة هذه الحرس الثوري الإيراني، خاصة في مدينة زاهدان، وتتحصن هذه الحركة في الجبال الوعرة، التي تكون المثلث الحدودي بين إيران وباكستان وأفغانستان، ومع الأسف فإن الدستور الإيراني لا يساوي بين الأقليات غير الشيعية وبقية الإيرانيين، لأنه ينص على أن المذهب الرسمي للدولة هو مذهب الشيعة الإثنا عشري، كما ينص على أن الرئيس يجب أن يكون من الشيعة الإثنا عشرية. وعلى الرغم من أن المادة ١٥ من الدستور تنص على أن للأقليات حق استعمال لغتها، واتباع مذهبها، إلا أن الحكومة تعارض ذلك في الواقع العملي[١].

الآذاريون:

وهم المتحدثون باللغة التركية الآذارية، وقد كانوا من السنة، ولكن اعتنقوا التشيع بالقوة في أثناء الحكم الصفوي في القرن السادس عشر الميلادي، ويبلغ عددهم حوالي ثلاثة ملايين نسمة في إيران، وقيل: إن مجموع الآذاريين في إيران وفي جمهورية أذربيجان يمثلون ثلاثين بالمئة من سكان إيران، وعلى هذا يكون عددهم كبيرًا، يسكن أغلبهم في مدينة تبريز وما حولها، وقد كانت تابعة إلى

(١) رياض نجيب الريس (مصاحف وسيوف إيران)، ص٣٢٧ وما بعدها، المكتبة البريطانية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

جمهورية أذربيجان، ولكن بعد الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٩م ألحقت هذه المنطقة بإيران، وأغلب مذهب الآذاريين من الشيعة الإثنا عشرية، ولكن يختلفون عن الإيرانيين في اللغة، وبسبب عداء إيران لجمهورية أذربيجان فقد أيدت إيران جمهورية أرمينية المسيحية على ضمها إقليم كار اباخ الآذاري الأصل، وذلك نكاية بجمهورية أذربيجان، فقد كانت تابعة لجمهوريات الاتحاد السوفييتي، ولكنها أصبحت اليوم مستقلة، وقد شهدت المنطقة حركات انفصالية عدة في العصر الصفوي، ولكنها ضربت بشدة من قبل الشاه إسماعيل وابنه طهماسب، وقد اضطهد الذريون في عهد الشاه عباس الكبير، وطردوا من مناصب الدولة، كل ذلك فيما يبدو الاختلاف العنصري، وفي سنة ١٩٣٠م ثار المازندرانيون على الشاه، فقمعت ثورتهم بشدة، وانقسمت أذربيجان إلى قسمين: القسم الشمالي أصبح تحت النفوذ السوفيتي، والقسم الجنوبي ضم بعد الحرب العالمية الثانية إلى إيران، واستمر الآذاريون يميلون إلى تركيا بسبب عاملين: الاول الجنس التركماني. والثاني لغتهم التركية، كل ذلك مع أن غالبيتهم من الشيعة الإثنا عشرية، وفي عهد الخميني حصل ما يسمى بحركة تبريز ضد حكومة الثورة الإيرانية، وذلك بقيادة الحزب الإسلامي الشعبي الجمهوري، ويتزعمه آية الله كاظم شريعتمداري، وكان ما يميز حركة تبريز هو أنها لا تحمل بوادر انفصالية كغيرها من الحركات الإيرانية، بل كانت تشكل أول تحدٍّ حقيقيٍّ لسلطة آية الله خميني على المستوى السياسي والديني والعرقي، وكان الحزب الجمهوري الذى يقودها هو حزب الأكثرية في أذربيجان، ويبلغ تعداد أعضائه المليون ونصف المليون عضو منتسب، وكان هدف الثورة هو معارضة الدستور الإيراني الجديد، الذي استفتي عليه في كانون الأول عام ١٩٧٩م، وأعطي بموجبه آية الله الخميني صلاحيات مطلقة، تفوق الصلاحيات التي كان يتمتع به الشاه السابق، وقد بدأت الأزمة عندما قام أنصار الخميني بإشعال النار في منزل آية الله شريعتمداري

في قم، ووفرت هذه الحادثة كل المبررات لإشعال الثورة في تبريز، وفى خلال أسبوع استولى الحزب على المدينة كلها، ما عدا سكنات الجيش والحرس الثوري، اللذين وقفا على الحياد، لقد عانت الحكومة من مشكلات الأقليات التي كان أعنفها التمرد الكردي في الشمال الشرقي من إيران، لكن قضية الأذربيجانيين من أعقد وأخطر القضايا، لأنهم من أكبر الأقليات من حيث العدد، ويسكنون في أكبر مساحة، ويتحدثون اللغة التركية القديمة، وهم موجودون في مختلف مناطق إيران بأعداد كبيرة بجانب أنهم من دون الأقليات الذين ينتمون إلى المذهب الجعفري الشيعي، بينما الأقليات الأخرى هي من السنة وزعيمها آية الله شريعتمداري أيضًا من فقهاء المذهب في قم، وهو منافس للخميني في النفوذ، ويختلف معه في الرأي، وهم متواجدون بكثرة، منهم مليون أذاري في طهران، ويسيطرون على البازار والتجارة، وهم كانوا من صناع الثورة ١٩٧٩م، وكانت أول جماعة قامت بإسقاط الثورة بدأت في تبريز، وأول تصدع وقع في الجيش الموالي للإمبراطور وقع في أذربيجان، وأعلنت وحداته موالاتها للثورة، وكان آية الله شريعتمداري له دور أساسي في قيام الثورة[1]، وتقوم جمهورية أذربيجان في الحاضر باحتضان وتشجيع الحركات السياسية الانفصالية عن حكومة طهران، وما الخلاف المتعلق بإقليم كارا باخ إلا مظهر من مظاهر هذا الاختلاف، وتعد المعارضة الآذارية لحكومة الثورة هي من أقوى قوة المعارضة في إيران، فهي التي أسقطت حكم الشاه سنة ١٩٧٩م، فكانت الشرارة قد اشتعلت في البداية من تبريز وأردبيل وأورومية[2]، وقد ذكر أن مرشد الثورة علي خامنئي هو من الجنس الآذاري.

---

(١) رياض نجيب الريس: مصاحف وسيوف إيران من الشاهنشاهية إلى الخاتمية، ص٢٦١ وما بعدها، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

(٢) سامح عبود: الأقليات الدينية والعرقية والمذهبية في إيران، ص١١٣ وما بعدها، مركز المحروسة، القاهرة، ٢٠١٤م.

وقد سبق هذه الحركات ما قام به الشيخ محمد خياباني، فكانت حركته جماهيرية بدأت بالمساجد منادية بالمبادئ التالية:

- العودة إلى الإسلام الأصيل.
- مناهضة الفساد والاستبداد.
- مقاومة تدخل الدول الأجنبية.
- إقامة حكومة ديموقراطية
- وضع شروط لحكم دستوري.
- الحرية والمساواة للشعب.
- السعي لحكم ديموقراطي لكل إيران[١].

التركمان:

هم شعب تركي يعيش في تركيا وتركمنستان وأذربيجان وكازخستان وأوزبكستان وقيرغيزستان، وجزء من الصين يعرف بتركستان، وجزء من أفغانستان وفى شمال شرق إيران وشمال العراق، وفي أنحاء متفرقة من سوريا ولبنان وفلسطين، ويتكلمون اللغة التركمانية يقدر الشعب التركماني بأكثر من ثلاثة ملايين نسمة، ويوجد ١٧٪ منهم في إيران ١٠٪ منهم في أفغانستان ونسبة قليلة في العراق، ومنهم من يعيش في أوزبكستان وطاجكستان وفى القوقاز الشمالي، إن التركمان الذين يشكلون أقلية قومية متميزة في إيران تقدموا بمذكرة إلى الحكومة الإيرانية، تتضمن عشر مطالب من بينها: إقامة نظام فدرالي في إيران، وإعطاء حق التعليم باللغة الأم للأقلية التركمانية ولجميع الشعوب والأقليات الإيرانية، كما حددت الفقرة الخامسة من المذكرة، وبوضوح أن السبيل الأمثل والوحيد لإدارة الدولة هو النظام الفدرالي، الذي يحقق طموحات

(١) محمد رضا وصفي: المصدر السابق، ص٩١.

جميع الشعوب الإيرانية، كما أن هناك أقليات أخرى تشكل مع الآخرين جزءًا من المجتمع الإيراني، مثل الأرمن الذين يبلغ عددهم ما بين ٢٠٠ إلى ٢٥٠ ألف أرمني، يقطنون في كل من أصفهان وطهران وتبريز ورضائية ورشت. أما اللغة الأرمنية هي هندية أوربية مستعملة في أرمنيا، وأيضًا الآشوريون من أقدم القوميات، التي استوطنت إيران، ويقدر عددهم بـ ٥٠ ألف آشوري، ويتواجدون في طهران وآرومية. أما الأقليات الدينية، فمنهم السنة الذين سبق الحديث عنهم، ومنهم المسيحيون حيث يقدر عددهم ١٥٠ ألفًا، ولهم ثلاثة نواب في مجلس الشورى، وأيضًا اليهود يبلغ عددهم ٥٠ ألفًا، ولهم نائب واحد في مجلس الشورى. والزراديشتيون المجوس ومذهب البهائيين المنسلخ من الشيعة الإثنا عشرية يقدر عددهم بـ ٣٥٠ ألفًا في إيران.

أهل السنة في إيران:

يشكل أهل السنة في إيران ما بين ٢٠ إلى ٣٠٪ من مجموع السكان، ويقدرون بعشرين مليون نسمة، ولكنهم مهملون، ولا يمارسون حريتهم الدينية والسياسية، ويتعرضون إلى ضغوط كبيرة من الحكومة الإيرانية، ويمثل البلوش والأكراد والديالم من الطوالش والتركمان وبعض الآذاريين، وقلة من السنة الفرس في طهران. وقد كانت إيران قبل الحكم الصفوي أغلبها من السنة ما عدا قلة من الشيعة في قم ومشهد وكاشان ونيسابور، ولكن الصفويين أجبروا الناس بالقوة والتهديد على اعتناق التشيع، وتمنع الحكومة السنة في طهران من إنشاء مسجد خاص بهم، وهم يصلون الجمعة في قاعة تابعة للسفارة السعودية بطهران، وقد استبشر السنة بقيام الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م خيرًا، وشاركوا فيها، بل بدأت الثورة بالعصيان ضد حكومة الشاه، بدءًا من المناطق السنة الكردية والآذارية، وانتهت بعد ذلك حكومة الثورة إلى سياسية طائفية، تميز فيها الشيعة عن بقية الآخرين، خاصة من السنة، حيث تمنعهم من تبوء

مراكز متقدمة سياسية أو عسكرية مهمة في الدولة، بل أكثر من ذلك قامت باضطهاد علماء السنة، ودبرت لكثير منهم الإقصاء أو الاغتيال، وليس لأهل السنة منابر إعلامية من صحف أو مجلات أو قنوات تليفزيونية، يعبرون فيها بحرية عن عقائدهم وأفكارهم في إيران. وقامت السلطات بسجن واضطهاد العلماء من أمثال: مولانا عبدالله قهستاني، والشيخ عبدالعزيز سليمي، والشيخ أحمد رحيمي، ومولانا إبراهيم دامني، ومولانا عبدالغني شيخ جامي، ومولانا عبدالباقي شيرازي، ومولانا سيد أحمد حسيني، والشيخ عبدالقادر عزيزي، والشيخ عبدالله حسيني، ومولانا جوانشير داوودي، ومولانا نور الدين كرادار، ومولانا سيد محمد موسوي، والشيخ شابري السنندجئ، ومولانا غلام سرور سربادزي، والشيخ خالد رحمتي[1].

أما الذين تعرضوا للاغتيال، فهم من أمثال: الشيخ العلامة ناصر سبحاني، والشيخ عبدالوهاب صديقي، والشيخ العلامة أحمد مفتي زادة، والشيخ الدكتور علي مظفريان، والشيخ عبدالحق، والشيخ الدكتور أحمد ميرين سياد البلوشي، والشيخ محيي الدين خراساني، والمهندس فاروق فرصاد، والشيخ العلامة والقارئ الكبير محمد ربيعي، والأستاذ إبراهيم صفي زادة، والشيخ نظر محمد البلوشي، والشيخ دوست محمد البلوشي، والشيخ محمد ضيائي، والشيخ عبدالملك ملا زادة، والشيخ عبدالناصر جمشيد زهي، والشيخ القاضي بهمن شكوري، وغيرهم. وكان أحمد مفتي زادة يدعو إلى الوحدة الإسلامية في إيران، لكنه تعرض إلى الاعتقال من جهاز السافاك، وبعد إطلاق سراحه أسس منظمة سياسية صغيرة، سماها: مكتب القرآن في سناندج، أنشئت لها فيما بعد مكاتب في كردستان (العراق)، وقد فر مفتي زادة إلى إيران هربًا من مواطنيه الأكراد، الذين أضمروا له العداء، لأنه كان يؤيد الثورة الإيرانية، فأسس في عام

(١) تييري كوفيل: إيران الثورة الخفية، الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨م.

١٩٨١م المجلس المركزي لأهل السنة، غير أن الحكومة كانت ترى فيه تهديدًا للطابع الشيعي، الأمر الذى جعل مفتي زادة يفقد مكانته عند النظام، وأدين مفتي زادة بتحدي مبدأ ولاية الفقيه، ونشر الفكر الوهابي وحكم عليه بالسجن عشر سنوات، وكان تم عقد أول مجلس تأسيسي للمجلس المركزي لأهل السنة، الذى عقد في مكان غير معروف في عام ١٩٨١م، الذى يوضح بعض مطالب أهل السنة، الذي أوضح أن الخميني قد خان أهل السنة في إيران، ويشعر السنة بكثير من عدم العدالة، حين نص في الدستور بأن مذهب الشيعة الإثنا عشرية هو مذهب الدولة، وأن اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية للدولة، وذلك مما يعمق الخلاف بين فئات الشعب، ولذا طالب السنة بإلقاء ذلك النص الدستوري، كما طالبوا بالآتي:

١- توحيد الأمة الإسلامية والقضاء على كل ما يفرقها.

٢- قيام المجلس المركزي لأهل السنة للمحافظة على مكتسباتهم.

٣- إقامة مكاتب إقليمية للمجلس المركزي لأهل السنة.

٤- محاربة مظاهر التميز ضد السنة.

٥- إقامة مسجد سني في طهران للقاء والصلاة.

٦- إنشاء معاهد دينية في المناطق السنية، وتدريب مدرسي العلوم الدينية.

٧- السماح بإدخال المقررات الدينية في المدارس السنية.

٨- السماح بالأنشطة الدعوية في المناطق السنية.

٩- السماح بقيام صحيفة ناطقة باسم السنة.

١٠- تضمين مادة في الدستور بعدم الإساءة إلى السنة وقياداتهم.

١١- تخصيص وقت لبث مواد السنة في القنوات الرسمية.

١٢- السماح باختيار إمام الجمعة والقضاة الشرعيين في كافة الأقاليم السنية، من قبل السكان المحليين، والمجلس المركزي لأهل السنة.

١٣- إعطاء أهل السنة نسبة من أرباح الأنشطة الزراعية والتعدين في الأقاليم السنية.

١٤- إنشاء علاقات مع المسلمين في إيران وخارجها لتعزيز الوحدة.

١٥- السماح للسنة بإرسال الطلاب إلى المراكز الدينية في العالم الاسلامي.

١٦- الموافقة على تضمين كافة قرارات المجلس المركزي لأهل السنة موافقة الشيخين: مفتي زادة ومولوي عبدالعزيز.

وقد رفضت الحكومة الإيرانية مطالب أهل السنة، لذا اتجه بعضهم إلى الكفاح المسلح، من ذلك إنشاء المعارضة السنية المسلحة، وهي جماعة سنية تأسست في منتصف الثمانينيات في بشاور بباكستان، وقيل: إنها تدير معسكر تدريب للسنة الإيرانيين على الحدود بين أفغانستان وباكستان وإيران، تتكون المعارضة السنية المسلحة من جناحين منفصلين: جناح منقسم إلى جماعات عدة، تعمل كل منها إلى تنفيذ برنامج المجلس المركزي، لأهل السنة الجناح الآخر منهم فيتكون من طلبة العلوم الدينية السنة من إيران والذين درسوا أو يدرسون في المعاهد الدينية في باكستان، وهنالك أيضًا جماعة سنية ثالثة يطلق عليها منظمة مجاهدي أهل السنة في إيران، لقد تأسست في عام ١٩٨٦م في باكستان وفق منشورين صدرا عنها باللغة العربية، وتكونت على أيدي مجموعة من رجال الدين والطلبة السنة في إيران، ويذكر في المنشورين قائمة من القادة السنة، الذين اعتقلوا بتهم معاداة الشيعة، وكونهم دعاة وهابيين وعملاء للمملكة العربية السعودية أو العراق.

وتعمل الحكومة الإيرانية على تضليل الحكومات السنية والمسؤولين كشيخ الأزهر بمعلومات غير صحيحة أو مضللة عن أحوال السنة التي تدعي أن أحوالهم طيبة، وأن في البرلمان عشرين نائبًا منهم، والحقيقة أن هؤلاء جاءوا بعد موافقة وترشيح من السلطات المعنية بذلك، وأغلبهم من المنافقين والمؤيدين للحكومة.

وكانت إيران تدعي أنها مناوئة لأمريكا وإسرائيل، وقد كشفت الأحداث السياسية: أن ذاك كان نوعًا من التضليل الكلامي والشكلي فقط، حيث كشفت الحوادث العملية من أمثال ما تسميه بإيران كونترا، وإيران جيت، التي قامت بها إسرائيل، وبموافقة الولايات المتحدة بتزويد إيران في أثناء الحرب العراقية بأسلحة نوعية من أمثال صواريخ تاو وصواريخ هوك.

وقد كشفت كثير من الصحف والمجلات والتقارير حقيقة التعاون الإسرائيلي الإيراني، مما يدل على التقاء أهداف الطرفين على إضعاف المسلمين السنة وحكوماتهم، ولا داعي للاستغراق في ذكر هذه التقارير، التي أصبحت مكشوفة، فخرجت من أسرارها. (انظر: ص٣٧٠ من كتاب: تصاعد النفوذ الإيراني في العالم العربي، المصدر السابق)، وانظر أيضًا: ما كتبه الكاتب هرمان مولَ في كتابه: (سمسار الموت: فضيحة إيران جيت من الداخل)، ص١٤٩ وما بعدها، المطبوع في بيروت عام ١٩٩١م، دار الحمراء[1].

والحقيقة التي تكشفت الآن أن ولاء اليهود الإيرانيين الذين هاجروا إلى إسرائيل كان له أثر كبير في مناصرة إيران، وكذا اليهود الإيرانيون في الولايات المتحدة، وهذا يستند إلى تحالف قديم بين اليهود والإيرانيين قبل الإسلام وبعده، في حين أن اليهود الشرقيين في إسرائيل من أصول عراقية أو مصرية أو

(١) هرمان مول: سمسار الموت فضيحة إيران جيت من الداخل، ص ١٤٩وما بعدها، بيروت، دار الحمراء، ١٩٩١م.

يمنية: أنهم أشد قسوة على العرب والفلسطينيين من غيرهم من يهود الغرب. وقد كشف الصحفي الإيراني المعتقل إلى العربية نت تفاصيل وحقائق لعلاقات تجارية وأسلحة وأدوات تقنية بين إسرائيل وإيران، وما العداء الظاهر بينهما إلا مجرد عداء لفظي، يستر وراءه التعاون العملي بينهما.

ويبلغ النصارى في إيران ثمانين ألفًا، واليهود ثلاثة عشر ألفًا، والزرادشتيون ثلاثين ألفًا[١]، وظن أهل السنة في إيران أن حكومة الثورة ستنصفهم، ولكن خاب ظن ممثليهم في مجلس الشورى، خاصة أحمد مفتي زادة والشيخ ملوي عبدالعزيز، حيث عمدت الدولة إلى نشر التشيع بينهم، وتقريب علماء السوء، وبعض قادة السنة، لتحقيق أهداف نشر التشيع إضافة إلى أن الخميني قد هدد السنة، حسب ما نقل عبدالحق الأصفهاني في كتابه (أحوال أهل السنة في إيران) إذ قال: «... إن هناك مؤامرات داخل إيران يجب أن نقضي عليها، أو لا نعيرها اهتمامًا، تعقد اجتماعات تحت عنوان التسنن والتشيع لإثارة الشقاق بين الإخوة، كما أن المرتبطين بسلطة الأمريكان الكبيرة طرحوا هذه المسألة في الطائف لصالح أمريكا وروسيا»، ثم قال: «يوجد الآن في المناطق المختلفة من يريدون أن يلقوا بهذا البلد في حلقوم أمريكا وروسيا، وهم في طهران نفسها يعقدون اجتماعات، فهؤلاء هم عملاء أمريكا وروسيا»[٢].

إن التوجهات الفكرية لأهل السنة في إيران مختلفة، فمثلًا في مناطق الأكراد غرب إيران يمكن حصر أهم التوجهات السنية، كما يلي:

---

(١) السيد أبوداود: تصاعد النفوذ الإيراني في العالمي العربي، ص٣٦٠ ما بعدها: مكتبة العبيكان الريان الرياضي

(٢) ويلفريد بوختا: من يحكم إيران؟ بنية السلطة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ص١٣٢-١٤٢، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي. برنار أوركاد: جغرافية إيران السياسية: ص٨٧ وما بعدها، لبنان، طرابلس، ٢٠١٢م، (جروس برس ناشرون).

١- جماعة الدعوة والإصلاح (إخوان مسلمون)، تأسست هذه الجماعة في عام ١٩٧٩م، على يد الشيخ أحمد مفتي زادة، والأستاذ ناصر سبحاني، وتخلص منهم النظام بالتصفية.

٢- منظمة (خبات) الثورية الإسلامية، التي تأسست في العام ١٩٨٠م، على يد الشيخ خضر عباس، وتعنى الكلمة النضال.

٣- جماعة (الموحدون الأحرار)، تأسست في عام ١٩٩٢م، وكان الشيخ موسى عمران هو المسؤول الأول، وهي حركة توحيدية اجتهادية، كما يقول مؤسسيها، وهي ضد فكرة ولاية الفقيه، وتدعو إلى إسقاط الولاية وإقامة جمهورية إيرانية شعبية اتحادية.

٤- شورى المسلمين السنة (شمس)، تأسس في عام ١٩٨٠م، ويتكون من مجموع الشخصيات الإسلامية السنية، وتعرضت إلى القمع من النظام، حيث تم إعدام الكثير من مؤسسيه، وتمت ملاحقات بعضهم بواسطة الأجهزة الأمنية، مما اضطرهم إلى مغادرة البلاد، ومن أبرز شخصياته العلامة الشيخ عز الدين الحسيني.

السلفيون:

وهم أفراد وشيوخ لا تربط بينهم روابط أو جمعيات مؤسسة بطريقة تنظيمية أو متخصصة، ولكنهم شيوخ وأفراد مستقلون، والبعض منهم له نشاط فردي في المجتمع، وهؤلاء واجهوا بطشًا وتنكيلًا من الدولة، محاكمة واعتقالاً. أمثال الشيخ أيوب كنجي، والشيخ حسن زراعي، والشيخ حسين الحسيني، بسبب توجهاتهم السلفية، كما تزعم الحكومة الإيرانية، أما في مناطق البلوش فإن توجهات السنة فيها تتكون من:

١- التيار السلفي وجماعة التبليغ، وتلتقي الجماعتان بالدعوة السلفية، وكان لهم دور كبير في إسقاط الشاه، ومن أهم الشخصيات في هذا التيار الشيخ مولوي عبدالعزيز ملا زادة، الذى تم اعتقاله من بين أربع مئة عالم ومثقف سني بتهمة تأسيس شورى المسلمين، والدكتور مولانا عبدالعزيز كاظمي، والشيخ مولوي حبيب الله حسين، والشيخ مولوي عبدالستار، ومولوي عبدالملك ملا زادة، والعلامة محمد دربازي، وهؤلاء كلهم تعرضوا من قبل النظام للإعدام، أو تم اغتيالهم على يد النظام الإيراني، كما كونت الجماعة السلفية حزب الفرقان، الذى تأسس في عام ١٩٩٦م من قبل الشيخ جليل قنبر.

٢- حركة جند الله، تأسست عام ٢٠٠٢م بزعامة الشيخ عبدالملك ريكي.

٣- حركة الجهاد الإسلامي بزعامة صلاح الدين البلوشي، وتمارس نشاطًا في بلوتشستان، ولها أثر واضح.

أما في مناطق التركمان السنية شمال غرب إيران: (جيلان. إردبيل...) فإن أكثر توجهات أهلها نحو المذاهب الصوفية: كالقادرية، ولا يوجد أثر لمنظمات سياسية في هذه المنطقة، ولكن يغلب على توجهاتها العامة نحو السلفية والصوفية. أما في منطقة الأحواز، فإن توجهات أهلها الفكرية السنية تتمثل في: ١- التوجهات السلفية. ٢- جماعة الدعوة والتبليغ في المناطق الجنوبية على الساحل الشمالي والشرقي للخليج العربي، وخاصة في المناطق المأهولة بالسكان، ويمارس الشيوخ الدعوة فيها عبر المدارس الدعوية، مثل مدرسة الشيخ سلطان العلماء، التي تقع في مركز ميناء (لنجة)[١].

(١) جون ليمبرت: إيران حرب مع التاريخ، ترجمة: حسين عبدالزهرة مجيد، ص٣٥ وما بعدها، جامعة البصرة، مركز الدراسات الإيرانية، البصرة.

وفي الحقيقة لا يوجد إحصاء رسمي لمجموع الأقليات في إيران، ولهذا فإن الكُتاب والمصادر تختلف فيما بينها، وننقل هنا جدولًا لتلك الأقليات، قام بإعداده جون ليمبرت في كتابه (إيران حرب مع التاريخ)[1].

المجموعة	العدد التقريبي (بالمليون)	النسبة المئوية
الإيرانيون	٢٦,٥	٧٠
فرس	١٩	٥٠
أكراد	٢,٥	٦,٥
جيلاك ومازندرانيون	٢,٥	٦,٥
لوريون	١	٢,٥
بلوش	٠,٥	١,٥
قوميات إيرانية أخرى	١	٢,٥
الأتراك	١٠	٢٦
الأذربيجانيون	٨,٥	٢٢
كاشاك	٠,٥	١,٥
تركمان	٠,٢٥	٠,٠٥
أتراك آخرون	٠,٧٥	٢
الساميون	١	٣
عرب	١	٢,٥
آشوريون وآراميون جدد	٠,٠٥	--
الأرمن	٠,٢٥	٠,٥
جماعات أخرى	٠,٢٥	٠,٥
المجموع	٣٨	١٠٠

يبدو أنه مبنيًّا على تقديرات قديمة.

(١) عبدالحق الأصفهاني: أحوال أهل السنة في إيران، ص٣٦-٣٧، عمان، دار عمار، ١٩٨٩م، دار الكتب الأثرية للتحقيق والنشر والتوزيع.

الصراعات السياسية بين الإيرانيين بعد الثورة:

فرض الخميني نفسه على الجميع بشخصيته الكاريزمية، وعلى المشهد السياسي باعتباره قائدًا للثورة، مما سهل له بعد ذلك قمع الحركات، التي نشأت بعد الثورة، خاصة الحركات الكردية والأحوازية، ولكن بعد وفاته برزت الكثير من علامات وأسباب الصراع على السلطة تمثل في عدة حالات منها:

١- الصراع الذي حصل بين الآذاريين التابعين للمرشد الأعلى علي خامنئي، والطائفة التابعة لهاشمي رفسنجاني، خلاف ذو طابع قبلي.

٢- الصراع الديني في المذهب بين المتعصبين دينيًّا والمتسامحين الإصلاحيين، فالأوائل يصرون على تطبيق مبادئ المذهب الإثنا عشري، ومعاداة النظم والسياسة الغربية، في حين يتسامح الإصلاحيون، فيأخذون بمبدإ البرجماتية، تبعًا للمصلحة، ويغضون النظر عن المبادئ الدينية أو الأخلاقية، حين تصطدم مع المصلحة العامة، كما يلاحظ تقلبات الأشخاص بين هاتين الفئتين، فقد كان المرشد علي خامنئي من جملة الإصلاحيين مع رفسنجاني، ولكن بعد اختياره مرشدًا تحول إلى صفوف المتعصبين والمنادين بسيادة سلطة الولي الفقيه على ما عداها من أي قوى أخرى، وأنها سلطة مطلقة.

٣- هنالك صراع فكري يمتثل في مجموعة مهدي بازركان الليبرالية بين الأفكار المنادي بالحرية والفئات الدينية المتشددة، التي كان لها الغلبة في أول الثورة على الاتجاه الأول.

٤- ظهر توجه تغلبت عليه المصالح الاقتصادية والانفتاح والتعاون مع الخارج، وتفادي سياسة الصدام والتدخل في شؤون الآخرين، وذلك بعد ممارسة الحكم والتغلغل في ردهات السياسة المتشابكة، ويخالف

هذا التوجه توجه المحافظين، الذين يصرون على معاداة مخالفيهم، ويرون ضرورة نشر مذهب الشيعة الإثنا عشرية في البلاد المجاورة خاصة، وعموم بلاد الإسلام السنية، وهذا التيار هو الذي عليه إيران اليوم، وأضر بسياستها الخارجية والداخلية. وقد سبق أن أوضحنا تدخلات إيران في الخليج العربي وفي مجموع الدول العربية.

٥- طغت مظاهر العسكرة وتكوين المليشيات في ظل هذه الصراعات، كل منها تخصصت في مهام معينة، مثل حزب الله وحراس الثورة وقوات التعبئة، وغيرها التابعة لمختلف القوى السياسية، وبلا شك، فإن رؤى تلك الفئات مختلفة فيما بينها.

٦- البازار هذه الفئة لها دور مؤثر في الأحداث السياسية في البلاد، هم مجموع تجار السوق ذات نفوذ سياسي متوازن، تعمل للمحافظة على مصالحها الاقتصادية، وهي كتلة كبيرة في إيران، وساهمت في نجاح الثورة الإيرانية بتوجهاتها الفكرية، واستمرت هذه الفئة داعمة للتيار اليميني المتسامح، والمطالب بفتح الأسواق، ودخول رؤوس الأموال الاستثمارية، لإنعاش الاقتصاد، ويخالف هذه السياسة كثير من المحافظين، الذين يتوجسون من أن يكون الانفتاح على الغرب خاصة مصدرًا لتقويض وإفشال الثورة، وهم مطلعون على ما يكتب في الغرب من ضرورة الدخول إلى إيران عن طريق الاستثمار بالاقتصاد، الذي يؤدي فيما بعد إلى تعديل مسارات السياسة الإيرانية في صالح الدول الغربية.

٧- فئة التوجهات السياسية القومية الدينية، فقد كانت بقيادة مهدي بازركان أول الثورة، ولكن الجناح المحافظ قضى على هذه الفئة، فأبعد أعضاءه، من أمثال إبراهيم يزدي وعزة الله سحابي، والحقيقة أن

الصراع الساكن أو العلني بعض الأحيان متداخل بين تلك الفئات، كما أنه متغير زمنيًّا، حسب التطورات المحيطة بالحركة، ومن الملاحظ أن ليس في إيران حزب واحد يتفرد بقيادة حكم الدولة، وهذا يعد من الناحية السياسية، إما مصدر قوة أو مصدر ضعف، فمع وحدة الحزب تتم وحدة الكلمة، وتوحيد قوتها، إلا أنها قد تتحول إلى عامل استبداد ضد مصالح الجموع، ويبدو أن تعدد فئات الحكم الديني من اليمين واليسار خدم نجاح الثورة الإيرانية، ولكن لا يبعد أن يكون في المستقبل عامل هدم وفرقة واختلاف بين تلك الفئات، التي ستتسع مصالحها المتضاربة.

الفصل التاسع

التحولات الاجتماعية بعد الثورة

بعد استقرار الحكم في إيران للثورة الإسلامية صاحبته تحولات في المجتمع الإيراني، تتعلق بكثير من مناحي الحياة، مثل النمو السكاني والتعليم وأحوال المرأة والطفل والصحة، نشير إليها باختصار، كما يلي:

١- كانت الإصلاحات في عهد الشاه تستهدف تحسين الأوضاع الاقتصادية للطبقة الوسطى والطبقة العليا، ولكن بعد الثورة أصبح همها الأول على تحسين أوضاع الطبقة الفقيرة، مما نتج عنه زيادة النمو في السكان على الرغم مما أحدثته الحرب العراقية، فقد نما عدد السكان بنسبة ٧٪ تقريبًا، صاحبه تحسن في دخل الطبقة الفقيرة. كما تحسنت الأوضاع الصحية للأطفال، فقلت نسبة الوفيات، وارتفعت نسبة الخصوبة في الأسرة إلى ستة مواليد، وهذا يعد من أعلى معدلات النمو السكاني في العالم، وعمدت الدولة إلى الإكثار من خريجي الكليات الطبية، واعتمدت سياسة صحية وقائية كالاهتمام بالتطعيمات الصحية، ولكن بعد سنة ١٩٨٦م انخفض النمو السكاني إلى ٢٪، وعندها بلغ عدد السكان ٦٨،٢ مليون نسمة، وقد عملت الحكومة على نشر الوعي وتقليل عدد الأطفال في الأسرة وتسهيل انتشار موانع الحمل.

٢- ازدادت نسبة التعليم بين الأطفال والشباب، وتحسنت بشكل متزايد، فبلغت ٨١٪ سنة ١٩٩٦م، أما بين الإناث فبلغت النسبة ٧٤٪، وزاد معدل

التعليم الابتدائي والثانوي، كما تضاعف أعداد الطلبة في الجامعات، على الرغم من أن واحدًا من عشرة في المئة من خريجي الثانوية يقبلون في الجامعات، ومع زيادة هذا العدد أصبح بينهم الكثير من الناقدين للنظام والمطالبين بمزيد من الحرية، ولم يرافق ارتفاع هذه النسبة تحسن في الأداء التعليمي والثقافي، فازداد الكم وانخفض الكيف. وصاحب ازدياد عدد الشبان والشابات في المجتمع زيادة في مطالبهم السياسية والاجتماعية، لجاء الكثير منهم إلى إنشا الجمعيات ذات الأغراض المختلفة، وانخرط الكثير منهم في الأعمال الإنسانية، وبتحرر هذه الفئة من الشبان والشابات من الرقابة الأسرية، وظهرت خلافات بين عادات الأسرة القديمة وبين السلطة، وتوجهات هذه الفئة، خاصة أن بعض تلك التوجهات تخرج عن قواعد الشرع الإسلامي المذهبي، وتعمد السلطة إلى عسكرة هذه الفئة في شتى أقسام السلاح، عامدةً للتخلص من أنشطتهم، وضرورة إشغالهم واستنفاذ طاقتهم، غير أن التحولات الفكرية لهذه الفئة بعد الثورة تركزت على إصلاح الفكر الديني، ورغبتهم في تعديل مسار رجال الثورة المتعصبين، متخذين منهج المصلح الاجتماعي على شريعتي نموذجًا للتوفيق بين الفكر الديني الشيعي المعتدل والأفكار الغربية المفيدة، التي لا تصطدم مع القواعد الأساسية للشريعة الإسلامية، وكذا ما نادى به عبدالكريم شروس، ومجتهد شبستري، ومحسن كيدور من إصلاح واعتدال. لقد التحق كثير من الشباب بالدراسات الاجتماعية والتاريخية، التي بلورت لديهم فهمًا جديدًا عن مسيرة رجال الثورة، المتمركزة حول مبادئ الفكر المذهبي الشيعي، وتساءلوا عن مستقبل إيران السياسي، وحرية تكوين الأحزاب، وانتخابات ديموقراطية لا تعتمد على المعايير الانتقائية الشخصية والمذهبية الضيقة، ونادوا بمزيد من الحرية وإصلاح نظام

القضاء، والحد من سلطة بعض الفئات الدينية، التي تستغل مبادئ المذهب لمصالحها الشخصية، ومن المحتمل أن تكون إيران في المستقبل مقدمةً على تغيرات فكرية واجتماعية يكون رائدها هؤلاء الشباب، هذا إذا ما انغمست إيران في حروب خارجية، تؤثر على المسيرة السلمية لهذا الفكر، فالحروب عادة تنتج التعصب والأفكار المتشددة والتفاف الشعب حول القيادة ايًّا كانت، وسوق الناس إليها أو تقبلها.

٣- ومن الناحية الاقتصادية واجهت البلاد تضخمًا نقديًّا يقدر بـ ٢٠٪ سنويًّا مما أضعف المستوى المعيشي للأسرة ودخلها، وارتفعت نسبة البطالة من ١٠٪ إلى ٢٠٪، مما جعل الأسر بعد سنة ١٩٩٦م تسعى إلى التقليل من الإنجاب. ووقوع البلاد تحت نتائج الحصار الاقتصادي، ومع أن إيران لا تعتمد ميزانيتها بشكل كبير على النفط، وإنما أغلب مواردها تأتي من النشاط الزراعي والصناعي، ولا يمثل النفط إلا نسبة ضعيفة، وهذا ما يفسر عدم اهتمام إيران كثيرًا بنزول أسعار النفط، كما هو الحال في بلاد الخليج العربي، التي يعتمد اقتصادها الريعي على النفط. وارتفع معدل النساء العاملات بما يقرب من ٣٠٪، وذلك لحاجة الاسرة إلى دخل إضافي، كانت إيران تصدر سبعة ملايين برميل للنفط يوميًّا سنة ١٩٧٦م، واليوم تنتج أقل من أربعة ملايين يوميًّا، يذهب أغلبه للاستهلاك المحلي، ويصدر منه القليل، وإيران غنية بالغاز، ولكنها لا تنتج منه الكثير، فتبلغ مبيعات الغاز السنوية ما يقرب من مليار دولار، كل ذلك ضعف الاستثمار في النفط، وأثار الحصار الاقتصادي عليها، ويبلغ مستوى دخل الفرد فيها في الشهر ٢٠١٠ دولارات، في حين يبلغ في تركيا ٢٨٠٠ دولار، ويبلغ في الجزائر ١٩٣٠ دولارًا، كل ذلك سنة ٢٠٠٣م. وقد أثرت

سياسة الحكومة في الوضع الاقتصادي لإيران في تأميم ما يقرب من ٨٠٪ من الصناعات، والتي لم تستطع أن تتطور في ظل الحصار، ومع متغلبات السياسة الاقتصادية للدولة، ويمكن القول: إن الفرد الإيراني يقوم بتمويل ميزانية الدولة بـ ٢٠٪ من دخله القومي، وذلك عن طريق تضخم العملة السنوي البالغ ٢٠٪، حيث تعمد الدولة إلى طباعة العملة بشكل متزايد مع حاجة السوق للسيولة. وقد حصل بعد الثورة ظهور شريحة اجتماعية جديدة مقربة للسلطة، انتقلت إلى يدها الثروة، فإن ٢٠٪ من السكان الذين يمثلون هذه الفئة المتنفذة اقتصاديًّا، يمثل دخلها ٤٩٪ من الدخل القومي لإيران، وهذا سيولد تصادمًا مع مصالح الفئات الضعيفة. وبالمقارنة فإن ٢٠٪ من فئة الفقراء في إيران يملكون فقط ٥٪ من الدخل القومي كل ذلك في سنة ١٩٩٨م، وذلك حسب تقرير التنمية البشرية لسنة ٢٠٠٤م. إن الحكومة الإيرانية أمام تحدٍّ كبير للمشكلات الاجتماعية، المتمثلة بانتشار المخدرات والجريمة وسرقة المال العام وتفشي الرشوة، إضافة إلى المذكورة أعلاه.

٤- عمدت الدولة بعد الثورة على إعادة توزيع الأراضي الزراعية للمزارعين، الذين لا يملكون أرضًا، ووضعت عليهم شروطًا كثيرة، منها عدم إمكان بيعها، والتزام أصحابها بسياسة الدولة الزراعية المعلنة، وقد سبب ذلك تفكيك الأسر الكبيرة، التي كانت تعيش في الريف بأشكال جماعية.

٥- شهد المجتمع بعد الثورة وتدهور الاقتصاد الهجرة من الريف إلى المدن، وذلك بنسب مختلفة في المناطق الإيرانية، وقد صاحب ذلك ظهور العشوائيات في أطراف المدن، والبناء على أراض دونما ترخيص ولا بنية تحتية، مما سبب زيادة في الضغط الاقتصادي على المدن،

وزيادة نسبة البطالة، وما يرافق هذه العشوائيات من مشكلات اجتماعية: كانتشار الجريمة والمخدرات، وقد تعرضت لهذه الظاهرة على الأخص مدينة مشهد وقم وزاهدان. وأما المدن الوسطى كأصفهان وشيراز وأراك، التي جاء إليها المهجرون من المدن، التي تعرضت إلى الحرب العراقية، مثل خرمشهر وعبادان، واحتاجت هذه التقلبات إلى أن تقوم الدولة بمواكبة إمداد السكان بالمساكن والمياه والكهرباء. وتحسين أحوال الريف كي يعود المهاجرون إلى أريافهم وقراهم.

٦- بعد قيام الثورة الإيرانية هاجر ما يقرب من مليون ونصف إلى خارج إيران، أكثرهم غادرها إلى تركيا وأمريكا، وهم على أصناف عدة، فمنهم: رجال السلطة القديمة، ويساريون، وأساتذة جامعات، ومهندسون، لا تتفق أفكارهم مع رجال الثورة، وأكثر هؤلاء من الطبقة الغنية أو المتوسطة.

٧- اتسمت المرحلة الأولى من قيام الثورة بشدة الرقابة على وسائل الإعلام، فمنع تركيب الفضائيات، كي لا يمتد شيء من الخارج إلى الفكر الإيراني، كذلك كانت الرقابة على الصحف والمجلات، وقد زج بعض الخارجين عن هذه السياسة بالسجون، أو أصبح موضع اضطهاد من السلطة، لكن هذه السياسة تغيرت قليلًا بمجيئ الإصلاحيين، ففي عهد محمد خاتمي رفعت الرقابة المشددة، وتضاعف عدد الصحف والمجلات، وشاع انتشارها. كما أن وسائل تقنية الإنترنت قد مكنت من الاضطلاع على الكتب والترجمات، وكل ما له مساس ورغبة عند الشباب خاصةً، ويستخدم المجتمع الإيراني بعض الأنشطة الاجتماعية، فيمارسها في الحدائق العامة، والتي تحاول الدولة الإكثار منها، فقد أصبحت أماكن لممارسة الرياضة الفردية أو الجماعية لكل من

الجنسين، وقد تخف أو تزداد رقابة حراس الثورة على تلك الأماكن، خاصة ما تعلق بلباس المرأة الشرعي عندهم.

٨- ومن الظواهر الاجتماعية في إيران رفض اللاجئين الأفغان، الذين لجئوا إلى إيران بعد الحرب الأفغانية، وأنه وإن كان بعضهم من قبيلة الهزار الشيعية، إلا أن ما يقرب من ١٠٠ ألف من أطفال الأفغان لا يحق لهم الدراسة في المدارس الإيرانية، كما أن العنصر الآذاري المحتقر عند بعض المجتمعات الإيرانية يمثل عدم تجانس سكاني، ويثير بعض المشكلات التي عادة ما تكون مثار إشكال في كل من كردستان الإيرانية وبلوتشستان والأحواز العربية، كل ذلك ضعف في البنية الاجتماعية، وعدم تجانس اجتماعي، ينسحب في بعضه إلى خلافات سياسية.

الفصل العاشر

العلاقات الإيرانية الأمريكية والإسرائيلية

منذ القرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى اتسمت العلاقة بين إيران وأمريكا بالود، وبعد الحرب العالمية الثانية مالت إيران إلى جانب أمريكا، بقصد إبعاد الجيش الروسي المحتل لشمال إيران، فساعدت أمريكا إيران على انسحاب الروس من شمال إيران، وفي هذا الوقت كانت بريطانيا هي المهيمن على السياسة الإيرانية، وخاصة ما يتعلق باستخراج النفط، وهو ما جذب النفوذ الأمريكي إلى إيران، وصراع أمريكا الخفي، لكي تحتل محل بريطانيا في السياسة الإيرانية، فقد عارضت أمريكا اتفاقية ١٩١٩م التي عقدتها إيران مع بريطانيا، لأنها تمنح البريطانيين مزيدًا من النفوذ. وفي سنة ١٩٢٢م وقعت إيران اتفاقية مع شركة هنري أوين للقيام بمشروعات أشغال عامة، وتطورت العلاقات بين الطرفين في أثناء الحرب العالمية الثانية، فقد حصلت إيران على مساعدات وقروض، كان من شأنها إيصال المساعدات الأمريكية إلى روسيا عن طريق إيران للوقوف ضد سياسة المحور، وفي سنة ١٩٤٤م ساعدت أمريكا إيران على سحب الجيش البريطاني والروسي من إيران بعد الانتهاء من إبعاد الألمان وانكسارهم في الحرب العالمية الثانية، وكانت أمريكا تخطط لأن تحل محلهم[1].

وعلى الرغم من رغبة الاتحاد السوفيتي في استغلال منابع النفط الشمالية في أذربيجان، وتشجيع السوفيات لكردستان إيران بالاستقلال، وكل هذه الجهود قد أفشلتها السياسة الأمريكية بقصد دحر النفوذ الروسي عن

(١) الأستاذ: إسماعيل أحمد سمو: العلاقات بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية خلال حكم مصدق، ص٢١ وما بعدها، دار دجلة ناشرون وموزعون، ٢٠٠٩م.

إيران وتسيد أمريكا وحدها، وبعد سنة ١٩٤٥م قامت أمريكا بمساعدة إيران تحت ما يسمى بالنقطة الرابعة، بتقديم قروض مالية يتم استيفاؤها من عائدات النفط الإيرانية، وفي سنة ١٩٤٩م مرت إيران بأزمة اقتصادية مما جعل الروس استغلالها، واستقوى حزب توده، فتعرض الشاه محمد رضا بهلوي لمحاولة اغتيال. مما جعله يطلب من أمريكا بإنقاذ الوضع في إيران قبل سقوطها بيد السوفيات، «... فقامت أمريكا بجملة من المساعدات في ظل ما سمى بالنقطة الرابعة، ومن هنا جاء اهتمام أمريكا بتدعيم القوة العسكرية الإيرانية، وتزويدها بأسلحة قادرة لا على مجابهة جاراتها، بل بالقيام بعمليات هجومية وراء البحار، تضم طائرات بعيدة المدى، وأسطولاً بحريًّا، وقوات محمولة بالهيلوكوبتر...»[(١)]، وأمريكا كانت في هذا الوقت طامعة باستيفاء ما تدفعه إيران من عائداتها النفطية، التي كانت تذهب أكثرها إلى الشركات البريطانية، ولهذا فقد طالب الإيرانيون وعلى رأسهم البرلمان الإيراني بوجوب قيام الحكومة بتأميم النفط.

كان محمد مصدق زعيم المعارضة في البرلمان هو الذي يقود الطلب في تأميم النفط وإبعاد بريطانيا منه. فأصدر البرلمان الإيراني قراره بتأميم النفط، فعارضت الحكومة البريطانية هذا التوجه، وادعت بأن في ذلك إضرارًا لها وخروجًا على الاتفاقيات المعقودة، وتظاهرت أمريكا بأنها على الحياد، داعية الطرفين إلى حل الخلاف سلميًّا، وأظهرت أن إيران حرة في الطريقة التي تستغل بها مواردها النفطية، وفي تلك السنة ١٩٥١م اضطر الشاه بتعيين محمد مصدق رئيسًا للحكومة، وأمام رفض بريطانيا فكرة التأميم، ومحاولة أمريكا أن تقوم الحكومة الإيرانية بالتفاهم، وعدم الإقدام على تأميم النفط، خشية أن يؤدي ذلك إلى تشجيع كل من العراق والسعودية والآخرين على تأميم النفط،

---

(١) سلمى حداد: (المساعدات الأمريكية العسكرية)، ص٩، دراسة مقدمة إلى معهد الدراسات العليا في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة نيويورك، دار القدس، بيروت، لبنان، تشرين الأول (أكتوبر)، ١٩٧٤م.

وأمام هذا الخلاف قامت في إيران مظاهرات كبيرة، قادتها الحركة الوطنية والشيوعيون، يؤيدون فيها حكومة مصدق في الإقدام على تأميم النفط. وقد حاولت بريطانيا الالتفاف حول فكرة التأميم في مباحثاتها مع مصدق، ولكن حكومة مصدق أصرت على تنفيذ قانون تأميم شركة النفط الإنجلو إيرانية، فقام أكثر الموظفين البريطانيين بالاستقالة، وحشدت بريطانيا قواتها العسكرية في الخليج، محاولةً تهديد حكومة مصدق. وقد طالت المباحثات بين مصدق والجانب البريطاني بوساطة من أمريكا، انتهت إلى تمسك مصدق بسيادة إيران على نفطها: استخراجه، وبيعه، والنظر فيما بعد بتعويض الشركة المتضررة، ولكن ذلك لم يوافق الحكومة البريطانية.

ويبدو أن شاه إيران يميل للاستجابة للمقترحات البريطانية خلاف مصدق، وقد حاول مصدق الحصول على قروض مالية من أمريكا، كما حاول إغراء الشركات الأمريكية بشراء نفط إيران، ولكنّ كل هذه المساعي لم تنجح، ودخلت إيران في ضائقة مالية، لم يستطع مصدق الخروج منها، وكانت أمريكا تخشى من تدخل السوفيات إذا ما استعملت بريطانيا القوة. وقد تدخل البنك الدولي لإجاد حل بين حكومة مصدق وبريطانيا، وقدم البنك مقرحات عدة، تتعلق بقيامه باستغلال النفط نيابة عن الحكومة الإيرانية، وأن يبيع بسعر منخفض عن سعر السوق بـ ٣٣٪، وأن يوظف بريطانيين في أعمال النفط ولكن هذه المقترحات رفضت من قبل مصدق، مطالبًا بعدم توظيف أي بريطاني له علاقة بالشركة الإنجلو- إيرانية، وموافقته على تخفيض السعر إلى ٢٥٪ فقط، وقد انتهت هذه المباحثات دون نجاح[١].

وقد رفعت بريطانيا شكوى ضد إيران في محكمة العدل الدولية في لاهاي، وقد حضر مصدق بنفسه لهذه المحكمة، ودافع عن حق إيران بالتأميم، وقال بعدم

(١) الأستاذ: إسماعيل أحمد سمو: العلاقات بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية خلال حكم مصدق، ص٨٧ وما بعدها، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.

اختصاص المحكمة النظر في الشكوى البريطانية، وقد صدر الحكم لصالح إيران، وفي هذه الفترة عززت أمريكا صلاتها العسكرية بالجيش الإيراني، وتجديد بقاء الاستشاريين العسكريين، مما أغضب السوفيات. وأمام هذا الاستعصاء قدم مصدق استقالته إلى الشاه، الذي قبلها بسرعة، وطالب البرلمان بترشيح رئيس وزراء، فقام البرلمان بإعادة ترشيح مصدق، وحدث خلاف بين مصدق والشاه حول تسلم وزارة الدفاع، حيث كان الشاه مصرًّا على بقاء الجيش تحت قيادته المباشرة، فقدم مصدق استقالته مرة أخرى. فتعين بعد مصدق (أحمد قوام السلطنة)، الذي اتُّهم بالتحضير مع الأمريكان لإبعاد محمد مصدق، فقامت مظاهرات ضد الشاه وأمريكا، بسببها استقال (قوام السلطنة) ولم يمضِ عليه غير ثمانية أيام، اضطر الشاه لتعيين محمد مصدق، فطلب مصدق من أمريكا قرضًا بثلاثين مليون دولار، وهدد أمريكا إذا ما رفضت، فإنه سيتجه إلى الاتحاد السوفيتي، كما هدد مصدق بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا، فتم فتح مباحثات جديدة بين الطرفين بطلب من مصدق، خاصة بعد رفض محكمة العدل الدولية دعوى بريطانيا، وقامت أمريكا بالتوسط في هذه المباحثات الأخيرة، إلا أن هذه الجولة فشلت بسبب موقف كل من الطرفين، ففي ٢٢ تشرين الثاني أصدر مصدق قرارًا بقطع علاقاته مع بريطانيا، مخالفًا بذلك إرادة الشاه. وبعد هذه المرحلة قدمت أمريكا اقتراحًا يفيد مشاركة شركات نفط أمريكية مع شركة النفط الإنجلو إيرانية، ولكن هذا المقترح رفض أيضًا من مصدق، وبعدها يئست أمريكا من قدرتها على إجاد حل في الوقت الذي تعاظم فيه النفوذ الشيوعي داخل إيران بقيادة حزب توده. وأعلنت أمريكا باستحالة الوصول إلى تفاهم مع مصدق، ومالت إلى الموقف البريطاني، وأمام هذا الوضع غادر شاه إيران البلاد مستنكرًا موقف مصدق، لأنه في رأيه يعرض مصالح إيران للخطر، وبعد مجيء أيزنهاور برئاسة أمريكا ظن مصدق أن انفراجًا يمكن أن يحدث، ولكن الموقف الأمريكي بدا واضحًا لترتيب انقلاب بقيادة زاهدي وبموافقة كل من رئيس البلاط الملكي، وبعض ضباط الجيش، ونواب المجلس، حيث أتهم السفير

الأمريكي في طهران بهذه الجهود، الأمر الذي دفع مصدقًا للاحتجاج وكشف النوايا الأمريكية.

وانقلبت أمريكا واستخباراتها في بث الدعايات ضد مصدق، وانه سيسلم البلاد إلى النفوذ السوفيتي، وينقلب على النظام الملكي، وفي هذه الأزمة بدأ الخلاف يدب بين زعماء إيران أنفسهم، بعد أن كانوا موحدين وراء مصدق، وأول مظاهر هذا الخلاف في القوى المعارضة والقوية لمصدق، ظهرت من بعض رجال الدين بزعامة الكاشاني، مدعين بأن مصدقًا سيسلم البلاد إلى النفوذ السوفيتي، ومطالبين بتعزيز زعامة الشاه، لقيادة البلاد في هذه المرحلة. ولكن حزب توده عضد موقف مصدق ضد مخالفيه، على الرغم من ظهور بعض المحاولات لاغتيال مصدق، أو لحجزه من قبل بعض أفراد الجيش[1]. وانقسم الشعب الإيراني إلى قسمين: قسم يؤيد مصدق وخاصة حزب توده، وآخرين يؤيدون الشاه، ويسعون إلى إسقاط مصدق، كما أن مجلس النواب انقسم إلى قسمين، فأراد مصدق حل البرلمان، وإجراء انتخابات جديدة، وقام باستفتاء الشعب، فأيد الأكثرية مصدقًا على ذلك، فاضطر مصدق إلى حل البرلمان، والموافقة على إجراء الانتخابات، وغادر الشاه طهران إلى مدينة رامسر على بحر قزوين، ومن هناك أصدر قرارًا بعزل مصدق، وتكليف الجنرال زاهدي برئاسة الوزراء، وقد رافقت محاولة الشاه هذه إحداث انقلاب يقوم به الجيش بتأييد من أمريكا، ولكن مصدقًا رفض أمر الشاه، وفشلت محاولة الانقلاب الأولى، فغادر الشاه رامسر إلى بغداد، ومنها إلى روما. وقام حزب توده والشيوعيون بمظاهرات صاخبة، طالبوا بإسقاط الشاه، وكسروا تماثيله وصوره، كما حصل اعتداء على بعض الأسواق ونهبها، مما اضطر المعارضون إلى المطالبة بتدخل الجيش، فوجدتها أمريكا فرصة لتعضيد المعارضة ضد مصدق، وعمل انقلاب ضد حكومته، فاستولى المعارضون على الإذاعة، ونادوا

(١) الأستاذ: إسماعيل أحمد سمو، المصدر السابق، ص١٢٣ وما بعدها.

بإسقاط الحكومة ومحاكمة مصدق. وقيل: إن مصدق قدم استقالته، وتولى زاهدي منصبه بتأييد من الجيش، وأكد السيد كوبلاند في كتابه (لعبة الأمم) كيف أن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية خططت لإسقاط مصدق، وذلك برشوة بعض رجال الدين ورجال البازار، وتحضير بعض ضباط الجيش لإسقاط مصدق، وتسلُّم الحكم بعد إحداث مظاهرات ضده في طهران[١]. وعاد الشاه إلى طهران ثم عودة شركات نفطية عدة لاستخراج النفط وبيعه، وفشلت محاولة مصدق في تأميم النفط.

كانت إيران في عهد الملكية وقبل الثورة هي الشرطي، الذي ينفذ رغبات أمريكا وإسرائيل في المنطقة، وبسبب تصاعد العداء الشعبي الإيراني ضد السياسة الأمريكية والإسرائيلية، فقد أدركت الإدارة الأمريكية وجوب تغيير الحكم بشكل يرضي الإيرانيين، فاستخدمت التيار الإسلامي الشيعي للانقلاب على شاه إيران، فكانت أمريكا وإسرائيل تحرضان بالخفاء، وتدعمان الثورة الإيرانية ضد الشاه، خاصة تأييدها للجناح اليساري في المد الإسلامي الشيعي، الذي أوضحناه سابقًا، وشرحنا فيه كيف استولى علماؤهم ومراجعهم الدينية على الحكم، وقيام الخميني بالثورة، وقد قام الثوار الإيرانيون ومراجعهم الدينية بتغطية هذه الحقيقية، بالتستر خلف العداء اللفظي ضد أمريكا، وتسميتها بالشيطان الأكبر، وردت أمريكا أيضًا بما يسمى بسياسة الاحتواء، لتصرفات وتصريحات إيران، ولكن تطور الأحداث التي حصلت في أفغانستان والعراق وسوريا، كشفت حقيقة التقاء أهداف الثورة الإيرانية، وما تريده المسيحية الصهيونية في أمريكا وإسرائيل للمنطقة[٢].

---

(١) الأستاذ: إسماعيل أحمد سمو، المصر السابق، ص١٥٣ وما بعدها، ص١٦٠وما بعدها.

(٢) جميل الذيابي: إيران ورقصة السرطان، ص١٥٦، مكتبة العبيكان، ط٢، الرياض، ٢٠١١م. طلال عتريسي: الجمهورية الصعبة إيران في تحولاتها الداخلية وسياستها الإقليمية، دار الساقي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.

الفصل الحادي عشر

أهداف الثورة الإيرانية ومشروعها التوسعي

كشفت الوقائع والأيام أن الثورة الإيرانية بعد أن وطدت أقدامها في التربة الإيرانية، نكلت بشدة بالحركات التي قام بها بعض أعدائها من البلوش والأكراد والعرب، قامت بتنفيذ مشروعها التوسعي، واستخدمت المذهب الشيعي الإثنا عشري أداة لتحقيق أهدافها، حيث قامت بالتدخلات السياسية في المنطقة العربية والخليج، كما شرحناها سابقًا مستخدمةً أساليب عدة: مثل استضافة طلبة العلم من الأقطار العربية، لتدريسهم مذهب التشيع الإثنا عشري، وتدريبهم عسكريًّا على السلاح والمتفجرات، كما حصل فعلًا في الاعتداءات التي حصلت في البحرين والكويت والسعودية واليمن وفي سوريا ولبنان بشكل فاضح لا يقبل الجدل، كما استخدمت إيران بعض الجزر في البحر الأحمر، لتجميع أفرادها من الشيعة العرب، خاصة ومن دول إسلامية في تلك الجزر للتدرب الميداني على السلاح والمتفجرات، والهدف الواضح هو تصدير الثورة، كما يقولون ونشر التشيع واستعمال أقليات الشيعة العرب في بلادهم، ليكونوا رأس الحربة، وبداية إشعال فتيل الاضطرابات والقلاقل، كما تهدف إيران إلى تمزيق النسيج المذهبي في الدول العربية خاصة، وتحريك تنافس المذاهب أو القبائل أو الأجناس، بقصد تقسيم وحدة تلك البلاد، ليسهل في البداية نشر التشيع فيها، وقيادتها حسب رغبتهم، فمن أهداف إيران هو إحياء الإمبراطورية الساسانية الإيرانية، التي أسقطها العرب في الفتح الإسلامي، فهي أيضا تستخدم الدوافع السياسية التاريخية لدى الفرس خاصة، وإحياء ما سبق أن قام به ملوك إيران من احتلال

ونفوذ في البلاد العربية، كما فصلنا ذلك فيما سبق قبل الفتح الإسلامي لإيران أو بعده، خاصة على يد الحكام الصفويين، وصراعهم مع الدولة العثمانية، فإن هذا الهدف هو هاجس إيراني قديم، يتلبس مرة بثوب القومية الفارسية، ومرةً بثوب الإسلام الشيعي المذهبي، كما أن من أهداف إيران سيادة لغتها الفارسية وفكرها القديم، الذي تتوق إلى إحيائه في البلاد العربية خاصة والعالم الإسلامي عامة، ومن أهدافها كذلك الاستيلاء على مفاصل الاقتصاد القومي العربي، خاصة استغلال النفط والغاز والمواد الأولية، كما أن من أهداف إيران الرئيسة القضاء على الروح المحركة للسنة في البلاد العربية والإسلامية، وفى مقدمتها المملكة العربية السعودية بوصفها حائط الصد المنيع الواقف ضد التمدد الشيعي الإيراني، ويستخدمون لهذا الغرض وسائل عدة: كرمي السنة مرةً بالوهابية، ومرةً بالسلفية، وأخرى بالنواصب، مستخدمين ادعاءاتهم بأنهم قد ظُلموا كما ظُلم سيدنا الحسين رضي الله عنه، وكل ذلك استخدام سياسي لأهدافهم التي ذكرناها. فهل هذه الأهداف تتفق أو تخالف الأهداف الأمريكية الصهيونية في المنطقة؟

والجواب من واقع ما حصل في السياسة الأمريكية والصهيونية، والتقائهما بالأهداف الإيرانية، وما يخططان له من أهداف لهم في المنطقة في المستقبل، فأهداف الصهيونية المسيحية الأمريكية وإسرائيل الملتقية بالأهداف الإيرانية، تتلخص فيما يلي:

١- ضرورة تدمير القوى العربية السنية المتصاعدة في المنطقة، ومن ثم استهداف العلماء والشخصيات القيادية، وخاصة المقاتلين ثم تدمير السلاح.

٢- تجزئة البلاد العربية، التي هي أصلا مجزأة منذ معاهدة سايكس بيكو، وذلك بهدف إضعاف وحدة المنطقة، وجعل أهلها يحتاجون إلى

الغير في معاشهم وحياتهم. وذلك عن إثارة النعرات الطائفية أو القبلية أو التعصب للمنطقة الجغرافية...

٣- الاستيلاء على منابع النفط والغاز، وكسب الأسواق، لنشر البضائع، وترويج صناعاتهم، وامتصاص الأموال من يد أبناء هذه الأمة، لمزيد من إضعافهم.

٤- محاربة الحركات التي تدعو إلى الحرية والانعتاق من التبعية الصهيونية والأمريكية، التي تقف حائلًا دون تقدم البلاد، وخاصة تلك الحركات التي يقودها السنة وجمعياتهم الأهلية، سواء في أوروبا وأمريكا، أو في داخل البلاد العربية.

٥- استغلال الحركات الإرهابية الثائرة ضد الحكومات وشعوب المنطقة، وذلك بوصم أعدائهم بأنهم يمثلون الإسلام المتطرف.

ومن هنا نتساءل: هل تلتقي أهداف الثورة الإيرانية وأهداف الصهيونية الأمريكية وإسرائيل؟ إن الأحداث الواقعية على الأرض تثبت تطابق الطرفين وتعاونهم، كل يريد تحقيق أهدافه، ولذا فقد التقى الطرفان في التعاون، كل فيما يخص أهدافه، وهذه الحقائق العملية كشفتها الأحداث التالية:

١- استخدمت أمريكا وإيران أهدافًا وأعمالًا للقاعدة، التي تأسست أولًا في أفغانستان، وذلك تحت رعاية أمريكا نفسها، ونظرها. وقد سهلت إيران للقاعدة العبور والإقامة في أراضيها، كما قامت بإخراج زعمائها من السجون العراقية.

٢- ساعدت إيران أمريكا في حربها ضد طالبان في أفغانستان، وخاصة قيام قبيلة الهذارة الأفغانية الشيعية بمساعدة الجيش الأمريكي، وكذا قيام ما يسمى بجيش تحالف الشمال الأفغاني بقيادة أحمد شاه مسعود،

المدفوع بدوافع شيعية إيرانية في الحرب ضد الأفغان، ومساعدة أمريكا في قمع كل ما هو سني، وامتد هذا العمل إلى باكستان، كما هو معروف.

٣- تأييد إيران ومساعدتها لأمريكا في احتلال العراق سنة ٢٠٠٣م وتكوينها للميلشيات الشيعية المتطرفة، التي تدربت في إيران من أمثال المجلس الأعلى، وقوات بدر، ومجموعة الشلبي، كما قامت إيران بالضغط على المرجع الديني في النجف: آية الله السيستاني بإصدار فتوى وأمر لجميع الشيعة، بألا يقاتلوا الغزاة الأمريكيين، وهذه الحقائق ليست سرية، بل هي معلنة على الملأ، واتضح فيما بعد أن هدفها تدمير العراق والسنة خاصة، فاتجهوا إلى اغتيال الرجال والقادة والعلماء وأساتذة الجامعات، ودمروا مرافق الدولة من كهرباء ومياه ومرافق صحية، وما إليها، كل ذلك حدث صراحة أمام أعين العالم، بل يفخر به كثير من قادة إيران.

٤- كشفت الانتخابات في العراق بعد الاحتلال الطبخة الإيرانية الأمريكية عن طريق التزوير، وتقسيم قوى البلد في محاصصة طائفية، تكون فيها الغلبة للشيعة على السنة، كما كشف إعداد الدستور في العراق بعد الاحتلال، وبرعاية من بريمر المبعوث الأمريكي أن وضعت فيه نصوص تتفق ومصلحة إيران وأمريكا في تقسيم القوى العراقية في الأقاليم والمحافظات، بحيث يجعلهم متضادين في مصالحهم، وخاصة بين الأقاليم الشيعية والسنية.

٥- ساند النظام في إيران نظام الأسد في سوريا على قتل شعبه، وتهجيرهم طيلة الخمس سنوات، ووقفت أمريكا متفرجة على هذه المأساة، التي لم يحصل مثلها في تاريخ العرب، بل عارضت أمريكا كل من تركيا والسعودية لمساعدة الشعب السوري وإنصافه، مما شجع

المليشيات الشيعية العراقية، وكذا حزب الله اللبناني على مناصرة نظام الأسد. واليوم تصرح إيران على دخول الحرس الثوري إلى سوريا، كما تعلن صراحة اليوم عن أسماء قتلى قادتها في المعركة، والذي يتضح أن السياسية الأمريكية والإسرائيلية أرادوا إطالة الحرب، واستخدام ما يسمى بالدولة الإسلامية في الشام والعراق شماعة، ليعلقوا عليها استنزاف قوى الطرفين، وتحويل المعركة إلى حرب شيعية سنية، يقومون بقيادتها عن مساعدة الطرفين بوسائلهم الخبيثة، وذلك بقصد سحق الرجال والعتاد الحربي في المنطقة، وأن تصبح المعركة لكثير من الأطراف محرقة، يتم فيها القضاء على قوى العرب والمسلمين، ولن تبالي الصهيونية أيًّا من الطرفين خسر أو انتصر، فالجميع في خسارة.

٦- قامت أمريكا بتسليمها العراق ومقدرتها إلى إيران بعد احتلالها له، وسحبها قواتها العسكرية كي تحكمه عن طريق رجالها الذين أعدتهم لهذا الغرض، وهذه حقيقة ذكرها بول بريمر في مذكراته والسفير الأمريكي في بغداد زلماي خليل زاده، والأمير سعود الفيصل وزير الخارجية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٧- كشفت الوثائق والمعلومات أن الحكومة الإسرائيلية في أثناء الحرب الإيرانية العراقية، وبترتيب من أمريكا زودت إيران أسلحة نوعية من صواريخ ومضادات للدروع، بقصد استدامة الحرب العراقية الإيرانية، وقد كشفت هذه الحقيقة بما يسمى إيران جيت وإيران كونترا، وهذا أصبح معلومًا للجميع.

٨- ساعدت أمريكا إيران والشيعة على وجه الخصوص، بالدعم حتى باتت تطالب الحكومات السنية بالسماح للشيعة ببناء حسينيات

ومراكز ثقافية، ونشر كتب الشيعة في الأوساط السنية، واستخدام هيئات حقوق الإنسان لهذه الأغراض، وهذا يدل بوضوح على التقاء أهداف الطرفين، وإن كان كل منهما له مرام قد تختلف عن الآخر، إن إشعال الفتن الطائفية وتشجيع القائمين بها وظفته إيران وأمريكا لأغراضهما المذكورة أعلاه، وسياسة أمريكا الشريرة عبر إيران لا تخفى على الجميع.

٩- كشفت الحرب السعودية اليمنية تدخل إيران في مساعدة الحوثيين بالسلاح، فقد ضبطت الأجهزة كميات كبيرة من الأسلحة على ظهر بواخر مرسلة إلى سواحل اليمن، وتمت مصادرتها، ويبدو أن الصهيونية تروم استمرار هذه الحرب، لاستنزاف السعودية خاصة، ولم تسع أمريكا إلى إطفاء هذه الحرب، أو المساعدة في إنهائها، بل قامت بتشجيع عبدالله صالح ورجاله في الاستمرار في هذه الحرب، ورفض قرار الأمم المتحدة المتعلق بذلك.

١٠- السياسة الأمريكية المتماهية والمسامحة لإيران بالزحف على المنطقة، فقد شجع هذا الوضع روسيا، حيث أقدمت على احتلال قاعدتين في سوريا، وساعدت نظام الأسد ضد الشعب السوري، ولم تعترض أمريكا على ذلك سوى اعتراضات لفظية، على الرغم من أن السياسة الأمريكية كانت تمنع الاتحاد السوفيتي من الوصول إلى المياه الدافئة.

١١- غضت أمريكا النظر على سياسة إيران في تطوير صناعتها المتعلقة بالصواريخ، وكذلك بتخصيب اليورانيوم، وقد كانت تعلم بجميع جهود إيران فلم تعترضها، بل تذكر بعض التقارير أنها ربما ساعدت على تزويد إيران بالتقنية اللازمة لذلك، أو على الأقل سكتت، ولم تمنعها عن المضي في هذا المسار، طالما أن أمريكا وإسرائيل يستطيعان في أي

وقت التحكم وتدمير قوة إيران، إذا ما اتجهت ضد مصالحهم، ولكن صناعة الصواريخ وما أشبه تصلح أن تكون تهديدًا لجيران إيران، وتصبح وسيلة لابتزاز الدول العربية، وخاصة دول الخليج للاستجابة للمطالب الأمريكية أو الإسرائيلية، أو أن تكون سببًا في دفع تلك الدول لشراء الأسلحة من أمريكا والغرب عمومًا[1].

١٢- وقد احتار كثير من السياسيين والكتاب في تحليل العلاقة بين إيران وأمريكا، وقد كتب تريتا بارسي أستاذ العلاقات الدولية في جامعة جون هوبكنز كتابه (التحالف الغادر: التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة الأمريكية)، ذهب فيه إلى حد القول بوجود تحالفات سرية بين تلك الأطراف، ودلل على هذا التحالف بتفاصيل كثيرة، يستطيع القارئ الكريم الرجوع إليها.

١٣- كشفت الصحف البريطانية سنة ٢٠٠٦م تقريرًا استخباراتيًّا ترجم ونشر في مجلة البلاغ العدد رقم ١٧٠٨ في رجب ١٤٢٧هـ، يفيد بحصول اتصالات بين إيران والولايات المتحدة، وأن الإيرانيين عرضوا على الأمريكان فكرة التحالف في الشرق الأوسط، وطالبت إيران ألا تمنعها أمريكا من التدخل خاصة في البحرين وأفغانستان والعراق ولبنان وسوريا، وعدم وصم المنظمات الشيعية بالإرهاب، وفي الواقع كل ذلك قد تحقق لإيران اليوم، إضافة إلى قيام أمريكا بتجميد أموال وأنشطة الجمعيات والمنظمات السنية في العالم، كي يفسح المجال للشيعة، وذهب جورج فريدمان على حقيقة وجود تحالف أمريكي إيراني، على الرغم مما يشاع في الإعلام من تعارض سياسة الطرفين، ونقل السيد

(١) د. نسيم بهلول: في العمق الصهيوني للقوة الإيرانية، ص٧٠، ابن النديم للنشر، ط١، الجزائر، ٢٠١٤م.

أبو داود في كتابه (تصاعد النفوذ الإيراني في العالم العربي): أن هنري كسنجر اعترف لصحيفة عربية: لو أن شيعة العراق ومراجعهم الدينية قاوموا الاحتلال الأمريكي، لما استطاعت أمريكا احتلال العراق والانتصار في حربها[١].

١٤- يصرح زعماء إسرائيل علنًا: أن لا مشكلة بينهم وبين إيران، وقد قام بعض التجار الإسرائيليين وبموافقة من الموساد بتزويد الحكومة الإيرانية سنة ١٩٩٢ بغاز الخردل ومعدات عسكرية، ونشر ذلك في كثير من التقارير والصحف الأمريكية[٢].

١٥- حذر الشيخ صبحي الطفيلي الشيعة وخاصة الإيرانيين من ألا يضعوا أيديهم بيد أمريكا، ويستعينوا بها في تحقيق أغراضهم، فإن العالم السني لن يغفر لهم هذه الخطيئة، وانصب تحذيره على الشيعة في لبنان والعراق والشام، حيث لا يأمن انتقام السنة في المستقبل، الذي يكون فيه شيعة إيران بعيدين عن مثل هذا الانتقام.

١٦- تحالفت حركة أمل الشيعية في لبنان مع الكيان الصهيوني في الجنوب، لضرب المقاومة الفلسطينية، وسهلوا للإسرائيليين وللمسيحيين بقيادة إيلي حبيقة ذبح الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا، على ما هو مشهور، حيث كان ذلك سببًا مهمًّا في انشقاق حزب الله اللبناني من حركة أمل.

١٧- تكشف سياسة أمريكا وتعاملها مع حزب الله اللبناني مهادنتها له، وترك إيران تقوم بتسليحه، والآن يؤدي دوره المطلوب في سوريا والعراق، حيث يشترك مع نظام الأسد ضد المقاومة السورية.

---

(١) السيد أبوداود: تصاعد النفوذ الإيراني في العالم العربي، ص٤٠٢، العبيكان، الرياض، ٢٠١٤م.

(٢) د. أبوبكر مرشد فازع الزهيري: التوجهات الإيرانية في المنطقة العربية، ص ٤٤، ط٢، مكتبة الصادق، صنعاء، ٢٠١١م. د. عبدالله محمد الغريب: وجاء دور المجوس، ص٢٤٤، ط٥، ١٩٨٧م.

١٨- كشف زلماي خليل زاد السفير الأمريكي في مذكراته عن حرب أمريكا على العراق تراخي السياسة الأمريكية، ومعرفتها بتسلم القوى الشيعية الإيرانية لمقاليد الحكم، وأنها سكتت عن تصرف بريمر في حل الجيش العراقي، وتركت العراق يموج في اضطرابات سببتها المليشيات الشيعية القادمة من إيران والمدربة على أداء الدور المرسوم لها[١].

١٩- ويعد كتاب المثلث الإيراني لكاتبه شموئيل سيجف في كلا الجزأين مصدرًا لتوثيق تفاصيل تحالف أمريكا وإسرائيل مع الثورة الإيرانية بشكل خفي طيلة السنوات السابقة، ثم كشفها في السنوات الأخيرة، وقد كشف صاحب الكتاب عن تحفظه في نشر أسماء كثير من الأشخاص والمستندات السرية، التي كانت بحوزته معتذرًا لنفسه، وربما كان ذلك خوفًا منه[٢].

(١) جميل الذيابي: إيران ورقصة السرطان، ص١٠٢ وما بعدها، مكتبة العبيكان، ط٢، الرياض، ٢٠٠١م.

(٢) شموئيل سيجف: المثلث الإيراني، ترجمة: دار الجليل، ج٢، عمان، ١٩٩٠م.

الفصل الثاني عشر

اتصال إيران بالصهيونية

١ - علاقة إيران البهلوية بالصهيونية:

يقدر عدد اليهود في إيران ما يقرب من مئتي ألف يهودي قبل ثورة ١٩٧٩م، وأغلبهم هاجر إلى إسرائيل، وقد بقي منهم بعد الثورة ما يقرب من ثلاثين ألف يهودي، ومن بداية القرن التاسع عشر بدأ تكوين الاتحاد العالمي للصهيونية، فكان فرعه في باريس بقيادة أدولف كرمييه الذي التقى في باريس بناصر الدين القاجاري ملك إيران سنة ١٨٧٣م، وطلب منه أن يقوم الاتحاد بفتح مدارس يهودية إيرانية في بعض المدن الإيرانية، ومنح اليهود الإيرانيين الكثير من الامتيازات، فوافق على ذلك، وأسند تنفيذ هذا الأمر إلى الصدر الأعظم (رئيس الوزراء)، وفي زيارة هذا الملك لبريطانيا سنة ١٨٨٨م أحاطه زعماء اليهود الصهاينة بمزيد من الاهتمام، خاصة البرت روتشليد، وقرروا منحه ٧٠ مليون فرنك، لتهجير اليهود إلى فلسطين، ومنهم يهود إيران، وقد تمكن الكثير من اليهود في إيران خدمة بلاط الشاه وأسرته، خاصة الأطباء منهم منيحز قيل ويا كوب وإدواردا بولاك[١].

وقد تم فتح المدارس اليهودية في إيران، والمسماة (الإليانس)، قام برعايتها اليهود الإيرانيون، وبتأثير من سلطة شاه إيران. وفُتِحت فروع لها في طهران وأصفهان وهمدان، وأصبحت هذه المدارس بؤرة سياسية لتدخلات السفارة الفرنسية خاصة، وللصهيونية العالمية عامة، وفي عهد الشاه مظفر

(١) مأمون كيوان: اليهود في إيران، ص٧٣ وما بعدها، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م.

الدين انتشرت هذه المدارس اليهودية في أكثر المدن الإيرانية، التي يتواجد فيها اليهود، وفي بداية الوقت كانت هذه المدارس مقتصرة على أولاد اليهود، ولكنها فيما بعد استقبلت المسلمين منهم، فمثلا مدرسة الإليانس في همدان كان فيها ١٧٣ طالبًا يهوديًّا من أصل ٦٥٤ طالبًا من غير اليهود، فكانت هذه المدارس خلال ثمانين عامًا مضت، وحتى سنة ١٩٧٨م تنفذ أغراض الصهيونية اليهودية العالمية، التي كانت تدار من مركزها في باريس. فكان لخريجي هذه المدارس الأولوية في توجيه سياسة إيران في الداخل والخارج. وقد أيدت هذه الجموع وعد بلفور سنة ١٩١٧م، وتشجع اليهود لدراسة اللغة العبرية، فأيقظ ذلك عودتهم إلى فلسطين.

فتكونت صراحة الجمعية الصهيونية في إيران برئاسة عزيز الله نعيم، التي فتحت لها فروعًا في كثير من المدن الإيرانية، وقامت بالاتصال بالصهيونية العالمية، وشجعت يهود إيران ودفعتهم إلى فلسطين. وتمتع اليهود في عهد رضا شاه البهلوي بالحرية الكاملة في تجارتهم، فكونوا العديد من البنوك، وكان كثير منهم يعملون بالصيرفة وتجارة الذهب، فكانوا أحرارًا بأموالهم، وقيامهم بالهجرة إلى فلسطين بشكل تدريجي، والسؤال المهم أن يهود إيران قد رحلوا عنها، فأي أثرٍ تركه الفكر اليهودي والصهيوني على شيعة إيران، وعلى سياستها وعلاقتها بالدول العربية والإسلامية، فلا شك أنه كان أثرًا سلبيًّا كبيرً، يتجرعه خاصة السنة من العرب والمسلمين، في كل من العراق والشام ولبنان واليمن، فمما ذكر من أثر ما قام به الجاسوس اردشير ريبورتر من المساعدة على اعتلاء رضا شاه للسلطة في إيران، بهدف عزل إيران عن محيطها الإسلامي، وإبعادها عن الإسلام وإلحاقها بالنظام الغربي، كما عبر عن ذلك محمد تقي بور في كتابه (إيران والصهيونية)، فكان نتيجة ذلك ميل النظام البهلوي نحو نظام علماني معادٍ للإسلام، ويمكن أن نضيف على ذلك من نتائج حدوث الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م، ورد فعلها الشديد، واعتناقها لمذهب الشيعة.

وقد وثق صاحب الكتاب المذكور أسماء الشركات اليهودية الإيرانية وملاكها وصناعاتها ومقدار الأموال التي تتمتع بها، وضرب لذلك مثلًا لتاجر يهودي إيراني، اسمه ثابت المعروف، بثابت باسال، وكان والده قد دخل في مذهب البهائية، الذين سبق أن ذكرناهم، فكان «يدير سوق السيارات، ومصانع للأثاث، وحصل على وكالات أوروبية وأمريكية للعديد من الصناعات كالبيبسي كولا ومصانع جنرال،.... وامتلك اليهود في إيران أفضل الفنادق والسينما،.... وتجارة الدواء والصيدليات،.... وقد نقلوا ثروة طائلة إلى إسرائيل، وقامت إسرائيل بتمجيدهم، وتسمية شوارع في القدس بأسمائهم»[١].

وقد اعترف النظام البهلوي بإسرائيل سنة ١٩٤٩م، وتبادل معها التمثيل الدبلوماسي، وكانت السفارة الإيرانية في إسرائيل تدير الأنشطة السياسية والتجارية لصالح إسرائيل، مستخدمة حتى جهاز السافاك الإيراني، وامتد نفوذ المخابرات هذه إلى الدول العربية الإسلامية، وأسست إسرائيل في إيران مراكز لاستخباراتها، خاصة في خوزستان وعيلام وكردستان، واستخدمت كما يقول صاحب الكتاب السابق: عربًا من الدول العربية، فكانت المخابرات الإسرائيلية تقدم للسافاك معونات مالية، نظير تعاونها، وقد قامت المخابرات الإسرائيلية بتعليم وتدريب جهاز السافاك الإيراني على أرض إيران، وفي إسرائيل أيضًا، وبعد سقوط نظام الشاه انضم كثير من رجال السافاك إلى جهاز المخابرات في إسرائيل وقد تردد على إيران الكثير من وزراء إسرائيل خاصة ما تعلق بالمسائل العسكرية والأمنية. ولما كانت أكثر هذه الأنشطة في صالح إسرائيل، فقد كانت تجري سرًّا، خاصة فيما يتعلق منها بالسفارة الإسرائيلية الخفية، ولكن بمرور الوقت اكتشف الشعب الإيراني هذا الطاغية، فكانت النقمة كبيرة، تمثلت في بداية الثورة الإيرانية خاصة[٢].

---

(١) محمد تقي بور- ترجمة: د. أحمد حسين بكر: إيران والصهيونية، ص٩٤، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

(٢) تقي بور: المصدر السابق، ص١٣٥ وما بعدها. مأمون كيوان: اليهود في إيران، ص١٠٤ وما بعدها، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢- علاقة إيران بعد الثورة في كل من أمريكا وإسرائيل:

احتار الكتاب والسياسيون في طبيعة العلاقة الإيرانية الأمريكية والإسرائيلية بعد ثورة إيران سنة ١٩٧٩م.

بسبب تناقض المواقف والتصريحات مع الوقائع على الأرض، ما دفع تريتا بارسي إلى كتابة رسالة الدكتوراه في جامعة جون هوبكنز بإشراف فرانسيس فوكو ياما، وما ساعد على ذلك أن بارسي كان يشتغل مستشارًا لدى أحد أعضاء الكونجرس، مما مكنه من الاطلاع على كثير من المعلومات والوثائق والمقابلات السرية، ويمكن أن نشير إلى أفكار الكاتب بالنقاط التالية:

١- تعاملت إسرائيل وأمريكا من أول الثورة الإيرانية إلى امتصاص التصريحات النارية والثورية ضدهما، وتجاهل الرد التفصيلي عليها، مع تسريب المعلومات بأن إسرائيل وأمريكا تود إقامة علاقات طيبة مع إيران، وقد أعلنت أمريكا في تلك الفترة سياسة الاحتواء والنفس الطويل على إيران.

٢- استخدمت إيران القضية الفلسطينية في تهديداتها ضد إسرائيل، ودافعت فيها عن حقوق الفلسطينيين، قاصدة إحراج الأنظمة العربية، واتهامها بالعجز، والإيحاء بأن إيران هي البديل الحقيقي للوقوف ضد إسرائيل، وفي تلك المرحلة يرى الكاتب أن أمريكا وإسرائيل فكرتا بضرب إيران، ولكن اكتشفتا أن تهديدات إيران تنطوي على أهداف توسعية مذهبية وقومية على حساب المنطقة، ولذا لم تأخذ هذه التهديدات في محمل الجد، بل حاولتا تفهم أهداف إيران التوسعية، والتساهل معها، خاصة وأن التفكير الإسرائيلي والإيراني يلتقي تاريخيًّا بمناصرة اليهود منذ القدم لإيران، وذكر أن اليهود الإيرانيين

في القدس وفي احتفالاتهم تعلو الموسيقى والأغاني الإيرانية، كما أن كلا الشعبين يشعران منذ أمدٍ طويل بالتهديد الخارجي والعزلة، فمن جهة إيران دفعها اعتناقها لمذهب الشيعة الإثنا عشرية إلى العزلة وعدم الانسجام، خاصة مع المحيط العربي، وعموم الإسلام السني. أما من جهة إسرائيل فلا تزال ترفع أمام أعدائها سلاح معاداة السامية، وقد تركت أمريكا وإسرائيل نظام صدام حسين وإيران يتقاتلان ثماني سنوات، في حين حسمت أمريكا خلال مدة قصيرة طرد الجيش العراقي عند احتلاله للكويت، ويذكر المؤلف العلاقة التاريخية الطيبة بين ملوك إيران واليهود، وذكر قصة (إستر) اليهودية زوجة ملك إيران، وكيف أنقذت بالحيلة يهود إيران من القتل، الذي أعده هامان لليهود، كما ذكر عطف الملك الإيراني كورش، وإعادته يهود بابل إلى أورشليم، ومساعدتهم على إعادة بناء الهيكل، ويذكر المؤلف التقارب الفكري والثقافي بين الإيرانيين واليهود، وأن اليهود الإيرانيين في إسرائيل استمروا يتعاملون بالعادات اليهودية الإيرانية القديمة، ومنها فكرة (التاروف) التي تعني إخفاء النية الحقيقية، وإظهار خلافها في الكلام، سواء من باب المجاملة، أو من باب الخداع، وهو نفس أسلوب زوجة الملك إستر، وهو مسلك يختلف عن يهود (الآشكيناز) في إسرائيل، كما ذكر نفوذ اليهود الإيرانيين في إسرائيل، مثل رئيس الجمهورية كاتساف، ورئيس الجمهورية موفاز، وغيرهم الكثير، الذين يظهرون حنينهم إلى إيران، ولا يتورعون عن التحدث بالفارسية. وأوضح أن هؤلاء هم أقدر على فهم نظام ملالي وشيوخ إيران، خاصة التصريحات التي قد لا تعني حقيقة النية الخفية.

٣- تحالفت إيران سرًّا مع إسرائيل سنة١٩٥٧م على تزويدها بالنفط ومد خط أنابيب إيلاد النفطي. ومقابل ذلك قدمت إسرائيل

التكنولوجيا المتعلقة بالزراعة والري، وأمدتهم بالخبراء الذين عملوا في إيران لهذا الغرض، كل ذلك بتشجيع ومساعدة من أمريكا، وذلك لإبعاد نفوذ الاتحاد السوفيتي الذي كان يشجع النظام الناصري على الوحدة العربية، التي تتخوف منها إيران، خاصة أنها تكون عاملًا يشجع عربستان على الثورة. فكانت إيران تتخوف من النفوذ العربي، فاستعانت بإسرائيل سرًّا لصد هذا النفوذ، واتفقت إيران مع إسرائيل على تزويدها بالسلاح والخبراء العسكريين للتدريب في كلا البلدين، كما أبرم جهاز السافاك الإيراني عقدًا مع المخابرات الإسرائيلية للتعاون والتدريب، فكان المسؤولون الإسرائيليون يزورون إيران سرًّا، غير أن الإيرانيين يودون أن تكون تلك المعلومات سرية، وينسقون معها، وكانت البعثة الدبلوماسية الإسرائيلية تنشط في طهران على الرغم من أن إيران لم تعترف قانونيًّا بإسرائيل، وكانت إيران ترغب دائما أن تكون هذه العلاقة سرية، كي لا تغضب العرب والمسلمين في حين كانت إسرائيل تنشر تلك المعلومات رغبة منها بالحصول على اعتراف قانوني، يكون مثالًا للدول العربية والإسلامية بالأمر الواقع.

٤- بعد حرب ١٩٦٧م واستيلاء إسرائيل على أراضي عربية بدأت إيران بتغيير سياستها، وإعلان اعتراضها على احتلال إسرائيل تلك الأراضي، ومالت إيران إلى المحيط العربي. وأعادت القاهرة علاقتها الدبلوماسية مع إيران في عهد أنور السادات، حيث طرد النفوذ السوفيتي من مصر، ومال إلى الغرب، حيث رحبت إيران بهذا التوجه، الذي يقربها من العرب، ويبعد الاتحاد السوفيتي عنها، ولكن إسرائيل لم تكن راضية على توجهات إيران هذه، فكانت تضغط على أمريكا لكيلا تفلت إيران من الفخ الإسرائيلي.

٥- أدت المعاهدة العراقية السوفيتية سنة ١٩٧٢م إلى تنامي القوة العراقية، مما أقلق إسرائيل والولايات المتحدة. وبعد انسحاب بريطانيا من قناة السويس والخليج العربي سنة ١٩٦٩م حلت إيران محلها في النفوذ، وقامت أمريكا بتسليح إيران، فتعاظم دورها في الخليج العربي، وبدأت إسرائيل بالتقرب إلى إيران كيدًا للعرب، وخاصة العراق في عهد صدام حسين، فتنامت قوة إيران الاقتصادية معززةً بمواردها النفطية، وعادت إلى الشاه أحلام الإمبراطورية الفارسية، فتزايدت هيمنته على المنطقة مما أقلق إسرائيل. وفي هذه المدة تنامى تخوف العرب من تفوق إيران، فسعى الشاه إلى تطمينهم وتقديم المساعدات المالية لمصر والأردن والمغرب، واستمرت إيران بتزويد إسرائيل بالنفط، وتزعمت منظمة الأوبيك، مطالبة برفع أسعار النفط، وقد حاولت اتباع سياسة توازن بين العرب وإسرائيل، ولكن بعد حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣م شعرت إسرائيل بأن إيران تميل إلى الطرف العربي. خاصة وأنها لم توافق على احتلال إسرائيل للأراضي العربية، وهددت بقطع المساعدات النفطية لإسرائيل، كما وقع الشاه على اتفاقية الجزائر سنة ١٩٧٥م بين العراق وإيران، التي تضمنت أمورًا أغضبت إسرائيل، وتفسير ذلك يعود إلى أن إيران كانت قد عقدت اتفاقًا سنة ١٩٦٥م مع الملا مصطفى البرزاني زعيم أكراد العراق لمساعدتهم العسكرية ضد الجيش العراقي في حربه للأكراد، وكانت إسرائيل أيضًا قد أمدت أكراد العراق بالمساعدات والسلاح عن طريق إيران، وكانت أمريكا ترحب هذه السياسة وتساعد عليها، غير أن العراق طلب من الجزائر السعي لدى شاه إيران بعقد معاهدة لترسيم الحدود بينهم، ولسحب مساعداته للأكراد، فتم ذلك بمعاهدة الجزائر سنة ١٩٧٥م، وتقسيم الحدود في شط العرب، وكان

ذلك مفاجئًا لكل من إسرائيل وأمريكا، وشعروا أن الشاه يتصرف بمفرده دون التشاور معهم، خاصة وأن إيران سحبت مساعداتها العسكرية من أكراد العراق، مما سبب انتصار الجيش العراقي، وذلك عكس ما كانت ترغب إسرائيل، قد تكون مخاوف الشاه في محلها، بأن أكراد إيران سوف يحذوا حذو أكراد العراق في المطالبة بحقوقهم، وشعاراتهم المرفوعة من قبل في حال انتصار أكراد العراق. كما قامت إيران بالتصويت مع دول عدم الانحياز في الأمم المتحدة على قرار يساوي بين الصهيونية والعنصرية، وفي هذه المرحلة تنامى العداء الشعبي الإيراني ضد إسرائيل، خاصة في الأوساط الدينية، بسبب ما تقوم به إسرائيل ضد الفلسطينيين، وبسبب ما عرف من ميل نظام الشاه وتعاونه مع إسرائيل، مما دفع بعض الأوساط الرسمية في إيران من الاستجابة لمثل هذه التوجهات ضد إسرائيل، وسياستها في المنطقة على الرغم من استمرار التنسيق بين أجهزة الدولتين خاصة وزارة الخارجية. وفي هذه المدة اغتر الشاه بإمكانياته، وتبنى سياسة التدخل في الخليج العربي والمحيط الهندي، وتدخلت البحرية الإيرانية في شؤون الصومال، وأضحى الشاه يتفرد بقراراته، وأهمل مستشاريه، وأصبح رجل الدولة الأوحد (ديكتاتور)، فجعل حاجزًا بينه وبين المسؤولين، وأصبحت اجتماعات مجلس الوزراء لقاءات شكلية روتينية، لا تناقش فيها سياسية الدولة، مما أضعف العمل التنفيذي في دولاب الدولة، وغياب الرأي في التقارير المتعلقة بمصلحة إيران، بل جعلوا الشاه يتفرد بالقرارات دون استشارتهم، مما ساهم في إضعاف حكم الشاه. عارض الشاه سياسة الحكومة الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، وساند أنور السادات في زيارته إلى القدس إسرائيل بانتهاز الفرصة لتوقيع السلام مع العرب، ولكن مجيء حزب الليكود برئاسة بيغن سنة

١٩٧٧م وإنتهاجه سياسة يمينية متشددة، وتوسعه في الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية، جعل من سياسة بيغن نقطة تصادم مع الشاه. وفي الوقت نفسه كان الشاه ينظر بقلق إلى تنامي القوة العسكرية العراقية المدعومة بالأسلحة من الاتحاد السوفيتي، وخاصة تزويد العراق بصواريخ سكود، مما جعل الشاه يطلب صواريخ مماثلة من أمريكا، ولكن أمريكا رفضت طلبه، مما جعله يبتسم شطره قبل إسرائيل، واتفق معها على تطوير صواريخ إسرائيلية في إيران، مقابل مساعدات نفطية في جزيرة خرج، كما استجاب إلى رغبة إسرائيل في التدخل في الشأن الكردي العراقي والتنسيق مع إسرائيل، ولكن السخط الشعبي داخل إيران أخذ يتصاعد، مما أقلق كلًّا من أمريكا وإسرائيل، وما قصة ال فريدل غائبة عن الأذهان، وقد دخلا لعبة تصدير السلاح الإسرائيلي إلى إيران في عام ١٩٨٠م، حسب ما ذكره الكاتب حسين علي هاشمي صاحب كتاب: (الحرب المشتركة إيران وإسرائيل) «... الوثيقة ٢ صدر ال فريدل إلى إيران في عام ٨١- ٨٢- ٨٣ كميات كبيرة من المعدات الإلكترونية، وأجهزة الاتصال، وقطع غيار الدبابات، ومحركات جديدة لطائرات هيركول ١٣٠ الأمريكية الصنع، وصواريخ جو- جو من نوع ساید وینر المتطورة جدًّا. الوثيقة رقم ٢- ٣ كما نقلها الكاتب. انظر في كتابه المشار إليه في صفحة (٨١-٨٢)، ونقل صاحب الكتاب المذكور أن العقيد نمرودي يهودي إسرائيلي قد وقع مع العقيد كوشاك دهغان، وهو نائب وزير الدفاع الإيراني لشؤون التجهيزات على صفقة أسلحة بالغة الأهمية في حجمها ونوعها، تضمنت هذه الصفقة كما تشير الوثيقة رقم ٥ إلى ٥٠ صاروخًا أرض- أرض من نوع لا نس و٤٠ وحدة مدفعية من عيار ١٥٥ ملم من نوع تام بيلا ٢٧٣٠ قنبلة من عيار ١٥٥ ملم من نوع كوبي رهيد

و٤٦٤٠ قنبلة من عيار ١٥٥ ملم من نوع هيراب و٦٨ صاروخًا أرض-جو من نوع هوك، تبلغ قيمة هذه الصفقة ١٣٥ مليون دولار أمريكي، وما أن تسلمت إيران هذه الأسلحة حتى قامت إيران ابتداء من ٢٢/ ٣/ ١٩٨٢م بشن هجوم واسع على العراق، سمي فتح تمكنت على إثره في ٣٠/ ٤/ ١٩٨٢م من استرجاع مدينة خور مشهر، مما فاجأ جميع المراقبين العسكريين يومها، ولا شك في أن وصول هذه الأسلحة التي وصلت من إسرائيل قد لعبت دورًا أساسًا في قلب ميزان القوة لصالح إيران في تلك المرحلة....»، وذكر أيضا حسين علي هاشمي في كتابه «.... قصة الطائرة الأرجنتينية التي كانت واحدة من فواصل التعاون بين البلدين في مجال التسليح، حيث نقلت هذه الطائرة الكمية المتعلقة بقطع غيار الدبابات إم-٤٨، ٣٦٠ طنًّا، يتطلب نقل هذه الكمية ١٢رحلة بهذه الطائرة، التي قتل فيها الوسيط الأساس، وهو اسكوتلندي الجنسية، واسمة ستيوارت الن ماك كفرتي، الذى كان يعمل لصالح تاجر الأسلحة السويسري المعروف اندرياس جيني مع شريكه مارك بر وباشر، يدير هؤلاء شركة متخصصة في بيع الأسلحة الإسرائيلية، ولقد شوهد طباطبائي أكثر من مرة مع بر وباشر في جنيف، لكن انكشف أمرها بعد أن ضلت مسارها داخل الأجواء السوفيتية، مما أسقطها سلاح الجو السوفيتي، وبعدها تكشفت الوثائق الموجودة بها، وهذا ما أكدته الصحف العالمية، مثل ال صنداي تايمز اللندنية وصحيفتان أرجنتينيتان هما كرونيكا ولا برانسا....»، وكما أضاف الكاتب اعتراف الرئيس حسن بن صدر في مقابلة له مع قناة التلفزيون الأمريكي أي .بي .سي، وهو قوله: لقد (كانت سمة مبادلات عسكرية مع إسرائيل عندما كان رئيسًا للجمهورية، لكنه لم يستطع الوقوف في وجه رجال الدين في هذا الأمر)، وفي ٢٠/ ٨/ ١٩٨١م قد أيد مسعود

رجوي رئيس مجاهدي فدائي إسلام هذه الحقائق، وأضاف بصدور أمر من النظام الإيراني بإزالة ماركات الصنع المكتوبة باللغة العبرية، حتى لا تثير حفيظة الشعب، ولكن الشيء الأغرب والأخطر في هذا الموضوع- حسب ما ذكره الكاتب- وهو الاعتراف الإسرائيلي بهذه الصفقات، والأثر المتوقع مما تحدثه هذه الصفقات في المدى البعيد والقريب، وهو ما أفصح عنه رئيس أركان الجيش الإسرائيلي رفائيل إيتان في زيارته لإحدى المدارس الدينية في إسرائيل لإلقاء محاضرة في علم الإستراتيجية العسكرية على الطلاب الشباب، تحدث إيتان عن الأسباب التي تدعو إسرائيل لدعم إيران قال: «... إننا ندعم إيران لأنه حين يتلقى العراق ضربات من إيران، فإن ذلك مفيد لليهود، وعندما سأله أحد الطلاب، ولكن الخميني يريد تحرير القدس من الصهيونية، فكيف ندعمه؟ أجاب إيتان لكي يصل إلى القدس عليه أن يجتاز كلًّا من العراق والأردن، وأن يدمرهما بشكل كامل، وهذا يوفر علينا الكثير. وانتقل إيتان لشرح الرعب الذي يوحي به الخميني لأنظمة الخليج والسعودية، بما يعنيه ذلك من شل القدرة العربية الجماعية وتوزيعها واستنزافها)، وأجمع القادة الإسرائيليون بأن الحرب العراقية الإيرانية تخدم المصالح الإسرائيلية في المنطقة»[1].

(١) حسين علي هاشمي: (الحرب المشتركة إيران وإسرائيل)، حقائق ووثائق، ص١٩ وما بعدها، (لا يوجد ناشر ولا بلد النشر والسنة)، (مكتبة الملك عبدالعزيز بالرياض رقم ٣٢٧هـ ح ح).

الفصل الثالث عشر

التغير السياسي

١- التغير الداخلي:

الخلاف بين سياسة المحافظين والإصلاحين:

اتسمت سياسة إيران منذ سنواتها الأولى بتولي العناصر الدينية المحافظة داخل مجلس الشورى والمجالس الأخرى، كما أن من الواضح توجهات الحرس الثوري كانت تتسم بالتعصب والعنف والقبضة الشديدة في الداخل والخارج، وقد تمثلت هذه السياسة برئيس الجمهورية أحمدي نجاد، الذي كان أستاذًا جامعيًّا وسياسيًّا إيرانيًّا، وأصبح عمدة لبلدية طهران، ولد عام ١٩٥٦م في مدينة غر مسار التابعة لمحافظة سمنان شمالي إيران، وبعد تخرجه من الجامعة في عام ١٩٧٩م والماجستير ١٩٨٩م من جامعة العلوم والصناعة، عين محاضرًا في الهندسة في الجامعة نفسها، ثم انضم فيما بعد متطوعًا بالحرس الثوري، وفى الحرب العراقية الإيرانية التحق نجاد بجبهات القتال، ثم التحق باللواء الخاص التابع لحرس الثورة بصفته مهندسًا عسكريًّا، وأهم مرحلة في حياة أحمدي نجاد كانت فترة ترشحه لمنصب الرئاسة في إيران، حظي فيها بدعم المحافظين الأقوياء، وقيل: إنه لم يصرف على حملته تلك أي أموال، وهو محسوب على التيار المحافظ، الذى يتزعم أيدولوجيته عالم الدين الفيلسوف محمد تقي مصباح اليزدي، وهو مقرب من قائد الثورة علي خامنئي، ويتمتع نجاد بشعبية كبيرة في إيران، فقد كان حاكمًا في إردبيل، ونشأ في أسرة فقيرة، واتسمت خطاباته بإصلاح أوضاع الطبقة الفقيرة، وبمجابهة سياسة الغرب وإسرائيل، كما كانت لا تخلو خطاباته من التعصب ضد بلاد العرب،

ولهذا كانت سياسته محل شد وجذب وخلاف فيما بعد مع المرشد علي خامنئي ومع مجلس الخبراء، الذي استخدمه المرشد ضد نجاد لتعديل بعض توجهاته، خاصة ما يتعلق منها بالاقتصاد والميزانية والبنوك، والنفط فقد أزاح نجاد من طريقه الكثير من الخبراء والتكنوقراط العاملين في تلك المجالات، فكان ذلك سببًا للهجوم على سياسته وإضعافها، وفي الجانب الآخر لسياسة المحافظين تظهر سياسة الإصلاحيين من اليمين الديني، والمتمثلة في رفسنجاني ومحمد خاتمي، والأخير متهم بالثراء هو وقبيلته، واستخدام هذه الثروة لمقاصده السياسية، كما اتهم الإصلاحيون بانتشار الفساد الاقتصادي والاجتماعي في عهدهم، ولكنهم كانوا أخف قبضةً على المجتمع الإيراني، فكانوا يعطون هامشًا من حرية الرأي للكتاب والصحف خلافًا للمحافظين، كما أن سياستهم الخارجية لا يظهر عليها التوتر مع أوروبا وأمريكا والبلاد العربية، وتظهر بتسامح وعدم التشدد لا يرغبون في التدخل المباشر في شؤون البلاد العربية، ولكنهم لا يمانعون بامتداد مذهب التشيع بالوسائل السلمية وعدم استخدام القوة، مما جعل الغرب يستخدم سياسة الإصلاحيين لصالحة محاولًا تعديلها، لما يتناسب معه خاصة فيما تعلق منها بالملف النووي والتسليح، ومن خلال المشهد السياسي الإيراني يلحظ أن مرشد الثورة هو الذي يسيطر على التوازنات بين تيار المحافظين والإصلاحيين، يتحكم فيهما عن طريق مجلس الخبراء ومراقبة الدستور ومجلس الشورى، وقد يصل الحال إلى تحديد أسماء المرشحين إلى انتخابات مجلس الشورى، يعمل ذلك حسب رأيه لمصلحة إيران. ولكن عمومًا إن قبضة المحافظين المتشددين على الحكم هي السائدة في إيران، يساعدهم على ذلك طبيعة النظام والدستور وقوانين الانتخابات، فقانون الانتخاب عندهم لا يمكن أي مرشح من ترشيح نفسه لمجلس الشورى، إلا بموافقة مجلس الخبراء، وقد كتب مهدي كروبي رئيس مجلس الشورى السادس رسالة مطولة إلى آية الله مشكيني رئيس مجلس الخبراء، طالبه فيها بتعديل قانون الانتخابات، لتتمكن

العناصر الإصلاحية الجديدة لتوسيع قاعدة الحكم، والعنصر الثاني الذى مكن المحافظين من تشديد قبضتهم، هو وجود المتشددين على رأس الأجهزة التنفيذية في الحكومة، والقوة العسكرية مع أن المطالب الشعبية كانت مستمرة بوجوب الإصلاح والابتعاد عن الأساليب الاستبدادية في الحكم، فبعد ٢٥ سنة من الثورة تقدم ٣٥٠ شخصًا من علماء دين، وأساتذة جامعات، ورجال مجتمع، بمذكرة إلى المرشد علي خامنئي، طالبوا فيها بالإصلاحات المتعلقة بمشروعية الحكم، وطالبوا بتوسعه قاعدة الحكم الشعبية، وعدم اقتصارها على نماذج معينة سلفًا، كما طالبوا بالعمل وإنجاز الوعود المتعلقة بالقضاء على الفساد وإغاثة المحرومين[1].

أهم التغيرات بعد الثورة:

لقد أنهكت الحرب العراقية الإيرانية اقتصادها، وحاولت إيران إيجاد مصادر للإنفاق العام للدولة، فأنشأت لهذا الغرض (مؤسسة المحرومين والمعاقين)، جمعت لها أموال الأشخاص الهاربين من إيران وعقاراتهم، والصادرة بحقهم عقوبات، صادرت بموجبها أموالهم وممتلكاتهم، فتكون من ذلك ما يقرب من ٣ مليارات دولار. كما أنشأت شركات باسم (خاتم الأنبياء)، لتنفيذ المشروعات الصناعية والبنية التحتية والصناعات النفطية. كما اهتمت الحكومة بالصناعات الحربية، وخاصة صناعة الصواريخ البالستية، حيث قاموا بتطوير بعض صواريخ روسيا وكوريا الشمالية. كان هناك شباب ملتفين حول الخميني في النجف إبَّان تواجده في تلك المرحلة تدرب هؤلاء الشباب في جنوب لبنان، فكانوا ينادون بمحاربة إسرائيل، وكان من أخصهم مصطفى شمران الذي أصبح وزيرًا للدفاع سنة ١٩٨١م، وقتل في الحرب العراقية، وأصبح

(١) طلال عتريسي: (الجمهورية الصعبة إيران في تحولاتها الداخلية وسياستها الإقليمية)، ص٥٣ وما بعدها، دار الساقي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.

تمدد النفوذ الإيراني على الشكل الذي سمى بالهلال الشيعي لا يخفي على أحد مدعين مقاومة إسرائيل وأمريكا. وازداد التضييق على السنة، حيث لا يسمح لهم ببناء المساجد أو القيام بأنشطتهم الدينية، ومسجد السنة الوحيد في مشهد قد تم حرقه سنة ١٩٩٤م. خطوط إنترنت ٢٣ مليون مستخدم، وفي مجال النفط فقد تأثر استخراج النفط وبيعه بسبب الحصار وضعف رؤوس الأموال المتعلقة بتحديث صناعة النفط، إن إيران تملك مخزونًا نفطيًّا كبيرًا، وقد استغلته بعد اكتشافه شركات بريطانية تم تأميمها سنة ١٩٥٣م، ثم أعطي استغلال النفط إلى مجموعة من الشركات الأمريكية والأوروبية في عهد الشاه رضا بهلوي، وقد أصر الشاه على رفع أسعار النفط، مما أغضب أمريكا وأوروبا، وبعد مجيء الثورة الإسلامية انخفض انتاج النفط.

وكانت إيران منذ عهد الشاه قد اهتمت ببعض الصناعات الثقيلة: كصناعة السيارات والتركتورات الزراعية والصناعات الغذائية والسجاد. وتبلغ صادرات إيران الزراعية ١٣٪ من الصادرات، وكان النفط يمثل خمسًا وثمانين بالمئة من الصادرات، وتعد دبي والإمارات بوابة اقتصادية مهمة لإيران، لعبت دورًا مهمًّا زمن الحصار، فكثير من الشركات الإيرانية يكون مركزها الرئيس في دبي، ولها فرع في طهران. مع اهتمام الدولة بالتعليم لكن إيران بقيت في عزلة عن العالم الخارجي، في حين يرغب الشباب الإيراني التواصل مع التطورات العلمية. حيث بلغ استخدامات خطوط الإنترنت ٢٣ مليون مستخدم، ولكن الأوضاع الاقتصادية السيئة حيث بلغ التضخم ٢٠٪ سنويًّا، وازدادت البطالة حيث تقدر بـ ٢٠٪ من السكان المتعلمين، وخاصةً الدراسات العليا أغلبهم لا يرجعون إلى إيران، فقد ورد أن ثلاثة أرباع الحاصلين على الماجستير يخرجون، ولا يعودون إلى إيران[١].

(١) برنار أوركاد: جغرافية إيران السياسية، ص١٤٠، لبنان، طرابلس، ٢٠١٢م، (جروس برس ناشرون).

٢- التغير الخارجي:

بداية تغير السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط:

بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م المتعلقة باتهام القاعدة في أفغانستان وبن لادن بتدبيرها، بدأت أمريكا في التفكير والاعتقاد بأن الخطر القادم ليس من إيران الشيعية، ولكن من السنة المتطرفين، الذين أطلقت عليهم (الإرهابيين المسلمين)، والتقت أمريكا وإسرائيل على هذه الفكرة، التي عززت موقف إسرائيل من الفلسطينيين والعرب عمومًا، ومن هنا كونت أمريكا تحالفًا دوليًّا لقتال طالبان والقاعدة، ومن هنا أيضًا احتاجت أمريكا لإيران لاستخدام نوازعها المذهبية الشيعية ضد السنة، وقد سهل ذلك أن إيران منذ التسعينيات كانت متحالفة مع التحالف الشمالي الأفغاني ضد طالبان بقيادة أحمد شاه مسعود، والمؤيد من قبل روسيا والهند. وقد قدمت إيران لتحالف الشمال السلاح والمال، فعرضت إيران على أمريكا المساعدة ضد طالبان، فاشتركت في حضور مؤتمر بون ٢٠٠١م لإعداد خطة لمحاربة طالبان، وما يمكن لإيران أن تقدمه بخصوص القواعد العسكرية ومحاصرة الهاربين والقبض عليهم، وما إلى ذلك من تقديم المعلومات الاستخباراتية، خاصة وأن قبيلة الهذارة الشيعية الأفغانية والساكنين على الحدود الإيرانية، يستطيعون تقديم دعم ومساعدة بهذا الصدد، وبعد انتهاء حرب أمريكا وإسقاطها لطالبان أدرك الإيرانيون والأمريكان فائدة التقائهما، حيث أفادت إيران من إزاحة التهديد الأفغاني السني، ورغبت إيران من استمرار التفاهم مع أمريكا، خاصة ما يتعلق بالإرهاب وبملفها النووي، وقد عرضت إيران على أمريكا تكوين جيش من الأفغان على حدودها، يقدر بـ ٢٠ ألف جندي، تقوم إيران وأمريكا بتدريبهم بقصد إحكام السيطرة على أفغانستان، ولكن أمريكا لم توافق على ذلك، وشعرت إسرائيل بأن أمريكا تخذلها من جهة اتصالها وضغطها، لتبني حل الدولتين مع الفلسطينيين. وفي (سنة ٢٠٠٢م

قبضت البحرية الإسرائيلية في البحر الأحمر على السفينة (كارين إيه) يقودها بحار فلسطيني، محملة بأسلحة من صواريخ كاتيوشا وقذائف مورتر... مصدرها جزيرة كيش الإيرانية، فأبلغ شارون أمريكا واستمرار علاقة إيران بالفلسطينيين. فأنكر خاتمي صلة إيران بها، ولكن أمريكا بقيت في شك من اتهام إسرائيل لإيران بالإرهاب).

وتعزز ذلك بإيواء إيران كثيرًا من رجال القاعدة عندها والهاربين من أفغانستان. وفي سنة ٢٠٠٢م وصف بوش إيران والعراق وكوريا الشمالية والسودان بأنهما محور الشر، وشعر خاتمي بفشل سياسته المتعلقة بإرضاء أمريكا، فهددت إسرائيل إيران بضرب مفاعلاتها النووية، فردت إيران بتهديد إسرائيل بضربها بصواريخها البالستية.

ومنذ سنة ٢٠٠٠م فإن المحافظين الجدد في أمريكا كانوا يعدون سرًّا للقضاء على قوة العراق، واستعدادهم لتسلم الحكم في أمريكا. وعلى رأسهم بوش ورامسفيلد وديك تشيني، مقدمين رؤيتهم لشرق أوسط جديد، عبرت عنه رايس بالفوضى الخلاقة، وأن هذه الفوضى ستكون ولادةً عسيرة ومؤلمة لشرق أوسط جديد، وقد أيدت إسرائيل هذه الخطة للتخلص من تهديد العراق، واتضحت الخطة أنها تريد إعادة رسم خارطة الشرق الأوسط بشكل يفيد إسرائيل، ولما أدركت إيران بنوايا أمريكا في غزو العراق، بدأت تحضر ما يجب أن يكون في صالحها، فمدت يد التعاون في اجتماعات عقدت بين جواد ظريف وزير خارجيتها وزلماي خليل زاد الأمريكي من أصل أفغاني، وبدأت جميع الأطراف التي يعنيها هذا الغزو التحضير لما هو قادم، قدمت إسرائيل مساعداتها الاستخبارية في شمال العراق، لكونها على صلة بحكم البرزاني، كما قدمت إيران مساعداتها في حث العراقيين الهاربين عندها أو عند غيرها في سوريا وأمريكا، لأن هذه الجماعات جاهزة للثأر من نظام صدام.

احتلال أمريكا للعراق:

سقوط النظام العراقي بعد ثلاثة أسابيع من بداية الحملة العسكرية للجيش الأمريكي كان مفاجئًا للإيرانيين، فخافت إيران أن تكون على الطريق نفسه من الاحتلال الأمريكي، ولذا قدموا تنازلات كبيرة تفاجأت بها أمريكا، كموافقتها على تفتيش أسلحتها النووية، وتوقيعها على معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، وموافقتها على عملية السلام مع الفلسطينيين، التي وافقت عليها الدول العربية، كما عرضت المساعدة على تذليل العقبات لحكم العراق وعدم إنشاء دولة دينية، كما قدمت لأمريكا المشاركة والمساعدة في أهم أهداف أمريكا، وهي محاربة الإرهاب وعدم تصنيع أسلحة ذرية، كما قدمت لأمريكا أن تسلمها رجال القاعدة، الذين لجؤوا إليها من أفغانستان، في مقابل طرد وتسليم رجال منظمة خلق، الذين كانوا في العراق، وقامت بتحييد المعارضة الفلسطينية وحزب الله اللبناني، بألا يقوموا بأي أعمال ضد إسرائيل، كل ذلك وغيره ربما من أسرار في مقابل رفع الحظر على أنشطتها العسكرية والتجارية، وتسليمها لأموالها المجمدة. وعدم التدخل عمومًا في سياسة إيران، واحترام مصالحها القومية في المنطقة. وفي البداية رفض المحافظون الجدد خاصة ديك تشيني ورامسفيلد العرض الإيراني، محتجين بأن إيران تبقى محورًا للشر، وتوجهاتها تلك لم تكن صادقة، بل ستكون وسيلة للخداع. فاتجهت إيران إلى إسرائيل لاستخدامها في إقناع الأمريكيين بعرضها، وقد جرت مباحثات أولية بين الإيرانيين والأمريكان حول ما عرضته إيران، وقد قامت السفارة السويسرية بطهران بالمساعدة في نقل وجهة النظر الإيرانية والمباحثات التي جرت في جنيف في الوقت نفسه، الذي كان فيه بعض المحافظين الجدد يرون أن الفرصة باتت مواتية لإسقاط حكم الملالي في طهران، وشعرت إيران بأن عرضها غير مقبول، وأنه يجب عليها تغيير سياسة الضعف والاستسلام أمام أمريكا إلى

التظاهر بالقوة، لكي تحصل على ما تريد، حينما تحين الفرصة خاصة وأن إيران باتت تلعب في الساحة العراقية عن طريق القوى الشيعية المرتبطة بها دورًا مهمًّا. ولكن أمريكا اكتشفت أن إيران بإمكانها أن تؤدي خدمات وأعمال خاصة في العراق والشام عوضًا عن أمريكا خاصة في القضاء على القوى السنية في غرب العراق وشماله، وقد تحقق ذلك فعلًا عن طريق سياسة تهجير السنة من مناطقهم، وإحلال الشيعة محلهم، مما جعل إيران تتبنى توسيع دائرة الاتهام في محاربة الإرهاب، كما تشتهي أمريكا وإسرائيل، واتخاذها وسيلة لتحقيق أهداف الطرفين.

أمريكا وإسرائيل ونشاط إيران النووي:

منذ عهد الشاه والإيرانيون يتطلعون لمعرفة أسرار القنبلة النووية، وفي سنة ١٩٧٥م سهلت أمريكا للإيرانيين معرفة تلك الأنشطة، ولكنها لم تتقدم لعمل مفاعلات نووية لتخصيب اليورانيوم، ولكن بعد الثورة الإيرانية ومنذ التسعينيات بدأت إيران في خطوات عملية، غرضها امتلاك المعرفة للدخول في الصناعة النووية، وبدت إسرائيل قلقة من تلك التوجهات الخطرة، خاصة وأن إسرائيل فكرت أنه في الوقت الذي تستطيع فيه إيران الدخول في النادي النووي فإن ذلك سيجعلها في وضع مهيب أمام أمريكا، خاصة وبدأ الإسرائيليون يفكرون في دوافع إيران، فاتجه أكثرهم بأن دوافعها لم تكن فكرية إسلامية، وإنما أكثرها دوافع قومية فارسية، تتطلع فيها إلى السيطرة على المنطقة، وابتزاز أمريكا وإسرائيل على السواء، وأكثر ساسة إسرائيل يعتقدون أن حكومة إيران على الرغم من أنها ذات توجهات مذهبية، إلا أنهم في احتمال استعمالهم لقنابل ذرية ضد إسرائيل هم أكثر حكمة وتعقلًا في سياستهم، استنادًا إلى قراءتهم لسياسة الثورة الإيرانية الهادئة والصبورة، والتي تتمتع بالتعقل والحكمة، خلافًا كما يقولون لسياسة صدام حسين غير الحكيمة في حربه مع إيران وفي دخوله

الكويت، وعمومًا فقد وضعت أنشطة إيران النووية تحت المراقبة، ومرت أوقات فكر فيها البعض في إسرائيل بضرب المنشآت النووية، التي يجري بناؤها، كما فعلت بتدمير المفاعل النووي العراقي في الثمانينيات، حيث فكر زعماء إسرائيل بأن تقوم إيران بتزويد وكلائها بقنابل نووية، فاعتبروا أن ذلك أمر مستبعد، واستنتج المنظرون الإسرائيليون وكثير من الأمريكان أن دوافع إيران النووية ستستمر حتى لو تغير النظام المذهبي الديني، فلو جاء نظام علماني فمن المرجح عندهم أن تستمر إيران في السير لاستكمال نشاطها النووي، فالأمر ليس متعلقًا بالأيديولوجيا، وإنما بأمور أكثرها ذات دوافع سياسية، واستنتج هؤلاء أن بقاء حكم الملالي ربما يكون أسهل في التعامل مع غيرهم من المجهولين[1]. ومن المعلوم أن محمود أحمدي نجاد كان قد صرح في ١١ نيسان سنة ٢٠٠٦م بأن إيران قد دخلت النادي النووي، وأنها نجحت في تخصيب اليورانيوم، وأنها أصبحت ثامن دولة تمتلك تقنية تخصيب اليورانيوم منخفض المستوى، وأكدت إيران أن هذه الأنشطة تخدم الأغراض السلمية. وقد طلبت أمريكا والدول الغربية من إيران إيقاف أو تعليق تخصيب اليورانيوم فرفضت ذلك، وأصبح هذا الموضوع مثار نزاع وتخوف من امتلاك إيران للقنبلة الذرية، إلى أن انتهى الحال بتوقيع إيران وأمريكا على الاتفاق النووي سنة٢٠١٦. وترك موضوع التسليح الإيراني عمومًا قلقًا في المنطقة، فإن تُركت إيران تستكمل قدراتها النووية والتسليحية، فإن مستقبل المنطقة في خطر، خاصةً وأن إيران عازمة على تمديد نفوذها وتدخلاتها في المنطقة، وإن أقدمت أمريكا أو إسرائيل على ضرب منشآت إيران التسليحية والنووية، فإن ذلك سيثير العديد من المشكلات في دول الجوار، لاحتمال رد إيران وانتقامها من جيرانها الأقربين (دول الخليج العربي) بدعوى ضرب المصالح الأمريكية، وعمومًا فإن الدول العربية ودول الخليج العربي خاصة تشعر

(١) تأليف تريتا بارزي: ترجمة: أمين الأيوبي. (حلف المصالح المشتركة التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة)، بيروت، ٢٠٠٨م.

بأن اتفاق أمريكا وإيران الأخير قد وضع المنطقة في إشكالات مستقبلية، والشعور بأن أمريكا قد خذلت حلفاءها في دول الخليج خاصة، مما ولد لديها سياسة الاعتماد على الذات، وتكوين تحالفات عربية وإسلامية للوقوف أمام الأطماع الإيرانية[١]. وتشير بعض المصادر الأرجنتينية إلى أن إيران كانت تنوي شراء قنبلة نووية جاهزة من كازاخستان بعد تفكيك الاتحاد السوفيتي.

مشروع إيران النووي:

امتلكت إيران مفاعلًا نوويًّا صغيرًا لأغراض البحث والأغراض الصحية، وكان ذلك في عهد الشاه، ولكنها بعد الثورة سعت بطريقة جادة إلى تخصيب اليورانيوم، وبدأت في إنشاء البنية التحتية لعدة مواقع كانت سرية في أول الوقت، لكنها كشفت فيما بعد، وذكر كاتب كتاب (العد العكسي للأزمة) المواجهة النووية المقبلة مع إيران (إن على بعد ٥٠ كيلومترًا جنوبي غربي ناتا نز أنشأ حرس الثورة في إيران منشأة عميقة في الرض، ويبلغ عرض باب هذه المنشأة ثمانية عشر مترًا بارتفاع سته أمتار، ويوجد داخل هذه المنشأة نفق طوله ستون مترًا، يؤدي إلى دائرة داخل الأرض ذات قطر واسع، يسمح بمرور شاحنة جرار ذات مقطورة بدوران، دون أي عائق، وتوجد هناك ستة أنفاق تؤدي إلى حجرات منفصلة تحت الأرض، وتحتوي على اثنين من مستودعات التخزين المصلدة على صواريخ شهاب -٣ زود كل منها بجرار مارسيدس، وبمقطورة إطلاق، مصممة خصيصًا لذلك)، وبحسب ما ذكر صاحب الكتاب نقل عن حرس الثورة: «أن هذه الصواريخ يمكن إخراجها وملأها بالوقود وإطلاقها في غضون ٢٥ دقيقة، ثم التسلل مره أخرى إلى جوف الأرض قبل وقوع أي هجوم انتقامي، وهى قادرة على إصابة أهدافها بدقة في إسرائيل، ويوجد في مستودعين آخرين للتخزين ثمة مجموعة تعاقبية

(١) عصام نايل المجالي: تأثير التسلح الإيراني على الأمن الخليجي، ص٨٦ وص١٤٩، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ٢٠١٢م. برنار أوركاد: جغرافية إيران السياسية، ص١٧٨-١٨٠، (جروس برس ناشرون)، لبنان، طرابلس، ٢٠١٢م.

سرية من الفرازات الطردية لتخصيب اليورانيوم أما الحجرتان المتبقيتان تحت الأرض تتسعان لخمسة عشر رأسًا نوويًّا جاهزًا للتحميل في الصواريخ، كما توجد مستودعات تخزين جوفية مصلدة بالقرب من أصفهان، اشتبهت وكالة الاستخبارات الأمريكية أن إيران تستخدمها لإنتاج فلوريد اليورانيوم سرًّا، لتحويله إلى وقود للأسلحة النووية، كما يوجد في العاصمة طهران مصنع يشتبه فيه بالقيام بعمليات تخصيب، وهو الذى هدمته إيران في عام ٢٠٠٣م لمنع الوكالة الدولية من معرفة الغرض الذى يستخدم فيه، كما يوجد مختبر في بار شين يشتبه في صناعة الأسلحة، وهو ينتج متفجرات اتش ام اكس، وهى تحديدًا من متفجرات شديدة القوة من النوع الفائق، الذى تحتاجه العدسات غير النووية لإطلاق الانفجار الداخلي النووي»، هذا ما قرأناه من كتابة الكاتب، وقد أورد الكاتب تفاصيل عن مواقع تخصيب اليورانيوم وكميات التخصيب، كما أورد أن العالم النووي الباكستاني عبدالقدير خان قد ساعد إيران في أنشطتها النووية وأورد وثيقة من الجمارك الفرنسية، تشير إلى شحن معدات وآلات لها علاقة بهذا النشاط، وقد أورد صاحب الكتاب وثيقة تفيد بأن وزارة التجارة الأمريكية سمحت لشركات أمريكية بتصدير أجهزة مقايس الطيف والمعدات العلمية، التي يتم استخدامها في تخصيب اليورانيوم إلى معهد البحوث التربوية في لفيزان، وهو الموقع الذى تشتبه فيه الوكالة الدولية للطاقة الذرية، بأنه ضم مصنع سري لتخصيب اليورانيوم في التسعينيات، كما أورد وثيقة أخرى تفيد بأن وزارة التجارة الأمريكية قد غضت النظر عما أوردته شركة أمريكية عن قيامها بتصدير معدات كشف الأشعة إلى مصنع فولاذ ، الذى يقع على بعد مئات الأميال من أصفهان. وقيل: إن إيران قامت بشكل آحادي بتدمير أجهزة ومعدات مشابهة لتلك في مصنع لفيزان عام ٢٠٠٤م، كما ذكر الكاتب أيضًا عن بعض الجهات التي تتعامل مع النظام الإيراني بمدة بالتكنولوجيات تصميم الصواريخ والمعدات العامة ذات الصلة، ذكر منها:

١- المعهد المركزي لعلوم الديناميـة الهوائيـة والهيدروليـة المعـروف (تسـاغي).

٢- جامعة يومان التقنية.

٣- جامعة دول البلطيق التكنولوجية.

٤- معهد موسكو للطيران، وكل هذه الجهات ساعدت طهران في برنامجها النووي، حسب الوثيقة المذكورة، ملحق رقم ١ موردو تكنولوجيا الصواريخ الروس لإيران، كما أن هناك منشآت نووية لم تفصح عنها إيران إلا متأخرًا، مثل منجم اليورانيوم الواقع في ساغند يزد لا يخضع للإجراءات الوقائية، بدأ العمل في هذا المنجم مطلع التسعينيات، وتسعي إيران إلى أن يبدأ الإنتاج في عام ٢٠٠٦م بكمية تعادل ٥٠ طنًّا في السنة، وذكر الكاتب أن مفتشي الوكالة الذرية للطاقة زاروا الموقع في عام ٢٠٠٤م، كما يوجد مصنع تهذيب الخام يقع هذا المصنع في أردكان زاد كما لا يخضع للإجراءات الوقائية، ويبلغ الإنتاج السنوي لهذا المصنع ٥٠ طنًّا من أكسيد اليورانيوم المركز المستخرج من محيط منجم ساغاند، كما يوجد منجم ومصنع تهذيب اليورانيوم الذي يقع في جثين بندر عباس ادعت إيران أن هذا المنجم والمصنع ينتج فقط بضعة كيلومترات من أسيد اليورانيوم المركز، وقد تم محو أي أثر لهما قبل أن يصل مفتشو الوكالة الذرية للطاقة[1]. واليوم ربما تسعى أمريكا في عهد الرئيس ترامب إلى إلغاء المعاهدة النووية مع إيران، وستجد إيران بذلك فرصتها لاستكمال مشروعها النووي السري، والتخلص من المراقبة الدولية على منشأتها النووية، وإذا

(١) كينث آر. تيمرمان: العد العكسي للأزمة، (المواجهة النووية المقبلة مع إيران)، ص٥ وما بعدها، دار العلم للملايين، لبنان، عام ٢٠٠٦م.

استمرت سياسة أمريكا في كل من العراق والشام سيشجع إيران مستقبلًا على مزيد من التمدد، وسيكون الأردن والحدود العراقية السعودية هما الخاسرتين الأضعف أمام إيران وحلفائها، وقد تدفع إيران بقايا المتطرفين الإسلاميين بعد خسارتهم في الموصل والرقة إلى استخدامهم لزعزعة هاتين الخاسرتين، وليس على السعودية ودول الخليج إلا الاعتماد على أنفسهم ومحاولة إحياء تحالف عربي وإسلامي ضد تلك القوة[1].

إخفاق سياسة الاحتواء:

اعتمدت إيران على نفسها كثيرًا، ذلك من خلال العزلة التي حاولت السياسة الأمريكية فرضها عليها، وسياسة فرض الحظر عليها، فقد دفعها كل ذلك إلى الاعتماد على النفس في تصنيع احتياجاتها الداخلية، وإيجاد حلفاء غير أمريكا، فبدأت إيران تبني قوتها الذاتية، فقد ساعدت سياسة أمريكا نفسها بظهور إيران كقوة إقليمية، وذلك للأسباب التالية:

١- دمرت أمريكا قوة النظام الأفغاني السني، الذي كان يهدد إيران من جهة الشمال، كما سبق أن أوضحنا ذلك.

٢- دمرت أمريكا قوة نظام صدام في العراق، الذي كان المنتصر في حربه ضد إيران، فباحتلال أمريكا للعراق أزيح عن إيران أكبر قوة في شرق إيران، كما شرحنا ذلك سابقًا.

٣- أظهرت إيران نفسها في الشام وذلك سنة ٢٠٠٦م، عندما قام حزب الله اللبناني المؤسس والممول من إيران بأسر جنديين إسرائيليين

(١) طلال عتريسي (إيران الدولة الصعبة، إيران في تحولاتها الداخلية وسياستها الإقليمية)، ص٦٦-٦٧، دار الساقي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م. شاهرام تشوبين: (طموحات إيران النووية)، ترجمة بسام سيحا، ص١٩٣، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

على الحدود، فقامت إسرائيل بالرد وتدمير منصات الصواريخ ودك الضاحية الجنوبية في بيروت بالقنابل، وهي مركز الحزب في لبنان، ولكن مقاتلي حزب الله المدعومين والمدربين في إيران قاموا بالرد بقوة وخبرة على الدبابات الإسرائيلية في الجنوب، وقتل كثير من جنود إسرائيل، وفك طلاسم المخابرات العسكرية الإسرائيلية، وضرب بارجة إسرائيلية قرب سواحل بيروت، وقد استمرت هذه الحرب أكثر من شهر بقليل، خرجت منها إسرائيل منكسرة بعض الشيء، حيث فوجئت بصمود القوة اللبنانية، مما شجع إيران أن تتقدم كقوة إقليمية تفرض إرادتها في العراق والشام ولبنان، كما مدت الحوثيين بالأسلحة في حرب اليمن، جميع هذه النجاحات جعلت أمريكا تفكر: إما بالوقوف بالقوة ضد انتشار القوى الإيرانية، وفي ذلك دفاع عن الدول العربية، وخاصة دول الخليج العربي، وهذا أمر استبعد فقد قيل: إن إيران تستطيع الرد بما لديها من قوة بشكل يفاقم الأوضاع في الخليج، ولا يمكن السيطرة بشكل جيد على ما يمكن أن تحدثه إيران من تدمير. وإما التفاهم مع إيران وعقد صفقة تحفظ معها المصالح الأمريكية بالدرجة الأولى ومصالح إسرائيل غير مكترثة بالآخرين، وقد بررت هذه السياسة بأنها الأقل كلفة، ومن المناسب إشعار الإيرانيين بالمشاركة في رسم علاقاتهم الخارجية، وتحقيق بعض أهدافهم وأحلامهم ما زالت في وضع يسهل توجيهها والسيطرة عليه إلى حد متوازن. ولكن السؤال الذي يطرح هنا: هل ستكتفي إيران بالمشاركة السياسية السلمية في المنطقة، أم ستعمد إلى سياسة التوسع الأيديولوجي، واستخدام الفكر المذهبي الشيعي لإخضاع مخالفيها، وتهديدهم عن طريق إشعال الفتن المذهبية، والتدخل في شؤون الغير، وإشعال النزاعات والخلافات في الدول المجاورة، خاصة ويبدو

أن إسرائيل لا تمانع في سياسة دمج إيران وإعطائها دورًا سياسيًّا للمنطقة، طالما أنها لا تهدد بذلك إسرائيل لا بشكل مباشر ولا بغير مباشر عن طريق حزب الله أو الفلسطينيين، وقد طرح بعض ساسة إسرائيل أن الحلول السلمية مع إيران والتفاهم معها قد يكون المفتاح الأول لحل القضية الفلسطينية[١].

(١) تريتا بارزي: حلف المصالح المشتركة التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة، ترجمة: أمين الأيوبي، ص١٤٠ وما بعدها، بيروت، ٢٠٠٨م.

الخلاصة

بعد غوصنا في أعماق الأحداث والوقائع خلال القرون الماضية التي عاشتها أمتنا نستدعي التاريخ باعتباره الحكم الشاهد على الخصوم والأحداث في تلك الحقب التي مضت، حتى نستلهم الحاضر، ونستشرف الغد للأجيال القادمة من خلال التجربة التاريخية، والعلاقة بين إيران والعرب والسنة والشيعة، التي مرت من قبل بحقبتي توتر، وهما الحقبة الواقعة بين القرنين الرابع والسابع للهجرة، والحقبة الواقعة بين القرنين التاسع والحادي عشر للهجرة، وكذلك خلال النصف الأول من القرن الخامس عشر الهجري، وهي حقبة توتر ثالثة وحاضرة حتى يومنا هذا.

في الفترة الأولى وهي فترة إيجاد للفرقة الشيعية وتبلورها، التي تسيد فيها الفاطميون بالمغرب ثم مصر والشام، وسيطر البويهيون على العالم الإسلامي الشرقي، حتى دخولهم بغداد مقر الخلافة العباسية، في هذه الفترة بدأ ظهور التشيع الإثنا عشري من الناحية الفكرية، وظهوره كفرقة وبدأ التنازع بينه وبين الفرقتين الإسماعيلية والزيدية اللتين كانا متواجدتين على الساحة في تلك الحقبة.

أما فرقة السنة، وهي الفرقة الأصل، التي منها انشق التشيع، فقد كانوا في مرحلة تجاذب عقدي فيما بين فرقها: الأشعرية والحنابلة والسلفية وأهل الحديث من جهة ثانية.

وفي تلك الحقبة كان الصراع بين الأمة الإسلامية له بعدان: بعد داخلي، داخل كل بلد، وداخل كل جماعة. وبعد تداخل بين السنة والشيعة.

أما فرقة الشيعة يتمثل صراعها الداخلي فيها ظهور تيار جديد، يؤمن بظهور الإمام المهدي بعد غيبته الكبرى، وكيفية التمهيد لظهوره، ومن يدير شؤون الجماعة إلى حين ظهوره، وفي خضم هذا المعترك، ولا سيما أن المذهبين الإسماعيلي والزيدي متواجدان على أرض الواقع، ولكل واحد دولته وأئمته وعلماؤه وفقهاؤه، كان هذا الواقع يمثل التحدي بالنسبة للفرقة الإثنا عشرية.

أما الخلاف بين السنة والشيعة بدأ في العهد البويهي، كما فصلنا ذلك في مواضع كثيرة، وقد كان في البداية فكرة وأقوال في أفواه العلماء، كما ظهرت في أمصار ومناطق مختلفة، ظهر فيها التشيع الإثنا عشري، مثل بغداد وحلب ونيسابور وبيهق، وتطورت فيما بعد إلى خصومة فكرية بين السنة والشيعة الإثنا عشرية في مطلع القرن الخامس الهجري، حيث صعود الإحياء السني.

ان فكرة غيبة الإمام وربطها بالمهدي القائم في آخر الزمان، وما صاحبها من جدل منبعها الإسماعيلية والزيدية، وما كان للفرقة السنية دور فيها، بل ما تنبهوا لها إلا بعد القرن السابع الهجري.

في تلك الفترة الأولى للصراع إنها أول مرة يعرف أن هناك صراعًا سنيًّا شيعيًّا أو بين الخلافة والإمامة، وأيضًا هي أول مرة تعلن فيها الدولة العباسية عن نفسها، بوصفها دولة أهل السنة والجماعة، وفى هذه المرحلة شهدت تراجع المذهبين الإسماعيلي والزيدي في القرنين الخامس والسابع، وأيضًا زوال الدولة الإسماعيلية بالمغرب ثم مصر واليمن، وظهور تيار في الفرقة الزيدية، وهم الشيعة الحسينية، كما زالت دولتهم بالديلم وطبرستان. وظهور عقيدة الغيبة وممارسة التقية، ضخت دماء جديدة في الجسد الشيعي كله، بعد أن أصبح عاديًّا، لا يختلف عن الفرقة السنية في شيء، ولا تتوفر فيه أي سمة تدل على علامة من علامات المهدي المنتظر على الرغم مما قيل عن تحدر نسبهم من سلالة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عند ظهور القرامطة، ثم ظهور الحشاشين تردت الأمور أكثر، هم الذين أحدثوا خرابًا في الجزء الشرقي من ديار الإسلام، أما الحقبة التاريخية الثانية في الصراع بدأت بعد سقوط الخلافة العباسية في القرن الثامن الهجري على يد المغول وقيام الدولة الإيلخانية المغولية شرق الفرات، وعبر الهضبة الإيرانية حتى آسيا الصغرى، وأيضًا قيام الدولة المملوكية غرب الفرات في الشام ومصر، وعملت كل من الدولة المغولية والمملوكية على ملء الفراغ، الذي أحدثته الغزوات والحروب الصليبية والمغولية والأوضاع، التي أدت إلى سقوط الخلافة العباسية ببغداد.

وبعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م قام المماليك بخطوة استباقية بتنصيب أحد أفرد الأسرة العباسية أميرًا للمؤمنين، قطعوا بذلك الطريق أمام الإيلخانيين الذين كانوا يطمحون في السيادة على الإسلام السني، مما اضطرهم إلى اعتناق التشيع الإثنا عشري في بداية الأمر، وذلك بعد ما فشلوا في إسقاط الدولة المملوكية بالقوة، إذ رأوا إمكانية الإسهام في إقامة دولة التمهيد، (انتظارًا لعودة الإمام وظهوره)، لكنهم ما لبثوا أن عادوا إلى التسنن، اهتداءً بأصولهم في آسيا الوسطى وأفغانستان وشبة القارة الهندية، الذين أقبلوا على الإسلام السني، وأشعلوا بذلك الساحة التي هي متهيئة أصلًا لصراع على المستويين السياسي والجيوستراتيجي من جهة والمستوى الديني والاعتقادي من جهة ثانية.

واما الصراع بين العثمانيين وبين الصفويين قد تجاوز قرنًا ونصف القرن، كانت الغلبة فيه دائمًا لصالح العثمانيين، وأيضًا لصالح فرقة السنة وظهور العثمانيين قبل الصفويين، كان له دور مهم في حسم الصراع لصالح السنة، وأيضًا غلب القاجريون من بعدهم، وما خبا أوار هذا الصراع إلا في مطلع القرن الثاني عشر الهجري السابع عشر الميلادي، نتج عن هذا الصراع خراب

ودمار وتحولات سكانية كبيرة في المنطقة، مما حدا بنادر شاه الأفغاني الذي حكم إيران مدة قصيرة أن يعقد حلًّا بتوحيد الفرقتين السنة والشيعة.

أما في العهود الحديثة ظهر نهوض سلفي بالبلدان السنية، وصاحبها جدل فكري متبادل، وردود من هنا وهناك بين الجانبين، بين السلفية والشيعة، وبين السلفية والمذاهب السنية الأخرى، مما أدى إلى إنشاء مؤسسة التقريب بين المذاهب في الأزهر، كما ذكرنا سابقًا باعتبار أن التباين هو تباين فروع لا أصول، لكن هذا التقارب ما عاد ممكنًا اليوم، وذلك لعوامل عدة، ظهرت في القرن العشرين، ومتمثلة في ثلاثة أمور، نذكر منها:

١- ظهور الأنظمة القومية العربية.

٢- ظهور الإحياء الديني لدى الطرفين.

٣- الحرب الباردة والسياسات الدولية خلالها وبعدها.

ظهر الإحياء القومي والديني في أزمان متقاربة، لكن الديني طغى على القومي، كانت هذه الظاهر الإحيائية الإسلامية جديدة بين السنة والشيعة، لم تعرف عنها الفرق شيئًا، ولم يحسب لها أن تكون سبب فرقة بين الفريقين، الذين كانوا على بعض العلائق، مثال على ذلك أن المتشددين في الفرقة الشيعية الحديثة، كانت لهم علاقات جيدة تربطهم بالسنة حالة نواب صفوي زعيم فدائي إسلام، خير مثال على تلك العلاقة التي تربطه مع الإخوان المصريين، وكذلك الأفكار التي استمدها حزب الدعوة، الذى أنشئ في العراق في خمسينيات القرن المنصرم، هي من بنات أفكار تنظيمات الإخوان المصريين، كذلك الجماعة الإسلامية التي أنشأت بالهند عام ١٩٤١م، حرص زعيمها أبو الأعلى المودودي على أن تكون كوادرها من السنة والشيعة معًا، لكن بعد انتقاله إلى دولة باكستان واستقراره بها يبدو أن تغيرت نظرته تجاه تلك الفكرة.

كانت هذه الإحيائيات الإسلامية تتجه كلها مقابل الأنظمة المحلية وضدها، وخاصة الدولة القومية، ثم كل على ما هو وافد من الغربيين، لذلك لم يوجد ما هو مقلق بالنسبة للطرفين، فيما بينهم ظهر الإحياء القومي عند الإيرانيين والأتراك قبل الإحياء القومي العربي، وظهر من خلال القوميين العرب والمسيحيين من لبنان وسوريا وفلسطين والعراق، وبرز من خلالهم القوميون المتطرفون في تركيا وإيران، وساندتهم الدولة التي أقامها مصطفى كمال بتركيا، مما جعلهم يطلقون شعارات الدولة القومية العلمانية التي تؤمن بالمساواة والعدالة والتقدم، شأن ما حدث في أوروبا، مما جعل الاحيائيين الإسلاميين الشيعة يتخوفون من طرح التقدميين، أمثال (حسن تقي زاده وكسروي).

كذلك أقلق ظهور هؤلاء التقدميين أن أجازت العبارة أمثال (فرح أنطون وإسماعيل مظهر) الإحيائيين السنة، ويرجع ذلك لقوة طرح التقدميين في بنية الدولة الوطنية، وتنظيماتها القومية الجديدة على الساحة والفكر السائد وقتها، وكذلك السياسة الدولية بالمنطقة، مثل ظهور خلافات جديدة على الحدود، غيرت الأحوال السائدة من أزمان تاريخية ليست بالقريب منذ القرن السابع عشر، أنشأت دولة عثمانية في العراق لم ترض الأتراك والإيرانيين على حدٍّ سواء.

ومشكلات الأتراك ومطالبتهم بتكوين دولتهم لعددهم الكبير بتركيا وإيران والعراق وسوريا، وأيضًا مشكلة البلوش والهذارة والطاجيك والاوزبك بأفغانستان. والأمر الآخر تململ بعض الأقليات من مسيحيين والشيعة ومنهم الكرد والبربر بعد ظهور الدولة الوطنية بالظلم والغبن، شأنهم في ذلك شأن السنة في الدول، التي وجدوا أنفسهم فيها أقليات، وقد شكلت هذه العوامل مجتمعة مزيجًا من الإحيائيات القومية واليسارية والدينية، تقوم على استعادة الهوية الخاصة بها، وتطلب تفاعلها وتطويرها سياسيًّا.

واجهت الدولة الوطنية الأولى قضايا إثنية طغت على القلاقل الأيدلوجية اليسارية في زمن الحرب الباردة والقضايا الدينية في فترة الإحياء الإسلامي

لكن الإحياء الإسلامي تعددت أسبابه ودوافعه منذ عقود عند السنة والشيعة، يحاول كل منهم إزاحة الدول الوطنية التي قامت بالمشرق، نجح الإحياء الشيعي في إسقاط الدولة في إيران عام ١٩٧٩م لصالح المؤسسة الدينية التقليدية. وقد خلف أثرًا كبيرًا على الساحة المذهبية في العالمين العربي والإسلامي.

وفى خضم هذا الزخم الإحيائي بكل الأبعاد التي ذكرناها، كانت الولايات المتحدة هي الشيطان الأكبر، وكل الدول الأجنبية في نظر الدولة الدينية التي رسمت نفسها في لوحة التضاريس الإيرانية، التي تزخر بهذا الكم الهائل من ألوان الطيف، وكذلك قيام صدام حسين بشنه حربًا على إيران، قد وحد الأمة الشيعية في كل العالم تحت عباءة الثورة الإسلامية، وكسبت الثورة زخمها من هؤلاء ولم تكتف بذلك، بل فرضت نفسها بصفتها القيادة الأوحد للشيعة في العالم من خلال ولاية الفقيه، مما جعلها تكون تنظيمات داخل كل الجماعات الشيعية في العالم، تتبع للولي الفقيه في المسائل الدينية والحياة الشخصية العامة.

ثم جاء الاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان وإعانة الولايات المتحدة للأكثرية الشيعية بالتعاون مع إيران على الأقلية، بدلًا من إقامة الدولة المدنية، التي يحكمها الدستور، وهكذا تطورت الأمور بين عامي ٢٠٠٥-٢٠٠٧م إلى ما يشبه الحرب الطائفية بين السنة والشيعة، وكذلك كانت الإحيائية الإسلامية السلفية والشيعية جزءًا من أسباب التوتر بين السنة والشيعة، الذي كان قائمًا أصلًا، الذي نفضت عنه هذه الإحيائيات السلفية والشيعية الغبار، وإن كان بشكل غير مباشر بعد أن تهيأت أرضيته وأسبابه.

فالإسلام السياسي السني الذي ظهرت فيه الإحيائية السنية السلفية مستطاع الوصول إلى السلطة في دولة سنية، ولم يتوقف على ذلك المطلب، اللهم إلا وصول الأصوليين في السودان للسلطة عن طريق انقلاب عسكري سنة ١٩٨٩م.

لم يصطدم الإحياء السني بالآخر الشيعي بشكل ظاهر قبل الحرب العراقية، على الرغم مما كان يشوبهم من خلافات، إذ كليهما كان مشغولاً بمشكلاته مع خصومه الرئيسيين، ويجد كل منهما الحاجة للآخر.

كما تجدر الإشارة إلى أن الإحياء الشيعي قد استوعبته المؤسسة الدينية من خلال ولاية الفقيه، بينما اصطدم الإحياء السني بالمؤسسة الدينية السنية التقليدية، كما اصطدم بالدولة والمجتمع الدولي والعالم، تمثل في صدام الجهاديين السنة بالاتحاد السوفيتي، ثم روسيا وفى آسيا الوسطى والقوقاز والشيشان، ثم شنوا حربًا على الولايات المتحدة بلغت ذروتها في أحداث ١١ سبتمبر، ونتج عنها احتلال أفغانستان ٢٠٠١م، واحتلال العراق ٢٠٠٣م.

استفادت إيران من هذه الحرب التي تعاونت فيها مع الولايات المتحدة، وفى الواقع يوجد خلاف ما بين السنة والشيعة في الاعتقاد والفقه ورؤية العالم، ولقد كان لهذا التمايز الذي أصبح اجتماعيًّا وسياسيًّا احتكاكات ذات طابع مذهبي أحيانًا، لكنها في التاريخ القديم والحديث ما تحولت إلى حروب إلا على مستوى الدولة بين إيران الشيعية وإحدى الدول السنية، سواء كان العثمانيون أو صدام حسين. لأسباب قد تكون مذهبية في الأصل أو كما تفرض السياسة الدولية التدخل الخارجي كمثال أفغانستان والعراق، لكن التوتر القائم بين الطرفين اليوم ما هو إلا نتاج للعوامل الآتية:

١- الإحياء القومي.

٢- الإحياء الديني.

٣- السياسة الدولية الفاعلة، وذات التأثير القوي على الأحداث، كما نرى في مهادنة إيران للولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠٠م في حربها للإحياء السني المتمثل في القاعدة أو السلفية الجهادية، وهكذا استفادت إيران من توسيع دائرة الاتهام بالإرهاب.

قد أجج الاضطراب الذي أحدثته السطوة الأمريكية والغلبة الشيعية في زيادة التوتر بين السنة والشيعة، وحدوث أحداث مذهلة بين الطرفين في العراق، وذلك بتهجير أكثر من مليون سني من العراق، وأضعاف هذا العدد في داخل العراق، يعني بالمختصر هو عملية تشكيل التركيبة الاجتماعية في المنطقة، كما حدث في الأحواز، وذلك عن طريق إبعاد السنة وإحلال الشيعة محلهم، كل هذا التعسف بمباركة القوة الأجنبية ورعايتها له.

نستنتج من خلال استعراضنا وبحثنا للسلوك الإيراني السياسي السلبي على مدى التاريخ نستخلص: أن التمدد الإيراني يتكرر على مدى تاريخ العلاقة بين العرب وإيران، وهذا يحصل حينما تتوافر له الدوافع الفكرية الداخلية في إيران، وامتلاك القوة أمام ضعف العرب ووقوعهم في مشكلات داخلية أضعفتهم، فمكنت خصومهم من النفاذ وتفكيك وتقسيم بلادهم، واستغلال الخصومات الناشئة بينهم، وقد حاولت أمريكا وإسرائيل عن طريق المقاطعة الاقتصادية لإيران إضعافها وعزلها سياسيًّا، إلا أن هذه السياسة قد فشلت، وتسببت بمزيد من التطرف، واتجاه إيران إلى التسليح وصناعة الصواريخ البالستية، ثم إصرارها على مشروعها النووي، الذي تدعي أنه لأغراض مدنية، فنجحت في تخصيب اليورانيوم، وهو الأساس في الصناعة النووية، إلى أن وجدت أمريكا نفسها في خيارين: أحلاهما مر، فإن تركت إيران وشأنها توصلت فيما بعد لإنتاج القنبلة النووية، وهذا ما لا يقبله جميع العالم، لأنه يهدد جميع المنطقة بالخراب، وإن أقدمت أمريكا على ضرب منشآت إيران النووية، فلن تستطيع تدميرها إلا بقنابل نووية تخترق الأرض والتحصينات تحت الأرض لأكثر من ثلاثين مترًا، وهذا سينتج عنه فوضى عارمة ونتائج تدميرية، تتعدى حدود إيران إلى العالم الخارجي، كل بنسبة ما يصله من إشعاع، وقد نجحت إيران في سياستها مع أمريكا وإسرائيل في مد العون لها في حربها في أفغانستان وفي

العراق وفي الشام، بدعوى محاربة الإرهاب، وبهذا وجدت أمريكا شريكًا جاهزًا لمساعدتها في تحقيق أهدافها في الشرق الأوسط، فأقدمت على توقيع الاتفاق النووي مع إيران، والذي يقضي بالتفتيش على المنشآت النووية، للتحقق من سير المشروع لخدمة الأغراض المدنية فقط، ويظن بعض المراقبين أن هنالك بنودًا سرية أو ملحقات سرية لهذا الاتفاق، تخص ربما تساهل أمريكا في تمدد إيران في المنطقة، ولكن لا يعلم حقيقة ذلك، كما إن صح لا يعلم مداه ولا حدوده في المستقبل، مما دفع دول الخليج العربي إلى التشاؤم من هذا الاتفاق، وتحضير التحالفات العربية والإسلامية للوقوف أمام هذا التمدد الإيراني السريع، والذي يتخذ أشكالًا مغلفةً بالطائفية والعنصرية، التي تستغلها إيران لتجييش الشعب الإيراني واستغلاله في تحقيق أهدافها.

وقد تنكفئ السياسة الإيرانية إذا ما حصلت اضطرابات داخل إيران، تقوم بها الأقليات العرقية من أكراد أو عرب أو بلوش أو من الآذاريين والأفغان، فإذا كثرت تلك الاضطرابات في داخل إيران، فإن ذلك يجعلها غير قادرة على تحقيق تمددها في المنطقة، وستنشغل في ضرب تلك الحركات الداخلية، وستساعد الضائقة الاقتصادية في التعجيل ربما بحدوث ذلك، وبخلاف ذلك إذا ما حصلت إيران على التمويل، سواء من بيع نفطها وغازها أو عن طريق التمويل الخارجي، فإن ذلك سيساعدها في قمع تلك الحركات التي تعلمت إيران كيف تتعامل معها منذ أمد طويل. ومن هنا بات مستقبل السياسة الإيرانية ونهايتها غير واضحة، تعتمد على عوامل شتى على الأخص عند خصومها العرب، فإن توحدت كلمة العرب، وقاموا خاصة دول الخليج باستكمال مسيرة التكامل الاقتصادي والسياسي، ومن بعد ذلك وحدة قوتهم العسكرية، وتبعهم في ذلك بقية بلاد العرب، فإن ذلك سيبشر بوقف الزحف الإيراني على المنطقة، وهذا ما تدعو له السياسة الحكيمة للمملكة العربية السعودية، وفي إطار سعي المملكة

العربية للخروج برؤية إيجابية تجاه العلاقة بين إيران والعرب وفى المنطقة عمومًا، التحليل الذي ذكره وزير الخارجية السعودي، كما سبق عن الفراغ الإستراتيجي، الذي تسببت به عوامل عدة، أهمها: ممارسات أنظمة الجمهوريات الوراثية على مدى العقود الأربعة الماضية، وملء الفراغ، هذا تتسابق له أنظمة الجمهوريات التقليدية، المتمثلة في تركيا وإيران وسوريا وإسرائيل . لكن اليوم يظهر على الأفق طريقان لملء الفراغ الحاصل، هما الحراك الشعبي العربي في بلدان الثورات (الربيع العربي)، الذى أحدث تغيرًا باتجاه النشاط الداخلي، المتمثل في رفض الاستبداد والانقياد وسياسة التكتلات والتبعية. والطريق الثاني وهو ضخ الدماء في شرايين جامعة الدول العربية، بعد أن ثبت عمليًّا نجاح هذه السياسة في مجلس دول التعاون الخليجي، الذى عمل أمورًا واضحة وملموسة في إطار الدول التابعة له ومحيطها، والعمل في هذا الجانب لا يتوقف عن المسائل الدفاعية في ساعة المحنة فقط، بل يجب أن يتعداه إلى مخاطبة التحديات البادية من إيران بلسان واحد باسم الجامعة العربية، وبلغة حاسمة تظهر تماسك هذا المنظمة، بدلًا من الثبات الذى ضرب نشاطها على فترات طويلة، وترك كل الدول المنضوية تحتها تواجه مصائرها لوحدها أو بشكل ثنائي أو منفرد، ويتعدى هذا الدور إلى أمريكا، التي لها يد طولى في المنطقة، والتي هي وراء كل المشكلات من أجل مصالحها، والتي وجدت أن إيران خير معين لها في هذا الجانب، وإذا فشل العرب في التعامل أو تقديم رؤية للتعامل مع إيران، يجب أن تقدم إيران برنامج واضح المعالم، يثبت حسن نواياها في المنطقة العربية والإسلامية، وتعاملها مع الجميع، بدلًا من تنفيذ سياسة القوة الأجنبية، التي همها الأول هو مصالحها في المنطقة، حتى لو أدى هذا الأمر إلى زوال دول بكاملها من الخارطة الجغرافية، وهذه الألاعيب ما عادت خفية أو مخيفة بالنسبة للعرب بعد ثورات الربيع، وما عرف باستغلال إيران لهذه الثورات لصالحها، كما حدث في سوريا والبحرين واليمن، بل أدى هذا إلى عداء مستفحل وصريح ومتصاعد ضد الشيعة في المنطقة كلها.

إن لم ترعوِ إيران وتتوقف عن هذا العبث سوف تخسر كثيرًا، وتجر المنطقة كلها إلى ما لا تحمد عقباه، وهذا ما لا نتمناه للشعب الإيراني، وللمنطقة عمومًا، يجب أن تنظر إيران إلى المسألة بعقلية وبصيرة، إذا أرادت أن تلعب دورًا إقليميًّا، يجب أن تراعي خصوصية الدول والشعوب إن لم تكن الخليجية الإسلامية، التي يجمعها معها قبل الدين الأخوة والمصير المشترك والجوار إذا كانت فعلًا تنطلق من منظور إسلامي، فالإسلام يحفظ حقوق كل البشر والأديان، وإن كانت مخالفة له، فيجب أن تثبت فعلًا أن ثورتها إسلامية، وتعد مما أحدثته في العراق بتعاونها وتسهيلها للاحتلال.

المصادر

- ابن عبد ربه: العقد الفريد. ج٦.
- الأصفهاني: الأغاني. ج٣.
- ابن النديم: الفهرست. بيروت، ١٩٦٣م.
- ابن الاثير: الكامل. ج٣. بيروت. ١٩٦٥م.
- إبراهيم بيضون: اتجاهات المعارضة في الكوفة.
- ابن خلدون: المقدمة. ج٣.
- ابن مسكويه: تجارب الأمم. ج٢ - القاهرة - ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م.
- ابن الجوزي: المنظم. ج٥، ج٧ - حيدر آباد. ١٩٤٣م.
- ابن كثير: البداية ج٩ - بيروت والرياض. ١٩٦٦م.
- أحمد صالح العلي: امتداد العرب في صدر الإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م.
- أمير حسين خانجي: إيران الصفوية (كيف صار الإيرانيون شيعة صفويين) مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠١٠م.
- أبوبكر مرشد فازع الزهيري: التوجهات الإيرانية في المنطقة العربية، ط٢، مكتبة مركز الصادق، صنعاء.
- أحمد كاظمي موسوي: ظهور مرجعية التقليد في المذهب الشيعي الإثنا عشري أو الاجتهاد، العدد الرابع، ١٩٩٨م، بيروت.
- إبراهيم سليمان الكروي: البويهيون والخلافة العباسية، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ٢٠٠٨م.
- أحمد عودات: تاريخ المغول والمماليك، دار الكندي، الأردن، ١٩٩٠م.
- أحمد بو شرب: الخليج العربي والبحر الأحمر من خلال وثائق برتغالية، ١٥٠٨م.
- الأفغاني: رسالة الرد على الدهريين (الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني)، تحقيق ودراسة: د. محمد عمارة، القاهرة، ١٩٦٨م.
- الغنجة هاشم داود: (العامل المذهبي ودوره في توجيه السياسة الخارجية الإيرانية تجاه العراق ٢٠٠٣-٢٠١٣م)، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، وسط البلد، ٢٠١٧م.

- آية الله العظمى السيد أبوالفضل البرقعي القمي: سوانح الأيام، مكتبة العبيكان، ط٢، الرياض، ٢٠١٤م.
- أبوبكر مرشد فازع الزهيري: التوجهات الإيرانية في المنطقة العربية، ط٢، مكتبة الصادق، صنعاء، ٢٠١١م.
- إسماعيل أحمد سمو: العلاقات بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية خلال حكم مصدق، دار دجلة ناشرون وموزعون، ٢٠٠٩م.
- إدور سابلييه: إيران مستودع البارود. ترجمة: عز الدين محمود سراج، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣م.
- بيزن إيزدي: (مدخل إلى السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية)، ترجمة: سعيد الصباغ، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- برنار أوركاد: جغرافية إيران السياسية، لبنان طرابلس، سنة ٢٠١٢م، (جرَوس برَس ناشرون).
- البغدادي. تاريخ بغداد. ج١ - القاهرة، ١٩٣١م.
- بطروشوفسكي: الإسلام في إيران، ترجمة وتقديم: د. السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- تييري كوفيل: إيران الثورة الخفية، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨م.
- تريتا بارسي: حلف المصالح المشتركة التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة، ترجمة: أمين الأيوبي، بيروت، ٢٠٠٨م.
- الجاحظ: رسالة في ذم أخلاق الكتاب، القاهرة، ١٩٦٩م.
- الجعيط: الكوفة.
- جعفر المهاجر: الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي، دار الروضة للطباعة، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
- جميل الذيابي: إيران ورقصة السرطان، مكتبة العبيكان، ط٢، الرياض، ٢٠١١م.
- جون ليمبرت: إيران حرب مع التاريخ، ترجمة: حسين عبد الزهرة مجيد، جامعة البصرة، مركز الدراسات الإيرانية، البصرة، ١٩٨٢م.
- حسن برنيا: تاريخ إيران القديم. ترجمة د. محمد نور الدين عبدالمنعم، ود. السباعي محمد السباعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩م.

- حيدر عبد المناف البياتي: (الصفوية التاريخ والصراع والرواسب)، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ط٣، دبي، ٢٠١١م.
- حجت مرتجى: التيارات السياسية في إيران المعاصرة. ترجمة: محمود علاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- الخميني: الحكومة الإسلامية.
- الخميني: كشف الأسرار، المطبعة الإسلامية، طهران، ١٩٤١م.
- سامي سعيد أحمد، رضا جواد الهاشمي: تاريخ الشرق الأدنى القديم إيران والأناضول، بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٠٠م.
- السيد أبوداود: تصاعد النفوذ الإيراني في العالم العربي، العبيكان، الرياض، ٢٠١٤م.
- ساهر رافع: تاريخ وحضارة إيران. مكتبة النافذة، القاهرة.
- سلطان محمد النعيمي: الفكر السياسي الإيراني، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٩م.
- سيد حسين: (إيران والعرب)، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١م.
- سامح عبود: الأقليات الدينية والعرقية والمذهبية في إيران، مركز المحروسة، القاهرة، ٢٠١٤م.
- سعيد خديده علو: العلاقات العراقية الإيرانية وأثرها على القضية الكردية، دار دجلة، الأردن، عمان، ٢٠٠٧م.
- شموئيل سيجف: المثلث الإيراني، ترجمة دار الجليل، ج١وج٢ عمان، ١٩٩٠م.
- صابر طعيمة: الأصول العقدية للإمامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- محمد بن جرير الطبري: تاريخ. ج٤ القاهرة، ١٣٢٣هـ.
- عبداللطيف عبدالرحمن الحسن: جذور التشيع، الرياض، ٢٠١٢م، وكتابنا الزواج المؤقت (حرق الموتى).
- علي عبدالرحمن العمرو: أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، ط٤، شركة العبيكان، الرياض، ١٩٩٢م.
- علي مروة: التشيع بين جبل عامل وإيران، لندن، دار الرياض، ١٩٧٧م.
- علي الزين: فصول من تاريخ الشيعة في لبنان. عرض بدر الدين عباس: المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ١٤١٢هـ.

- عبدالهادي التازي: إيران بين الأمس واليوم قراءة جديدة لرحلة ابن بطوطة، المعهد الجامعي للبحث العلمي، ١٩٨٤م.
- عبدالنعيم محمد حسنين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.
- عباس إسماعيل صباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، دار النفائس، بيروت، ط ٣، ٢٠١١م.
- عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية، المجلد الثاني، مصر، دار الشروق، ١٩٩٩م.
- علي الشيخ: الدولة الصفوية وأتباع الأديان والمذاهب، (الصفوية التاريخ والصراع والرواسب)، وما بعدها، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ط٣، دبي، ٢٠١١م.
- علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث.
- عصام نايل المجالي: تأثير التسلح الإيراني على الأمن الخليجي، دار الحامد للنشر.
- علي ناصر ناصر: مضيق هرمز والصراع الأمريكي الإيراني، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٣م.
- د. عبدالله محمد الغريب: وجاء دور المجوس، ط٥، ١٩٨٧م.
- البروفيسور غلام حسين صديقي: الحركات الدينية في إيران، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ٢٠١٣م.
- فاضل الربيعي: النياحة العظيمة، **دار للنشر والتوزيع**، الأردن، عمان، ٢٠١٣م.
- فتحي الزغبي: غلاة الشيعة، القاهرة.
- فاضل طلال العامري: الطريق إلى الحرب، هلا للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١م.
- الربيعي: المناحة العظيمة، جداول للنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠١١م.
- فاروق عمر، ود. مرتضى حسن النقيب: تاريخ إيران، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٩م.
- كينيث آر.تيمرمان: العد العكسي للأزمة المواجهة النووية المقبلة مع إيران، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.
- الكشي: رجال
- كولن تيرنر: التشيع والتحول في العصر الصفوي. ترجمة: حسين على عبدالستار، منشورات الجمل، بغداد ٢٠٠٨م.

- محمود شيت خطاب: قادة فتح بلاد فارس، دار الفتح، بيروت، ١٩٧٤م.
- المجلسي. بحار الأنوار. المجلد ١٥ -إيران - ١٣٠١-١٣١٥هـ.
- محمد حسنين هيكل: مَدافع آية الله، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٨م.
- المبرد الكامل. - البابي الحلبي - ١٣٥٦هـ.
- محمد مال الله: يوم الغفران، مكتبة ابن تيمية، ١٤١١هـ.
- محمد مال الله: ابن تيمية: العصبية القبلية والإمام المظلوم
- المسعودي: مروج الذهب. ج٩، باريس، ١٨٦١-١٨٧٧م.
- ما سنيون: خطط البصرة .
- محمد بن يحيى بن أبي بكر الأندلسي: التمهيد والبيان في مقتل عثمان، الدوحة، دار الثقافة، ١٩٨٥م.
- المفيد: الإرشاد.
- محمد عبدالعزيز بن أحمد العلي: عقيدة الحلول والتناسخ عرضًا ونقدًا، دار الصميعي للنشر، ط١، الرياض، سنة ١٤٣٠هـ.
- محمد المعموري: الأسرة الصفوية شويخها وملوكها، (من كتاب الصفوية التاريخ والصراع والرواسب)، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ط٣، دبي، ٢٠١١م.
- محمد عبدالحليم أبوجاد: ردع إيران، الأجواد للنشر والتوزيع، الدوحة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.
- مأمون كيوان: اليهود في إيران، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م.
- محمد تقي بور. ترجمة: د. أحمد حسين بكر: إيران والصهيونية، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- محمود شاكر: - بيروت - مؤسسة الرسالة -١٩٧٥م.
- محمد فتحي يوسف الريس: إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي، ٩٠٦- ١١٤٨هـ. ١٥٠٠- ١٧٣٦م، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٩م.
- محمد رضا وصفي: الفكر الإسلامي المعاصر في إيران، دار الروضة، بيروت، ٢٠٠٠م.
- محمد عطا المتوكل: المذهب السياسي، بيروت، ١٩٨٥م.
- نعمة الله الجزائري: الأنوار النعمانية، ج٢، تبريز، ١٩٥٨م.
- نسيم بهلول: في العمق الصهيوني للقوة الإيرانية، ابن النديم للنشر، ط١، الجزائر، ٢٠١٤م.

- نصر الله فلسفي: إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي، ٩٠٦-١١٤٨هـ/ ١٥٠٠-١٧٣٦م، ترجمة وتقديم: محمد فتحي يوسف الريس، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٩م.
- هند أبو الشعر. ثورة المختار، جبانة السبيع وتتبع قتلة الحسن، عمان، ١٩٨٣م.
- ويلفريد بوختا: من يحكم إيران، مركز الدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة.
- ياقوت الحموي: فتوح البلدان، ج١، ج٢، ج٤، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

كانت إيران - ولا تزال - شوكة في ظهر العرب والعروبة منذ فجر التاريخ، ولم يمنعها دخولها الإسلام، في قطاع كبير منها من أن تعلن عداءها سافرًا ملتهبًا حينًا، وخافيًا خابيًا حينًا آخر، وفي هذا الكتاب نظرة بانورامية لتلك العلاقة، موضحًا جذورها ومراحلها وأطوارها، بدءًا من تاريخها القديم ودياناتها قبل الإسلام وبعده منذ الفتح الإسلامي وحتى استيطان العرب بعض أمصارها، وما أدته عبر التاريخ الإسلامي من قلاقل للعرب والمسلمين في عصور التاريخ القديم.

ولا يقف الكتاب عند تسليط الأضواء على علاقة إيران بالعرب قديمًا، وإنما يرصد تلك العلاقة حديثًا في العصر الصفوي، وما صاحبه من انتشار التشيع في ذلك العصر، وأثر الفكر السياسي الإيراني في العرب، وما أعقبه من أحداث الثورة الإيرانية، وما أفرزته من قوى سياسية وتيارات مذهبية، وما تفعله إيران من تدخلات في البلاد العربية ومحاولاتها تصدير الثورة لهذه البلاد.

ويقدم الكتاب أخيرًا نظرة تفصيلية لعوامل الالتقاء والافتراق بين إيران والسعودية، وعلاقتها بمن حولها من دول العالم في النطاق الجغرافي والإطار العالمي، وما أصابها من تحولات اجتماعية بعد الثورة وعلاقتها بأمريكا والكيان الصهيوني، وقد أتى كل ذلك مؤيدًا بالوثائق والأدلة والبراهين التي تقدم الحقيقة ناصعة للعيان وجلية لأي إنسان.

ISBN: 9786035091732
9 786035 091732
- الفكر السياسي
- إيران
- الأحوال السياسية
- العصر الحديث
للنشر العبيكان Obeikan Publishing
نلهم المعرفة Inspiring Knowledge
Obeikan Reader
@ObeikanPub